

# الحجاء إلى الجنة

تصنيف  
الامام ابو جعفر محمد بن عيسى  
الطوسي

المجلد الأول

بطلب من

مكتبة الوطنية كراچی قوتلہ سمارٹ

اندونسیا

# إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور بدوي طنبات

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

الجزء الأول

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سمارا

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

### الغزالي وأخيه، علوم الدين

تمهيد في التصوف الإسلامي :

- ١ -

جاء الإسلام على فترة من الديانات ، وبث محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل ، ليبيد لعقيدة التوحيد صفاءها وقاءها ، ويطهرها من أدران الشرك والوثنية ، وليعدل زيف البشرية في عقائدها وعبادتها ومعاملاتها ؛ وليرسي القواعد الأساسية التي تقوم عليها صلة الإنسان بربه ، وتنهض بها علاقته بأخيه الإنسان ؛ وليرسم للناس مقاييس السلوك ، ويتم مكارم الأخلاق ؛ ويضع بكل ذلك دستوراً للمجتمع قوى سليم ، تصان فيه حقوق الإنسان وحرياته ، وتحدد فيه أعباؤه وتكاليفه في المجتمع الذي يعيش فيه .

وكان في تعاليم الإسلام ونصوص القرآن أكبر باعث على تنمية الضمير الإنساني .  
قد جعلته تلك التعاليم يعتقد أن عليه رقيقاً حسيباً : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وهو يبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، وهو الذي : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » .  
وبذلك يعلم أنه لو خُلِّيَ بينه وبين المصيبة لما اقترفها ، لأنه يرى بضميره ذلك الرقيب في السر ، كما يرى آياته ماثلة شاخصة ، ويراه في جنح الظلام ، كما يرى الذين يخشام في راحة النهار وأنها : « إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » .

وخلاصة مبادئ الإسلام مبدآن : عملٌ لدنيا وعملٌ للآخرة . يتلخصان في قوله تعالى : « وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » . وقول الرسول : « أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

ومقتضى العمل للدنيا أن يكون الإنسان فرداً فعالاً يؤثر فيها حوله ، ويتأثر بما حوله . وليس للحي مناص من خوض مشترك الحياة ، يضطرب فيها يضطرب فيه الناس ، ساعياً في رزق ، أو طالباً للجد وكرامة ، وتلك سنة الحياة وطبيعة الأحياء ، ولن نجد لسنة الله تبديلاً مادامت السموات والأرض .

وإذا وجدت فكرة التبتل والاقطاع شيئاً من الدعوة إليها ، فإن في النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ما يؤيد فكرة العمل وما يبحث عليها وبطالها بها في إصرار وتوكيد ، حتى تصبح فكرة التبتل والاقطاع وسيلة لتكبح جماح النفس ، والمبالغة في طلب الحياة والحلم من عليها ، واستسلام النفس للغزوات وحب الشهوات .



وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد على ذلك ؛ وهو القدوة لكل مسلم ، وأقرب المخلوق إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ومنتهى القول فيه أنه إنسان كامل : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

وآثاره صلى الله عليه وسلم في العمل والكسب كثيرة ، منها قوله : « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء » . ورويت عائشة رضي الله عنها أن النبي صنع شيئا ترخص فيه ، وتبرزه عنه قوم ، فبلغه ذلك . فحمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله إني أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية !

هذا العمل نفسه ، وإن كان للدنيا ، وإن كان للفرد يتحرى به خيره أو خير غيره ، عمل للآخرة إذا ما اتبع فيه الحق ، وأنصف نفسه من غيره ، وأنصف الناس منه ، وابتنى بذلك الإنصاف وجه الله والدار الآخرة ، وراعى أصول العقائد والعبادات التي تكون بين العبد وربه ، لا تتجاوز تلك الدائرة إلا قليلا .

وهكذا كان القصد والاعتدال من سنن الإسلام ، الذي يحقت النواشد للقت . فالإسراف في النفقة رذيلة ، والسرقة من إخوان الشياطين ؛ مع أن بذل المال مطلوب ، وكثره يوجب العقاب : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُخْفَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » . ولكن الذي يضيع ماله على خلاف مقتضى العقل والشرع ، ولو في الخير كبناء المساجد ؛ سفه يبنى الحجر عليه ومنه من التصرف في ماله .

والذي يفت نفسه في ضروب العبادات ويبالغ فيها مسرفا ، كالمثبب الذي لا يقطع أرضا ، ولا يبقى ظهرا . ومثله سواء بسواء المقبل على الدنيا ، الماكف على لذتها ، للتهالك على عرضها الزائل ، الذي شغل بها عما عند الله ، وغفل عن حق ربه ، وحق دينه ، وحق غيره فيما عنده .

كذلك كان الإسلام ، وكذلك كانت سماحة الإسلام : فرض على المسلم صلاة وزكاة وصوما وحجبا ؛ وكتب عليه جهادا لا يقوى عليه إلا بحسن التدبير الذي يستلزم صحة الأبدان وصحة العقول ، وإعداد المال والرجال ، من غير ظفیان حق على حق ، أو إثارة الماجة على الآجلة .

وسار المسلمون هذه السيرة في الصدر الأول ؛ حتى آل الأمر إلى ملك عضوض ، أصبحت فيه السياسة فنا لا يتخرج فيه عن الوسيلة في التماس النلية ، وطفئت المادية على رجال الحكم ، وقدم في ذلك رعاياهم ، فأقبلوا على الدنيا وعكفوا على ضروب الخداع والبهو ، واتخذوا الجوارى والقيان ، وسكنوا القصور ، وعمروا الأرض ، واصطنعوا الملاذ التي كان يرفع عنها المسلمون في الصدر الأول ، وحاموا حول الشبهات ، واستهقروا بها ، وتأولوا في استباحتها آى القرآن وسنة النبي .



وقد كان خلفاء بني أمية سياستان اقتضاهما الحفاظ على الملك في يديهم بتوارثه أبنائهم وخلفائهم ، فهم يتبعون سياسة القمع ويملكون السيف والصف مع الخارجين عليهم من أهل العراق الذين كانوا شهرة لملى وأهل بيته ؛ وهم يتلونهم بالجفاة الغلاظ من الولاة والعمال ؛ على حين يصانعون أشراف الحجاز الذين كانت قلوب الساخطين الناقين على سياسة بني أمية تتطلع إليهم ، فترى الخلفاء يلينون لهم في القول ويتجاوزون عن مسيئهم ، ويشجعون حياة النهو والترف فيهم بما يقدون عليهم من العطاء ، ليشتلهم عن التطلع إلى الخلافة وإلى مناصب الدولة . أما ذوو الجاه الذين مدّ لهم السلطان في الأسباب فظلوا سادرين في لموم وترغيم . على حين ينس الآخرون من عامة أهل الحجاز وسواد أهل العراق من كل سبب من أسباب الدنيا .

وكان هذا اليأس من المنصب والحرمان من البر والفرار من الفتنة التي حدثت في صفوف المسلمين ، مدعاة لكونهم على العبادة والزهادة ؛ فانطوا على أنفسهم ، يتذكرون كتاب الله وسنة نبيه ، ويشغلون أنفسهم بقصص الوعد والزهد ، والتصبر بما وعد الله الصابرين من الأجر وجزيل الثواب .

عاد هؤلاء إلى نصوص القرآن والسنة النبوية يستخلصون منها نصوص الترغيب فيما عند الله وابتغاء ثواب الآجلة ليحصلوه منهجهم في الدار الآخرة ؛ ورواوا الزهد والانصراف إلى العبادة مرقاة الصعود إلى الله وكسب رضاه ، والوصول إلى المعرفة الكاملة بملكوت الله ، وهم يوقنون أن أسرار الملكوت محجوبة عن القلوب التي دنسها حب الدنيا التي استغرق أكثر همها طلب الحاجة ؛ بما فيها من رغد وزينة وجاه وسلطان : « زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ النَّاتِبِ » .

والأصل هو معرفة الله تعالى ، ثم سلوك الطريق إليه ، فأما أمر الآخرة فيكفي فيه الإيمان المطلق ، فإن المعارف الطبع معاداً مسعداً ، ولجihad العاصي معاداً مشقياً ، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك ، لكنه زيادة تكميل للتشويق والتحذير<sup>(١)</sup> .

وذلك الأصل هو الذي أفنى فيه أولئك زهرة حياتهم ، وهو الذي أنفقوا في التعرف عليه جل ما وهبوا من عقل وتفكير ، وهو الذي ساقهم إلى التدبر في فهم آثار الصنعة ، حتى يتسنى لهم الوصول بها إلى المعرفة الحقة بالصانع ، وتلك المعرفة غاية في ذاتها ، إذ بها يصبح العبد ربانياً ، وفي ذلك تلك الغاية السعادة الحقة ، وكل ما يصطنعه العبد من عمل ومجاهدة إنما هو للوصول إلى تلك الغاية ، غاية المعرفة .

ولا تكون تلك الغاية لمن نظر إلى غير الخالق ، لأن النظر إلى غيره عمى عنه ، وغفلة عن طريقه ، ولا يحمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد ، كيف وهو يجد عند الله كل ما يريد<sup>(٢)</sup> ، وإذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيد الاستغناء به عن الناس .

(١) النزالي : جواهر التركان ١٢ ( طبعة الرحاية / القاهرة ١٣٥٢ هـ )

(٢) راجع فوات الوفيات لابن شاكر ٣/١ ( مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٩٩ هـ ) .

والطريق إلى الله يستلزم أمرين : الملازمة والخاتمة . وللملازمة ملازمة ذكر الله تعالى ، والخاتمة لا يشغل من الله ، وهذا هو السفر إلى الله . وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه ، فإنهما معاً . أو ما سمعت قوله تعالى ، وهو أصدق القائلين : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » ١١ .

بل مثل الطالب والمطلوب . مثل صورة حاضرة مع مرآة ، ولكن ليست تتجلى في المرآة لصدا في وجه المرآة ، فتق صفتها تجلت فيها الصورة ، لا يارتمال الصورة إلى المرآة ، ولا بحركة المرآة إلى الصورة ، ولكن بزوال الحجاب ، فإن الله تعالى متجلى بذاته لا يخفى ، إذ يستحيل اختفاء النور ، بل بالنور يظهر كل خفاء ، والله نور السموات والأرض .

وإما خفاء النور من الحديقة لأحد أمرين : إما لكدورة في الحديقة ، وإما لضعف فيها ، إذ لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر ، كما لا يطيق نور الشمس أبعاد الخفافيش . . . . . والنور يتجلى في بعض المرايا أصح وأظهر وأقوم وأوضح ؛ وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرآة وصفاتها وصحة استدارتها ، واستقامة بسط وجهها ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة (١) » .

ومن هذا الدليل المادى كان الاتجاه المولى إلى جلاء النفس وصلتها ، وسبيل ذلك مجاهدة النفس وإحكام مخالفتها بالانصراف عن الدنيا ، والمكوف على العبادة ، وترويضها بطول الخلوة والسياسة والصوم وقلة الطعام في الفطر وكثرة الذكر ، وغير ذلك من وسائل حمل النفس على غير ما تشهى .

ويبدو من هذا أن السلبية كانت الطابع العام ، ومحاربة النفس كانت الأصل عند أولئك الزاهدين في الدنيا وزينتها .

وكانت بعد ذلك حركات عقلية اقتضت أودية التفكير الإسلامى ، ونهبت المسلمين إلى ألوان من المعرفة لم يكن لهم من أكثرها حظ ؛ وضروب من التفكير لم يسبق لهم مزاولتها ، والأمة الإسلامية تتطلع إلى احتلال منزلتها ؛ وبناء مدينتها على تلك الأسس الوطيدة التى أرسى دعائمها الإسلام ، وهو دين البشرية الذى بعث صاحبه إلى الأسود والأحر : « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » وهو رسول الله وخاتم النبيين .

ولذلك كان على حماة هذا الدين والقوامين عليه أن يطوفوا بكل جهات المعرفة ، ويقفوا على ما عند غيرهم من أبناء الأم من ضروب المعرفة وألوان التفكير ، حتى لا تخفى عليهم زاوية من زوايا العقل ، ولذلك لم يقفوا عند حدود النصوص ليؤمنوا بها إيماناً مطلقاً ، ولم يمدوا يكتفون بالإيمان المجرد . بل أحسوا بضرورة البحث فى أسس هذا الإيمان وضرورة تطبيقه على العقل . وقد وجدوا فى نصوص الدين ما يبحث على ذلك النظر وما يشجع على إعمال العقل والتفكير

وكانت هناك أم سبقتهم إلى البحث والتفكير فى الكون وخالقه ، والحياة وما وراءها ، والإنسان فى

حياته وموته وبسته . وكان لذلك الأم تراث خلفه طائفاها ، وورثته حكماؤها الإنسانية لتتظرفه ، وتنفص منه أو تزيد عليه . ما وسعها الزيادة وما وسعها التهديب والتصحيح .

وجدت المسلمون في جمع ذلك التراث ونقله إلى لسانهم العربي ، حتى إذا اجتمع لهم منه شيء كثير ، أخذوا في تنقيح ومدارسته ، وجدوا في تحميمه وتطبيقه على ما ورثوه من دين ومعرفة وعقيدة وعجالة ومعلمة وسلوك .

وقد بلغ هذا التيار مداه في القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففي هذين القرنين كانت أودية العلم تنموج بتلك التيارات الفكرية الطارئة التي حذقها كثير من المسلمين ، وعظم بذلك سلطان العقل ، وطمى الجدل بين العلماء طمينا كما دُيِّنسى كثيرا منهم الأصل الذي ورثوه عن إسلامهم وعروبهم .

فالحكمة الهندية وفلسفة فارس وفلسفة يونان ومنطقهم ، كل ذلك أصبح يمرى على ألسنة العلماء ولتتكلم من المسلمين ويشغل بالهم ، ويدعهم إلى البحث في دينهم وأصول عقائدهم على ضوء هذه المعرفة التي جذت على بيتهم ووجد فيهم من يتعصب لتلك الثقافات الطارئة ، ومن يؤثرها على ثقافته الأصيلة ، إلى جانب الذين وصلوا هذه جثك ، وكوتوا من هذا المزاج زادا جديدا للعقل العربي الإسلامي .

وعاد الأمر إلى أولئك الزهاد الذين صدقوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تمد السلبية التي كانوا يؤثرونها قبلهم في هذا المجمع المضطرب ، فقد أصبح الفكر دعامة كل منهج من مناهج الحياة ، سواء أكان ذلك المنهج منهجا نظريا ، أم منهجا عمليا . وتلك وجدوا أنفسهم في حاجة إلى فلسفة فكرتهم في الحياة حتى تنهض على أسس تماثل تلك الأسس التي أقام عليها غريم سلوكهم في الحياة .

### الإمام الغزالي

وقد أنجب القرن الخامس الهجري طائفا من أعلام الفكر الإسلامي ، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي ، ويحمل بنا أن نشير إلى شيء من تاريخ هذا الإمام ، لتقف من هذا التاريخ على العوامل التي تظلمت على تكوين هذه العقيدة القريضة ، وألوان الثقافة التي احتشدت في ذهنه ، وجعلته أهلا لأن يحتل تلك المكانة الجليلة بين زهاد المسلمين ومتصوفهم وأبناء مفكرهم .

وفي مدينة طوس<sup>(١)</sup> وفي منتصف القرن الخامس الهجري ( ٤٥٠ هـ ) ولد أبو حامد بن أبي عبد الله القلب واليد ، بفزل الصوف وببيته ، وبخلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حلقاتهم . والتقهاء في دروسهم ، والوعاظ في مجالسهم ، يستمع إليهم ، ويتطلع إلى صنيعهم في التعليم والإفادة ، ويلطفهم بما يفضل من قوته وحاجته . وكان

(١) طوس : مدينة بخراسان . بينها وبين نيسابور مسيرة فراسخ ، فصحا المسلمون في أيام صفار بن صفار ، وبها قبر علي بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد ، وبها آثار إسلامية جليلة .  
قال ياقوت : خرج من طوس من أئمة أهل السلم والفتنة ملاحم ، وحبيبك بأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي وابن التوش أخيه .. (معجم البلدان ٦/٧١) .



تأثره بتلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيمًا ، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولها من صلبه مجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ الذين يعلمون الناس أمور دينهم ، ويبصرونهم بخير الحياة الدنيا والآخرة . واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين : أحدهما أبو حامد الذي نتحدث عنه ، والآخر أخوه أحمد الذي اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة <sup>(١)</sup> .

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصى بأبي حامد وأخيه صديقًا له من أهل التصوف . وقال له : إن لي تأسفًا عظيمًا على ما فاتني من التعلم ، وأشتهى استدراك ما فاتني في وهى هذين ، فلمهما ، ولا عليك أن يتفقد في سبيل ذلك جميع ما خلفه لهما .

وأخذ الصوفى وصيته ، وأقبل على تعليمهما ، حتى فنى المال القليل الذي خلقه أبوهما ، وتمذر عليه المضى في تعليمهما أو تقديم الطعام الذي يقتاتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما إلا أن يلحقهما بمدرسة من تلك المدارس التي تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء . وقد أحسن الرجل بذلك صنعا إلى هذين التيسين الذين لا عائل لهما ولا مال بينهما على الحياة ، ولذلك كان النزالي يقول وهو يذكر هذا الصنيع : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله » . ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش ، يُجْزى عليهما بسببه ما يُجْزى على طلبة العلم ، فكان أن أوصلهما إلى الناية الحقيقية من طلب العلم ، وهى معرفة الله تعالى حق المعرفة .

هذا أبو حامد يقرأ في صباه طرقا من الفقه ببلده ( طوس ) ثم يسافر إلى ( جرجان ) <sup>(٢)</sup> ويأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي ، ثم يرجع إلى طوس ، فيقيم بها إلى ما شاء الله حتى يرتحل إلى ( نيسابور ) <sup>(٣)</sup> فيلازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني ، ويمجد في طلب الفقه ، فيبرع فيه وفي الجدل والمنطق والفلسفة وبقفه كلام أهل تلك العلوم ، ويتصدى لرد عليهم ، وإبطال دعاوهم ، ثم يقصد (المسكر) بعد وفاة إمام الحرمين ، ويلقى فيها الوزير نظام الملك ، ويتناظر في مجلسه الأئمة والعلماء ، ويقهر مناظريه ، حتى يعترف الجميع له بالفضل ، ويأمره نظام الملك بالتوجه إلى ( بغداد ) والتدريس في المدرسة النظامية ، فيقدمها سنة ٤٨٤ هـ وفي تلك المدرسة يعظم مجده ، ويتألق نجمه ، ويذيع صيته ،

(١) هو أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي النزالي للقب مجد الدين . قال ابن خلكان : كان واعظا مليح الوعظ ، صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء خير أنه مال إلى الوعظ ، فغلب عليه ، ودرس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد . ترك التدريس زهادة فيه ، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بإحياء علوم الدين في مجلد واحد ، وسماه ( لباب الإحياء ) وله تصنيف آخر سماه ( التخيير في علم البصيرة ) وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مثالا للاتقاع والزلة . وتوفي أحمد بجزون في سنة سبعين وخمسائة [ انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٥٥ هـ ]

(٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، بعض أهلها من هذه وبعضهم من هذه . قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي سفرة ، وقد خرج منها سفوة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ أنه حزة بن يزيد السهمي . قال الإسطخري : أما جرجان فإنها أكبر مدينة بتواحيها ، وهى أقل ندى ومطرا من طبرستان ، وأهلها أحسن وقاراً وأكثر مروءة من كبارهم . ولجرجان مياه كثيرة وضياء عريضة . وليس بالشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان (راجع معجم البلدان ٣ / ٧٥ طبعة السادة ١٩٠٦ م )

(٣) نيسابور : بلد كثير القواكة والمبرات ، كان المسلمون قد فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والأمير عبد الله بن عامر ابن كرز في سنة ٣١ سلما ، وقيل إنها تحت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأخنف بن قيس ، وإنما اكتسفت في أيام عثمان ، فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية .

حق يقال إن مجلس النزالى كان يحضره ثلثمائة حامية من أكابر العلماء . وأصبح مضرب النثل في التدريس والإفادة ؛ تشد إليه رجال طالبى العلم وأهل الورع . ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، ويرى أن العلم مع شرفه ، والتعليم القى يقوم به ، غير خالصين لوجه الله تعالى ، بل باعها وحركها طلب الجاه وبعد الصيت ، فتبين أنه على شفا جرف هار ، وأنه قد أشقى على الملاك إن لم يسرع بتلافى ما هو فيه .

وحينئذ يظهر عزمه على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام ، ولكنه لا يصرح بنيه حذراً أن يطلع الخليفة ووجه الأصحاب على عزمه المقام بالشام ، فيتلفط بلطائف الحيل في الخروج من بندا و هو ينوى ألا يماودها أبداً ؛ واستهدف بذلك لأئمة أهل العراق ، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كان فيه سيئاً دينياً ، قد ظنوا أنه بلغ المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

وقد ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاية ، وإما من قرب من الولاية ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون : هذا أمر سماوى ، وليس له سبب ، إلا عين أصابت الإسلام وزمرة أهل العلم !

وقارق بندا ، بعد أن فرق ما كان معه من المال ، ولم يدخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مُرصدٌ للمصالح لكونه وفقاً على المسلمين ، فلم يرفى العالم مالا يأخذه العالم لئلا يصلح منه . ودخل الشام ، وأقام به ما يقرب من سنتين لا يشغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالا بتركية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، فكان يعتكف في مسجد دمشق ، يصمد منارته طول النهار وينلق بابها على نفسه ، حتى رحل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم الصخرة ، وينلق بابها على نفسه .

ثم تحركت فيه داعية الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسار إلى الحجاز ؛ حتى جذبته المهم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده بعد أن كان أبعد الخلق عن نية الرجوع إليه .

وفي تلك الرحلات صدفت نفسه عن الدنيا ، ولبس الخشن من الثياب ، وقلل طعامه وشرابه ، وصار يطوف المشاهد ويזור المقابر والمساجد للعتلة والاعتبار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، وفي هذه الأثناء ألف هذا الكتاب ( إحياء علوم الدين ) حتى رجع إلى بندا فحدث به .

عاد النزالى بعد ذلك إلى خراسان ، وانقطع للعبادة ، وآثر العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، حتى طلب إليه فجر الملك بن نظام الملك أن يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور ، ولكن النزالى تأبى وقال : أريد العبادة فقال له : لا يحمل لك أن تمنع المسلمين الفائدة منك ! فدرس مدة يسيرة .

يقول النزالى في ذلك : ترخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تعذلاً بالمعجز عن إظهار الحق

بالحجة ، فقدّر الله تعالى أن حرك داهية سلطان الوقت من نفسه ، لا بهربك من خارج ، فلم أمر الزلم بالهوض إلى « نيسابور » لتدارك هذه الفترة . وبلغ الإلزام حبلًا كان يشقى - لو أصرت على الخلاف - إلى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزة السكل والاستراحة . وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بسر مطانة الخلق ، والله تعالى يقول : « أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... » الآية . ويقول عز وجل : « وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُّوا حَقُّهُمُ أَنْتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ » ... فتاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والشهادات ، فانفقوا على الإشارة بترك العزة ، والخروج من الزلوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله تعالى على رأس هذه اللاتة ، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسر الله تعالى الحركة إلى ( نيسابور ) لقيام بهذا المهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ...

قال : وأنا أعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم ، فارجعت ؟ فإن الرجوع عود إلى ما كان ا وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولي وعمل ، وكان ذلك قصدي ونيتي . وأما الآن فالدعوى إلى العلم الذي به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه ، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي ، ولم الله ذلك مني !

وأنا أبني أن أصلح نفسي وغيري ، ولست أدري الأصل إلى مرادى أم أخترت دون غرضي ؟ ولكني أومن بإيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأنى لم أتحرك ، لكنه حركني ، وأنى لم أعمل ، لكنه استعملني ، فأسأله أن يصلحني أولاً ، ثم يصلح بي ، ويهديني ، ثم يهدي بي <sup>(١)</sup> .

وأخيراً يعود النزالي إلى طوس بعد اللدة التي قضاها في نيسابور ، ويتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخطابه للصوفية ، ويوزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة الصوفية ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، حتى توفي في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .

✽

ذلك ما استطاعت صفحات التاريخ أن تفيه من حياة أبي حامد الرجل في هذه الحياة الدنيا . أما عقليته ، فقد رأينا أن هذه السطور لا تكاد تصورها الصورة الكاملة ، ولن نجد في هذه الترجمة إلا لمحة من قهره وورعه وعلمه وزهده ، وقد لا يجد القارىء في هذه الصورة شيئاً غريباً ، إنها صورة طادية تمثل رجلاً نشأ قديراً ، فزهد كرهاً أو طوعاً ، ونصوف راصياً أو مضطراً .

وتلك اللامع كثيرة الوجود في البيئات الإسلامية في عصر أبي حامد وفي غيره من العصور الإسلامية .

(١) للنقد من الضلال للنزالي : ص ١٤٤ ( الطبعة الثانية : القاهرة : ١٩٥٥ م ) .



وإنك لو أجدد العلم الدينى بطلبه الغنى والفقر ، والعلم العربى يجرى فى المجالس والمدارس والساجد ميسراً لطلابه ، ولا يكاد يكلفهم نفقة ولا جهداً .

بل ربما كان طلب هذا العلم باباً من أبواب الرزق ، وسبباً من السبل التى يسلكها للكثيرون من طالبى الحياة لأجل القوت ، حتى يقروا على السعى والكسب فى طلبها ، أو حتى يفتح لهم هذا العلم نفسه باباً ، ويهيم لهم بين العلماء منزلة تهيم لهم منصباً وجاهاً ، ينالون به المظفرة والزلفى عند أصحاب الملك والسيادة والسلطان ، فقدر لهم أخلاف العلماء ، وينالون بالعلم ما يشتهون من زينة الدنيا وترفها . وهذا ما تؤكد به قصة الصوفى مع أبى حامد ، بعد استهلاك القليل الذى خلفه أبوه له ولأخيه ؛ واضطراره لأن يدخلها مدرسة كأنهما من طلبه العلم . ويؤكد أيضاً كلمة الغزالى السابقة : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا الله ! »

ولا شك أن كثيراً من شباب المسلمين قد سلك تلك السبل التى يسلكها أبو حامد ، ولكنهم لم يتمتعوا بما تمتع به من العقلية الصافية والذكاء الخارق والإخلاص للعلم ، والتفانى فى طلب الحقيقة ، بسلك سيلها ، وهو سبيل شاق طويل ، لا يقوى على سلوكه إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين ، الذين إذا التوى بهم طريق ، ووجدوه لا يوصل إلى الناية ، جددوا العزم وشحذوا قوتهم وطلبوا غيره ، ووجدوا فى هذا المناء وفى تلك المصابرة والمثابرة متعة لنفوسهم وراحة لعقولهم الجادة فى طلب المعرفة .

#### الشك عند الغزالى

عاش الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى فضحت فيه العقول واستوت أودية التفكير وتمددت روافده ، بين أصيل ودخيل ، وآخذ من هذا وذاك . واختلفت أساليب المعرفة ، ومناهج البحث عن الحقيقة التى ينشدها كل مفكر . وكثر المتكلمون فى المقائيد وفى أصول الدين ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وفى المذاهب والديانات ، وفى أفعال المباد وغاياتهم .

وكثر المتكلمون فى كل مسألة من تلك المسائل ، واختلفوا فيما بينهم اختلافاً عظيماً ، حتى يكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة ، والمذاهب المتباعدة يصبح ضرباً من المستحيل .

وتبدو الصعوبة فى أعظم صورها أمام كل باحث يريد أن يختط لنفسه خطة بين هذه الخطط الكثيرة والأكثر كثرة يتخيرون لأنفسهم طريقة من الطرق السلوكية يكفون عليها ؛ ويفقهون نهجها ، ثم يناقون بها ما وسعتهم المغالاة . وربما كانت مقالاتهم دون غيرها من المقالات ، وربما كانت أدلتهم دون أدلة غيرهم ، ولكنهم فى الواقع يؤثرون السلامة بالبحث فى دقائق إحدى النواحي ، على حين يفعلون غيرها أو يلغون بها إلاماً عاماً ، ولم يتسع لهم الوقت للإيمان فى المناهج الكثيرة التى تباين منهجهم ومقاتلهم .

وأمام هذا الغلو فى الاعتقاد والتمصب لراى أو منهج أو طريق سلوك ، ورفض كل ما عدا أولئك ، يجد الباحث المجدد نفسه أمام تيار من التردد ، وسيل من الشك فى أى الطرق يختار لنفسه ، إن كان لا يرى التقليد فى إيثاق هذا المذهب على ذلك .

وجد النزالي نفسه بين هذه للذاهب التي لا تكاد نحصى ، وأمام تلك الاتجاهات التي يستحيل التوفيق بينها ، فبدأ حيث بدأ غيره بلم بأطراف من الثقافة السائدة ، ونفسه تتطلع للزيد ، وإذا المزيدي الذي يريده اليقين بسلمه إلى شك طويل ، وإذا هذا الشك يبدو أمامه في كل أثر ، ولكنه لا يسرع إلى النفي ، ولا يسرع إلى اليقين ؛ فإن قلبه وعقله لا يرضيان بما رضى به غيره من الاتباع . ولذلك اضطره الشك إلى الكابدة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق . مع تباين المسالك والطرق ، وإلى الجرأة من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى بقاء الاستبصار .

إن اختلاف الخلق في الأديان والمثل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق - كما يرى النزالي - بحر غرق فيه الأكترون ، وما نجا منه إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجي ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » ، وهو الذي وعد به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفرق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة » قد كان ما وعد أن يكون !

ورأى النزالي أن أحباب الأديان كان التقليد ، كما كانت الوراثة ، السبب في نشأتهم على اليهودية أو النصرانية أو الإسلام . فصبان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر ، وصبان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، وصبان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . والحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ! » .

ويحكى النزالي عن نفسه في « المنقذ من الضلال » أنه لم يزل في عنفوان شبابه ، منذ راحق البلوغ قبل العشرين إلى أن أناف ستة على الحسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوف الجبان المنور ، ويتوغل في كل مظلة ، ويتهم على كل مشكلة ويتقحم كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ليميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا ينادر باطنيا إلا أحب أن يطلع على بطائنه ، ولا ظاهريا إلا أراد أن يعلم حاصل ظهارته . ولا فلسفيا إلا قصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلميا إلا اجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا حرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبدا إلا ترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا إلا نجس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته .

ويقف النزالي عند قول الرسول : « كل مولود يولد على الفطرة . . . » ويتحرك باطنه إلى معرفة حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد المارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات التي أوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فيقول في نفسه : إنما مطلوب العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ، ما هي ؟ ويظهر له أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إسكان الغلط والوم . ويعلم أن كل ما لا يلمه على هذا الوجه ، ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه . وكل علم لا أمان معه فليس بيلم يقيني !

فهو يتطلب المعرفة الحقة ، المعرفة التي ترادف اليقين ؛ وكان يوقن في قرارة نفسه بتلك النظرية الثابتة « إن الحقيقة لا تتمدد » ولكنه يرى التمدد في الأفكار والمقالات والأديان والمذاهب ؛ إذن لا يكون الحق إلا ديناً واحداً ، ومذهباً واحداً ، ومقالة واحدة . أو بعبارة أخرى لا يكون المعتقد إلا واحداً ، والطريق الحق إليه لا يكون إلا واحداً ؛ والتفكير المستقيم هو الذي يسلم إلى هذه الغاية .

ولكن الأديان متعددة ، والمناهج شتى ؛ تفيض بها أودية التفكير ؛ إذن فلا بد أن تكون هناك عوائق ، حالت بين العقول وبين النهج السوي ؛ لآفة أصابتها ، أو علة اعترضتها ؛ فكان هذا التصيب للعلل والنحل ؛ والناس عبيد لما عرفوا ، وأعداء لما جهلوا .



### سبل المعرفة :

قلنا إن النزالي ابتداً طريق المعرفة بالشك فيما هو حاصل لدى بعض العقول ، وفيما هو مسلم به لدى بعضها دون البعض ، وهو يبحث عن طريق الأمان ، ولا أمان إلا بالعلم اليقيني الذي لا يقبل الشك ولا التردد ، وطاعته تأبى التمدد ، فما الوسيلة إلى هذا العلم اليقيني الملزم للفطرة الصافية والعقل السليم ؟

نشد النزالي هذه الوسيلة في الجليات ، وهي الحيات والضروريات ؛ لتكون الوسيلة في فهم المشكلات ، ليتيقن أن ثقته بالمحسوسات وأمانه من الخلط في الضروريات ، من جنس أمانه الذي كان من قبل في التقاليدات ؛ ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ، ولا غائلة له ؟

وأقبل مجد يبالغ في تأمل المحسوسات والضروريات ، وأخذ ينظر هل يمكنه أن يشكك نفسه فيها ؟ وانتهى به طول التشكيك إلى أن لم تسح نفسه بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ؟ إن أقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار . هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ؛ ويكذبه حاكم العقل ويخونه ؛ تكديماً لاسييل إلى مدافعتة . قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً !

لعل سبيل تلك الثقة هو العقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا : العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً .

هنا لا نجد النزالي سبباً واقعياً واحداً ينفي به الثقة بهذه الحقائق العقلية ، التي يلتقي عندها أصحاب العقول قاطبة ، مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ ولكنه رجل شك كما أسلفنا ؛ فلا بد أن يجرى مع مذهبه في التشكيك ، ولكنه لا يستطيع أن ينفي الثقة بالعقليات عن سبين العقل ، ولا عن سبيل التجربة والحس والشاهدة ، وإذ ذاك يلتبس الشك من سبيل الجدل والفسطة ؛ ويخترع لذلك قياساً عجيباً ؛ فيزعم أن المحسوسات جادته وناقشته وحاجته قاطلة ؛ ثم تأمن أن تكون ثقتك بالفنيات كثفتك بالمحسوسات ؟ وقد كنت واثقاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ؛ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، ومن وراء إدراك العقل حاكماً آخر إذا تجلّى كذب العقل



في حكمه ، كما نجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم نجلى ذلك الإدراك لا يدل على استحالته !  
وتتوقف النفس في جواب ذلك قليلاً ، وتؤيد إشكالها بالنام . وتقول : أما ترك اعتقاد في النوم أموراً ،  
وتصنيف أحوالاً ، واعتقاد ثباتاً واستقراراً ، ولا تشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ ، فتعلم أنه لم يكن لجسم  
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطلال ؟ فم تأمن أن يكون جميع ما تعتقد في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة  
إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن نطرا عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى  
منامك ، وتكون يقظتك نوعاً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات  
لاحاصل لها . ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية أنها حالتهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لم إذا غاصوا  
في أنفسهم ، وغابوا عن حواسهم ، أحوالاً توافق هذه العقولات ، ولعل تلك الحالة هي الموت ، إذ قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فعمل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات  
الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك  
اليوم حديد » .

خطرت له تلك الخواطر ، وهو في غمرة الشك والارتباب ! إنه يبحث عن يقين يحمله محور البحث ، وقطة  
يبدأ منها سبيل الأمان ! ليسير نحو النجاة المنشودة بخطا ثابتة ، لا تنتقل إلا إذا اطمأنت إلى سلامة ما قبلها ، وعرفت  
أنها تسير فوق أرض صلبة .

وحاول أن يخلص من هذا الظن ، وأن يقطع الشك باليقين فلم يتيسر له ، إذ لا وسيلة إلى القضاء على تلك  
الشكوك إلا بالدليل ، ولم يكن نصب الدليل إلا من تركيب العلوم الأولية . فإذا لم تكن تلك العلوم الأولية  
مسئلة لم يمكن ترتيب الدليل !

إن نقي الاعتماد على الحواس في سبيل إدراك العلم اليقيني اعتماداً على بعض ما يبدو من خداعها قد يكون له  
مايسوغه . ولكن هناك من طرق الكشف ما يمكن معه تصحيح تلك الأخطاء والأوهام ، وقد نبه النزالي نفسه  
إلى شيء من هذا يمكن به تحقيق بعض شبه العارضة . ولكن ما ذهب إليه من جواز تنفيذ أحكام العقل لا يجد  
مسوغاً إلا هذا القياس الذي رأيناه ، وفيه من الضعف ما فيه ! إذ أن التفكير السليم إذا خضع للنطق واعتمد على  
المقدمات الصادقة كانت أحكام العقل والنتائج التي تفضي إليها نتائج نهائية في كل زمان وفي كل مكان .

أكبر الظن أن تلك الآراء ؛ كانت رد فعل لما أحدثه الطبيعيون والفلاسفة في بيئات التفكير الإسلامي ، وهيام  
بعض المقلدين بآرائهم واعتناقهم لها ودفاعهم عنها وعن أصحابها ، مباهاة للجمهور الذي قد يجهل كثيراً من تلك  
الأفكار الطارئة ، ولا يبي إلا الأفكار التي أخذها عن الإسلام وتراث العروبة ، ورأى الغناء بها عن تحصيل هذا  
العلم الطارئ ، الذي لاصلة له بمعتقد ولا أثر له فيه ، ولا سيما أن هذا اللون من المعرفة منسوب إلى جماعة من  
القدماء ؛ يعرف عنهم قبل كل شيء أنهم من أهل الوثنية . وقد صرح بهذا النزالي في التفات ، وأنه رأى طاقة  
يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأرباب والنظراء بيزيد الفطنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات ،

واستحقوا شعائر الدين من وظائف الصلوات والتوفى عن المخطورات ، واستهانوا بعبدات الشرع وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقبوده ، بل خلموا بالكلية ربة الدين بفنون من الفنون ، يتبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون ؛ ولا مستند لسكفرهم غير تقليد سماعي إلقي ، كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشوهم وأولادهم ؛ وعليه درج آبائهم وأجدادهم ، وغير بحث نظري صادر عن التثريب بأذيال الشبه الضارفة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب ، كما اتفق لطوائف من النظار في البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء .

وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كمقراط <sup>(١)</sup> وبقرات <sup>(٢)</sup> وأغلاطون <sup>(٣)</sup> وأرسطوطاليس <sup>(٤)</sup> وأمثالهم ؛ وإطناط طوائف من متبجهم ، وضلالهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم ورقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، واستبدادهم ، لقرط الذكاء ، وللفطنة ، باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضولهم منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الأديان والمثل ، ومعتقدون أنها تواميس مؤلفة وتحويل مزخرفة . فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر تحيزاً إلى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخرطوا في سلكهم ، وترضا عن مسايرة الجماهير والدهماء ، واستنكافاً من القناعة بأديان الآباء ، فلما بأن إظهار التكاسي في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد من تقليد خرق وخيال ، فأية رتبة في عالم الله أخس من رتبة من يتحمل بترك الحق الممتد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل تصديقاً ، دون أن يقبله خبراً وتحققاً <sup>(٥)</sup> ؟

وقع النزالي في هذه الأمشاج من المقالات والمعاوى ، ووجد نفسه أمامها ! فأملت عليه تلك الآراء فيها ، وهو رجل يبرأ من الحول والطول ، ويسلم وجهه لله ، ويؤمن بأن الهدى هدى الله ! وكمن من حسن فتن صاحبه فأرداه ؛ وكمن عقل أضل صاحبه فأغواه عن سبيل الرشاد .

فطارجت نفسه إلى الصحة والاعتدال ، رجعت الضروريات العقلية عنده مقبولة موثوقاً بها من أمن ويقين .

(١) هو الفيلسوف المشهور ولد بأثينا سنة ٤٧٠ ق . م وكان من تلاميذ فيثاغورس ، واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض عن ملاذ الدنيا وورفضها ، وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة ، فتوروا عليه العامة ، واضطروا ملكهم إلى قتله .

(٢) من بعض علوم الفلسفة ، وهو سيد الطبيعيين في عصره ، وكان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة ، وله في الطب تأليف مشهورة في جميع العالم ، وفي صدور كتبه وصايا جيلة من التحنن والشفقة على النوع ، وتطهير الأخلاق من الكبر والعجب والحد .

(٣) أحد أساطين الحكمة من يونان ، أخذ عن فيثاغورس وشارك سقراط في الأخذ عنه ، ولم يشتهر ذكره بين علماء اليونان إلا بعد موت سقراط ، وصنف كتباً مشهورة في فنون الحكمة ، وقعب فيها إلى الرمز والإغلاق ، واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عليه ؛ وسمى الناس فرقته المشائين لأنه كان يعلم تلاميذه الفلسفة وهو ماش .

(٤) هو تلميذ أفلاطون لازمه عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه وبسبب القتل ، وللى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم ، وهو أول من خلم صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وجعلها آلة العلوم النظرية حتى لقب بصناعة المنطق ، وله في جميع العلوم الفلسفية والأدبية كتب مشهورة ، وهو صاحب المنطق ، وكان أرسطوطاليس معلم الأسكندر ابن فيليب ملك مقدونية ، وبأدابه عمل في سياسة رعيته وسيرة ملكه ، وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الإسلامية .

(٥) النزالي : نهافت الفلاسفة : ص ٣ ( المطبعة الحيدرية - القاهرة ١٣١٩ هـ ) .

ولم يكن السيل إلى ذلك نظم الدليل وترتيب الكلام ، بل كان السيل نوراً قدذفه الله تعالى في صدره ، وذلك للنور هو مفتاح أكثر المعارف .

ومن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة ، قد ضيق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الشرح » ومعناه في قوله تعالى « فن يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ بَشْرَحٍ صِدْرَهُ للإسلام » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » ! فقيل : وما علامته ؟ قال : « التجافى عن دار النور ، والإناية إلى دار الخلود » وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره » . فن ذلك النور ينبنى أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحيان ، ويجب التردد له ، كما قال عليه السلام « إن ربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فحضرُوا لها » .

ولم يرد النزالي بذلك كف نفسه ، أو كف الناس ، عن الدرس والتأمل والبحث ، اعتماداً على هذا النور الذي لا يأتي إلا نفحات ، وفي بعض الأحيان ، ولكنه أراد أن يعمل كمال الجهد في الطلب حتى يُنتهى إلى طلب مالا يطلب ، ومالا قدرة على إدراكه ، وهو الذي يحتاج إلى ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلوب المصطفين الأخيار من عباده .

✽

وإذا كان النزالي معدوداً في آئمة فلاسفة الإسلام ؛ فإن ذلك حق ، إذا أريد به أنه صاحب رأى وصاحب فكرة حرة ، لا تسير في ركاب فكر أخرى ، مهما يكن حظها من الذبوع ؛ وحظ أصحابها من المجد في دنيا التفكير .

وإذا كان النزالي معدوداً في رأس المتصوفة التقية الزاهدة الورعة ، فإن ذلك حق أيضاً ، ولكن ينبغي أن يكون معروفاً أنها ليست صوفية البُله من العوام ، ولكنها صوفية الخاصة ، صوفية مستبصرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة ، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجهد الذي يقتحم كل واد من أودية المعرفة : المعرفة التي يرضاها ؛ والمعرفة التي ينكرها ، والمعرفة التي قد يسلم بها ولكنه لا يأخذ بها .

وهي صوفية تنف في وجه الابتداع ، وتنف أيضاً في وجه التقليد ، صوفية تفند من أم الهواة من أهل العقل ، وهي في الوقت نفسه تحترم أحكام العقل التي لا تقبل المنازعة ؛ حتى لو عدها بعض الجامدين خروجاً على الدين ومخالفة لنصوص سادت في بيئاتهم ؛ إنه يؤول تلك النصوص تأويلاً يجارى به أحكام العقل وأحكام الطبيعة ؛ ويظن في صحة النص إذا عارض أحكام العقل المسلم بها وأحكام الطبيعة الراهنة الشاخصة ، ويذهب إلى أن الإصرار على تقبل تلك النصوص على ما فيها مضر بالإسلام ومشكك في صحة العقيدة .

انظر إليه وهو يحصى أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق ، ويذكر قسماً من هذا الخلاف ، لا يصدم مذهب الفلاسفة فيه أصلاً من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه ، كقولهم : إن كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب ، فإذا وقع القمر في ظل الأرض



اقطع عنه نور الشمس . وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في المقتدين على دقيقة واحدة .

إن هذا الفن لا يحاول النزالي أن يخوض في إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض من الدين ، وبصرح بأن من ظن أن المناظرة في هذا من الدين ، قد جنى على الدين وضمت أمره ، لأن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسائية لا يبقى معها ريب ، ومن اطلع عليها وتحقق أدلتها ، حتى يحبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرها ومدة بقائها إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب في الشرع . وضرر الشرع عن ينصره لا بطريقه ، أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه ، وهو كما قيل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ! .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله ، لا يخفان لموت أحد ولا حياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ يقول النزالي : ليس في هذا ما يناقض ما قالوه ، إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو حياته ، والأمر بالصلاة عنده . والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحباباً ؟ .

فإن قيل : قد روي أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تعجل شيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التعجل . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ؛ وإنما الروي ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ؟ أفكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ؛ فيسهل عليهم طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك !

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً ، ثم إذا ثبت حدوثه ، فسواء أكان كرة أم بسيطاً ، أم مسطحاً ، أم مشتملاً ؛ وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، أم قل ، أم كثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي ، كنسبة النظر إلى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالقصد كونه من فعل الله تعالى حفظ كيفما كان !

إن مثل هذه العقيلة الواعية ، هي العقيلة التي تخدم الدين ، وتبسط ساحته ، وتدعو إليه ، وترغب فيه ، لا العقليات الجامدة التي تقف في سبيل كل علم ، وتمترس على كل نظر واجتهاد وتمنع من الأمور الحديثة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار . حتى حار كثير من المسلمين في تقبل ألوان المعارف التي لم يكن لسلف عهد بها ، خشية أن تكون من تلك البدع التي تعود صاحبها إلى غضب الله ، وإلقائه في جهنم وبئس القرار . وبهذا التردد وقف الركب بدل أن يتقدم ، وأحجم حيث يجب أن يتقدم . وزعم بعض النافلين أن الدين نصي يبنى الوقوف

عند حروفه ودلالات ألفاظه ! وما ليس في هذه النصوص بالإسلام منه براء ! وهو لنحو يحمل بالمسلم أن يعجاشه إن أراد الحفاظ على عقيدته . وغفلوا عن أن صاحب الدين هو صاحب الدنيا ، وأنه واهب العقول ، كما ألقى في القلوب الهدى ، وهداها إلى الإيمان ! وأنه أمر بالسعى كما أمر بالنظر والبحث في ملكوته ، لتبين آياته للتوسمين .

### الباحثون عن الحقيقة :

وهم السالكون سبل طلب الحق ! وإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحقيقة مطمع ! إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتها .

وقد بحث عنهم النزالي في عصره فألقاهم أربع فرق :

- (١) المتكلمون : الذين يدعون أنهم أهل الرأي والنظر .
  - (٢) الباطنية : الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمخصوصون بالافتباس من الإمام المصوم .
  - (٣) الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .
  - (٤) الصوفية : وهم الذين يدعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل الشاهدة والمكاشفة .
- وقد درس النزالي مباحث هذه الفرق ، وأمن في درس مناهجها في البحث .

### النزالي وعلم الكلام :

ابتدأ بعلم الكلام فحصله وعقله ، وطالع كتب المحققين من المتكلمين ، وعرف أن غايتهم حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش المبتدعين . فقد أطلق الله ألسنتهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلييس أهل البدعة المحدثين على خلاف السنة الماثورة . وقامت طائفة منهم بما نذبهم الله إليه ، فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ، والتخير في وجه ما أحدث من البدعة .

ويرى النزالي بأنه صادف علم الكلام وافيًا بالفاية التي كان لها ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يشف نفسه ولم يف بمقصوده ، لأنه لم ير الاستقلال كاملاً في بحوثه والتجرد في طلبه ، بل ألقي المتكلمين اعتماداً في سبيل غايتهم على مقدمات نسلوها من خصومهم ، واضطروهم إلى التسليم بها التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار ، ولأن أكثر خوضهم كان في استخراج مناقضات الخصوم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات بشيء أصلاً . ثم إنه لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه ، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، فحاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الفاية القصوى ، ولم يكن من ذلك ما يعجز بالكلية ظلمات الخيرة في اختلافات الخلق .

ولذلك لم يجد النزالي علم الكلام وافيًا بمراده ، ولا شافياً لدائه . وإن كان لا ينكر أن هذا العلم قد شفى قسماً غيره ووفى بمقصوده ، بل لا يشك في حصول ذلك لطائفة ، ولكنه حصول مشوب بالتقليد في بعض الأمور . والنزالي

يحكى بذلك حاله ولا ينكر على من استشفى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكمن دواء ينتفع به مريض ، ويستغفر به آخر

### النزالي والفلسفة :

وثق بطل الفلسفة ، درسه في سنتين ، ثم لم يزل يواظب على التفكير فيه بعد فمه قريباً من سنة . يعاوده ويردده ، ويتفقد غواظه وأغواره ، ويطلع على ما فيه من خداع وتليس ، وتحقيق وتخيل . وقد رأى الفلاسفة أصنافاً ، ورأى علومهم أقساماً .

عرف منهم (الذهريين) الذين جعلوا الصانع المدبر ، العالم للقادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ، وبلا صانع . ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً . وهؤلاء هم الزنادقة .

وعرف منهم (الطبيين) الذين أكثروا البحث عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فأروا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بباطل حكمهم ، مطلق على غايات الأمور ومقاصدها ، إلا أنهم يرون لاعتدال المزاج تأثيراً عظيماً في قوام قوى الحيوان به ، فظنوا القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ، وأنها تبطل ببطلانه ، وإذا انعدم فلا يقبل إعادته ، فالتنفس يموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة . وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، ولم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فأنهكوا في الشهوات أنهارهم الأنعام . وهؤلاء أيضاً زنادقة ، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

وعرف منهم (الإلهميين) من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسططاليس الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم ، وحرر عالم يكن محرراً من قبل ، وأنفج لهم ما كان لجاماً من علومهم . وهؤلاء يحملتهم ردوا على الدهريين والطبيين وأوردوا في الكشف عن فضائعهم ما أغنوا به غيرهم ، وكذلك رد بعضهم بعضاً . ولهم شيعه من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والقارابي .

أما العلوم التي خاض فيها أولئك الفلاسفة فقد حصل أقسامها ودرس مباحث كل منها ، وأعلن رأيهم فيها ، وهي العلوم الرياضية والمنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية والخلاقية ، وتكلم عن آفاقها وعما يتلاق منها بالدين ، ومالا يتصل به أولاً يؤثر في العقيدة الوقوف عليه . فالرياضيات التي تتلاق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية غنياً وإثباتاً ، بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها . ولكن تولدت منها آفتان :

الأولى : أن من ينظر فيها يتمعجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرح ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض ! ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم

في هذا العلم . فإذا عرف بالتسامح كفرهم وجحدهم استدل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين « وكما رأيت من يضل عن الدين بهذا القدر ؛ ولا مستند له سواء ؛ مع أن الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً لكل صناعة . والثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل « ظن أن الدين ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأنكر جميع علومهم وأدعى جهلهم فيها « حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه . لكن اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد للفلسفة حياء ، وللإسلام بنصاً . ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات .

وبهذا الأسلوب عالج النزالي سائر أقسام علوم الفلاسفة ، وخلص من دراسته بأن علومهم غير وافية بكامل النقص ، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المضلات .

### النزالي ومذهب التعليم :

وعرف ما عند أولئك الذين يسون أنفسهم ( التعلّمين ) الذين شاع بين الخلق تحذيرهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المصوم القائم بالحق ، وبحث عن مقالاتهم ، واطلع على ما في كتبهم ؛ وهناك عامل خارجي أعانه على هذا البحث ضمنية لباعث الأصلي من الباطن في طلب المعرفة ، وذلك هو ورود أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسهه مدافسته .

وخلاصة رأي النزالي أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها إلى هذه الدرجة . ولكن شدة التعصب دعت الذائنين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم في كل ما نطقوا به ، فجاحدوم في دعواهم « الحاجة إلى التعليم والمعلم » ودعواهم أنه « لا يصلح كل معلم بل لا بد من إمام مصوم » وظهرت حجّتهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضمف قول المنكرين في مقابلته ؛ فاعتز بذلك جماعة ، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضمف مذهب المخالفين لهم ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقة ، بل للصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم ، وأنه لا بد أن يكون المعلم مصوماً . ولكن معلنا المصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قالوا : هو ميت ! فنقول : فمعلمكم غائب .

فإذا قالوا : معلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول : ومعلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وأكل التعليم ، إذ قال الله تعالى : « أَلْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأُتِمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا تضر غيبته !

ويورد بعد ذلك طائفة من مقالاتهم ، ويجهد في البرهان على إبطالها . ثم يقول : فهؤلاء أيضاً جربناهم ، وسبرنا ظاهريهم وباطنيهم ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ، ومجادلتهم في إنكار الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفعم ، حتى إذا ساعد على الحاجة إلى المعلم مساعد ، وقال هات طه ،

واقفنا من تعليمه ، وقف وقال : الآن سلمت لي هذا فاطلبه ، فإنما غرضي هذا القدر فقط . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا تفصح ، ولعجز عن حل أدنى الإشكالات ، بل عجز عن فهمه ، فضلا عن جوابه .  
فلما خبرهم ففض اليد عنهم ، إذ لم يجد معهم شيئا من الشفاء للنجي من ظلمات الآراء .

### الفزالي والصوفية :

ويبقى من طوائف الباحثين عن الحقيقة طائفة (الصوفية) ، وقد علم أن طريقهم إنما تم بلم وعمل ، وحاصل عملهم قطع عقبات النفس والتزهد عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخليق القلب عن غير الله تعالى ، وتخليته بذكر الله .

يقول الفزالي : وكان العلم أبسر على من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، والفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العملية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن خواص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات . . . وعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .

ولقد أدنى الفزالي على الصوفية ثناء عظيما ، وامتدح سيرتهم ، بعد أن عكف على دراستهم علما وعملا واقتداء ، ونجودا ومجاهدة نفس ، حتى انتهى إلى أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

بل إنه ليذهب إلى أنه لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا . فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة ، طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله ١٩

وهو على مذهبه في حرية البحث ، وفي حرب التقليد ؛ لا يقرم على كل شيء إقرارا مطلقا ، بل إنه ليصف باطلا ما تذهب إليه بعض طوائفهم مما يجري على ألسنتهم ، ممن يقولون بالحلول ، ومن يقولون بالاتحاد ، ومن يدعون الوصول ؛ وغير ذلك مما يندم أثره من آثار عدم القدرة عن الإفصاح عما يرون وما يشاهدون من آثار عظمة الله ، إلى درجة يضيق فيها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتغل لفظه على خطأ صريح <sup>(١)</sup> .





## آثار النزالي :

تلك لغات من الجهود الضنية التي بذلها النزالي في العلم وتحصيله ، وفي سبيل البحث عن الحقيقة ، بالبحث عن طالبيها ، والوقوف على ما عديم من فنونها ؛ مع تحميم مقالاتهم والفحص عن حقيقة مذاهبهم وعلمهم ؛ ولا نشك في أن الذين أبلوا مثل هذا الهلاك أقل من القليل ، قد جرت النالبية المظلى من للفكرين على أن يتخذوا لأنفسهم منهجاً واحداً لا يكادون يتعدونه ، وتهديم الملازمات إلى فكرة واحدة يحومون حولها ، أو يحصرّون أنفسهم في دائرتها ؛ ولا يكادون ينظرون إلى ما حولها من سائر الآراء والأفكار ، على ذلك النحو الذي ذكرنا طرقاً منه .

وإنك لتعجب لتلك الآثار التي خلفها النزالي ؛ فإنها على كثرتها المعجبة تفيض بصنوف من المعرفة المتخصصة وتجد في كل أثر منها لوناً خاصاً متميزاً عما عداه ، وتجد فيه ما تنشّد من العمق والأصالة ، وإنك لتراه في كثير من المواضع إذا قارب فكرة من الأفكار ، أو مشكلة من المشكلات ، يكون قد درسها في كتاب آخر ، فإنه يشير إلى الكتاب الذي عرض فيه لتلك الفكرة ، أو درس فيه تلك المشكلة ، وتراه ينفر من تكرار نفسه ، وتلك دلالة القوة والتمكن .

ومن تلك الآثار التي خلفها :

- (١) كتاب إحياء علوم الدين : وسنخصه بشيء من الدراسة .
- (٢) كتاب تهافت الفلاسفة : درس فيه مقالات الفلاسفة ، وبين أغلاطهم ، التي حصرها في عشرين أصلاً ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديهم في سبعة عشر .
- (٣) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد : في مقدار مائة ورقة يحوى لباب علم المتكلمين .
- (٤) كتاب المنقذ من الضلال : ذكر فيه غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وما قاساه في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق .
- (٥) كتاب جواهر القرآن : أبان فيه عن أسرار من آيات القرآن ، وأنه البحر المحيط المنطوى على أصناف النفائس .
- (٦) كتاب ميزان العمل : وهو فلسفة دينية توضح ما جاء في علوم الدين من النايات والقاصد .
- (٧) كتاب المقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى .
- (٨) كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : ذكر فيه فساد رأى من يسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه .
- (٩) كتاب القسطاس المستقيم : ذكر فيه طريق رفع الخلاف بين الخلق ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم ، وإظهار الاستغناء عن الإمام المصوم .
- (١٠) كتاب المستظهرى (١١) كتاب حجة الحق (١٢) كتاب مفصل الخلاف في أصول الدين . وفي هذه

الكتب الثلاثة تعرض لمذهب التلمبية وبين فساد مذهبهم .

(١٣) كتاب كيمياء السعادة : حصر فيه الشبه التي توهمها أهل الإباحة وكشفها .

(١٤) كتاب البسيط (١٥) كتاب الوسيط (١٦) كتاب الوجيز (١٧) كتاب خلاصة المختصر . وهي كتب

تبحث في علم الحدود الموضوعة للاختصاص بالأموال والنساء والمعاملات ، وغيرها من المباحث الفقهية .

(١٨) كتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل : في أربعين مجلداً .

(١٩) كتاب للمستصفي (٢٠) كتاب للنخول . وهما في أصول الفقه .

(٢١) كتاب للتحفل في علم الجدل (٢٢) كتاب معيار العلم (٢٣) كتاب المقاصد .

(٢٤) كتاب المضمون به على غير أهله (٢٥) كتاب مشكاة الأنوار (٢٦) كتاب محك النظر (٢٧) كتاب

أسرار علم الدين (٢٨) كتاب منهاج العابدين (٢٩) كتاب الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة (٣٠) كتاب

الأنيس في الوحدة (٣١) كتاب القربة إلى الله عز وجل (٣٢) كتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار

(٣٣) كتاب بداية الهداية (٣٤) كتاب الأربعين في أصول الدين (٣٥) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة

(٣٦) كتاب للمبادئ والغايات (٣٧) كتاب تليس إبليس (٣٨) كتاب نصيحة الملوك (٣٩) كتاب شفاء العليل

في القياس والتعليل (٤٠) كتاب إجماع العوام عن علم الكلام (٤١) كتاب الانتصار (٤٢) كتاب العلوم الدنيوية

(٤٣) كتاب الرسالة القدسية (٤٤) كتاب إثبات النظر (٤٥) كتاب المأخذ (٤٦) كتاب القول الجليل في الرد على

من غير الإنجيل (٤٧) كتاب الأمالي .

ومن هذه الكتب ما هو ضخم رحب المدة ، ولكن بعض هذه الآثار صغير لا يرقى إلى درجة الكتاب ،

ولكنه ربما كان أشبه بملفات التي تقضيها المجادلات في موضوع من الموضوعات ؛ أو إزالة شبهة من الشبه العارضة .

وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا الإنتاج الضخم يدل أصداق دلالة على أن صاحبه من الذين وقفوا حياتهم على

العلم ! وتبتلوا في محرابه ، كما يدل على إخلاص للدين ، وتقاف في سبيل الذود عن حياضه ؛ إلى ما يدل عليه من كثرة

التحصيل وغزارة المعرفة ! والحياة المباركة التي هيأ الله سبيلها ووفق إليها .

### كتاب إحياء علوم الدين

ذكر المؤرخون أن الغزالي حدث بكتاب الإحياء ، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام ، أي بعد

تلك الفترة التي عزفت فيها نفسه عن الدنيا ، وزهدت فيها وقطع فيها ، العلائق بينه وبين الناس ، وذكروا أنه كان

يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ ، وروى ابن النجار أن الغزالي « لم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث »

والذي يفهم من ظاهر هذا الكلام أن ما حدث به الغزالي في بغداد من كتاب إحياء علوم الدين كان إلهاماً أو كان

ثمرة من ثمرات المعرفة التي أفاضها الله عليه في مرحلة نسكه وتصوفه .

هذا ولا نستطيع أن نقر هذا المفهوم على إطلاقه ، فنقول مع القائلين : إن كل ما في « إحياء علوم الدين » كان روحياً أو إلهامياً ، وأنه كان ثمرة لحياة العزلة والتأمل التي قضاها في دمشق وبيت المقدس وفي البلد الحرام .

ونحن في هذا لا ننكر أثر النفس والخلوة في تطهير النفس وتصفيتها وإطلاقها من قيود المادة ، فإن في قطع العلائق بالحياة والناس ، إبقاء على كثير من الجهود التي يستنفدها الاضطراب في الحياة والاتصال بالناس ، وانشغال القلب بأقوالهم وأعمالهم وتزاحمهم في طلب الحياة .

لا ننكر أثر التصفية والتخلية في إزهاق الملكات وتنقية الروح من الشوائب التي تعقد بها عن بلوغ درجة التفكير المجرد في هذا الملوكوت ، وفي الخلق والخلق ، وفي البداية والنهاية ، وفي مذاهب السلوك وفلسفة الأخلاق . بل إننا لانشك أن الخلوة وطول التأمل وكبح جاح النفس من أعظم أسباب تحرير الروح من قيود المادية ، وفيها أكبر عون على تنظيم التفكير ، وتقل ما في الكون من الماديات ، وما ينطوي فيها من الآيات ، وما يحتجى وراءها من الأسرار التي أعيت على العقول .

ولكننا ننكر كل الإنكار أن يكون ما في « الإحياء » من الأصول الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وقواعد العبادات ونحوها شيئاً جديداً ألهمه النزالي في رحلاته أو أوحى به إليه في خلواته ، ونرى في مثل هذه الدعوى سذاجة قد يشك فيها البطل من اللوام ، بله غيرهم من طبقات المفكرين .

وننكر كل الإنكار أن يكون ما اشتمل عليه « الإحياء » من النصوص وما استشهد به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عرفه النزالي من غير معلم ولا كتاب ، وقد ثبت أن تلك الأحاديث مروية معروفة خرجها المخرجون من رواية الأحاديث والمالين بإسنادها ورواياتها .

كل ذلك لا شك في بطلانه بحكم العقل وبحكم الشرع أيضاً .

ولا شيء من هذه الدعاوى يرتفع به النزالي بين الباحثين أو المفكرين أو رجال الصوفية ، إذا كان هناك من يريدون له تلك المنزلة بين الباحثين والمفكرين والمتصوفة عن مثل هذا الطريق التي لا يرضاها النزالي لنفسه .

إن تلك الأصول وتلك النصوص ليست مجال وحي ولا مجال إلهام ، وكيف الإلهام بمحصل موجود يعرفه العامة ويعرفه الخاصة ، وليس في تحصيله كبير عنت ولا مشقة لمن يريد المعرفة والتحصيل ؟

وإنما الجهد أو الاجتهاد الذي لا ننكر فيه أثر الخلوة وتصفية النفس ، فهو ما عاين به تلك الأحكام وما جمعه منها ، وما نظم به طرائق البحث فيها . وما أرجع به الدين إلى فطرته ، ليكون عملاً واجتهاداً ، كما كان معتقداً وإيماناً . وفي « الإحياء » من ذلك الشيء الكثير الذي يدل على طول الباع ، كما يدل على سعة الاطلاع ، ويدل على صفاء النفس وطهارة القلب ، كما يدل على الجهد والعناء في الرواية والدراسة ، وفيما تقدم الكثير من الأدلة على ذلك .

تنقل النزالي بين خراسان والعراق والشام والحجاز ، فهاذا وجد في تلك البلاد التي تعد معاقلاً للإسلام ؟ وجد فيها خلفاء أبطرم السلطان وفتنهم الدنيا ، وحولهم من الرعية من يقتل لم بين الفروة والغارب ، وفيهم

الصبر يأساً ، والمصر خذّه تيهاً ودلالاً ، وألنى رجال الدين في شغل عن الدين ، يتذلقونه في استرضاء السلطان ، وإشباع نهمه في الاستملاء والكبرياء ، والكل عن الدين لاهون ، إلا بالقدر الذي تدرّ به معاشهم ، وبين هؤلاء وأولئك طائفة تدعى المرفة ؛ وتتخذ دين الله هزواً ، وترى الآخذين به جهةً من الطنام ، ومن عوام الدعاة ؛ والأخذ به غفلة وجوداً ، حتى زاد الخطب وحث الرزية ، وأجوج الأمر إلى من يذكر بالله ، ويحث على التدبر في آياته ، والرجوع إلى دينه الحق وصراطه المستقيم .

إلى هؤلاء وأولئك أشار النزالي في خطبة « الإحياء » إذ وجد في الناس للتأثير على ما هو عليه من العمى عن جليلة الحق ، مع اللجاج في نصرته الباطل وتحسين الجمل والتشبيب<sup>(١)</sup> على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ، وميلاً بغيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم ، طمعا في نيل ما عبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب . . وأداة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغلهم الزمان ، ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغنيان ، وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغوقاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمفكر معروفاً ، حتى ظل علم الدين مندوساً ، ومانر الهدى في أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق ألا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطنام ، أو جدل يتدرب به طالب للباحاة إلى الغلبة والإفحام ، أو سجع مزخرف يتوصل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة الحرام ، وشبكة الحطام ! فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً ، وضياءً ، ونوراً وهداية ، ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطويّاً ، وصار نسياً منسياً .

ورأى النزالي ما آل إليه الأمر ثلماً ملأ ، وخطباً مدلماً في الدين ، وأن الاشتغال بتحرير هذا الكتاب فيه إحياء لعلوم الدين ؛ وكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاح لمناهي العلوم النافسة عند النبيين والسلف الصالحين<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر أن أمثال هذه البحوث ليست جديدة مستحدثة ، فقد صنف الناس في المائى التى ألف فيها كتباً ، ولكن كتابته تتميز عن كتاباتهم بخمسة أمور :

الأول : حل ما عقده ، وكشف ما أجملوه .

الثاني : ترتيب ما بدعوه ، ونظم ما فرقوه .

الثالث : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما قرروه .

الرابع : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .

الخامس : تحقيق أمور غامضة احتاجت على الأنعام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً : إذ الكل وإن توارحوا

(١) التشبيب : تهيج الدم

(٢) إحياء علوم الدين : ص ٩ من هذه الطبعة .

على منهج واحد ، فلا تستكرأن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه وينفل عنه رفاقه . أولاً ينفل عن التنبيه ، ولكن يسهو عن إirاده في الكتب . أولاً يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف الخطأ عنه حارف .

وما قرره صحيح ، يترف له به كل باحث وكل دارس وكل مؤلف ، إذ لابد لصاحب الموضوع من الرجوع إلى الجهود السابقة فيه ، ليعرف مواضع النقص ومواطن الخلل ، ثم يحرر من تلك الجهود ما يستحق التحرير ، ويضيف إليه ما عنده من المعرفة فيه ، والتحرير جهد يقتضى الإحاطة ، والإضافة هي ما يمتاز به جهد من جهد ، ويفضل بها الكاتب سواء من الكاتبين .

أوبغنى آخر لابد من العنصر الذاتي والأصالة في كل عمل له وزن بين الأعمال ؛ ليحسب صاحبه بين رجال المعرفة بالموضوع ؛ وقد أشرنا إلى مجال الذاتية في الكلمات السابقة .

ولقد ذكر النزالي نفسه أن العلوم التي تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الأحوال في حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنها أقيمت فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم .

فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى ( الإلهام ) .

والذي يحصل بالاستدلال يسمى ( الاعتبار ) و ( الاستبصار ) ويختص به العلماء .

ثم الواقع في القلب بغير الحيلة والتعلم والاجتهاد من العبد ينقسم إلى :

(١) مالا يدري العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وهذا يختص به الأولياء والأصفياء .

(٢) ما يطلع العبد منه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب ، وهذا

يسمى ( وحياً ) ويختص به الأنبياء .

ويقرر النزالي أن الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وقاض على صدورهم النور من غير طريق التعلم والدراسة والكتابة ، بل بالزهد في الدنيا ، والتبرؤ من علاقاتها ، وتفرغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنه المهمة على الله تعالى . .

إلا أنه مع ذلك يصرح بأنه « إذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة ، تطمن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول ، ويتقضى العمر قبل النجاح فيها » وكم من صوفي سلك هذا الطريق ، ثم بقى في خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أيقن العلم من قبل لافتتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الفرض .

لقد زعموا أن ذلك بضاهى ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قلبها بالوحى والإلهام من غير تكرير وتعليق ، ثم يقول قائلهم : فأنا أيضاً ربما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه ١٩

ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيع عمره ، ومثله مثل من يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء المنور على

كنز من الكنوز . إن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً . فكذلك هذا !

لا بد أولاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء ، فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة<sup>(١)</sup> .

فليندر هذا الكلام جيداً أولئك القائلون : ليعرفوا أن طريق الآخرة معرفة وحمل ، كما أن طريق الحياة علم وجهاد ؛ وليطعموا أن النزالي وهو من أقطابهم في القمة لم يبلغ ما انتهى إليه إلا بالكفاح الطويل في تحصيل المعرفة .

- ٢ -

قسم النزالي « إحياء علوم الدين » أربعة أقسام ، أو أربعة أرباع كما سماها :

(١) ربيع العبادات : ذكر فيه العلم ، وقواعد العقائد ، وأسرار الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وآداب تلاوة القرآن ، والأذكار والدعوات ، والأوراد وأوقاتها . وقد ذكر في هذا القسم من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه .

(٢) ربيع العادات : يشتمل على آداب الأكل ، وآداب النكاح ، وأحكام الكسب ، والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، والعزلة ، وآداب السفر ، والسماح والوجد ، والأسر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وآداب العبسة ، وأخلاق النبوة .

وفيه ذكر أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها ، وخفايا الورع في مجاريها .

(٣) ربيع المهلكات : وقد شرح فيه عجائب القلب ، ورياضة النفس ، وآفات شهوات البطن والفرج ، وآفات اللسان ، وآفات الغضب والحقد والحسد ، وذم الدنيا ، وذم المال والبخل ، وذم الجاه والرياء ، وذم الكبر والتعجب ، وذم الغرور .

وقد درس في هذا القسم كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته ، وتزكية النفس عنه ، وتطهير القلب منه ، وذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حذره وحقيقته ، ثم ذكر سببه الذي يتولد منه ، والآفات التي تترتب عليه ، والعلامات التي يعرف بها ، وطرق المصالحة لتخلص منه .

(٤) ربيع المنجيات : وقد ذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصدّيقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وقد ذكر في كل خصلة حذرها وحقيقتها وسببها ونمرتها وعلامتها وفضيلتها .

وتلك المنجيات هي : التوبة ، والصبر ، والشكر ، والخوف والرجاء ، والفقر والزهد ، والتوحيّد والتوكل ، والمحبة والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والحاسبة ، والتفكير ، وذكر الموت .

وقد قدم الكتاب بالكلام في فضل العلم والتعليم ، ليكشف عن العلم الذي يبعد الله تعالى به ، حتى تصح العبادة ؛ إذ كان من العلم ما هو نافع وما هو ضار ، وما هو محمود ، وما هو مذموم ؛ وفي فنون العلم التي شغل بها معاصروه ، وحكم كل علم منها .

(١) راجع الجزء الثاني من الإحياء ( ص ١٧ - ١٩ ) من هذه الطبعة .



والذى ينظر في هذه الموضوعات يتضح له أنها تعالج النفس الإنسانية على أوسع نطاق ، وتتناولها ، من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علاقاتها .

لقد درس فيها النزاع بين الإنسان مع ربه ، والإنسان مع نفسه ، والإنسان مع غيره من الناس . وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ؛ أو معرفة الأسباب التي تكون بها الحياة سبيلاً إلى الآخرة ؛ أو تسخير ما منح العبد من إرادة وقوة واختيار ؛ لتكون حجة حين يسلب الحياة والإرادة والقوة والاختيار . أغراض تتلاقى جميعاً ما دامت حياة الإنسان محدودة ، وما دامت إرادته وقوته واختياره موقوفة بهذه الحياة المحدودة ؛ وما دام العقل والاستدلال والمعرفة تُقضى جميعاً إلى التسليم بالبعث والنشور والحساب والجزاء أو النار . وكان الذى حفز النزاع إلى تلك البحوث للضعيفة مارأى من خور الاعتقادات في أصل النبوة ، ثم في حقيقة النبوة ، ثم في العمل بما شرحت النبوة ، وتحقيق شيوع ذلك بين الخلق ، فنظر في أسباب الفتور وضعف الإيمان ، فإذا هي أربعة :

- ١ - سبب من الخائفين في علم الفلسفة .
  - ٢ - وسبب من الخائفين في طريق التصوف .
  - ٣ - وسبب من المتسبين إلى دهوى التعليم .
  - ٤ - وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس .
- وقد تتبع مدة آحاد الخلق ، بسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع عن شبهته ، ويبحث عن عقيدته وسرته . ويقول : ما لك تقصر فيها ؟
- فإن كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعملها ، وتبيها بالدنيا ، فهذه حماة ! فإنك لا تتبع الاثنين بواحد . فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام معدودة ؟
- وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر ! فدير نفسك في طلب الإيمان ، وانظر ما سبب كفرك الخلق الذى هو مذهبك باطلاً ، وهو سبب جرأتك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به ، تجمل بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع !
- وقائل يقول : هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لسكان الملأ أجدر بذلك ! وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصل ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يمتزج من الحرام . وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . . .
- وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويؤمن أنه قد بلغ مبلغاً يرقى عن الحاجة إلى العبادة .
- وقائل ثالث يتطل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة .
- وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .
- وقائل رابع لقي أهل التعليم فيقول : الحق مشكل ، والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض ! وأداة القول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متعكم لا حجة له ، فكيف أديم اليقين بالشك ؟

وقائل خامس يقول : لست أفضل هذا تقليداً ، ولكنى قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تمديداتها ضبط هوام الخلق ، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فأنا من العوام والجهال ، حتى أدخل في حجر التكليف ، وإنما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغنٍ فيها عن التقليد<sup>(١)</sup> . . . ١١٠

إنك تقرأ هذه الشبه المارضة التي جعلت الدين وقواعد العبادات مجالا للتردد والشك وانصراف هذه الطبقات عن العمل ، والأسباب التي يفتحها المقصرون ، والأعذار التي يدلى بها الغافلون . وتقرأ في ( الإحياء ) تنفيذ كل دعوى من هذه الدعاوى ، ودحض كل شبهة من أمثال تلك الشبهات ؛ بطريق النص الثابت ، وبطريق العقل والنطق الذي يسل إلى اليقين .

إنك تقرأ في الإحياء مجونا شبهة حقيقة في علم النفس والفلسفة والاجتماع والتصوف إلى جانب ما تطالعها فيها من أصول الدين وحقائق التشريع .

وإنك تقرأ من أصول التأديب وقواعد التربية ومراعاة حال النفس في تلقى العلوم في هذا الكتاب ما يضارع آراء كبار فلاسفة التربية وعلم النفس ، ويكفى أن نشير إلى ما كتبه في « وظائف المرشد المعلم »<sup>(٢)</sup> وأنه مهتم اشتغل بالتعليم فقد تله أسمى عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه التي نعلم عليه :

(١) الشفقة على التلمين ، وأن يجريهم مجرى بني . . .

(٢) الاقتداء بصاحب الشرع الشريف ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً . . . فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والخدوم هو العلم إذ به شرف النفس ، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل الخدوم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الاتكاس . . .

(٣) ألا بدع من يصح التعلم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفي ، قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينهيه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . . .

(٤) ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التمريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخراف ، ويهيج الحرص على الإصرار .

(٥) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقيح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ، كعلم الفقه إذ مادته تقييح علم الفقه ، ومعلم الفقه مادته تقييح علم الحديث والتفسير . وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المجاوز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه . . . فهذه أخلاق مذمومة للتلمين ينبغي أن تجتنب ، بل للتكفل

بعل واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلاً بعلوم فينبى أن يراعى التدريج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة .

(٦) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينتره ، أو يخط عليه عقله . فليث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، ولا ينبغي أن يفنى العالم كل علمه إلى كل أحد ، ولعل قيل : كل لكل مهة بمسار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المسار .

(٧) أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له أن وراءه تدقيقاً يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر غيبته في الجلى ، ويشوش عليه قلبه ، ويوم إليه البخل به عنه .

(٨) أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله فله ، لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار . وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف الممل العلم منع الرشد . وكل من تناول شيئاً وقال للناس : لا تناولوا فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

وما بسطة النزالي في هذه الآراء هو ما يقوله الربون المحدثون في الانتقال بالمتعلمين من الجلى إلى الخفى . ومن السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، وما يقوله علماء النفس في الإدراك وأثر الحواس .

وتجد هذا الكتاب زائراً يمثل هذه الدراسات ، حتى إنك لتشعر حين تقرأها بالحاجة الملحة إلى دراسة « النزالي الربى » وسيجد المدارس مادة واسعة الأطراف ، لا تتسع تلك الصفحات لا مستقصاتها ، ولكننا نجترى بهذه الإشارات إلى ما حوت تلك الأصداف من كنوز .

ودراسة صلة الإنسان بحالقه دراسة لأصول العقائد والمبادئ التي فرضها عليه ، والتي يلتبس بها الزلى إليه . وقد أشرنا إلى الموضوعات التي درسها في تلك الأصول . وبقي أن تذكر أن النزالي لم يكتب في تلك المبادئ بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء في دروسهم وفي نصائهم ، ولكنه أضاف إلى تلك كثيراً من البحوث الروحية والنفسية والعقلية ، ونسق في فهم أسرارها وحكمها وسبل إجادتها وتخليتها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وفي استيعاب ليس له نظير .

فليست ( الطهارة ) عند النزالي كما هي عند الفقهاء : طهارة من الحدث تختص بالبدن ، وطهارة من الخبث تكون في البدن والثوب والمكان ، فإن هذه مرتبة واحدة منها . والمرتبة الثانية عنده « تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام » ، والثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق الذمومة والذائل المذمومة . والرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى (١) ، ثم يفيض بعد ذلك في ألوان هذه الطهارات وأسبابها ووسائلها وغاياتها ، مع ما يوافق الحقيقة التي

(١) الإحيا ١٣١/١ من هذه الطلبة .

يدهو إليها ، والشريعة التي قهها وأجاد نحصيلها ، والمقل الذي عرف موارده ومصادره .  
(والصلاة) عنده مناجاة ، والمصلى مُتَاجِر به عز وجل ، والكلام مع النفلة ليس بمناجاة البتة - وإذا كان الفقهاء  
يفتون بصحة الصلاة مع النفلة ، فإن النزالي يتأدب في الرد عليهم ، ولا يطمع في مخالفتهم فيما أفتوا به ، ويعلل  
بأن ذلك من ضرورة الفتوى .

ولكن الذي يعرف سر الصلاة يعرف أن النفلة تضادها ، ثم يفرق بين العلم للظاهر والعلم للباطن ، ويرى أن  
قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما يتكشف من أسرار الشرع <sup>(١)</sup> .

ورأيه في ( الزكاة ) أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ؛ وشرط تمام الوفاء به  
الأيق للوحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فإن الحجة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وإنما  
يتمتع به درجة الحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلائق ، لأنها آلة تتمتعهم بالدنيا ، وبسببها يأنسون بهذا  
العالم ، ويتفرون عن الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب . فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب ، واستزلوا عن المال  
الذي هو مرموقهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ  
أُجْرَةٌ ﴾ وذلك بالجهد . . . والذين صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ، نزلوا عن جميع أموالهم ، فلم يذخروا ديناراً  
ولا درهماً ، فأبوا أن يترضوا لوجوب الزكاة عليهم . حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟  
قال : أما على العوام بمحكم الشرع خمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع <sup>(٢)</sup> .

وهكذا نجد أغصاناً دائماً ونحن نجول في ( الإحياء ) أننا أمام عالم كبير عرف الشرع وحفظه وقه وعمل به ،  
ورأى وراء هذا التشريع العام الذي ينتظم المسلمين جميعاً ؛ تشريعاً خاصاً هو في حقيقته أثر لذلك التشريع العام  
وتمكنه له ، وهذا الخاص فضل وزيادة وناقلة بعد أداء القروض التي لم ينفل ( الإحياء ) ركناً من أركانها  
أو سنة من سنتها .

وهذا هو التصوف المستنير الذي أشرنا إليه ، تجد فيه الحجة البالغة ، وتجد فيه التقوى والورع وقطع العلائق  
بالناس وبالمال وبالجاه وبالولد والمنصب ، بل قطع علائق النفس بما تحبه وتحرص عليهم .

في تلك الدراسات يجد المتفقه رغبته ، ويجد المتصوف طلبته ، ويجد صاحب العقل والباحث عن اليقين  
ما شاء من حجة بالغة وبرهان مستبين ، وبهذه السعة وبذلك الشمول أحيا النزالي علوم الدين ، أحياها في الحياة  
المضطربة المجادة للعامة ، والمالحة المازلة ، وأحياها في نفوس الزهاد ورجال الطريق ، ووصل بينهما وبين حكمة  
العقل والمنطق التي تنفض إلى الصحيح من التنازع ، وتلزم الشاك المتردد بالإذعان والتسليم وصدق الاعتقاد .  
والناس عند النزالي ثلاثة أصناف ، ولكل صنف منهم أسلوب خاص بمالجه ما عنده من الجهل أو الشك  
أو النزور .

(١) أما الصنف الأول : فهم ( العوام ) ، ويصفهم بأنهم البُلهُ ، وبأنهم أهل السلامة . وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق . وهم يُدعون إلى الله بالموعظة .

(٢) والصنف الثانى : ( الخواص ) ، وهم أهل الذكاء والبصيرة ، وفيهم ثلاث خصال : إحداها التريخة النافذة والقطنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة جيبئية لا يمكن كسبها . الثانية : خلوص باطنهم من تقليد وتصب للذهب موروث مسموع ، فإن القلْد لا يضيئ ، والبلبد وإن أضى لا يفهم . الثالثة : أنه يؤمن أن أستاذه ( الغزالي ) من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك . وهؤلاء يصلحهم الغزالي بأن يعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها ، فيرتفع اختلاف بينهم عن قرب ، ويدعوم إلى الله بالحكمة ، كما دعا العوام بالموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنَّوْظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فلم أن الدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة الحسنة قوم ، وبالمجادلة قوم . فإن الحكمة إذا غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وكذلك المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشتمازوا منها ، كما يشتمز طبع الرجل القوى من الارضاع بلبن الأم .

(٣) والصنف الثالث : ( أهل الجدل ) ، وهم طائفة فيهم كياسة رقاوبها عن العوام ، ولكن كياستهم ناقصة إذا كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتصب وتقليد ، فذلك يمنهم عن إدراك الحق ، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . وهؤلاء يدعوم بالتلطف إلى الحق ، من غير أن يتصب عليهم أو يمتنهم ، ولكنه يرفق بهم ، ويمجادهم بالتي هي أحسن .

لقد نظر إلى كل طبقة من الطبقات التي يتكون منها المجتمع الإسلامى ، وعرف فلسفتها في الحياة وما تسالجه من أسباب السعادة ، وما تساليه من أسباب الشقاء في الفكر والعمل ، ولا تعرف هذه السمة وذلك الشمول على هذا النحو مثل ما نجدهما في إحياء علوم الدين .

ويمكن أن يلحق بصدق الاعتقاد وأصول العبادات - وهما كما قدّمنا صلة بين الإنسان وربه وقيام بطاعته وامتثال لأمره ونهيه وفيها دلالة على المحبة - ما كتبه في الريح الرابع من الإحياء ، وهو ( ربيع المنجيات ) لأنه يختص بتصفية النفس من الشوائب وتطهيرها من الآثام ، والارتقاء بها إلى درجة المعرفة ، وفيه من أصول التصوف ومبادئ الشريعة الكثير .

ومقدمة (التصوف) التوبة عما اقترفه المبد قبل أن يسلك طريق المعرفة ، ثم آداب السلوك وهي : الصبر ، والشكر والخوف ، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والمحبة ، والشوق ، والأنس ، والرضا ، والتوحيد ، والتوكل ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والتفكير ، والنية ، والإخلاص ، والصدق .

وقد تبدو هذه الصفات من قبائل الفضائل العامة ، التي يبنى توافرها في الإنسان الفاضل ؛ ويطلب الناس جميعاً بالترابها ، ماداموا يتطلعون إلى منزلة الفضل ؛ وهذا صحيح لا شك فيه . ولكن الفضلاء قد يحسبون كذلك بعض تلك الصفات ، أو بتحصيل القليل من بعضها ، أما أهل الطريق المتطلعون إلى العرفه فإنهم يحسبونها جميعاً

ويصلون بها إلى أقصى درجاتها ؛ وهم يجاهدون نفوسهم جهاداً عنيفاً ، ويحلقونها على ما تكره ، مما يبدؤ به يوم إسرائاً ومكاً ، ولا يمتدحون بالضرورات ، بل يحاسبون أنفسهم حساباً عسيراً ؛ ولا يبنون لذلك الطريق أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة للمص ، وأنت بها نفسه ، وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها . « بل يبنون أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبيهة بشهوة نفس يبنون أن يعاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير تحرّم يبنون أن يعاقب العين بجمع النظر . وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف يده بمنعه عن شهواته . هكذا كانت مادة سالكي طريق الآخرة ، فقد روى أن رجلاً من الصالحين امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على فخذه ، ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست ، ويمكن أن أحدم تكشفت له جارية ، وهو في بعض الخازي ، فنظر إليها ، فرفع يده فلم يمه عنه حتى بقرت ، وقال : إنك للمعاظلة إلى ما يضرك ! ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة ، فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته ، فكان يشرب الماء الحار لينقص على عيشه » (١) .

ففي هذا الرجع ، رجع للمنجيات ، يظهر ما يعقل به القلب من الصفات المحمودة التي ذكرت ، وهو يقابل ما في الرجع الثالث ، رجع للمهلكات ، الذي بسط فيه ما نجب تركية النفس وتطهيرها منه ، وهي شرور وآثام مردية ، كالشر والنصب والكبر والرياء والمحب والحد وحب الجاه وحب المال وغيرها .

وقد قدم (المهلكات) على (المنجيات) لأن الأولى تطهير وتخلي ، والثانية تركية وتخلي ، والأولى في أصول القرية والتهديب مقدمة على الثانية . ولأن العبد لا منجاة له من الوقوع فيها ذكره في المهلكات ، ولكن في استطاعته النهوض منها وجبرها بالمنجيات ، ولأن التجرد للخير المحض دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للخص الشر دون العمل على تلافيه سجية الشياطين ، ولكن الرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين .

وبعد فإن كتاب « إحياء علوم الدين » جامع عقليات ثلاث :

(١) : العقيلة الشرعية : وتبدو آثارها فيما بسطه النزالي من أحكام الفقه وأصوله ، وما اعتمد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، ومذاهب الأئمة رضي الله عنهم ، وأقوال الفقهاء وعلماء الشرع والحديث والتأويل ، وهو بعد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . ويرى أن كتب الفقه تبحث في الحياة



الأولى ، وأن الفقهاء هم علماء الدنيا ؛ وعمل لذلك بأن الناس لو تناولوا الدنيا بالبدل لا قطعت الخصومات وتمطل الفقهاء . ولكسهم تناولوها بالشهوات ، فتولدت منها الخصومات ، فست الحاجة إلى سلطان يسوئهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوئهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة ، وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا . وهو معلم السلطان ، ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لتنظم باستقامتهم أمورهم الدنيوية . والملك والدين توأمان ، والدين أصل ، والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضايع <sup>(١)</sup> .

ولا يسلم له هذا الرأي كاملاً ، لأنه إن استقام في أحكام الجراحات والحدود والقرائن وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه روح العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه روح العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام .

والذي دعاه إلى هذا الوصف أنه جعل هذا العلم علمين : أحدهما يتصل بمصالح الدنيا ، والثاني يتعلق بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه ، وهو الذي خص به الكتاب الثالث من الإحياء . والحمود هنا غير فرض الطاعة ، والمذموم هنا أيضاً غير المعصية ، فإن الطاعة بواسطتها ، وللمعصية عقابها . ولكن المرضي في علم الآخرة هو ما يقرب إلى الله ، ثمرة لمعرفة السكاملة ، والفناء ، وقهر النفس وتركها .

ومثال ذلك الصلاة ، فإن الفقيه يُفقي بالصحة إذا أتى بصورة الأفعال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلواته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير . ولكن هذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يُفقي بالصحة ، أي أن ما فعل حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتزوير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو محل الآخرة ، وبه ينفع العمل الظاهر ، فلا يتعرض له الفقيه .

وعلى كل حال ، فإن النزاع وإن مدد الفقه علم الدنيا والفقهاء علماء الدنيا ، فقد درس في الإحياء هذا العلم ، علم الفقه ، دراسة مستفيضة تدل على الفهم والاستيعاب ؛ إذ كانت الشريعة سلم الحقيقة ، والعبادة سبيل للفرقة الحقة التي نشدها وعدت من رجالها .

(٢) المقاييس الفلسفية : ونفى بها بقطة العقل ، والقدرة على التبصر ، وفهم الكون بظواهره وشواهده ، ومحاربة الوصول إلى أعمقه ، وإلى سر الحياة والأحياء ؛ ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير ؛ والتغلب على الأخطاء الشائعة ، والتقاليد التي تعارض المنطق السليم والتفكير الصحيح .

وقد أشرنا فيما سبق إلى نزوع النزالي إلى التحرر ، ونشوره من التقليد الذي لا فضل فيه للفرد ، وفي الإحياء  
كثير من الشواهد على ذلك .

قد بحث النزالي كثيرا من المسائل الفلسفية ، ومسائل علم الكلام ، التي تتصل بالله تعالى وذاته وصفاته ، كما  
بحث في أعمال العبد ، ومبدأ الخلق وفاته .

ومن ذلك البحث الفلسفي الذي عقده في « ربيع المهلكات » في شرح مجانب القلب ، وفي بيان معنى النفس  
والروح والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء .

فلفظ ( القلب ) له معنيان : أحدهما : اللحم الصوري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو  
لحم مخصوص وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم أسود . . . الخ .

واللغوي الثاني للقلب : أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة  
الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المحط والمقاب والمطالب والمطالب .. وتلقه بالعقل  
الجسماني بضامى تعلق الأمراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق  
المتكهن بالسكان . . .

و ( الروح ) جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني ، فينشر بواسطة المروق الضواري إلى سائر أجزاء  
البدن ، وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها . بضامى فيضان النور  
من السراج في زوايا البيت ، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا استنار به . والحياة مثالها النور الحاصل في  
الحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك  
محركة ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ ( الروح ) أرادوا به هذا المعنى ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب والروح  
معنى آخر ، وهو اللطيفة العالمة للدركة من الإنسان ، وهذا هو أحد معني القلب .

ولفظ ( النفس ) معان كثيرة ، ومن تلك المعاني ما يريد به أهل التصوف في استعمالهم ، وهي الأصل الجامع  
لصفات المذمومة من الإنسان ، وهي المعنى الجامع لقوة الشهوة والنفس في الإنسان ، فإنك تزامم يقولون : لا بد من  
مجاهدة النفس وكسرها ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » . ومن  
معانيها نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها .

ثم ( العقل ) وقد يطلق ويراد به العلم بمقتضى الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي يحله القلب . وقد يطلق  
ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب .

هذا شيء قليل نشير به إلى جهاد النزالي في تلك الدقائق التي حيرت المفكرين وشغلت الفلاسفة، وقد عرض لها من قديم فلاسفة اليونان، ولا تزال إحدى مشكلات الفلسفة المعاصرة . ولكلام النزالي ودراسته مكان ملحوظ بين تلك الدراسات قديماً وحديثاً .

ثم الفلسفة الأخلاقية ، وقد أفاض فيها في المنجيات والمهلكات والمعادن ، وقد عرض فيها للفضائل الإنسانية على نحو لم يسبق له مثيل في القديم والحديث . وما بالك برجل يعالج الفضائل السكينة والرضا والرضا المستقرة ، فضلاً عن الأخلاق الظاهرة والباطنة الملحوظة . ولا تحب أن نستشهد على ذلك بشيء من النماذج ، فإن المطالع لا كثر أبواب الإحياء يجد فيها مصداق ما نقول .

(٣) الغاية الصوفية : ظهر للنزالي أنه لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجاف عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والحرب من الشواغل والملايق .

ثم لاحظ أحواله فإذا هو منغمس في الملايق . ولاحظ أحواله - وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا هو فيها يقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكر في نيته في التدريس فإذا هي غير خالصة لله تعالى ، بل باعها ومحرمتها طلب الجاه وانتشار الصيت ، فتبين أنه على شفا جُرُف هار ، وأنه قد أشتى على النار . إن لم يشتغل بتلافي الأحوال <sup>(١)</sup> .

وقد رأى العلوم التي حصلها لا تجدى فيما أراد ؛ إلا بنفحة من الله الذي يهب من يشاء من عباده الإيمان والمعرفة ، ورأى ذلك محتاجاً إلى جهد ومشقة ، وعلم وعمل .

وقد ساق النزالي كثيراً من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة ، لا من التلم ، ولا من الطريق المعتاد <sup>(٢)</sup> ، من ذلك قوله تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » أي مخرجاً من الإشكالات والشبه ، ومعنى يرزقه من حيث لا يحتسب : يطلع طامعاً من غير تلم ، وينطقه من غير تجربة . . . وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . . . وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فلم باطن في القلب ، فذلك هو العلم النافع . . . وستل بعض العلماء من العلم للباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً . . . وفي الحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة . . . » .

(١) النزالي : المنفذ من الضلال ١٢٨

(٢) الإحياء ٢٢/٣ .

وقد أورد كثيراً من الأدلة التي تؤيده في إمكان الكشف والإلهام بنير الأسباب الظاهرة ، مما وقع لخلق الراشدين وأهل التقوى والورع والزهد والتصوف . وهذا هو العلم اللدني ، وهو غير العلم الدنوي الذي يكون بوسائط تعلم الخلق .

وسبيل هذا العلم مشقة وجهاد ، وحمل النفس على ما لا تطيقه أكثر النفوس ، ولقد كعب الغزالي في هذا الجهاد كثيراً حتى زخر « الإحياء » بالتصوف ، أكثر مما زخر به من أصول التشريع ، حتى هذا التشريع قد يكون درجات ومفاهيم عند المتصوفة تختلف عنها عند غيرهم .

ومما بالك رجل يحمل الدرجة السفلى من الزهد أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كذاب القهر ومناقشة الحساب وخطر الصراط . وسائر ما بين يدي العهد من الأحوال . وبسميه (زهد الخائفين) ؟ ويجعل الدرجة الثانية (زهد الراجين) لأنهم يزهدون رغبة في ثواب الله ونسيه والذات الموعودة في جنته . أما الدرجة العليا عنده فهي (زهد المحبين) وهم العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى إلا من عرفه . وزهدهم ليس عن رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا تلتفت قلوبهم إلى الآلام ليقصدوا والخلاص منها ، ولا إلى الذات ليقصدوا نيلها والظفر بها .. وهذا هو الزهد الحقيقي والتوحيد الحقيقي الذي لا يطلب فيه غير الله ، لأن من طلب غير الله قد عبده ، وكل مطلوب معبود ، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفي .

وما أكثر ما يزخر به الإحياء من آثار التصوف ، مما يدل على تشيع الغزالي بفكرته وإيمانه بأنه الطريق الموصل إلى المعرفة بالله والقرب من رحته ، وتجدر أن هذا التشيع والفهم العميق لفلسفة التصوف في أبواب كثيرة نخص بالذكر منها الجزء الرابع من هذه الطبعة في (ربيع المنجيات) في أبواب الخوف والرجاء والصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا ... الخ .

على

وأخيراً ...

تلك بعض إشارات إلى التنايع الطاهرة والمناهل الصافية ، التي يفيض بها هذا الآثر الخالد ، يقصد إليها المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة وطلاب الحقيقة ، والباحثون في أسرار الاعتقاد وحقائق الإيمان والأعمال وقواعد السلوك ، ليجدوا فيها غذاء لقلوبهم ، ورياء لظمئهم ، وشفاء لأفواه قلوبهم ، ونهيذاً لظلمات الحيرة في غموسهم وأمنافى سلوكهم ، ونجاة من موبقات هذا السراب الأنغاز في دنيا الباطل والضلال ، وسبيلاً إلى السعادة بالمرقة العاقبة والحكمة الباقية .

وقد كتبت هذه الكلمات استجابة للرغبة الكريمة التي أبدتها ( دار إحياء الكتب العربية ) في تقديم هذه الطبعة من ( إحياء علوم الدين ) الذي عظم نفسه ، وعت بركته ، منذ كتبه حجة الإسلام التتالي ، الذي نثر به عالمًا بدين الله ، ونورًا بالله ، وداعيًا إلى الله ، ونثر به مسلًا من أولى البصيرة واليقين ، وعلمًا من أعلام الصوفية وفلاسفة الإسلام .

وأقمت على هذا العمل . مستعينًا بالله ، حتى وفق إلى هذه الكلمات ، التي أرجو أن تكون مفتاحًا لكشف عن شخصية التتالي وعقله ومطرقه ، وما بث في ( الإحياء ) من آيات الهدى والحكمة .  
والحمد لله على ما هدنى إليه ، وأطمن عليه ، له الحمد في الأولى والآخرة . نعم المولى ونعم النصير .

بروق الكريمان

مصر الجديدة { ٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ  
٢٥ من تولد سنة ١٩٥٧ م



## مواد المقدمة

صفحة

(١) تمهيد في التصوف الإسلامي . . . . . ٣ - ٧

تعالم الإسلام - المسلم بين الدنيا والآخرة - المسلمون في الصدر الأول - صراع بين المادية والروحية - عودة إلى الله - البحث عن الحقيقة - السلبية في بعض مناهج التفكير - ألوان جديدة من المعرفة .

(٢) الإمام الغزالي . . . . . ٧ - ١١

مولده وشأنه - أبوه - علم للحياة وعلم لله - في طوس - في جرجان - في نيسابور - في المسكر - مع نظام الملك - إلى بغداد - في المدرسة النظامية - صدود عن المنصب والجاه - في الشام وبيت المقدس - إلى مكة والمدينة - تنسكه - عودة إلى خراسان - العزلة والخلو - أمر بالخروج إلى نيسابور للتدريس - عودته إلى طوس - وفاته .

(٣) الشك عند الغزالي . . . . . ١١ - ١٨

اختلاف مناهج البحث في العقائد - التنصب للآراء - الغزالي والتقليد - سبل للمعرفة: الحسيات والعقليات - عقبات تترض طريقهما - آثر الفلاسفة والطبيعيين في بثاث التفكير الإسلامي - ليس الكشف موقوفا على الأدلة المحررة - فلسفة الغزالي وتصوفه - الغزالي بين الابتداع والانباع .

(٤) مناهج البحث عن الحقيقة . . . . . ١٨ - ٢١

الغزالي وعلم الكلام - الغزالي والفلسفة - الغزالي ومذهب التلميم - الغزالي والتصوفية - مزايا كل منهج وعيوبه .

(٥) آثار الغزالي . . . . . ٢٢ - ٢٣

(٦) كتاب (إحياء علوم الدين) . . . . . ٢٣ - ٢٨

متى حدث به ؟ - متى ألفه ؟ - بين التحصيل والإلهام - لماذا ألف الإحياء ؟ - الفرق بين كتابة الغزالي وكتابة الذين سبقوه .

أقسام الإحياء : المبادات - العادات - المهلكات - للنجيات - أسباب الفتور وضعف الإيمان - الإحياء والتربية - صنوف الناس في نظر الغزالي وما ينبغي أن يؤخذ به كل صنف - الشريعة والفلسفة والتصوف في الإحياء - خاتمة .



إخفاء علوم الدين  
للإمام الفخر إلى

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ،  
(فكان كرم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حلي جلاله حمد الحامدين ، وأصلح وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر الرسلين ، وأستخيره تعالى ثالثاً فيما انبث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تمجيك رابعا ، أيها العاذل التتالي في العذل من بين زمرة الجاحدين ، للسرف في التفرع والانكار من بين طبقات المنكرين العاقلين ، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقى عهدة السلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشبيب على من آثر الزرع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبد الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر بأسا من عام التلاقي والجبر وانحيازا عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحد من دركها فرجعت بكلامها ، أحمد وأستكين له من مظالم أفتضت الظهور بأثقالها ، وأعبدته وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بمحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لا كمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تسدر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عنى علمه ثم شرعت في تبييضه في مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكمالها غير متعرض لتركه وإحماله إلى أن ظفرت بأكثر مما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكمالها فأجبت وبادرت إليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقصرت فيه على ذكر طرف الحديث ومجايه ومخرجه وبيان محته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند للذاكرة والناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مستول .

فان كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بمزوه إليه وإلا عزوته الى من خرجه من بقية السنة وحيث كان في أحد السنة لم أعزّه إلى غيرها إلا لقرض جميع بأن يكون في كتاب

كتاب تعريف الأحياء

بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق

لشتر المحاسن وطبها

في أحسن حكايات

وجعل ذلك قرة لأعين

الأحباب وذخيرة ليوم

للآب والصلاة والسلام

على سيدنا محمد الذي

أحيا بأحياء شريته

وطريقته قلوب ذوي

الأبواب وعلى آله

الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب

ما أشرقت شمس الأحياء

للقلوب وتوجهت همه

روحانية مصنفه الولي

للهووب الى إسفاف

ملازمي مطالته

ومجبه بالمطلوب .

وبعد : فان الكتاب

العظيم الشأن المسمى

بإحياء علوم الدين

المشهور بالجمع والبركة

والنفع بين العلماء

العاملين وأهل طريق

الله السالكين المشايخ

العارفين للنسب إلى

الامام الغزالي رضي

الله عنه عالم العلماء

وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه (١) » ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجسم الفقير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجمل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقل البصير رد وسلك طريق الآخرة مع كثرة العوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً فصار يرى المروف منكراً والنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطعام أو جدل يتدفع به طالب البهاة إلى القلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح بما سماه الله سبحانه في كتابه قهها وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسياً منسياً . ولما كان هذا ثلماً في الدين ولما خطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين . وقد أسسته على أربعة أرباع وهي : ربيع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات . وصدرت الحملة بكتاب العلم لأنه غاية اللهم لا كشف أولاً عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم (٢) » وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع (٣) » وأحقق ميل أهل العصر عن شاة كلة الصواب ، وانخداعهم بالامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

الزم محرّجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء ، وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لفرض أول لذهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهيت على أنه قد تقدم وربما لم أنه على تقدمه لذهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما ينفي عنه غالباً وربما لم أذكره . وميمته :

### المغنى عن حل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار

جمله الله خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة إلى التعميم للقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن .

الاسلام حسنة الدهور  
والأعوام تاج المجتهدين  
سراج التهجددين  
مقتدى الأئمة ميين  
الحل والحرمة زين الله  
والدين الذي ياهى به  
سيد المرسلين صلى الله  
عليه وسلم وعلى جميع  
الأنبياء ورضى عن  
الغزالي وعن سائر  
العلماء المجتهدين لما  
كان عظيم الوقع كثير  
النفع جليل المفسدات  
ليس له نظير في باب ولا  
يتسج على منواله ولا  
سمحت قرينة بمثاله  
مشتغلاً على التريسة  
والطريقة والحقيقة  
كاشفاً عن الغوامض  
الحفية مبيناً للأسرار  
الدقيقة رأيت أن أضع  
رسالة تكون كالعنوان  
والدلالة على صبابة  
من فضله وشرفه  
ورشحة من فضله  
جامعه ومصفه  
(ورتبته على مقدمة .  
ومقصد . وخاتمة )  
فالقائمة في عنوان  
الكتاب . والمقصد  
في فضائله وبعض  
المدايح والثناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصعبة والمأثرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربيع النجيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر اللوت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهاء . وأما ربيع العادات فأذكر فيه أسرار للعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين . وأما ربيع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتركه النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها ترتب ، ثم العلامات التي بها تعرف ، ثم طرق العلاج التي بها يتخلص . كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع النجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال القرين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة خصلتها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب ونميتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً ولكن يميز هذا الكتاب عنها خمسة أمور : الأول : حل ما عقده وكشف ما أجملوه . الثاني : ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إيجاز ما طولوه وضبط ما قررروه . الرابع : حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاضت على الأفهام لم تعرض لها في الكتب أصلاً إذاً الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالثبني لأمر يخصه وينقل عنه رقاؤه أو لا ينقل عن الثبني ولكن يسهو عن إيراد في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف النطاء عنه صارف فيه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً للمجامع هذه العلوم . وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأصلي : أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف العلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكار عليه والجواب عما استشكل منه وطقن بسببه فيه والخاصة في ترجمة المصنف رضي الله عنه وسبب رجوعه إلى هذه الطريقة .

(المقدمة في عنوان

الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة التي يتقرب بها إلى الله تعالى تنقسم إلى ظاهرة وباطنة والظاهرة فثمان معاملة بين العبد وبين الله تعالى ومعاملة بين العبد وبين الخلق . والباطنة أيضاً فثمان ما يجب تركه القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات الحمودة وقديني الامام التزالي رحمه الله كتابه إحياء علوم الدين على هذه الأربعة الأقسام فقال في خطبته : ولقد أسست على أربعة أرباع ربيع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع النجيات فأما ربيع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والقصود من هذا الكتاب علم للعامة فقط دون علم الكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم للعامة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم الكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والاحمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلامة وروثة الأنبياء فالحلم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء . ثم إن علم العامة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الجواس من عالم المكشوف إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر للتعلم بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن للتعلم بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم العامة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أتى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى التدرج به إلى الباهة والاستظهار بجاهه ومنزله في النافسات وهو مرتب على أربعة أرباع وللتزوي يرى المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم ومما تقوم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى اللطافة والتلطيف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطيف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد ثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأبين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآمال فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد .

### الكتاب في علم وفيه سبعة أبواب (الأول)

الباب الأول : في فضل العلم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العلم وفرض الكفاية من العلوم وبيان حسد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : فيما تعدد العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : في آداب المعلم والتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

### الباب الأول في فضل العلم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

#### فضيلة العلم

شواهدا من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما : للمعلم درجات فوق المؤمنين بسبعمئة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به - تنبيه على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

العلم كتاب قواعد  
العقائد كتاب أسرار  
الطهارة كتاب أسرار  
الصلاة كتاب أسرار  
الزكاة كتاب أسرار  
الصيام كتاب أسرار  
الحج كتاب تلاوة  
القرآن كتاب الأذكار  
والدعوات كتاب  
ترتيب الأوراد في  
الأوقات . وأما ربيع  
العادات فيشتمل على  
عشرة كتب كتاب  
آداب الأكل كتاب  
آداب النكاح كتاب  
آداب الكسب كتاب  
الحلال والحرام كتاب  
آداب الصعبة كتاب  
العزلة كتاب آداب  
السفر كتاب  
آداب السماع والوجد  
كتاب الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر  
كتاب أخلاق النبوة .  
وأما ربيع المهلكات  
فيشتمل على عشرة  
كتب كتاب شرح  
عجائب القلب كتاب  
رياضة النفس كتاب  
آفة الشهوتين : البطن  
والفرج كتاب آفة  
اللسان كتاب آفة

نصرها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال تعالى - ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله  
الذين يستنبطونه منهم - رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم والحق رتبهم بركة الأنبياء في كشف حكم  
الله . وقيل في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وربنا - يعني  
اليقين - ولباس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم - وقال  
تعالى - فلنقصن عليهم بعلم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال  
تعالى - خلق الإنسان على البيان - وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده »<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم  
« العلماء ورثة الأنبياء »<sup>(٢)</sup> ومعلوم أنه لارتبة فوق النبوة ولاشرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة  
وقال صلى الله عليه وسلم « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض »<sup>(٣)</sup> وأي منصب يزيد على منصب من  
تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال  
صلى الله عليه وسلم « إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك »<sup>(٤)</sup> وقد  
نبه هذا على غمراه في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا يكونان  
في منافق حسن سمع وقفه في الدين »<sup>(٥)</sup> ولا تشك في الحديث لنفاق بعض قهواء الزمان فإنه ما أراد به  
الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه  
المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برى بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الناس  
للمؤمن العالم الذي إن احتجج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه »<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان  
عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وعمرته العلم »<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس من درجة  
النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاء به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم  
على ما جاء به الرسل »<sup>(٨)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم « لموت قبيلة أيسر من موت عالم »<sup>(٩)</sup> وقال  
عليه الصلاة والسلام « الناس معادن كمداد الذهب والفضة يخارم في الجاهلية خيارهم في الإسلام  
إذا قهوا »<sup>(١٠)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بنهم الشهداء »<sup>(١١)</sup>

#### كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله  
ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود  
والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما في السموات  
والأرض هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث  
أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الغني الأزدي في آداب المحدث من حديث أنس  
باسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة  
وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا  
على أبي الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الإيمان عريان الحديث الحاكم في تاريخ  
نيسابور من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم  
والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٩) حديث  
لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند  
أبي الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث  
يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف

الغضب والحق والحمد  
كتاب ذم الدنيا  
كتاب ذم المال والبخل  
كتاب ذم الجاه والرياء  
كتاب الكبر والعجب  
كتاب الفرور . وأما  
ربيع النجيات فيشتمل  
على عشرة كتب  
كتاب التوبة  
الصبر والشكر  
الخوف والرجاء  
الفقر والزهدي  
التوحيد والتوكل  
كتاب المحبة والشوق  
والرضا  
كتاب النية  
والصدق والاخلاص  
كتاب المراقبة والمحاسبة  
كتاب التفكير  
ذكر الموت . ثم قال  
رحمه الله : فأما ربيع  
العبادات فأذكر فيه  
من خفايا آدابها  
ودقائق سننها وأسرار  
مطانيها ما يضطر العالم  
العامل إليها بل لا يكون  
من علماء الآخرة من لم  
يطلع عليها وأكثر ذلك  
مما أهمل في الفقهيات .  
وأما ربيع العادات  
فأذكر فيه أسرار  
الحاملات الجارية بين  
الخلق ودقائق سننها

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة »<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة قبها عالماً »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهله ورزقه من حيث لا يحتسب »<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم »<sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض »<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء »<sup>(٦)</sup> وقال عليه السلام « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا يورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم »<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »<sup>(٨)</sup> فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم يكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »<sup>(٩)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء »<sup>(١٠)</sup> فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من قبه في الدين ولقائه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه »<sup>(١١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه »<sup>(١٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة »<sup>(١٣)</sup> وقال

وخفايا الورع في مجاريها  
وهي عالما يستغنى المتدين  
عنها . وأما ربيع  
للهلكات فأذكر فيه  
كل خلق مذموم ورد  
القرآن بإماطته وتركه  
النفس عنه وتطهير  
القلب منه وأذكر في كل  
واحد من هذه الأخلاق  
حده وحقيقته ثم سيبه  
الذي منه يتولد ثم  
الآفات التي عليها يترتب  
ثم العلامات التي بها  
يتعرف ثم طرق  
المعالجة التي منها يتخلص  
كل ذلك مقرونا بشواهد

(١) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة . ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة قبها عالماً ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم بإبراهيم إني عليم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقاً ولم أظفر له باسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبونعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبونعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من قبه في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأجرى في كتاب فضل العلم وأبونعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف: قبه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث مجنون الأدرع باسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

من الآيات والأخبار  
والآثار . وأما ربيع  
للنجيات فأذكر فيه  
كل خلق محمود وخلة  
مرغوب فيها من خصال  
القربين والصديقين  
التي يتقرب بها العبد  
من رب العالمين  
وأذكر في كل خلة  
حدها وحقيقتها وسببها  
الذي به تجلب وتغرب  
التي منها تستفاد  
وعلاقتها التي بها تعرف  
وفضلها التي لأجلها  
فيها يرغب مع ما ورد  
فيها من شواهد الشرع



والعمل

(للقصد في فضل الكتاب الشار إليه وبعض اللذائع والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطمع بسببه فيه) اعلم أن فضائل الأحياء لا تحصى بل كل فضيلة لها باعتبار حقيقتها لا تستقصى جمع الناس مناقبهم وقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردوا فيها علت بتأليف وهي جسيمة بال تصنيف خاص مؤلفه رضى الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر الماني ثم لم يرض إلا بكبارها وجمال في بيان العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن اقتطف من أزهارها وسما إلى سماء الماني فلم يصطف من كواكبها إلا السبارة وجلت عليه عرائس أسرار الماني فلم ترق في عينه منهن إلا بادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسمى في إحياء علوم الدين

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسأى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حشر الجواد الضمر سبعين سنة (٢) » وقيل يارحول الله : أي الأعمال أفضل فقال « العلم بالله عز وجل » فقيل أي العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » فقيل له نسأل عن العمل وتجب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إنى لم أضع على فيكم إلا لئلى بكم ولم أضع على فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٤) » نسأل الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال صلى الله عليه وسلم « إن أى طالب رضى الله عنه لكيل يا كيل العلم خير من المال العلم يهرسك وأنت تهرس للمال والعلم حاكم وللالم يحكموم عليه وللالم تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق . وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذامات العالم تلم في الاسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء  
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء  
فقر بعلم تعش حيا به أبدا الناس موت وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه ، وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل لمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصة التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا لجامع فان أخس المصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال نفع الموصل رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياتاه كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم قلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ ذهب الدنيا وشغلها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فاذا حط

ابن عدى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن حمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة (٣) حديث قيل له يارحول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بهلاكه وتحمر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه واليقين من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فتعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعوه موت رواه في القدي نسي يده ليودن رجل قتلوا في سبيل الله شهداء أن يعظم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسن في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتضي قال الأشياء التي إذا هزقت سيفتك سبعت معك بمعنى العلم وقيل أراد بفرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجأما اتخذها الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعي رحمه الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فريح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يأيها الناس عليكم بالعلم فإن الله سبحانه رداء محبة فمن طلب بابا من العلم ردا لله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنبا استغفبه ثلاث مرات كذا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلوم إلى ذلك مصيره وتال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترفت فاحترفت بالعلم لما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم أذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلى أبي العراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكي ذلك في وصايا التهان لأنه قال يابن جالس العلماء وزاحمهم بركيبتك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

#### فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى - فاعلموا أن كفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين - وقوله عز وجل - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تغدو فتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو باليمين (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم ومحمد بن حنبل من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتعلم بابا من الخير خير من أن تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خبره من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ندر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو باليمين ابن عدى والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي متفق مشهور وأسانيد ضيفة .

فشكر الله له ذلك  
السمي لله دره من عالم  
عحق مجيد وإمام جامع  
لشتات الفضائل محرر  
فريد لقد أبدع فيها  
أودع كتابه من  
الفوائد الشوارد وقد  
أغرب فيها أعرب فيه  
من الأمثلة والشواهد  
وقد أجاد فيها أفاد فيه  
وأمل يبدأنه في العلوم  
صاحب القدر المعلي  
إذ كان رضي الله عنه  
من أسرار العلوم محل  
لا يدرك وأين مثله  
وأصله وأصله فضله  
هيأت لا يأتي الزمان  
مثله

إن الزمان مثله لشحيح  
وما عسيت أن أقول  
فيمن جمع أطراف  
الحاسن ونظم أشنات  
الفضائل وأخذ برقاب  
الحامد واستولى على  
غايات الناقب فشجرت  
في فواردة العلم والعمل  
والملا والفهم والذكاء  
أصلها ثابت وفرعها  
في السماء مع كونه  
رضي الله عنه هذا الصدر  
الرحيب والقرينة  
الثابتة والبراية الصائبة

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والسميع والمحيط » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه » (٢) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ قال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينبه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة » (٤) . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك طالبا فمزت مطلوبها وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأعجب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنني لأرحم رجلا كرحمتي لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والتعلم شريكان في الخير وشائر الناس هج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن القدو إلى طلب العلم ليس بجهد فقد نقص في رأيه وعقله .

#### فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه - وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى - وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يظنون - وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه » (٥) . وقال تعالى - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - وقال تعالى - ويعلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » (٦)

(١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا بإسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة التملين من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة التملين من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسل (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لما ذهبن بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمنى مثل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد للصنفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسين علي بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي كان بالغ في الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظهر به من نسخ الإحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا » (١) وقال عيسى صلى الله عليه وسلم « من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للمعابد والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كعصم ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » (٢) وهذا إنما يكون بالعلم للتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى به . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا يترزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن ينهب بنهب العلماء فكلمة ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن شئوا أتوا بغير علم فيضلون ويضلون » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكماء تسمعها فطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تطه إياها تعدل عبادة سنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو لمطأ أو متطأ » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه قبله » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة » (٩) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منهم وأما هؤلاء فيطعون الناس وإنما بعثت معلما » ثم عدل إليهم وجلس معهم (١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلى (١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للمعابد والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله لا يترزع العلم انتزاعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكماء تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه بإسناد ضعيف (٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٨) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن النكدر مرسلا نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو ترده عن ردى (٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكماء يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فلما أقبل ابن حزم قال التزالي هـنا خصمى يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعم ثبت إلى الله وإن كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذلي حتى من خصمى ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء فتصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضى الله عنه فظفر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بئتك بالحق إنه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه فظفر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حزم عن القميص وأن يضرب ويعد حد المقرى فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضى الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظنّ خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأبنتت الكلاً والمشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فثربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً » (١) اهـ فالأول ذكره مثلاً للمتفعل بعلمه والثاني ذكره مثلاً للنافع والثالث للمحروم منها . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به » (٢) الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله ما لا فسلطه علىهلكته في الخير » (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم « على خلقائي رحمة الله قيل ومن خلقاؤك ؟ قال الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله » (٥) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه : من حدث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فكثرت لساؤه إنسان فقالوا كروا لي لأخرج من هذا البلد هذا البلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألني عن شيء . وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدة البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمناً قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن عمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل علم علمك من يجمل وتعلم من يعلم ما يجمل فانت إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيت أيضاً مرفوعاً « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهل قرية وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنارسيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتبس آثارهم وترمق أفعالهم وترغب لللائكة في خلتهم وبأجنتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها » (٦) . لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة

(١) حديث مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذي من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (٤) حديث لا حسد إلا في اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث على خلقائي رحمة الله الحديث ابن عبد البر في العلم والمروى في ذم الكلام من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون مرسلًا ولابن السني وأبي نعيم في رياضة التلميذ من حديث علي نحوه (٦) حديث معاذ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوي .

فأخطأ في ظنه فرضى  
الامام الغزالي وقبل  
شفاعة الصديق ثم  
استيقظ ابن حزم  
وأثر السباط في ظهري  
وأعلم أصحابه وتاب إلى  
الله عن إنكاره على  
الامام الغزالي واستغفر  
ولكنه بقي مدة طويلة  
متألمًا من أثر السباط  
وهو يتضرع إلى الله  
تعالى ويتشفع برسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
إلى أن رأى النبي  
صلى الله عليه وسلم  
دخل عليه ومسح  
بیده الكريمة على  
ظهره صفو في وشي باذن  
الله تعالى ثم لازم مطالعة  
إحياء علوم الدين ففتح  
الله عليه فيه وقال  
العرفه بالله وصار من  
أكابر المشايخ أهل  
العلم الباطن والظاهر  
رحمه الله تعالى . قال  
اليافعي روي ذلك  
بالأمانيد الصحيحة  
فأخبرني بذلك ولي الله  
عن ولي الله عن ولي  
الله عن ولي الله الشيخ  
الكبير القطب شهاب  
الدين أحمد بن ليلق

الأبدان من الضعف يتلج به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يدل بالصيام ومدايرته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجّد وبه يتورّع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل قابله يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

## في الشواهد العقلية

اعلم أن للطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم وتقاسمه ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم تتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أول غير من الحصول فلقد ضلّ عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا وهو بدم لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيها هو كمال ذلك الشيء كما يقال القرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشارك في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلمة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم وتقصان في العنى وليست من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لعنايه وصفاته لا لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن الفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه وصف كماله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعاً ما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والطلوب لغيره الدرامم والدنانير فانهما حيران لا منفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات لهما لكانا والحصياء بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولقد انظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسامة البدن فان سلامة الرجل مثلاً مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمنى بها والتوصل إلى المكرب والحاجات وهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيت له ذين في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها لن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العلم إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف عمرته وقد مرّت أن عمره العلم القرب من رب العالمين والاتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملائكة الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم بمجولة على التوقير لشيوعهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتميز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لعمالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة بما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا منزعة للآخر وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلاً لمن يتخذها مستقراً ووطناً وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحيا كدهى للملبس والبناء

الشاذلي عن شيخه  
الشيخ الكبير العارف  
بالله ياقوت الشاذلي عن  
شيخه الشيخ الكبير  
العارف بالله أبي العباس  
الرسى عن شيخه الشيخ  
الكبير شيخ الشيوخ  
أبي الحسن الشاذلي  
قدس الله أرواحهم  
وكان معاصراً لابن  
حرزم قال وقال الشيخ  
أبو الحسن الشاذلي  
ولقد مات الشيخ  
أبو الحسن بن حرزم  
رحمه الله يوم مات وأثر  
السياط ظاهر على ظهره  
وقال الحافظ بن عساكر  
رحمه الله وكان أدرك  
الامام الغزالي واجتمع  
به قال سمعت الامام  
الفتية الصوفي سعد بن  
طلي بن أبي هريرة  
الاسفراييني يقول سمعت  
الشيخ الامام الأوحدي  
زين القراء جمال  
الحرم أبا الفتح الشاوي  
بمسكة الشرفة يقول  
دخلت المسجد الحرام  
يوماً فطراً على حال  
وأخذني عن نفسي  
فلم أقدر أن أقف  
ولا أجلس لشدة تماي

وهو للمسكن والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب العيشة وضبطها الثاني ماهي مهنة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالخدمة فانها تخدم الزراعة وحمة من الصناعات بأعداد آلاتها كالخلاجة والقرل فانها تخدم الحياكة بأعداد عملها . الثالث ماهي متممة للأصول ومزينة كالطحن والحجر للزراعة والقصارة والحياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة فانها ثلاثة أضرباً أيضاً أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالخدمة والعروق والشرابين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأنظار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يشكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لاهلها صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق للستقيم النجى في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الخلفاء والملوك والولاة وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنهى قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالانزاع والنفع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على مواطن العوام فقط وأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة للهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق الحمودة السعيدة وهو الراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالاتفات إلى الفريضة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المصل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ عمل أحدهما الذهب وعمل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي الله طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان كسبائى بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه ونعمته سعادة الآخرة وأما شرف المصل فكيف يخفى والعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسيافته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أحل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العام الذي هو أخص صفاته فهو كالحازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تزيينهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب الثاني . في العلم المحمود والذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة )  
بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس في العلم الذى هو فرض على كل مسلم ففرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا تطيل بقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال التكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله

فوقت على جنبي الأيمن  
نجاه الكعبة للعظمة  
وأنا على طهارة وكنت  
أطرد عن نفسى  
النوم فأخذتني سنة  
بين النوم واليقظة  
فرايت النبي صلى الله  
عليه وسلم في أكل  
صورة وأحسن زى  
من القميص والعامة  
ورأيت الأئمة الشافعى  
ومالكا وأبا حنيفة  
وأحمد رحمهم الله  
يمرضون عليه مذاهبهم  
واحداً بعد واحد  
وهو صلى الله عليه  
وسلم يقرهم عليها ثم جاء  
شخص من رؤساء  
المتدعة ليدخل الحلقة  
فأمر النبي صلى الله  
عليه وسلم بطرده  
وإهاتته فتقدمت أنا  
وقلت يا رسول الله  
هذا الكتاب أعنى  
إحياء علوم الدين  
معتقدى ومعتقد أهل  
السنة والجماعة فلو  
أذنت لى حق أقراء  
عليك فأذن لى  
فقرأت عليه من  
كتاب قواعد العقائد  
سم الله الرحمن الرحيم



سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف المبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة . وقال للفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى المعلوم كلها وقال للتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييزه للملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومته . وقال أبو طالب للسكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله (١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذي ينبغي أن يقطع به المصنف ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كلتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفي أن يصدق به ويستفد جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسمع من غير بحث ولا برهان « إذا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل (٢) » فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهماهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بموارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الاتسكاف عنها وتلك الموارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاءه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقوع وأن ذلك يتأدى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فبعد ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فإن فعل ذلك نفل فعله أيضاً فلا يكون تعلمه فرض عين

#### ( الباب الثاني )

(١) حديث بنى الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث أكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل . مشهور في كتب السير والحديث فبعد مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهت إلى قول الغزالي وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فرأيت البشاشة في وجهه صلى الله عليه وسلم ثم التفت وقال أين الغزالي وإذا بالغزالي واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يا رسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناولته يده الكريمة فأكتب عليها الغزالي قبلها ويترك بها وما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشد سروراً بقرابة أحد عليه مثل ما كان بقرائه عليه الأحياء ثم انتبهت والدمع يجري من عيني من أثر تلك الأحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لهذه الأئمة



وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدرج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البعوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من الساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال لما يعلم أنه ينفع عنه لا يجب تعلمه وما هو ملائمه له يجب تنبيه عليه كما لو كان عند الإسلام لا بأس بالحرير أو جالساً في التصب أو ناظراً إلى غير ذي محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملائمه له ولكنه يصدد التمرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيه عليه وما يجب تعليمه وجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الحواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلها الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يستقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات قد مات على الإسلام إجماعاً ولكن هذه الحواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسامع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يحذر في أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو أتى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه قد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الطالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربيع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سذكركه من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بصدقه وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب وأكثر ما ذكرناه في ربيع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يمين . وما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والخبر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار فإذا انتهت لهذا التدرج علمت أن اللذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجارى أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجديد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المرفق بالألف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدرج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزاز والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السنة واستبشاره  
بعبدة النزالى  
وتقريرها نعمة من الله  
عظيمة ومنه جسيمة  
سأل الله تعالى أن  
يعيننا على سنته وشؤنا  
على ملته آمين .

(صل) انتهى على الأحياء  
عالم من علماء الإسلام  
وغير واحد من عارفى  
الأئمة بل جمع أقطاب  
وأفراد فقال فيه الحافظ  
الإمام الفقيه أبو الفضل  
العراقى في ترجمته إنه  
من أجل كتب الإسلام  
في معرفة الحلال  
والحرام جمع فيه بين  
ظواهر الأحكام ونزع  
إلى سرائر دقت عن  
الأنفهام لم يقتصر فيه  
على مجرد الفروع  
والمسائل ولم يقتصر  
في الإجابة بحيث يتعذر  
الرجوع إلى الساحل  
بل مزج فيه على  
الظاهر والباطن ومرج  
معانيها في أحسن  
للواطن وسبك فيه  
فنانى اللفظ وضبطه  
وسلك فيه من النمط  
أوسطه مقتدياً بقول  
على كرم الله وجهه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواثيق وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها خرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحياطة والحياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أزيل الداء أزيل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بأحاله . وأما ما بعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشيعة والتليسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخط فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتقسم إلى الحمودة والمذمومة . أما الحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات وثمرات وهي أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهي أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والاجتماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأثر فإنه أيضاً يدل على السنة لأن الصحابة رضی الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن . الضرب الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بعمان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ المفطور به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لا يقضى القاضي وهو غضبان »<sup>(١)</sup> أنه لا يقضى إذا كان حاقناً أو جائعاً أو متألماً بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا وبحويه كتب الفقه والتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعم الكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضرورياً

(١) حديث لا يقضى القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر

خير هذه الأمة الخط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم التالي إلى آخر ما ذكره مما الأولى بنا في هذا الحل طيه ثم الانتقال إلى نشر محاسن الأحياء ليظهر للمحب والبصير رشده وغيره . وقال عبد الغافر الفارسي في مثال الأحياء إنه من تصانيفه للشهيرة التي لم يسبق إليها . وقال فيه النووي كاد الأحياء أن يكون قرآناً . وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو عجت جميع العلوم لاستخرجت من الأحياء . وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والأحياء جماعها كما سيأتي أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله الميبدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه قلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطلع

« إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً (١) » ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنىء  
 الكتابة ولكنه صار بحكم المعجز في الغالب ضروريا . الضرب الرابع للتممات : وذلك في علم القرآن  
 فانه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات وتخراج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كال تفسير فان اعلمنا  
 أيضا على النقل إذ اللغة بمعبرتها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كعقوبة الناسخ وللنسخ والد  
 والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الله  
 ويتناول السنة أيضا . وأما التتمات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة  
 وصفاتهم والعلم بالمعدلة في الرواة والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم لتمييز الرسل  
 للسند وكذلك ما يتعلق بهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمولة بل كلها من فروع الكفائيات . فان قد  
 لم ألحق الفقه بعلوم الدنيا وألحق الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام  
 التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها  
 الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا نهايتهم وهذه منازلهم وها  
 الدنيا إذا زاد المعاد ليتناول ما يصلح للترؤد فلو تناولوها بالعدل لا تقطعت الخصومات وتقطعت الفقه  
 ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان  
 إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا في  
 الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامت  
 أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدين امرزعة الآخر  
 ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فهدوم و  
 لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالقوم كما  
 سياسة الخلق بالسلطة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على مالا يتم الدين إلا به فكذا  
 معرفة طريق السياسة لعلهم أن الحج لا يتم إلا بيزقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج ثم  
 وسلك الطريق إلى الحج شيء ثان ولقيام بالحراسة التي لا يتم إلا بهائي ثالث ومعرفة طرق الحراسة فوجها  
 وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى من  
 « لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو أمور أو متكلف (٢) » فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون وللأمور  
 نائبه والتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك المهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم  
 يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن  
 القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل التكلف للرأي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غ  
 متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فان قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحا  
 والحدود والقرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة  
 فيما يشتمل عليه ربع العبادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه  
 الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فإذا تأملت منتهى نظر الفقه

كتاب الاحياء كل فصل  
 وحرف منه وأعادوه  
 وأتدبره فيظهر لي منه  
 في كل يوم علوم وأسرار  
 عظيمة ومفهمات  
 غزيرة غير التي قبلها  
 ولم يسبقها أحد ولم يلحقه  
 أحد أننى على كتاب  
 الاحياء بما أننى عليه  
 ودعا الناس بقوله وفضله  
 إليه وحث على التزام  
 مطالعته والعمل بما فيه  
 ومن كلامه رضى الله  
 عنه : عليكم يا إخواني  
 بتأدية الكتاب  
 والسنة أعنى التسمية  
 للشروحة في الكتب  
 الفزالية خصوصا  
 كتاب ذكر اللوت  
 وكتاب الفقر والزهد  
 وكتاب التوبة  
 وكتاب رياضة النفس  
 ومن كلامه : عليكم  
 بالكتاب والسنة أولا  
 وآخر أظهارها وباطن  
 وفكرها واعتبارها  
 واعتقادها وشرح  
 الكتاب والسنة  
 مستوفى في كتاب إحياء  
 علوم الدين للامام  
 حجة الاسلام الفزالي  
 رحمه الله ونفعنا به ومن  
 كلامه وبعد فليس  
 لنا طريق ومنهاج

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً : أى لا يحسن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث  
 عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيه  
 وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء وأ  
 الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يفتي الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عم  
 ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

سوى الكتاب والسنة  
وقد شرح ذلك كله  
سيد للصنفين وبقية  
المجاهدين حجة الإسلام  
الغزالي في كتابه العظيم  
الشان للقلب أعجوبة  
الزمان إحياء علوم  
الدين الذي هو عبارة  
عن شرح الكتاب  
والسنة والطريقة  
ومن كلامه عليكم  
بملازمة كتاب إحياء  
علوم الدين فهو موضع  
نظر الله وموضع رضا  
الله فمن أحبه وطالعه  
وعمل بما فيه قد  
استوجب محبة الله  
ومحبة رسول الله ومحبة  
ملائكة الله وأنبيائه  
وأوليائه وجمع بين  
التريعة والطريقة  
والحقيقة في الدنيا  
والآخرة وصار عالماً  
في الملك واللكوت .  
ومن كلامه الوجيز  
العزير لوبعث الله للوحي  
لما أوصوا الأحياء  
إلا بما في الإحياء .  
ومن كلامه اعلوا أن  
مطالعة الأحياء تحضر  
القلب القائل في لحظة  
كجذور سواد الحبر  
يوتسوع الزاج في  
الفضى والساء وتأثير

فيما علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر . أما  
الإسلام فيشكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب  
فخارج عن ولاية الفقيه لزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا  
شقت عن قلبي » (١) « للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتدراً بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم  
الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكتشفه عن نيته ولم يدفع عن قلبه  
غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف يمتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله  
وهذه الكلمة باللسان تصم رقبته وماله مادام له رقبته وماله وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم  
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » (٢) « جعل أثر  
ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك  
من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالخاض في الكلام والطب وكان خارجاً عنه . وأما الصلاة  
فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى  
آخرها مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما  
أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به استحالة صيغة الأمر  
واقطع به عنه القتل والتعزير فأما الحشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر  
لا يترصد له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة  
السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرًا حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف  
القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوجب مالها إسقاطاً للزكاة فحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه  
الله فقال ذلك من قهقهة وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية  
ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع  
مراتب : الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بركة الإنسان عن أهلية  
الشهادة والقضاي والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من  
الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (٣) وقال صلى  
الله عليه وسلم « الائم حراز القلوب » (٤) . الثالثة ورع للتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه  
أذاؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مجابهة  
بأس » (٥) « وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الفية والتورع عن  
أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر للؤدى إلى مقارفة المخطورات . الرابعة ورع  
الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة  
قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن  
نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يندرج في العدالة والقيام بذلك لا يفتي الائم

(١) حديث هلا شقت عن قلبي مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس  
حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع  
ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث  
الائم حراز القلوب البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه العبدني في مسنده موقوفاً  
عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذي وحسنه  
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي .

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اصة « استفت قلبك وإن أقنوك وإن أقنوك (١) »  
والفقيه لا يتكلم في حرازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يندرج في العدالة فقط فلاذن جميع نظر الفقيه  
مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك  
يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام  
وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا  
ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظاهر والأمان  
والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإنما العمل بالقلب  
والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فان قلت لم سويت (٢) بين الفقه والطب إذ الطب  
أبضا يتعلق بالدنيا وهو صفة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع  
المسلمين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها  
أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه  
أحد من السالكين طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا للرضى وم  
الأتلون . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه ينظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال  
الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق الحمودة الناجية في الآخرة  
واللذوم يصدر من اللذوم وليس غنى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فنشؤها صفاء في  
المزاج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه  
وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فان قلت فصل على علم  
طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجعه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قبان : علم مكاشفة  
وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين  
من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الحاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه  
لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان  
محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من يشكره أنه  
لا يندوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذلك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والقرينين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكته  
من صفاته اللذومة وينكشف من ذلك النور أسرار كثيرة كان يسمع من قبل أمعاه فيتوهم لها معاني  
مجهلة غير متضحة فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات  
التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه تربيته للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة  
والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان  
وكيفية ظهور تلك الأنبياء وحكييفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض  
ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والياطين فيه ومعرفة الفرق بين ملك الملائكة وملك الشيطان  
ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط واليزان والحساب ومعنى قوله تعالى - اقرأ  
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسياء - ومعنى قوله تعالى - وإن الدار الآخرة لمى الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أقنوك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل بالي كلامه فأمل .

كتب الغزالي واضح  
ظاهر مجرب عند كل  
مؤمن ومن كلامه  
أجمع العلماء العارفون  
بالله على أنه لا شيء  
أنتفع للقلب وأقرب  
إلى رضا الرب من  
متابعة حجة الاسلام  
الغزالي ومحبة كتبه  
فان يكتب الإمام  
الغزالي لباب الكتاب  
والسنة ولباب المقول  
والمقول واقه وكيل على  
ما أقول . ومن كلامه  
أنا أشهد سرا وعلاية  
أن من طالع كتاب  
إحياء علوم الدين فهو  
من المهتدين ، ومن  
كلامه من أراد طريق  
الله وطريق رسول الله  
وطريق العارفين بالله  
وطريق العلماء بالله  
أهل الظاهر والباطن  
فليبه بمطالعة كتب  
الغزالي خصوصا إحياء  
علوم الدين فهو البحر  
المحيط . ومن كلامه  
اشهدوا على أن من  
وقع على كتاب الغزالي  
قد وقع على عين  
الشريعة والطريقة  
والحقيقة . ومن كلامه  
من أراد طريق الله  
ورسوله ورضاهما فليبه

لو كانوا يعلمون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة اللائحة الأولى ومقارنة اللائحة والنبين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى السكوكب الدرى في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعدّه الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها للمفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حدث معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر مبيع بصير متكلم فنعى يعلم الكاشفة أن يرتفع العطاء حتى تضع له جلية الحق في هذه الأمور اقتضاهما يجري مجرى البيان الذى لا يشك فيه وهذا يمكن في جواهر الانسان لولا أن امرأة القلب قد تراكم صدوها وخيبتها بقاذورات الدنيا وانما نعى يعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تفصيل هذه الرأى عن هذه الحقائق التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاعتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فيقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلأأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هى العلوم التى لا تفسد في الكتب ولا يتحدّث بهامن أنتم الله عليه بشئ منها إلا مع أهله وهو الشاركة فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الحقيقى الذى أراد صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهيئة السكون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يحمله إلا أهل الاعتقاد بالله تعالى فلا تحقروا علماً أتاه الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ أتاه إياه (١) ». وأما القسم الثانى : وهو علم العامة فهو علم أحوال القلب . أما ما يعمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة الله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، لمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما ما يذمّ غفوف الفقر وسخط القدرور والقل والحقد والحسد والنش وطلب المال وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والحيلاء والتنافس والباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والسلف والتزين للخلق والداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بميوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحشية منه وعدة الانتصار للنفس إذا نالها القل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان الملاينة على عداوة السر والأمن من معكر الله سبحانه في سلب ما أعطى والانتكال على الطاعة والكر والحيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالخلقين والوحشة لفرارهم والجفاء والطيش والمجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش وصابغ الأعمال المظتورة . وأضدادها وهى الأخلاق الحمودة منبع

(١) حديث إن من العلم كهيئة السكون الحديث أبو عبد الرحمن السلى في الأربعين له في التصوف من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف .



الطاعات والقربات فالعلم محدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها ونعماتها وعلاجها هو علم الآخر وهو فرض عين في تخرى علماء الآخرة فالمرض عنها هالك بسطوة ملك للوكة في الآخرة كما أر للمرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا يحكم تخرى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل قبيح عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلاً وعن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عين الذي في إجماله هلاكه في الآخرة ولو سأته عن اللعان والظهار والسبق والرى لسرد عليك مجملات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم تزل البه عن يمينها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً وفي حفظه ودرسه وبخل مما هو مهم نسب في الدين وإذا روجع فيه لا اشتغل به لأنه علم الدين وفرض الكفاية وليس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والوطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليها كثيراً من فروض الكفايات فكم من بهيمة ليس فيها طبيب إلا من أهل البه ولا يجوز قبول شهادتها فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا ترى أحداً يشتغل به ويتأثرون على علم الفقه لاسيما الخلافات والجدليات والبه مشحون من البه من يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص قهواء الدين في الاعتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإعمال مالا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتهدد القضاء والحكومات والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيئات هيئات قد اندرس علم الدين بتليس العلماء السوء فاقه تعالى للسمعان وإليه للافتى أن يبيدنا من هذا الغرور الذي يسطر الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بغسل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيان الراعي كما يقعد الصبي في للكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدي فيقول إن هذا وفق لما أخفناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلة ما وكان يسأله أنمو كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا قيل له كيف فعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجلوه شوري بينهم (١) » وذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض ولللك وعلماء الباطن زينة السماء ولللكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيعي يوماً إذا قلت من عندي لمن تجالس قلت المجاسي قال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على التكمين ثم لما وليت سمته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه . فان قلت فلم لم يورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مدمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة لمنسومة وهي من البدع كما سيأتي يانهو إما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بقول للقلات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزديها الطباع وتجبها الأصماع وبضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول وكان الحوض فيه بالكيفية من البدع ولكن تقرر الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبت جماعة لفقوا لها شها ورتبوا فيها (١) حديث قيل له كيف فعل إذا جاء أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبراني من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابد في الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه التور . ومن كلامه السركه في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد الزمان . ومن كلامه خج خج لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمع وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من التناء على الإمام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصاً إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدي ووالدي الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله اليندروس رضي الله عنه يقول إن أهل الزمان جمعت كلام الشيخ

كلانا مؤلفا فصار ذلك المنذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض النكفائيات وهو القدر الذي يقابل به المنتفع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سندكره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كسابق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لئلا ينجسهما كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثاني للنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام . والثالث الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انحدروا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من التكمليين ، وأهل البحث والنظر انحدروا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس يعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استعالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتغيرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات البدعة وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كاحداث حاجة الإنسان إلى استئجار البذرة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لوترك المنتفع هدياته لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم التكميم حده من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والتكميم إذا تجرد للمناظرة والدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند التكميم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم للكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومائتا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - فإن قلت قد رددت حد التكميم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش البدعة كما أن حد البذرة حراسة ألقسة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة للشهورون بالفضل ثم الفقهاء والتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه للزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في مناهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تنفل عن الصحابة وعلماء منصفهم قد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقديمهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقديمهم بالكلام والفقه بل يعلم الآخرة وسلك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكرة صيام ولا صلاة ولا بكرة رواية ولا قوى

عبد الله في الغزالي وصيته [ الجوهر التلالي ] خصوصا من كلام الشيخ عبد الله في الغزالي فلم يتيسر له وأرجو أن يوفقني الله لذلك تحقيقا لرجائه ورجاء أن يتناولني دعاء الشيخ عبد الله رضي الله عنه فإنه قال غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي وناهيك بيشارة في هذه البارة التي برزت من ولي عارف وقطب مكاشف لا يحازف في مقال ولا ينطق إلا عن حال وفي هذا من الشرف للغزالي وكتبه مالا يحتاج معه إلى مزيد - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - فإن العظيم لا يعظم في عينه إلا عظيم ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل وإذا تصدى المبدوس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف



ولا كلام ولكن جرى وقرئ صدره<sup>(١)</sup> كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصه في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدرر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس على تفضيحه وتعتيجه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في أحد بحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضما في عتقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالنا لا نعرض على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صيفا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عندنا شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذى وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالادب الذى مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيها هو للملك والفضل فيها هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقه والتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد اتسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وقواه وذو عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعمل بعلمهم ولأرادتهم وجه الله سبحانه بفتوهم ونظرهم فإن كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل علم علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه حاصل سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لأمه حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم الكاشفة وعمل مجرد وهو كمد السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أنتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عماله الله تعالى أو ا حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لجرد الاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يفنيك عن زحل

على أناس نقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين اتحلوا مذاهبهم ظنوم وأنهم من أشد خصماهم يوم القيامة فاتهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخر كما سبأني بيانه في باب علامات علماء الآخرة فاتهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلوم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقايين بعلوم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذى الحكيم النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعا .

وحصل من الأحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأ عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فحتمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبو بكر الميبدوس صاحب عدن ألزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الإحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله الميبدوس رضى الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعين الذين أكثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وقبها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جعلها على خصلة واحدة وهي التشمير والبالغة في تفاريع الفقه لأن الحصول الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شحروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهبات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحصول الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة . أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يحتم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يحتم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرايسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحواً من ثلث الليل لما رأته يزيد على خمسين آية فإذا كثرت لئانة آية وكان لا يمر بآية راحة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تمود فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يبدل اقتصاره على خمسين آية على تحره في أسرار القرآن وتدره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شيعت منذ ست عشرة سنة لأن الشيع يشغل البدن ويحس القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضرب صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمة في ذكر آفات الشيع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشيع لأجلها ورأس التبعيد لتليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسألة فسكت ف قيل له ألا تحب رحمة الله فقال حتى أدرى الفضل في سكوتي أوفى جوابي فانظر في مراقبته لسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لئيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فبصناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال زهوا أنما عنكم عن استماع الحنا كما تزهون السنك عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفه لسعد رادها كما شق بها قائلها . وقال الشافعي رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بشرة آلاف درهم فغضب له خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه لما يرجع من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاوة لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فغشى على الشافعي فقبل له قد مات فقال إن مات  
 قد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر  
 العباد والزهاد فقال لى عمر ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه  
 خرجت أنا وهو والحريث بن ليلى إلى الصفا وكان الحريث تلميذاً لصالح للرى فافتتح يقرأ وكان حسن  
 الصوت قرأ هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فرأيت الشافعي  
 رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول  
 أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك  
 رقاب المشتاقين إلهى هب لى جودك وجللى بسترى واعف عن تقصيرى بكرم وجهك قال ثم مشى  
 وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالمراق فعمدت على الشط أتوصلاً للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى  
 يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت  
 فى وضوئى وجعلت أتفق أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تملحنى بما علمك الله شيئاً  
 فقال لى أعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت  
 عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد  
 استكمل الايمان من أمر بالمعروف واتمى عن المنكر واتمى وحافظ على حدود الله تعالى  
 ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهداً وفى الآخرة راغباً وصدق الله تعالى فى جميع أمورك تتج مع  
 الناجين ثم مضى فسألت من هذا قالوا هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل  
 ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه - إنما غشى الله  
 من عباده العلماء - ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر  
 كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة  
 فيهما . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم للأئمة عنه . روى أنه سئل عن  
 الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عمدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء  
 اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب  
 فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء  
 تذكر فانك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة  
 الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه  
 عمله . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له حجب ومبغض فإذا  
 كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً  
 ورعاً وكان يسأل الشافعي رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال  
 للشافعي يوماً ما أفضل الصبر أو المحنة فإذا التمكن فقال الشافعي رحمه الله التمكن درجة الأنبياء ولا يكون  
 التمكن إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر ممكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام  
 ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته وامتحن سليمان عليه  
 السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً والتمكن أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف  
 فى الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكنته الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم -  
 الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين  
 إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون  
 الرجل عالماً قال إذا تحقق فى علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً فانه قيل

وسر نفس مصنفه  
 وحسن قصده والراد  
 بالكافر هنا فيما يظهر  
 الجاهل بصيوب النفس  
 المحجوب عن إدراك  
 الحق أى فيمجرد  
 مطالعته لا بكتاب  
 للذكور يشرح الله  
 صدره وينور قلبه  
 وذلك لأن الوعظ إذا  
 صدر عن قلب متعظ  
 كان حرياً أن يتعظ به  
 سامعه وكان الله تعالى  
 جعل لعباده الذين  
 لا خوف عليهم ولا هم  
 يحزنون رتبة فوق  
 غيرهم كذلك جعل  
 لما يبرز منهم ويؤخذ  
 عنهم بركة رائدة على  
 غيره لأن السنتهم كريمة  
 وأنوار قلوبهم عظيمة  
 ومهمهم عليّة وإشاراتهم  
 صافية حتى يكون للقرآن  
 أثر عظيم عند صماغه  
 منهم والأحاديث بهجة  
 وجلالة زائدة إذا  
 أخذت عنهم وللهو اعظ  
 منهم تأثير فى القلوب  
 ظاهراً ولعلومهم وقهمهم  
 أنوار ونفع متظاهر  
 حتى تجد الرجل له العلم  
 القليل وبعد ذلك  
 ينتفع به كثير لحسن  
 نفسه ووجود بركته

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجد أنه أمراً ظاهراً معهوداً وشيئاً مجرباً موجوداً فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتبنيه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العريه والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن ما حوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضعاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذا أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سر الإيمان لا بكثر الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثر الرواية إنما العلم نور يضعه الله في القلب. قلت ونما أنشده الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

لجاليوس إنك تأمر للدهاء الواحد بالأدوية الكثيرة المجهمة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتتمكن حديثه لأن الأفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وودت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كتبت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كتبت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لسان أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد قبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقطت من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الحاصلات الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضاً ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأي الرايون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة للدعوة وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من الشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعاؤه له قاله ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوه كل هذا الدعاء فقال أحمد يابن كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالغاية للناس فانظر هل لهن من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد يده بحبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله من وجل عليه من العلم ووقفه للسداد فيه ولتقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب قلناه من الكتاب الذي صنعه الشيخ نصر بن إبراهيم القدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين . وأما الامام مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضاً متجلياً بهذه الحاصلات الخمس فإنه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تسمى فالزومه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيتته واستعمل الطبيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث قليل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثر الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدال في الدين ليس شيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لأدري ومن رد غير وجه الله تعالى يعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحداً من على من مالك . وروى أن أبا جعفر النصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضر به بالباطل ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقاً حديثه ولا يكذب إلا متع بماله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهد في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفعها فلما أراد الرشيد الشخص قال مالك رحمه الله

ينبغي أن نخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على اللواط كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس القرآن فقال له أما حمل الناس على اللواط فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله افرقوا بعده في الأمصار فحدثوا عند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلافنا رحمة (١) » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفي خبيثا كما ينفي الكبر خبث الحديد (٣) » وهذه دنانير كاهي إن شتمت غزوها وإن شتمت فدعوها يعني أنك إنما تكلف في مفارقة المدينة لما اصطفت إلى فلا أو الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأمور الكثيرة من أطراف الدنيا لا تنشر علمه وأصحابه كان يغرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهد وقلة حبه للدنيا وليس الزهد قد لال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب ما كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه قلت لما لك رحمه الله ما أحسنه فقال هوها مني إليك يا أبا عبد الله قلت دع لنفسك منها دابة تركها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توبة تربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى أنه قال دخلت مروان الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى نسمع صياحنا منك اللواط قال قلت أ الله مولانا الأمير إن هذا العلم منك خرج فان أتم عززتموه عز وإن أتم أذلتموه ذل والدم يؤرق ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله فقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجهه تعالى يعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله مروة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحكي الليل كله . وروى أنه كان يحكي نصف الليل ثم يوافق طريق فأد إليه إنسان وهو يحكي فقال لا خرف هذا هو الذي يحكي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحكي الليل كله وأنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة قدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على الليل فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل المذاب . قال الحكم هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختر عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذاب أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخداقيرها فقرضاها . وروى محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر للنصر بمائة ألف درهم قال فما رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصلوة ثم تفتى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضموا المال في هذا الجراب في زاوية اليد

(١) حديث اختلاف أمي رحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسندته في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة وأسندته ضعيف (٢) حديث للدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث المدينة تنفي خبيثا الحديث متفق عليه حديث أبي هريرة .

أخى انقبه والزم سلوك الطرائق وسارع إلى اللوى بمجد وسابق أيا طالبا شرح الكتاب وسنة وقانون قلب القلب بحر الرقائق وإيضاح منهج الحقيقة مشرق وشرب حياصفو راح الحقائق وإجلال أذكار المعاني ضواحاك يا هاج حسن جذاب للخلائق عليك باحباء العلوم ولها وأسرارها كم قد حوى من دقائق وكم من لطيفات لدى القلب منهل وكم من مليحات سبت لب حاذق كتاب جليل لم تصنف قبله ولا بعده مثل له في الطرائق فكلم من بديع اللفظ يجل مرثاسا وكلم من فموس في حماء خوارق معانيه أنصت كالبدور سواطها

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه إذا مت ودفتنوني فخذ هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديتلك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أيك فلقد كان شجاعاً على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصليح لهذا فقيل له لم فقال إن كنت صادقاً فما أصليح لها وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جرير قد بلغني عن كوفيك هذا الثمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضاع الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فاتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعاً من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر . وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بغرور الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء والأمان أو يثمرها علم آخر أظن وأنسرف منه وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يعمد العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموماً وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها ( بيان علة ذم العلم المذموم ) لعلمك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤدياً إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قبره وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حساسية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص السحور ويرصده وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص السحور ومعرفة هذه الأبواب من حيث إنها معرفة ليست بمنومة ولكنها ليست تصلح إلا للضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علماً مذموماً بل من اتبع ولما من أولياء الله ليقته وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن عمله لم يحز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قيمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

### ( الباب الثالث )

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

على در لفظ المعاني  
مطابق  
وكم من عزيزات زهت  
في قبائها  
محبة عن غير كفه  
مسابق  
وكم من لطيف مع بديع  
ونعفة  
حلاوتها كالشهد تحلو  
لذائق  
بساتين عرفان وروص  
لطائف  
وجنة أنواع العلوم  
القوائق  
رعى الله صباراً لعاني  
جناتها  
يروح ويندو بين  
تلك الحقائق  
وبه ظف من ذاكي  
جناها فواكها  
بساحل بحر الجواهر  
دافق  
خضم طمى حتى علا  
فوق من علا  
بشامخ مجد مشرق  
بالحقائق  
فان لم بهذا القول  
تؤمن فجر بن  
وأقبل على تلك المعاني  
وعائق  
وراجع طرفاً في بديع  
جمالها  
وطف حياها منعدا  
كل سابق

تري في بدور الحى  
أقار قد بدت  
بألى جمال مدهش  
لب عاشق  
فكم أنهلت صبا وكم  
قشفت عسى  
وكم قدسعت في غربها  
والشارق  
فيضحي براح الحب  
سكران مغرما  
أصم عن المذال غير  
موافق  
وعسى يناديها طريقا  
يأبها  
منعم عيش في الربوع  
العواقب  
صلاة على سر الوجود  
شفيعا  
محمد المختار خير الخلائق  
وأصحابه أهل الكارم  
والعلا  
وعثرته وراث علم  
الحقائق  
[فصل] وأما أنكر  
عليه فيه من مواضع  
مشكلة الظاهر وفي  
التحقيق لا إشكال أو  
أخبار وآثار تكلم  
في سندها فأما من  
جهة تلك اللواضع  
لمن أجاب عنها  
المصنف نفسه في كتابه  
للمسمى (بالأجوبة)  
وأسوق لك نبذة من

عاد كالرجون القديم . . . والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو  
يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض وهو معرفة لجارى سنة الله تعالى وعادته  
في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت  
النجوم فأمسكوا وإذا ذكرت أمهات فأمسكوا » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتي بعدى  
ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر » (٢) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا  
من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإنما جرحه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضر  
بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في توهمهم أن الكواكب  
هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية وعظم وقعها في القلوب فيقلب القلب ملتفتا إليها  
ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهة ما وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يصير  
نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه  
وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقب طلوع الشمس مثال الخلة لو خلق لها عقل  
وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها  
إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر للريد  
ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من  
الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النسي عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس  
يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظاهرا فالحكم به حكم مجمل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل  
لا من حيث إنه علم فلو كان ذلك معجزة لا دريس عليه السلام فيها عجي وقد اندرس وأتمحى ذلك العلم وانمحى  
وما يتفق من إصابة النجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل للسبب عقبتها إلا  
بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى الأسباب وقعت  
الإصابة وإن لم يقدر خطأ ويكون ذلك كتحمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى القيم  
يجمع وينبئ من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحكى النهار بالشمس ويذهب القيم وربما يكون  
بخلافه ويجرد القيم ليس كافيا في عجي للطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين اللامح أن السفينة  
تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة في الرياح وتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب  
في تخمينه وتارة يخطئ ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقول أحواله  
أنه خوض في فضول لا يفي وتضييع العمر الذي هو أنف بضاعه الإنسان في غير فائدة وذلك غاية الحسرة أن  
« قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس يجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة  
فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر » (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم  
« إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض في النجوم وما يشبه اقتحام خطر  
وخوض في جهالة من غير قائمة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة  
ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من سنة وأربعين جزءا من

- (١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد حسن  
(٢) حديث أخاف على أمتي بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي مجبر  
باسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس يجتمعون فقال ما هذا فقالوا  
رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث ، إنما العلم  
آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .



النوبة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الحائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليلها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها ووردهم إلى ما نطق به الشرع في ذلك مقنع للوفق فكف من شخص خاص في العلوم واستغنى بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل يرب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لاتلد فحس الطبيب نبضها . وقال لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت للارأة الخوف العظيم وتنص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لاتأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيته حية وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لاتمزل إلا بخوف اللوت غرقها بذلك حتى هزلت وزال السانع من الولادة فهذا ينهك على استثمار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع » (١) فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بخائعا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابه رضى الله عنهم واتصروا على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر الحجج برأيك ومقولك . ودليلك وبرهانك وزعمك أتى أبحت عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأى ضرر في التفكير في العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في العلاجات يستبعد ما من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تحكم على سنتهم بمقولك قهرك فكف من شخص يصيبه عارض في أصعبه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطل الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم فكيفية انعشاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته لا حاطة بها كأن في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالمعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لعصفاء القلوب وتفتائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وتمريضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكأن القول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإنما كانت التجربة تطرق إليها لورجح إليها بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة القريبة إلى الله تعالى زلني وعن الأعمال البعيدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فأعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تووذا وقد تقدم .

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقبها وقرب لك مقامات الأولياء نحل معاليها عن بعض ما وقع في الاملاء للقلب بالأحياء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفز به من الحظوظ الملك قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الظنم وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأنقوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومنابدته ونسبوا عليه إلى ضلال وإضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزيع عن التريفة واختلال إلى أن قال ستكتب شهدائهم ويسألون وسيعلم الدين ظلموا أى منقلب ينقلبون . ثم ذكر آيات أخرى في النفي ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر للمعرضين



« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا <sup>(١)</sup> » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم <sup>(٢)</sup> » وقال عيسى عليه السلام ما أ كثر الشجر وليس كلها يثمر وما أ كثر الثمر وليس كلها بطيب وما أ كثر العلوم وليس كلها بنافع .

### بيان ما يدل من ألقاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم للذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها وتقلها بالأفراض الفاسدة إلى معان غير ما أرادها السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألقاظ الفقه والمسلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسماء محمودة والتصفون بها أرباب الناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشوع إطلاق هذه الأسماء عليهم . اللفظ الأول الفقه قد تصرفوا فيه بالتخصيص بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الفرية في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تسقا فيها وأ كثر اشتغالا بها يقال هو الأ فقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل - ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعناق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقبى القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من التجردين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولمعنى إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يشكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال فقه خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عديم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكما فقهاء <sup>(٣)</sup> » للذين وفدوا عليه « وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أقفه فقال أتفاهم الله تعالى فكانه أشار إلى عمرة الفقه والتقوى عمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقهاء كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه <sup>(٤)</sup> » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم مع قوم يدكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعنت أربع رقاب <sup>(٥)</sup> » قال فالتفت إلى زيد الرقائبي وزيد

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود ومن حديث بريدة وفي اسناده من مجهول (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجده أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث علماء حكما فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث صويد بن الحرث باسناد ضعيف (٤) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي . وقال ابن عبد البر أ كثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقدم مع قوم يدكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن .

بما يرجع حاصلها إلى الحمد وإلى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والاضرار ومحبة الدنيا واطهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمنه أخبارا وأثارا موضوعا أو ضعيفا واكتاره من الأخبار والآثار والإكثار يتحاشى منه التورع لئلا يقع في الموضوع . وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن المهين الحافظ العراقي أن أ كثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخرير وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا صيغة روى منه بنحو وأما الاعتراض عليه أن فيها ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل

الغبرى وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث  
سردا إنما كنا نضعه فذكر الإيمان وتدبر القرآن وتنقحه في الدين ونعد نعم الله علينا تنقها فسمى تدبر  
القرآن وعدنا نعم تنقها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه المبدكل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى  
يرى للقرآن وجوها كثيرة (١) » وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضى الله عنه مع قوله ثم قبل على  
نفسه فيكون لها أشد مقنا وقد سأل فرقد السبخى الجبس عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك  
قال الحسن رحمه الله شككتك أمك فريد وهل رأيت قهبا بينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب  
في الآخرة البصير بدينه للداوم على عبادة ربه الورع الكفاف نفسه عن أعراض السليين الضيف عن  
أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن  
متاولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستنباع فكان  
إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبس بمت الناس على التجرد له والأعراض  
عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل بعسير  
والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالس تحسين ذلك في القلوب  
بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثانى العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم  
بأنه تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد  
مات تسعة أعمار العلم فمره بالالف واللام ثم فسر العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص  
حتى شهوره في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على  
الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة  
أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله  
تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم  
جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم اللذهب وغيره  
وصار ذلك سببا مهلكا لحلق كثير من أهل الطلب للعلم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن  
عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشديق  
فيها تنكير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائف منهم بأنفسهم بأهل المدل والتوحيد  
وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعات يمكن يعرف منها شيء في  
العصر الأول بل كان يشتد منهم التنكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمارة فأما ما يشتمل عليه  
القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فقد كان ذلك معلوما لكل  
وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن  
فهموه لم تصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط  
فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى نمراته التوكل كما سيأتى بيانه في  
كتاب التوكل ومن نمراته أيضا ترك شكايه الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت  
إحدى نمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطيب  
أمرضى وقول آخر لما مرض قيل له ماذا قال لك الطيب في مرضك فقال قال لى إني ضال لما أريد

(١) حديث لا يفقه المبدكل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبيد البر من حديث  
شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وسبأ في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن القلب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأعملوا القلب بالكلية بالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من النفاق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش للتدعة . والثالث وهو الباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاتة عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفردها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه قد أخذ هواه معبوده قال الله تعالى - أفرأيت من أخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى »<sup>(١)</sup> وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس بعباد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آتائه فيتبع ذلك الميل ويميل النفس إلى الألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الشكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا متصفا في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهي وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وهو أول كذب يفتاح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فانه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون التوجه إليها متوجها إليه . تعالى عن أن تجده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب للتعبده فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمضى وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالوحيد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر »<sup>(٢)</sup> وفي الحديث « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا إلى بيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم »<sup>(٣)</sup> فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطع والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم نسيارة.

مصنفاته إلى القرب أمر سلطانه على بن يوسف بأحراقها التوجه اشتغالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره في مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد في عكس ونكد بعد أن كان عادلا .

[خاتمة في الإشارة إلى ترجمة للصف رضى الله عنه وعنا به وفيها بملومه وأسراره وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضى الله عنهم]

أما ترجمته رضى الله عنه فهو الإمام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الذي انتشر فضله في الآفاق وفاق ورزق الحظ الأوفر في حسن التصانيف وجودتها والنصيب الأعظم في جزالة العبارة وسهولتها

وحسن الإشارة وكشف  
 للصلوات والتجهر  
 أصناف العلوم فروجها  
 وأصولها ورسومها  
 أقدم في منقولها  
 ومعقولها والتحكم  
 والاستيلاء على إجمالها  
 وتفصيلها مع ما خسه  
 الله به من الصكرامة  
 وحسن السيرة  
 والاستقامة والزهد  
 والعزوف عن زهية  
 الدنيا والاعراض عن  
 الجهات القانية  
 والطراح الحشمة  
 والتكلف قال الحافظ  
 العلامة ابن عساكر  
 والشيخ غيف الدين  
 عبد الله بن أسعد  
 اليافعي والقيه جمال  
 الدين عبد الرحيم  
 الأسنوي رحمهم الله  
 تعالى ولد الامام القزالي  
 بطوس سنة خمسين  
 وأربعمائة وابتدأ بها  
 في صباه بطرف من  
 الققه ثم قدم نيسابور  
 ولزم دروس إمام  
 الحرمين وجد واجتهد  
 حتى تخرج في مدة  
 قريبة وصار أنظر أهل  
 زمانه وأوحد أقرانه  
 وجلس للأقران وإرغاد  
 الطلبة في أيام إمام

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني إلا القصاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولولا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر قلت نهى الأمير القصاص أن يموا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنا في سنتوانت في كذب أنا الأعمش وما حدثت بك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال : وأخرج على رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج به إذ كانت يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبية على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعماته وتقدير العبد في شكره ويعترف حقارة الدنيا وعبوبها وتصرمها ونكت عيبتها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المأمود شرعا الذي يروى الحديث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله من قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالمعلم (٢) » وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس الله وقد أخذ للزخرفون هذه الأحاديث حجة على تركية أنفسهم وتلقوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الله فكر المأمود واشتغلوا بالقصاص التي تطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع معامه ومنها ما يضرون إن كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضرار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس إلى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فليست أرى به بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال توشى إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تمنى عليها فان العاصي يتصمم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمجد نفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض الشايع وبعض الأكابر فكلنا بصدد المعاصي فلا ضرر وإن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني وفيه ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المذنبين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المأمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويؤمن أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد كره تكلف الجمع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد جمعه يسجع هذا الذي يفضلك إلى لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر  
 بإسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في  
 الباب الأول .

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلات « إياك والسجع يا ابن رواحة » (١) فكان السجع المذمور التكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين « كيف ندى من لا شرب ولا كل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل قال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع الأعراب » (٢) وأما الأشعار فكثيرها في الواعظ منموم قال الله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علنناه الشعر وما ينبغي له - وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المشوق وروح الوصال وألم القراق والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشعونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور اللبقة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتغل فيها نيران الشهوات فيزعمون ويتواجدون وأكثرت ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استنباط واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٣) ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الإطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضرون معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن السجع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السجع ولذلك كان الجليل رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلاً فإن كثروا لم يتكلم وماتم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة بابدار ابن سالم فقل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم الخواص . وأما الشطح فعنى به صنفين من الكلام أحدهما بعض الصوفية . أحدهما الدعوى الطويلة المريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المتني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الانحداد وارتفاع الحجاب والشاهدة بالرؤية والشافهة بالحطاب فيقولون قيل لنا كذا وقنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق . وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك اللقائات والأحوال فلا تنجز الأغنياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله بما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه قتلته أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن مع ذلك منه فلمه كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام رده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها باطل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

وصنف وكان الامام يتبع به ويستد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محطاً لرجال العلماء ومقصد الأئمة والفضلاء ووقع للإمام الغزالي فيها اضافات حسنة من مناظرة القبول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فصار إليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان ولترفعت درجته في بغداد على الأسراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة مستغلاً بأسباب التقوى وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولا ابن حبان واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس (٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث المنيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب .

إليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التي من تأملها عرف محل مصنفها من العلم قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الشئائيل حتى مرن على ذلك ثم هاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح المباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ووفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انحلع عنه من الجاه واللباهة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والصوف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسة مائة خسه الله تعالى بأنواع الكرامة في أخراة كما خسه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للفرزالي ثلاثة أيام على ما حكى في كرامات

خبط في عقله وتشويش في خياله لقله إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقله ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله (٢) » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يلغى عقل السامع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون السامع فلا محل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضلوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن الحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كمكاديب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا يضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيهه على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكينا من مذاهبهم في كتاب المستظهرى للصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكل عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فيزنى أن يلقه وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن في السحور بركة (٣) » أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره النقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتزويل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كآبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين واللائكة مما لم يدرك بالهس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا (٤) » واهلوا إلى الغذاء المبارك (٥) فهذه أمور تدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم القليل في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرىاء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٢) حديث كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفا على طريق أبي نعيم (٣) حديث تسحروا فإن في السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور رواه البخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغذاء المبارك أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث المرباض بن سارية وضعفه ابن القطان .

الشيخ السيد العمودي  
 شفع الله به وذكر  
 الشيخ عفيف الدين  
 عبد الله بن أحمد  
 اليافعي رحمه الله تعالى  
 باسناده الثابت إلى  
 الشيخ الكبير القطب  
 الرباني عهاب الدين  
 أحمد الصياد اليمني  
 الزبيدي وكان معاصرا  
 للزالي شفع الله بهما قال  
 بينا أنا ذات يوم قاعد  
 إذ نظرت إلى أبواب  
 السماء مفتحة وإذا  
 عصابة من الملائكة  
 الكرام قد نزلوا معهم  
 خلع خضر ومركوب  
 قميص فوقوا على قبر  
 من القبور وأخرجوا  
 صاحبه وألبسوه الخلع  
 وأركبوه وصعدوا به  
 من سماء إلى سماء إلى  
 أن جاوز السموات  
 السبع وخرق بعدها  
 ستين حجابا ولا أعلم  
 أين بلغ انتهاء فسألت  
 عنه فقيل لي هذا الإمام  
 الزالي وكان ذلك  
 عقيب موته رحمه  
 الله تعالى ورأى في  
 اليوم السيد الجليل  
 أبو الحسين الشاذلي  
 رضي الله عنه النبي  
 صلى الله عليه وسلم وقد

بالتواتر والحس بطلانها فلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل  
 ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن  
 الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسد  
 القرآن برأيه فليقبوا مقعده من النار » (١) معنى إلا هذا الخط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أم  
 وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويعمله عليه من غير أن يشهد لتزييله عليه دلالة لفظية لقوله  
 أو قلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما مثل فيه  
 عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه  
 وسلم فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا  
 قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه « اللهم قفه في الدين وعلمه التأويل » (٢) ومرو  
 يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد به  
 دعوة الخلق إلى الخلق يضاها من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المأمور من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على  
 متعمدا فليقبوا مقعده من النار » (٣) بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم لأنها مبطلات للغة  
 بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكيفية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي  
 الخلق عن العلوم المحمودة إلى الذمومة فكل ذلك من تلبس علماء السوء بتبديل الأسماء فإن اتبعت  
 هؤلاء اعتادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف  
 بالحكمة باتباع من يسمى حكما فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم في هذا العصر  
 وذلك بالغلظة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب  
 والشاعر والنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هم  
 التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خير  
 كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (٤)  
 فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاعتراض  
 بتلبسات علماء السوء فإن شرم على الدين أعظم من شر الشياطين إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى  
 انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا « لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أي وقال اللهم  
 اغفر حق كرروا عليه فقال هم علماء السوء » (٥) فقد عرفت العلم المحمود والذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليقبوا مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس  
 وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٢) حديث اللهم قفه  
 في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل  
 وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من كذب  
 على متعمدا فليقبوا مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلى وأنس (٤) حديث  
 كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا . تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق  
 أي وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل وهو  
 ضعيف ورواه البراز في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .



بإي موسى وهيسى  
عليهما الصلاة والسلام  
بالامام الغزالي وقال  
ألى أمتك حبر كهذا  
قال لا وكان الشيخ  
أبو الحسن رضى الله  
عنه يقول لأصحابه  
من كانت له منكم إلى  
الله حاجة فليتوسل  
بالغزالي وقال جماعة  
من العلماء رضى الله  
عنهم منهم الشيخ  
الامام الحافظ ابن  
عساكر فى الحديث  
الوارد عن النبي صلى  
الله عليه وسلم فى أن  
الله تعالى يحدث لهنه  
الأمه من مبدء لها دينها  
على رأس كل مائة سنة  
أنه كانت على رأس  
المائة الأولى عمر بن  
عبد العزيز رضى الله  
عنه وعلى رأس المائة  
الثانية الامام الشافى  
رضى الله عنه وعلى  
رأس المائة الثالثة  
الامام أبو الحسن  
الأشعرى رضى الله  
عنه وعلى رأس المائة  
الرابعة أبو بكر  
الباقلانى رضى الله عنه  
وعلى رأس المائة  
الخامسة أبو حامد  
الغزالي رضى الله عنه

وإليك الحيرة فى أن تتظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صرح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء » قيل ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسدته الناس من سنن والدين يحبون ما أماتوه من سنن <sup>(١)</sup> وفى خبر آخر « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم <sup>(٢)</sup> » وفى حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يفضهم فى الخلق أكثر عن يجمعهم <sup>(٣)</sup> » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمتنع ذكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مهمل لأنهم إن نطق بالحق أبغضوه .

### ( بيان القدر الممجد من العلوم الممودة )

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليل وكثيره وقسم هو محمود قليل وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم محمدهم مقدار الكفاية ولا يعمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يعمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يعمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن القدير لا يعمد فيه وهو بذل كالشجاعة فإن التهور لا يعمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليل وكثيره هو مالا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يوجب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لافائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه وإضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرق الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم الممجد إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللوصول به إلى سعادة الآخرة وبذل القدر فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحامون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والرأسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم للكون الذى لا يسطرفى الكتب ويعين على التنبيه للنعم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى أول الأمر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريجه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لاغنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لافتحها سواها . وأما العلوم التى لا يعمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروع الكفايات فإن فى كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأمم التى أهملها السلك علم صفات القلب وما يعمد منها وما يذم إذ لا ينفع

(١) حديث بدا الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وهو بتأمله عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم يقول فى وصف الغرباء لم أر له أصلا (٣) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .



بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإمالتها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدمامل والتهاون باخراج اللادة بالقصد والاسهال وحشوية الطلاء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلاء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابها وقلع ممارسها من القلب وإنما فرغ الأكترون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستعصاب أعمال القلوب كما يفرغ إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في اللواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنية وعلاجها على ما فصلناه في ربيع المهلكات ثم ينجز بك ذلك إلى التمامات الممودة المذكورة في ربيع النجيات لأعماله فإن القلب إذا فرغ من الذنوم امتلأ بالهمود والأرض إذا تبت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيا وفي زمرة الخلق من قد قام بها فإن مهلك نفسه فيها به صلاح غيره فها أشد حماقة من دخلت الأفاعى والقارب تحت ثيابه ومهت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الدباب عن غيره ممن لا يفيده ولا ينجي بما يلاقيه من تلك الحيات والقارب إذا مهت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرا وقدرت على ترك ظاهر الآثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها فابتدى بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلوم القرآن من علم الناسخ والنسوخ والفصول واللوصول والحكم والتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالقرع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فباشر علم الإلوه اقصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتيسر بها غيرها فالإقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في القدر كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالإقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفى فيه بما تحمله عنك من قبلك ولاك أن تقول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصيله تحصيل لا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في السندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالإقتصار فيه على ما يحويه مختصر للزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فقصوده حماية المعتقدات التى قلبها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

روى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الامامين الأولين أعنى عمر بن عبد العزيز والشافعى ومنافقه رضى الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه مقنع وبلاغ ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلصة فى الفقه وإحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجملها وله فى أصول الفقه المستقصى والنحول والمتحل فى علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والفتنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار وللنقد من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التاويل فى تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب مناجى العابدين والذرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس فى الوحدة وكتاب القرية إلى الله عز وجل

وكتاب أخلاق الأبرار  
والنجاة من الأشرار  
وكتاب بداية الهداية  
وكتاب جواهر القرآن  
والأربعين في أصول  
الدين وكتاب القصد  
الأسنى في شرح أسماء  
الله الحسنى وكتاب  
ميزان العمل وكتاب  
القسطاس المستقيم  
وكتاب التفرقة بين  
الاسلام والزندقة  
وكتاب الذريعة إلى  
مكارم الشريعة وكتاب  
للبادئ والنايات وكتاب  
كيمياء السعادة وكتاب  
تلبس إبليس وكتاب  
نصيحة للولك وكتاب  
الاقتصاد في الاعتقاد  
وكتاب شفاء العليل  
في القياس والتعميل  
وكتاب المقاصد وكتاب  
إلجام العوام عن علم  
الكلام وكتاب  
الاتصار وكتاب الرسالة  
الدينية وكتاب الرسالة  
القدسية وكتاب  
إثبات النظر وكتاب  
للاخذ وكتاب القول  
الجليل في الرد على من  
غير الانجيل وكتاب  
للسظهري وكتاب  
الأمالي وكتاب في علم  
أعداد الوفق وحدوده

حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاتصار منه بمعتقد مختصر  
وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر  
مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة  
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العاصي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما  
للمبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً قلما ينفع معه الكلام فانك إن أنعمته لم يترك مذهبه  
وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة  
المجادلة وأما العاصي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب  
للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من  
آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين ازدراء والاستحقار  
فتنبث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى  
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلو لا في معرض  
التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يمتثل الأتباع مثل  
التعصب والتمسك والشم للخصوم اتخذا التعصب عادتهم وآتهم ومموه ذبا عن الدين ونضالا عن  
السلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس . وأما الخلافات التي أحدثت في  
هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يسهل مثلها في السلف  
فاياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذي يرد الفقهاء كلهم إلى  
طلب المناقصة واللباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتنا وهذا الكلام ربما يسمع من قائله  
فيقال الناس أعداء ماجهولوا فلا تظن ذلك فلي الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر  
فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصليفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألمهم الله رشده وأطلمه على عيه فهجره  
واشتغل بنفسه فلا يترك قول من يقول الفتوى عماد الشريعة ولا يعرف علله إلا يعلم الخلاف فان  
علل للذهب مذكورة في للذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم  
بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم للذهب ضارة مفسدة لدوق الفقه فان الذي  
يشهد له حدس الملقى إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمحيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن  
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لدوق الفقه وإنما يشتغل  
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتمثل بأنه يطلب علل للذهب وقد يتقضى عليه العمر ولا  
تصرف همه إلى علم للذهب فكان من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم  
أراحوا شياطين الجن من التبع في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر  
نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيها  
ينبيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام  
فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفع فيها ، وقال  
طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث « ماضل  
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » (١) ثم قرأ سماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون -  
وفي الحديث في معنى قوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ - الآية « هم أهل الجدل الذين عنانهم

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذي وابن ماجه من حديث أبي  
أمامة قال الترمذي حسن صحيح .

الله بقوله تعالى فاحذروهم<sup>(١)</sup> » وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يخلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار « إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل<sup>(٢)</sup> » وفي الخبر المشهور « أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الحصم<sup>(٣)</sup> » وفي الخبر « ما أوثق قوم للنطق إلا منعوا العمل<sup>(٤)</sup> » والله أعلم .

( الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل

آفات للناظرة والجدل وشروط إباحته )

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولها الخلفاء الراشدون للهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامهم وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن الشاوره ففرض العلماء لعل الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما تسئل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على صحت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلاات منهم ففهم من حرم ومنهم من أتيح والنجاح لم يخل من ذلك الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالين وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالأقبال عليهم إلا من وقفه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فملمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فوائدهم المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم التدب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقليد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الحوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وقون العلم واثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير عللذهب وتعميد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عني الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الحصم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوثق قوم للنطق إلا منعوا العمل لم أجده أصلا .

وكتاب مقصد الخلاف وجزء في الرد على للسكرين في بعض ألفاظ إحياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة . وقال بمدحه تليفه الشيخ الإمام أبو العباس الأتليشي المحدث الصوفي صاحب كتاب النجم والكواكب : أيا حامدا أنت المخصص بالمجد

وأنت الذي علتنا سنن الرشد

وضعت لنا الإحياء تحي نفوسنا

وتقذرتنا من طاعة النازغ الردى

فربيع عبادات وعاداته التي

يعاقبها كالدور نظم في العقد

ونالها في المهلكات وأنه

لمنج من الهلك البرج والبعد

ورابعها في النجيات وأنه

ليسرح بالأرواح في جنة الخلد

ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر

ومنها صلاح للقلوب من الجهد

ورتبوا فيها أنواع المجدالات والتصنيفات وهم مستمرين عليه إلى الآن ولنا ندرى ما الذي يحدث  
الله فيها بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والمناظرات لا غير ولومالت  
نقوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لالوا أيضا معهم  
ولم يسكتوا عن التملل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .  
( بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف )  
اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن فرضنا من المناظرات للباحث عن الحق ليتضح  
فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة  
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كمشاورهم في مسألة الجدة والاخوة وحد شرب الخمر وجوب الغرم على  
الإمام إذا أخطأ كما قل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما قل من مسائل  
الفرائض وغيرها وما قل عن الشافعي وأحمد وعبد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء  
رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين  
ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل : وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ  
من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو  
ككذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول فرضي أسترعورة  
من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر  
التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمر هي فرض عين بالاتفاق ومن  
توجه عليه رد وديعة في الحال قمام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفي  
في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني  
أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال  
من يرى جماعة من المطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم  
الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل  
له في البلد جماعة من الحجاجين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية  
فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملة بجماعة المطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة  
وفي البلد فروض كفايات مهجلة لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بل من جملة الفروض  
المهجلة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد  
شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون الناظر في مجلس مناظرته  
مشاهدا للحريز ملبوسا ومفروشا وهو ساكت وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقت قام  
بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى  
أنس رضي الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه  
السلام إذا ظهرت المداينة في خياركم والفاحشة في شراركم ونحو الملك في صغاركم والفق في أراذلكم » (١)  
الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمنذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

#### ( الباب الرابع )

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه  
باسناد حسن

من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيها يسئل عنه ناقلًا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجوز له أن يتركه فأى فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فأى لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى الناظر جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع أن لا يناظر إلا في مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجد من الوقائع أو ما يظن وقوعه كالقراض ولا ترى الناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيسمع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون الطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أولأنها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام . والقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون المناظرة في الخلوّة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فان الخلوّة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله وأن الواحد منهم يغلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يبادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو الشخص بالكلام . السادس أن يكون في طلب الحق كناشدا ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يدهم يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا هرفه الخطأ وأظهر له الحق كالأخذ طريقا في طلب ضالته فبها صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الجبرين أظنهم وكذلك لماسبل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فله لم يفرقهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود أنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يغجل به وكيف يجتهد في مجادته بأقصى قدرته وكيف يذم من أخفه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق . السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل البتة فيها له وعليه كقوله هذا لا يلزمي ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

للمدة فابتدرت لاجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك قلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوقفا منه ولملتحيا إليه اعلوا أحسن الله ارشادكم وألأن إلى قبول الحق انقيادكم أن اختلاف الخلق في الأديان واللل ثم اختلاف الأئمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق ضيق فيه الأكثرون وما عجمته إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجي كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل في عنقوان شباني مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الحسين أقنعت لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحدور وأتوغل في كل مظلة وأهجم على كل مشكلة وأتفحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار

مذاهب كل طائفة  
لأميز بين كل حق  
ومبطل ومستن  
ومبتدع لأغادر باطنيا  
إلا وأحب أن أطلع  
على باطنيته ولاظهاريا  
إلا وأريد أن أعلم  
حاصل ظاهرته ولا  
فلسفيا إلا وأقصد  
الوقوف على فلسفته  
ولا متكلما إلا وأجهد  
في الاطلاع على غاية  
كلامه ومجادلته ولا  
صوفيا إلا وأحرص  
على الثور على سر  
صوفيته ولا متعبدا  
إلا وأريد ما يرجع  
إليه حاصل عبادته ولا  
زنديقا معطلا إلا  
وأجسس وراءه للتنبيه  
لأسباب جرائمه في  
تمطيله وزندقته وقد  
كان التعطش إلى درك  
حقائق الأمور دأبي  
وديدني من أول  
أمرى وريمان عمرى  
غريزة من الله وفطرة  
وضعه الله في جيلتي  
لاباختياري وحيلى  
حتى انحلت عن رابطة  
التقليد وانكسرت  
عنى العقائد المروية  
على قرب عهد منى  
بالصبا إذ رأيت صبيان

ترى أن جميع المجالس تنقضى في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معمل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصير المعارض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرقها ولا أذكرها إذ لا يلزمنى ذكرها ويقول المستدل عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المعارض على أنه لا يلزمه ويتوخي مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إني أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمنى كذب على الشرع فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه السلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم لثبوت قوله لا يلزمنى أى في شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التنبيه والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمنى وإلا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهاى هذا الجنس وهل منع أحدهم الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابرخوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم علما في ترويع الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر الله ومن يناظر لعله . واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مسام للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك تمت الشيطان به لما غسه فيه من ظلمات الآفات التى تعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

( بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق )

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشديد عند الناس وقصد البهاة والمارة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق الذمومة عند الله المحموده عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والبهاة دعاه ذلك إلى إضمار الحباث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق الذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) ولا ينفك الناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فإدام يبق في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن .

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو في العذاب في الدنيا وللعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خدوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايبون كما تتغايب التيوس في الزرية ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله »<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته »<sup>(٢)</sup> ولا ينفك الناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم إلى الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل النبي والكار الخداع منهم بأنه ينهى صيانة عز العلم « وأن المؤمن منى عن الإذلال لنفسه »<sup>(٣)</sup> فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر للمقوت عند الله بعز الدين عزيفا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحقد فلا يكاد الناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بمحمود »<sup>(٤)</sup> وورد في ذم الحقد ما لا يحصى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصفاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إظهار الحقد وترتيبه في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا عمالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إرادته وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة بمبالاة بكلامه انقرب في صدره حقد لا يقلمه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل اللثة ولا يزال الناظر مثابرا على كل اللثة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيها يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا عمالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه وتقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لمرض من يمرض من كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحمالة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تزكية النفس . قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ قال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو الناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء الناظرة عن قوله لست بمن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا التفتن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يصدها ذخيرة لنفسه في إفصاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردائى والعظمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء ردائى من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذى ومحمه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بمحمود لم أصف له على أصل .

النصارى لا يكون لهم نشء إلا على التصبر وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الإسلام ومممت الحديث للروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فتحرك باط إلى طلب الفطرة لأصلية وحقيقة المقائد العارضة بتقليد الوالدين والأساتذيين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها من الباطل اختلافات قللت في نفسى أولا إعمالا مطلوبى العلم بحقائق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى يشكف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط كالوهم ولا يتبع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا لنقص مقارنته ولو تحدى



وتعجبه إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فصاه يستر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهة عرض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويصد من لطائف التسبب ولا يتمتع عن الانصاح به إن كان متبجعا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر الناظرين للمدودين من فحولهم ومنها القرح لساءة الناس والتم لمسارهم ومن لا يجب لأخيه للملم ما يجب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب البهاة بظهار الفضل يسه له محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى الناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتسامح في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمنه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب التلبه واللباهة هيئات هيات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق الناظرين ويرثك عن أخلاق المؤمنين والتقنين . ومنها اتفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فاتهم يلقون الخصوم وعبيهم وأشياهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور وتفاق وفجور فاتهم متوددون بالأسنة متباغضون بالقلوب نموذ بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالأسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرجام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم (١) » رواء الحسن وقد صرح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على للمارة فيه حتى إن أبغض شيء إلى الناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى يصير المارة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من اقترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى - ومن أظلم ممن اقترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استماله قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء المضال الذي يدعو إلى أكبر الكناثر كاسياني في كتاب الرياء والناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات القواحي الباطنة سوى ما يتفق لغير التماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب والسك والظلم وتزريق الثياب والأخذ باللحي وسب الوالدين وشم الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

بأظلم بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهابا والمصا ثعبانا لم يورث ذلك شكوا وإمكانا فاني إذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لي قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أتى قلب هذه المصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك في معرفتي لكذبه ولم يحصل معنى منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه وأما الشك فما علمته فلا ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم قننت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحيات والضروريات قننت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المستيقنات إلا من الجليات وهي الحيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولا

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالأسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان بأساند ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذى وابن ماجة من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذى حسن .



ليسوا معدودين في زمرة الناس المعبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الحصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشتة ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله القارين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الحصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحسب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة واللباهة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالحيول والراكب والياب المظورة والاستحقار للناس بالفقر والخيلاء والحوض فيما لا ينفي وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري للصلى منهم في صلاته ما صلى وما الذي يقرأ ومن الذي يناجي ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تبين في الناظرة مع أنها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تخصي والناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جل من مواد هذه الأخلاق وإنما غاية إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلم الذهب والفضة إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يحمل العالم بل يهلكه هلاك الأبدي أريحه حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضربه مع أنه لم ينفعه وليته نجاسه رأساً برأس وهيئات هيئات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك للؤبد والتميم السرمد فلا ينفك عن الملك أو المملك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لا بد من لزوم أفصح الأحوال . فإن قلت في الرخصة في الناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لو لاحب الرياسة لا ندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لو لا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالمصايف مارغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولو لاحب الرياسة لا ندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر <sup>(٢)</sup> » فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمامهالك نفسه وغيره وهم الصرحوون بطلب الدنيا والقبولون عليها وإمامه مدنفه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً وإمامهالك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد فرض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الحاصل لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع الهلكات ما ينفي عنك الريية فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة

الغلط في الضروريات من جنس أمان الذي كان من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان عتق لا يجوز فيه ولا غائله فأقبلت بمجديليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكنني أشكك نفسي فيها فأتى بيد طول التشكك إلى أنه لم تسمع نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات وأخذت بجمع الشك فيها ثم إنى ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعلقته وطالمت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أصفه فصادفته علماً وإفياً بقصوده غير واف بمقصودي ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بصدد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة إلا حمل عليها جند

## ( الباب الخامس في آداب التعلم والعلم )

أما للتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريها عشر حمل

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا علم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة <sup>(١)</sup> » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى - إنما للمشركون نجس - تنبيه للمعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر رأى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يختبئ ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبئها في الحال مهلكات في الآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تدخل اللائكة بيتا فيه كلب <sup>(٢)</sup> » والقلب بيت هو منزل اللائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل النضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابغة فأن تدخله اللائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة اللائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها اللائكة لا تكون بها وهم القدسون المطهرون البرؤون من الصفات الذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يصبرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا ولست أقول للراد بلغة البيت هو القلب وبالكلب هو النضب والصفات الذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلكت الطماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كإبري العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بسدد الانقلاب فصوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سمية ونجاسة إلى الروح السكلية وهي السبعة . واعلم أن القلب المشحون بالنضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرس على التزريق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالبية على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يخبر كل شخص على صورته المعنوية « فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشره إلى أموالهم ذنبا عاديا والتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد <sup>(٣)</sup> » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فإن قلت كم من طالب ردى الأخلاق حصل العلوم فهيات ما أبعد عن العلم الحقيقي النافع

## ( الباب الخامس )

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان
- (٢) حديث لا تدخل اللائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
- (٣) حديث حشر الممزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

الشهوة جملة فيغيرها  
عشوة فصارت شهوات  
الدنيا تجاذبني بسبب  
ميلها إلى اللقام ومناذى  
الإيمان ينادى الرحيل  
الرجل فلم يبق من  
المرء إلا القليل وبين  
يديك السفر الطويل  
وجميع ما أنت فيه من  
العمل رياء وتخيل  
وإن لم تستعد الآن  
للآخرة فمق تستعد  
وإن لم تقطع الآن هذه  
العلائق فمق تقطعها  
ففسد ذلك تنبث  
الرغبة وينجزم الأمر  
على الحرب والفرار ثم  
يعود الشيطان ويقول  
هذه حالة عارضة إياك  
أن تطاوعها فانها  
سريعة الزوال وإن  
أذعنت لها وترك هذا  
الحاج الطويل العريض  
والشأن العظيم الحالى  
عن التكدير والتغيب  
والأمر السالم الحبالى  
عن منازعة الخصوم  
ربما التفت إليك تفكك  
ولا تيسر لك المعادة  
فلم أزل أردد بين  
التجاذب بين شهوات  
الدنيا والدواعى قريبا  
من ستة أشهر أولها  
رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للمادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي موم قاتلة مهلكة وهلا بآيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا إنما الذي تسمح به من التزمين حديث يلقونه بالسنتهم مرة ويردونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور ينفذ في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الحشنة لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأي العلم أن يكون إلا الله أن العلم أن وامتنع علينا فلم تكشفنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه . فان قلت إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في القروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل القناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد صبقت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة - وما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بضعه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيتك كلك فأنت من عطائه إياك بضعه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بضعه واختطف الهواء بضعه فلا يبقى منه ما يجمع ويبلغ الزدوع . الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على العلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدع لنفسه نصيبه إذ عاتب الرضيع الجاهل للطبيب للشفق الحاذق وينبئ أن يتواضع لعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي « صلى زيد بن ثابت على جنازة قهرت إليه بعلمه ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء قبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم (٢) » فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من الرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهريا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الحرب مشهور أو خامل وضراوة سبع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يفتنمها حيث يظهر بها ويتقلى المنقلبين ساقها إليه كاتما من كان فذلك قيل :

العلم حرب للفنسى للتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول النة فليكن المتعلم لعله كأرض دمنة يالت مطرا غزيرا فتشرب جميع أجزائها وأذغت بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه العلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبراني

والحاكم والبيهقي في الدخول إلا أنهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبي أمامة

بإسنادين ضيفين .

وثمانين وأربعائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حصد الاختيار إلى الاضطراب إذ قل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطيبيا للقلوب المختلفة إلى فكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبنة حتى أورت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنفس لي شربة ولا تنضم لي لقمة وتمدى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طعمهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يروح السر عن الهم المهم ثم لما أحست بعجزى وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجاني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن المال

والجاء والأهل والأولاد  
وأظهرت غرض  
الخروج إلى مكة وأنا  
أدبر في نفسى سفر  
الشام حذرا من أن  
يطلع الخليفة وجملة  
الأصحاب على غرضى  
في المقام بالشام فتلطفت  
بلطائف الحيل في  
الخروج من بغداد على  
عزم أن لا أعودها أبدا  
واستهرأى أئمة العراق  
كافة إذ لم يكن فيه  
من يجوز أن يكون  
الاعراض عما كنت  
فيه سببا دينيا إذ ظنوا  
أن ذلك هو النصب  
الأعلى في الدين فكان  
ذلك هو مبلغهم من  
العلم ثم ارتبك الناس  
في الاستنباطات فظن  
من بعد عن العراق  
أن ذلك كان الاستشعار  
من جهة الولاة وأما  
من قرب منهم فكان  
يشاهد لجأهم في  
التعلق بالانكار  
على وإعراضهم  
وعن الالتفات إلى قولهم  
فيقولون هذا أمر  
سمأوى ليس له سبب  
إلا عين أصابت أهل  
الاسلام وزمرة العلم  
فأزقت بغداد وفارقت

في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نعمها فكم من مريض محروور  
بمألجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من  
لاخبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر - إنك لن تستطيع  
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال - فإن اتبعتني فلا تسألني  
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - ثم لم يصبر ولم يزل في مرآوده إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما  
وبالجملة كل متعلم استيق نفسه رابما واختيارا دون اختيار للعلم فأحكم عليه بالاخفاق والخسران . فان قلت  
قد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فالسؤال بالمأمورية . فاعلم أنه كذلك ولكن  
فيا ياذن للعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مدموم ولذلك منع الخضر موسى  
عليه السلام من السؤال أى دع السؤال قبل أو انه فالعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف  
ومالم يدخل أو ان الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يدخل أو ان السؤال عنه . وقد قال  
على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا تسكت عليه بالسؤال ولا تتعنته في الجواب ولا تلج عليه إذا  
كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تغشى له سرا ولا تتأين أحدا عنده ولا تطلبين عثرته وإن زل  
قبلت معذرتة عليك أن توقره وتمظمه فله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا يجلس أمامه وإن كانت له  
حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحترز الحائض في العلم في بدئ الأمر عن الاصغاء  
إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله  
ويغير ذهنه ويفتر رأيه ويؤسسه عن الإدراك والاطلاع بل يبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة  
للرضية عند أستاذة ثم بعد ذلك يصنى إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى  
واحد وإنما عادت تقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى  
لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يمد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع  
الحديث المهدى بالاسلام عن مخالطة الكفار ونذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهى حث القوى  
على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار وينذب الشجاع له ومن الغفلة  
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك  
أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رأى في البداية صار صديقا ومن  
رآنى في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن روائب الفرائض  
فيتراءى للناظرين أنها باطالة وكسل وإهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة  
الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى  
اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم  
من الكوز فاجاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوة يحمل النجاسة ماء فتقلب  
عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحمله إلى صفته ولعل هذا جواز  
لنبي صلى الله عليه وسلم مالم يجوز تغيره حتى أصبح له تسع نسوة<sup>(١)</sup> إذ كان له من القوة ما يعتمد  
منه صفة المدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يعتمد ما يبين من الضرر  
إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة  
الخامسة : أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم الممودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به

(١) حديث أبي سعيد له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع النسوة .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الاتفكك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - وإذ لم يمتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم - قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالبعد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظه كحفاظ الرباطات والتفوق لكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويتبدى بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالخزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشيء ويصرف جهام قوته في اليسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعني قسمي العمالة والكاشفة فضاية العمالة للكاشفة وغاية الكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العوامي ورائة أو تلقفاً ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية التكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى يقبى إلى رتبة إيمان أبي بكر رضى الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح (١) كاشده به سيد البشر ﷺ فاعندى أن ما يستعده العوامي ويرتبه التكلم الذي لا يزيد على العوامي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وفر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسحبه على وقفه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتدق في هذا فتهذه ضيعة رأس المال فكأن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشرية رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يدهما رقعة فيها إن أحسن كل شيء فلا تظن أنك أحسن شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلاشرب . الوظيفة السابعة : أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والوفيق من راعى ذلك الترتيب والتدرج . قال الله تعالى - الذين آمنوا هم الكتاب يتلونه حق تلاوته - أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتجراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا يخطئ واحد أو آحاد فيه ولا يخالفهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقدمضى كشف هذه الشبهة في كتاب معيار العلم ونرى طائفة يستقنون بطلان الطب لخطأ شاهدهوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفاق آخر والكل خطأ بل ينبى أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح .

ما كان معى من مالى ولم أدخر من ذلك إلا قدر الكفاف وقوت الأهل فالترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين ولم أرى في العالم ما يأخذ العالم لبياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت فيه قرىبا من سنتين لاشغلنى إلا العزلة والحلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتركية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلت من علم الصوفية وكنت اعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة للسجد طول النهار وأغلق بابها على ضعى ثم تحرك بي داعية فريضة الحج والاستعداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتني الحمم ودعوات الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان  
ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخرة الحياة القانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم  
النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقته أدلتهم قوتها وان نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار  
ثمرته والحساب أشرف باعتباره أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره  
بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الوصول  
إلى هذه العلوم فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تفرغ له وإليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد التعلم  
في الحال تحلية باطنه وتحجته بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار اللأعلى من  
للائكة والقرين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومعاراة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا  
مقصده طلب لاهلته الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحفاضة إلى  
سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في  
المقدمات والتميمات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهم من غلوها في الثناء على علم الآخرة  
تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالثغور والمرابطين بها والقزاة المجاهدين في سبيل الله ففهم  
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحدهم عن  
أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة النعام فكذلك العلماء قال الله تعالى - رفع الله الذين  
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسبية واستحقاقنا  
للمصايرة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة  
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم للصالحين على تفاوت  
درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى  
بالعلم أى علم كان نفعه وورعه لاهلته . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرافع  
القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهكم ولا يهكم إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم  
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى  
البيان فالأهم ما يبقى أبداً لا يباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعيها إلى المقصد ولا مقصد  
إلا لقاء الله تعالى فيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأفقون والعلوم بالاضافة إلى سعادة  
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم  
العوام والتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي علق عتقه وتمكينه من  
الملك بالحج وقبله إن حجبت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعاً وإن ابتدأت بطريق الحج  
والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة  
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد  
والراحلة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلاً بعد منزل . والثالث الاشتغال  
بأعمال الحج ركناً بعد ركن ثم بعد الفراغ والتزوع عن هيئة الاحرام وطواف أوداع استحقاق التعرض  
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى  
آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتداء بأركان الحج من السعادة كقرب من هو  
بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام  
قسم مجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا  
وقسم مجرى مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت  
أبعد الخلق عن أن  
أرجع إليه وآزت  
العزلة حرصاً على  
الحلوة وتصفية القلب  
للتذكر وكانت حوادث  
الزمان ومهمات العيال  
وضرورات المعيشة تغير  
في وجه المراد وتشوش  
صفوة الحلوة وكان  
لا يصفو لي الحال إلا في  
أوقات متفرقة لكنني  
مع ذلك لا أقطع طمعي  
عنها فيدفعني عنها  
الدوايق وأعود إليها  
ودمت على ذلك مقدار  
عشر سنين وانكشف  
لي في أثناء هذه  
الحلوات أمور لا يمكن  
إحصاؤها واستقصاؤها  
والقدر الذي ينبغي أن  
نذكره لينفع به  
أني علمت يقيناً أن  
الصوفية هم السالكون  
لطريق الله خاصة  
وأن سيرتهم أحسن  
السير وطريقهم أصوب  
الطرق وأخلاقيهم أزكى  
الأخلاق بل لو جمع  
عقل العقلاء وحكمة  
الحكماء وعلم الواقفين  
على أسرار الشرع من  
العلماء لغيروا شيئاً  
من سيرتهم وأخلاقيهم

تلك العقبات الشائعة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموقنين بهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه  
 كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يفتنى علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يفتنى  
 علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن الباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى  
 نفس الحج وأركانها وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأنفاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم الكاشفة  
 وههنا نجا وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة .  
 وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم القربون للمعمون في جوار الله تعالى بالروح  
 والريحان وجنة النعيم وأما للمتوعدون دون ذروة الكمال فلمهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل  
 - فأما إن كان موت للتقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من  
 أصحاب اليمين - وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو اتهمض إلى جهته لا طي قصد الامتثال والعبودية  
 بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا  
 هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة  
 الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحلهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد حقيق وحال غيرهم  
 حال من قبل بحسن التصديق والایمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم الكاشفة وعلم  
 الكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات  
 الذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة  
 أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطمح والسكن  
 وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منبر العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب  
 الصحة في ناصية الطبيب ومن قال العلم علان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم  
 الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة . فان قلت لم يشهد علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة  
 فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلبه اللحم المحسوس بل  
 هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس  
 الطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه الطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية  
 وآلة لتلك اللطيفة وكشف القطاء عن ذلك السر من علم الكاشفة وهو مضمون به بل لا رخصة في ذكره  
 وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودرر عزيز أشرف من هذه الأجرام الثرية وإعناها وأمر إلهي  
 كما قال تعالى - ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - وكل المخاوفات منسوبة إلى الله تعالى  
 ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فقه الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق  
 وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال  
 إذ أبين أن يحملها وأشفق منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تمرىض بقدمها فان القائل بقدم  
 الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصده  
 والقصود أن هذه اللطيفة هي الساعة إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها  
 وأما البدن فطيتها التي تركيبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في  
 طريق الحج وكالراوية الحازنة للماء الذي يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من  
 جملة مصالح اللطيفة ولا ينبغي أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان  
 الإنسان وحده لا يحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه  
 خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسمى وحده في تحصيل طعامه بالجرانة والزرع

ويبدلوه بما هو خير  
 منه لم يجدوا إليه سبيلا  
 فان جميع حركاتهم  
 وسكناتهم في ظاهرهم  
 وباطنهم مقبسة من  
 نور مشكاة النبوة  
 وليس وراء نور النبوة  
 على وجه الأرض نور  
 يستضاء به وبالجملة ماذا  
 يقول القائل في طريقة  
 أول شروطها تطهير  
 القلب بالكلية عما سوى  
 الله تعالى ومفتاحها  
 الجارى منها مجرى  
 التحريم في الصلاة  
 استغراق القلب بذكر  
 الله وآخرها القضاء  
 بالكلية في الله تعالى  
 وهو أقواها بالإضافة  
 إلى ماتحت الاختيار  
 انتهى قال العراقي فلما  
 غدت كلمته وبعد صيته  
 وعلت منزلته وشدت  
 إليه الرحال وأذعنت  
 له الرجال شرفت نفسه  
 عن الدنيا واشتافت  
 إلى الأخرى فاطرحها  
 وسى في طلب الباقية  
 وكذلك النفوس  
 الزكية كما قال عمر بن  
 عبد العزيز إن لي نفسا  
 تواقا لما نالت الدنيا  
 تافت إلى الآخرة قال  
 بعض العلماء رأيت



الغزالي رضى الله عنه  
في البرية وعليه مرقعة  
ويده عكاز وركوة  
قلبت له يا امام اليس  
التدريس يفسد  
أفضل من هذا فنظر  
إلى شذرا وقال لما بزغ  
بدر السعادة في فلك  
الارادة وظهرت شمس  
الوصل :

ترسكت هوى ليل  
وسعدى بمنزل

وعدت إلى مصحوب  
أول منزل

ونادى الأشواق مهلا  
فهذه

منازل من تهوى  
رويدك فانزل

انتهى كتاب تعريف  
الأحياء بفضائل الإحياء

بمحمد الله وعونه .

[ هذا كتاب الاملاء

في إشكالات الاحياء ]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما خصص

وعزم وصلى الله على

سيد جميع الأنبياء

البعوث إلى العرب

والعجم وعلى آله وعترته

وسلم كثيرا وكرم

سألت بورك الله

لمراتب العلم تصعد

مراقبها وفرب لك

مقامات الولاية نحل

والحيز والطبخ وفي تحصيل اللبس والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى الخالطة والاستعانة  
ومهما اختلط الناعى وثار شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم  
هلاكمهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطبع  
يحفظ الاعتدال في الأخلاط للتنازع من داخل ، وبالسبب الاعتدال يحفظ الاعتدال في التنافس  
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات  
والأعمال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه  
ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والسترق  
عمره في دقائق الكلمات التى تجرى في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التى بها  
تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب  
الوصول إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانها فتأمل هذا أولا  
واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراحة تامة على مياينة  
الحلق العامة والخاصة في الزرع من تقليد مجردين الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف للتعلم .

(بيان وظائف الرشيد العلم)

اعلم أن للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون  
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا  
وحال بذل لغيره فيكون بمسخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضى كما يقتضى المال فله  
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يبنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع  
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظميا في ملكوت السموات  
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهى مضئة فى نفسها وكملك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم  
ولا يعمل به كالقدر الذى يغدر غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشخذ غيره ولا يقطع والإبرة  
التي تكسو غيرها وهى عارية وذباله الصباح تضيء لغيرها وهى تخرق كاقيل :

ما هو إلا ذباله وقدت تضيء للناس وهى تخرق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى :  
الشفقة على التلمذ وأن يجري مجرى بنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل  
الوالد لولده <sup>(١)</sup> » بأن يقصد إقناهم من نار الآخرة وهو أمم من إقناذ الوالدين ولدها من نار الدنيا  
ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والعلم  
سبب الحياة الباقية ولولا العلم لانساقت ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما للمعلم هو المفيد  
للحياة الآخورية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما  
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك فعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتجاربوا  
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادة ولا يكون إلا كذلك  
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء  
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق  
والتراقي في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادة والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس  
الأعلى والتراقي في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة



في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والمادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون ع  
موجب قوله تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وداخلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم  
لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يفتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلد  
على إفادة العلم أجرا ولا يقصده جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يبر  
لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله  
تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعبرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فنفتحت بها تزيده على منة  
صاحب الأرض فكيف تقلد منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب التعلم عند الله تعالى ولولا ذلك  
مانلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل - ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إ  
أجرى إلا طي الله - فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والخدوم هوالة  
إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مدامه بوجهه لينظفه فجعل الخدوم خاد  
والخادم مخدوماً وذلك هو الاستكسار على أم الرأس ومثله هو الذى يقوم في العرض الأكرم مع المجرى  
نا كسرى وسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمو  
أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والسكلام والتدريس فيها وفي غيرها فانه  
يبدلون المال والجاه ويتحملون أصناف الدل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولوتركوا ذل  
لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع العلم من التعلم أن يقوم له في كل ناحية وينصروا له ويعدى عدوه ويقتله  
جهاراً له في حاجاته ومسخرين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخس  
بعالم يرضى لنفسه بهذه للترلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر الله  
تقريباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاعتقادات . الوظيفة الثالثة  
أن لا يبدع من نصع التعلم شيئاً وذلك بأن عنقه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قد  
الفراغ من الجلى ثم ينه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والجاه  
والمنافسة ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسد  
فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذى يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه  
والجدل في السكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علو  
الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون لله وإتمام ذلك عام التفسير وع  
الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفه أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذاتله  
الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يشمر له طمعاً في الوعظ والاستبعا ولكن قد يتنبه في أثناء  
الأمر أو آخره إذ فيه الطول المخوفة من الله تعالى المحرقة للدنيا العظيمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤد  
إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجزى حب القبول والجاه مجزى الحب الذى يش  
حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النفس  
وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافات المحضة ومجادلة  
السكلام ومعرفه التفاريع الفرية فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغف  
عن الله تعالى وتعماداً في الضلال وطلباً للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم  
الدينية ولا يرهان على هذا كالتجربة وللشاهدة فانظر واعتبر واستصبر لتشاهد تحقيق ذلك في الب  
والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثوري رحمه الله حزينا قليل له مالك فقال صرنا متجراً الأبد  
الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاصياً أو عاملاً أو قهرماناً . الوظيفة الرابعة : وهي من دقات

معاليها عن بعض  
ما وقع في الاملاء للقلب  
بالإحياء بما أشكل على  
من حجب فهمه وقصر  
علمه ولم يفز بشيء  
من الحظوظ لللكية  
قدحه وسهمه وأظهرت  
التحزن لما شاش به  
شركاء الطعام وأمثال  
الأنعام وأجاء العوام  
وسفهاء الأحلام وذغار  
أهل الاسلام حتى  
طنخوا عليه ونهوا عن  
قراءته ومطالعتهم وأتوا  
بمجرد الهوى على غير  
بصيرة باطراحه  
ومنايذته ونسبوا عليه  
إلى ضلال وإضلال  
وبندوا قراءه ومنتحلوه  
بزيغ في الشريعة  
واختلال في الله  
انصرافهم ومآبهم  
وعليه في العرض  
الأكبر إيقافهم  
وحسابهم فستكتب  
شهادتهم ويستلون  
وسيعلم الذين ظلموا أى  
منقلب ينقلبون بل  
كذبوا بما لم يحيطوا  
بعلومه . وإذا لم يهتدوا به  
فسيقولون هذا إفك  
قديم ولو ردوه إلى  
الرسول وإلى أولى  
الأمر منهم لعلمه الذين

يستنبطونه منهم  
ولكن الظالمون في  
عشاق بعيد ولا هيب  
قد توى أدلاء الطريق  
وذهب أرباب التحقيق  
ولم يبق في الغالب  
إلا أهل الزور والفسق  
متشبهين بدعاوى  
كاذبة متصفين بحكايات  
موضوعة مزينين  
بصفات منمقة  
متظاهرين بظواهر  
من العلم فاسدة  
متعاطين للحجج غير  
صادقة كل ذلك لطلب  
الدنيا أو حجة تناء أو  
مغالبه نظراء قد ذهب  
المواصلة بينهم بالبر  
وتألفوا جميعا على النكر  
وعدمت النصائح بينهم  
في الأمر وتضافوا  
بأسرهم على الخديعة  
والسكر إن نصحتهم  
العلماء أغروا بهم وإن  
صحت عنهم العقلاء  
أزروا عليهم أولئك  
الجهال في علمهم الفقراء  
في طولهم البخلاء عن  
الله عز وجل بأنفسهم  
لا يفلحون ولا ينجح  
تابعهم ولذلك لا تظهر  
عليهم موازيت الصدق  
ولا تسطع حولهم أنوار  
الولاية ولا تحقق لديهم

صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق  
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج  
الحرس على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه  
وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء » (١) وينهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه  
فما ذكرت القصة معك لتكون ممرا بل لتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس  
الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفتن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك  
مما لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يفتح في نفس للتعلم  
العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عادت تفسيح علم الفقه ومعلم الفقه عادت تفسيح علم الحديث والتفسير وأن  
ذلك يقل محض ومما هو شأن المجاوز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك  
فروع وهو كلام في حيز النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين  
ينبغي أن تجنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا  
بعلم فينبغي أن يراعى التدرج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمتعلم  
على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يحبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى  
الله عليه وسلم حيث قال « نحن معشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر  
عقولهم » (٢) فليتب إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ « ما أحد يحدث قوما بحديث  
لا يبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوما  
حجة لو وجدت لها حجة وصدق رضي الله عنه قلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفتش العالم كل  
ما يعلم إلى كل أحدها إذا كان يفهمه التعلم ولم يكن أهلا للارتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى  
عليه السلام لا تعلقوا بالجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجواهر ومن كرهها فهو شر من  
الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بميزان عقله وزن له بميزان فهمه حتى تعلم منه وينفع بك والإوقع  
الإنكار لتفاوت العيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فله يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال « من كنتم علما نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » (٣) فقال أتراك اللجام وأذهب  
فإن جاء من يفقه وكنتمته فليجمن فقد قال الله تعالى - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم - تنبها على أن  
حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

أثر درآين سارحة النعم      فأصبح محزوناً براعية النعم  
لأنهم أمسوا بجهل قدره      فلا أنا أضحي أن أطوقه البهم  
فإن لطف الله اللطيف بلطفه      وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم  
نشرت مفيدا واستفدت مودة      وإلا فمحزون لدى ومكتم  
فمن منح الجهال علما أضاعه      ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن التعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معشر الأنبياء  
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر  
أخضر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كنتم علما نافعاً  
جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف وتقدم حديث  
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فان ذلك يفتقر رغبته في الجلى ويشوش عليه قلبه ويومئ إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فإمن أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حياءً وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تعبد من العوام بقيد الشرع ورسخ في تفهيم العقائد للأئمة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل عقلاً أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يغلى وحرقة فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين العاصي وينقله شيطاناً يريد بهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدد ممارستها وعملهم من الرغبة والرغبة في الجاهل والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تغلبت الشبهة بقلبه ويصر عليه حلها فيشترط ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوا عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون العلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعلمه لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئاً واثقاً للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولاً : أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل العلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى - أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - ولذلك كان وزير العالم في معاصيه أكبر من وزير الجاهل إذ يزل يزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فطبعه وزرها ووزر من عمل به ولذلك قال علي رضي الله عنه قسم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متهتك فالجاهل يفر الناس بنفسه والعالم يفرم بهتكه والله أعلم .

#### ( الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء )

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دللت على أنهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدين وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدوا من العلم التمتع بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنازلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون للرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

#### ( الباب السادس )

(١) حديث لا يكون للرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في الدخول موقوفاً على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعاً (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلاً باسناد صحيح وأسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يستقر عوراتهم لباس الحشية لأنهم لم ينالوا أحوال التقياء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل التأطل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم جيبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار وعجبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون وعجبة الدنيا أورثهم طول الغفلة وإظهار الدعوى أورثهم الصبر والاعجاب والرياء واتهمهم ورائهم محيط . وهو على كل شيء شهيد . فلا يفرّك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطفيتهم ولا ينوبك

بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكان قد جمع الخلائق في صيد - وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد - وتلا - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فصر لك اليوم حديد - فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيـل ومتابعة الأباطيل فأعرض عن الجاهلين - ولا تقطع كل أفاك أثيم ، وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تتبغى نقفا في الأرض أو سلفا في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون - ولقد جئتكم بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة ما زعم فيه من تحصيل الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما عنده ألبه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنامن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قليل وما ذلك » فقال من الأئمة للضليلين (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (٣) وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدجلين وأنتم مقيمون مع التحيرين فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما مترض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإمنا بالحوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة للناق العليم قالوا وكيف يكون مناقا علما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فمالم مفراط وقال الحليل بن أحمد: الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارقضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دينه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظما لشدة عذابه » (٤) وأراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتدلق أفتابه فيدورها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية » (٥) وإعياضا عذاب العالم في مصيته لأنه عصي عن علم ولذلك قال الله عز وجل - إن الناققين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد

(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا

على الحسن من ازداد علما ثم ازداد الله على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو الفتح الأزدي

في الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث

إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة

الذكر بعد (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتدلق أفتابه الحديث

متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم -

- يعرفونه كايبرفون أبناءهم - وقال تعالى - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين - وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين - حتى قال - فثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - فذلك العالم الفاجر فان بلعام أتى كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات فشبّه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يغلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل فتاة الحش ظاهرها جص وباطنها تين ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الوتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخطر حالا وأشدّ عذابا من الجاهل وأن الفاترين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخساستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهم أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي اللباز من مهمار جمعت إحداها خفت الأخرى وأنهما كالشرق والغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدهجين أحدهما مملوء والآخر فارغ فيقدر ما تصيب منه في الآخر حتى يعتلى بفرغ الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذةاتها بالمهاثم انصرام ما يصفونها فهو فاسد العقل فان الشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع في غير ما طمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يد من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصعدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلى هاربا كتبتة جهذا ومن كتبتة جهذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يشقى الأمراء فهو لص وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم يحيا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب بمحوس فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخيه إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فبقي في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصيرة ويوتكم كسروية وأنوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكم قارونية وأوانيكم فرعونية وما تمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة الحميدة قال الشاعر :

وراعى الشاة يحى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر : يامعشر القراء يا ملع البلد ما يصلح للبح إذا الملح قد

وقيل لبعض العارفين أتري أن من تكون المعاصي قرعة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن أن ترك المال يكفي في الحقوق

ذكر فيه الأقدام إذ اتفق أن يكون أشهر ما في الكتاب وأكثر تصرفا على السنة الصدور والأصحاب حتى لقد صار المثل المذكور في المجالس تحية الداخل وحديث المجالس فساعدتنا أميبتك ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا إلى املائنا هذايانا غيره مما عدوه مشكلا وصار لعقولهم الضعيفة مجبلا ومضللا ونحن نستعذ بالله من الشيطان ونستصم به من جراءة فقهاء الزمان وتضرع إليه في المزيد من الإحسان إنه الجواد اللبان [ذكر مراسم الأسئلة في الليل]

ذكرت رزقك الله ذكره وجملك تعقل نبيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب والفظلة التوحيد تنافي التقسيم في الشهود كما ينافي التكرير التعديد وانصح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت

مزيد البيان في تحقيق  
 كل مرتبة واتهام  
 طبقات أهلها فيها إن  
 كان يقع بينهم التفاوت  
 وماوجه تمثيلها بالجوز  
 في القشور واللُبوب ولم  
 كان الأول لا ينفع  
 والآخر الذي هو الرابع  
 لا يحل إفاشؤه وما معنى  
 قول أهل هذا الشأن  
 إفاشاء سر الربوبية  
 كفر أين أصل ماقلوه  
 في الشرع إذ الإيمان  
 والكفر والهداية  
 والضلال والتقريب  
 والتبديد والصدقية  
 وسائر مقامات الولاية  
 ودركات الخالفة  
 إنما هي مأخذ شرعية  
 وأحكام نبوية  
 وكيف يتصور مخاطبة  
 العقلاء الجمادات  
 ومخاطبة الجمادات  
 العقلاء وماذا تسمع  
 تلك المخاطبة أبحاسة  
 الأذان أم بسمع  
 القلب وما الفرق  
 بين القلم المحسوس  
 والقلم الإلهي وما  
 حدّ عالم الملك وعالم  
 الجبروت وحدّ عالم  
 الملكوت وما معنى  
 أن الله تعالى خلق آدم

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما يتفق به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبو داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبي الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لعبر الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجالان الحديث الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف .

وفي يده خنزروفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلا تقول نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسألهم أصابهم هذا فأوحى الله عز وجل إليه لودعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع »<sup>(١)</sup> وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يحزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهوون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفنّا فيفتي بالخطأ والله تعالى يخفى للتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزى به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكر في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستغزى الزهو والسجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت به تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير محب أو تمشي في غير أرب وفي خبر آخر « إن العبد لينثر له من الثناء ما يملأ ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة »<sup>(٢)</sup> وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البر وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك ثقنتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة »<sup>(٣)</sup> قال تعالى - نخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه قدوة عظيمة وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن - الآية ، فعرف أهل العلم بإشار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالثبوت ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - وقال تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا لا نعلمون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه - وقال تعالى - واتقوا الله ويلكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا - واتقوا الله واسمعوا - وقال تعالى ليعسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فان انمطت فنسظ الناس وإلا فاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار قفلت من أثم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ونهى عن الشر ونأتيه »<sup>(٤)</sup> وقال

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينثر له من الثناء ما يزن عند الله جناح بعوضة وما يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي يكون معتقدها منزها مجلا وما معنى الطريق في فانك بالوادي القدس طوى ولعله يغدادا وأصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسم قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبي ذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتعلق إلى مثل ذلك للقام حتى يسبح أسرار الاله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع في النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي



أوصله إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق وإلى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي يمنه من البقاء في اللوح الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه وابن هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في غير الإحياء لو وصلوا مارجعوا ما وصل من رجع وماعنى بأن ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنماً ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخسلاً يناقض الجود وعجزاً يناقض القدرة الإلهية وما حكم هذه العلوم للكونية هل طلبها فرض ومندوب إليه أو غير ذلك ولم كسبت للمشاكل من الألفاظ والغزمن العبارات وإن جاز ذلك للشارع فيما له أن يختبر به ويمتنع فيما بال من ليس شارا

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الثرثار شرار العلماء وخير الخياريار العلماء (١) » وقال الأوزاعي رحمه الله شكت الثواويس ما تجدد من ثن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أنن مما أنتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلقي أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به فقاؤوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كابريل القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت منهما إذ عبت منهم أموراً أنت تأتينا

أصبحت تصحهم بالوعظ مجتهداً فالووقات لعمري أنت جانينا

تعيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لانتبه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبي تعتبر قلبه فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السكيت رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله مفلس عن آيات الله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نهرب وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعلموا (٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضح الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتمونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلة عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن بينهم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تلج فيه غدوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ. عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباح من ذوات اللع ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها غدوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويغطي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه غشى الله بلسانه والقجور ظاهر في عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ماذلك إلا لأن العالمين علموا لغير الله تعالى والمعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإنجيل مكتوب

(١) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الثرثار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحموس بن حكيم عن أبيه مرسلًا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا لعله ابن عبد البر وأسند ابن عدي وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفاً على معاذ بسند صحيح .



لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عثم ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعث ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم المتقاضي وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاء ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار » (١) وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهّدون الناس في الدنيا ولا يزهّدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسهم يقربون الأغنياء ودون الفقراء يتنايرون على العلم كاتفاير النساء على الرجال ينضب أحدهم على جلسيه إذا جالس غيره أولئك الجباروا أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قليل يارسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العلم قائلاً وللعمل مسو حتى يموت وما عمل » (٢) وقال سري السقطي اغترل رجل للتعبّد كان حرصاً على طلب علم الظاهر فسأله فقال رأيت في النوم قائلاً يقول لي إلى كم تضع العلم ضعيفك الله فقلت إني لأحفظه فقال حفظ العلم العمل فترك الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همهم الرواية والعلماء همهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئاً وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزأ القرآن ليعمل به فأنخذتم دراسته عملاً وسيأتي قوم يتفوقونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الويل مما تصفون - وفي الخبر « مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن » (٣) ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة للرغب في الطاعات مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقييل والقال فمثال من يمرض عن علم الأعمال ويشتهل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى قوائمه فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى « أن رجلاً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال وما رأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم » (٤) بل ينبغي أن يكون للتعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البخاري رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه اللدة قال ثمان مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب حمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى أحصمها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

- (١) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء وابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن السور مرسل وهو ضعيف جداً .

اتمى جملة مراسم الأسئلة في التل فأسأل الله تعالى أن يعلى علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات السالك وأن يعم بنعمه أهل المبادئ والدراك ثم لا بد أن أهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية . أما المقدمة فالغرض بها تبين عبارات انقرد بها أرباب الطريق تعمق معانيها على أهل القصور فنذكر ما يعض منها ونذكر للقصد بها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا محتصاً بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسبب الذي تنوى بمقصدنا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمّل وأسهل على الناظر للفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقته فجعلت الحسنات محبوبا فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم في الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفته وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم بنفد وما عند الله باق - فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليقبضه عندي محفوظا الرابعة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فعلمت في التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أتت نظرت إلى هذا الخلق وهم يطمئن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأسل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عن السادسة نظرت إلى هذا الخلق يعني بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فعاديتهم وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرايتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على منيته وهذا على تجارتهم وهذا على صناعته وهذا على حجة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق يا حاتم وقتك الله تعالى فأتت نظرت في علوم التوراة والانجيل والزيور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة توهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في الطعام والشرب والتمتع في اللبس والتجمل في الأثاث والمساكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويعيل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ماله ازداد من الله قربا وارتفع في علماء الآخرة حظه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الثرماقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا في رجل من التجار متشفين بحب الساكنين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فأتى أريد أن أعود قبها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان الليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متعسكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فوراء واسعة تهرة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متعسكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بغرس وطيبة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقدم الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعلك حاجة

نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألقوه من تصانيفهم وكيف يصكون نظره فيها وإطلاعه عليها وإقتباسه منها فذلك أوكد عليه أن يتعلم من ظهورها فسرودوا عنها وغلقت في وجوههم الأبواب وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها بالترجيب وولجوا على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثير من حجب القيوب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [ للقدمة ] : اعلم أن الألفاظ الستملة منها ما يستعمله الجماهير والعموم ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع والصنائع على ضربين عدية وعملية فالعملية كالهن والحرف ولأهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالتقوانين للعدلة بما تحرر من الموازين ولأهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لا يشاركون فيها غيرهم

فقال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال ثم فاستو جالسا حتى أسألك فاستو جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذه فقال من الثقات حدثوني به قال عن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم فيها أذاه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأذاه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل للنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب للمساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله للنزلة قال له حاتم فأتت بمن اتحدت أبا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم فرعون ونمرود أول من بنى بالجنس والأجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل للتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافسي بقزوين أكثر توسعا منه فار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبدءا ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتى به فهدم الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسي وقصد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعين أربعين فقال الطنافسي يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعين فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف ففعل الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بنسداد اجتمع إليه أهل بنسداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعتة قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجعل عليه فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئا وتسكون من شينهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لا طير بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لا طير بالأرض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تسجل على أنا رجل أعجمي فحرب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فأنتم عن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم أم فرعون أول من بنى بالجنس والأجر غفلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسيأتي من سيرة السلف في البذاءة وترك التجميل ما يشهد لذلك في مواضعه

إلا أن يكون ذلك بالانفاق من غير قصد وتكون المشاركة إذا انفتحت إما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرف من بحث عن مجازي الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما سمينا من العلوم صنائع ما قصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدءا وغاية وما لم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من يعدم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذي هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسبها عندهم صناعة ونسبها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والمسكين بالسادة  
والمقربين بالصوفية  
والمقربين بالفقراء  
والمعروفين بالرقعة  
والمزى إليهم العلم  
والعمل ألقاظ جرى  
رسمهم بالتخاطب بها  
فيما يتذاكرون أو  
يذكرونه ونحن إن  
شاء الله نذكر ما يفيض  
منها إذ قد يقع منا  
عند ما نذكر شيئا من  
علومهم ونشير إلى  
غرض من أغراضهم  
فلم نر أن يكون ذلك  
بغير ما عرف من  
ألقاظهم وعباراتهم  
ولا حرج في ذلك عقلا  
وشرعا ونحن بحكم  
مصرف التقدير وهو  
على كل شيء قدر فمن  
ذلك السفر والسالك  
والمسافر والحال والمقام  
والمسكن والشطع  
والطوالع والتهاب  
والنفس والسرو والوصل  
والفصل والأديب  
والرياضة والتجلى  
والتخلى والتجلى والعلامة  
والانزعاج والشهادة  
والمكاشفة والنوايح  
والتلون والغيرة والحربة  
واللطيفة والفسوح  
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بمحرم ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من الداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمر أخرى هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبنوية مع الخوض فيها كان صلى الله عليه وسلم لا يبلغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم (١) ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة (٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطى وتعمل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المظلة وارجل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فأتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ما طلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوق من موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي آتى أكل الرقاق وألبس الدقاق واحتجب وأجلس على الوطى فحسن فعمل ذلك ونستغفر الله تعالى قد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وأنا لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيها جميعا ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يعمل ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعرج على التتم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والحشية وخاصة علماء الله تعالى الحشية وخاصة الحشية التابعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يعتز عن مخالطهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستماله قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتضييق قلوبهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى جعلهم في زدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الأذكار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » يعني من سكن البادية جفا « ومن اتبع الصيد غفل » ومن آتى السلطان افتتن (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص المطرز متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس

تعرفون منهم وتذكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أمعه  
الله تعالى قبل أفلا تخافونهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصلا (١) وقال سيفان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء  
الزأرون للملوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قبل وماهى ١ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على  
الأمير فيصدق بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد  
الله تعالى ما لم يخالفوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (٢) ورواه  
أنس ، وقبل للأحمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تصجلوا ثلث يموتون قبل  
الادراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ولذلك  
قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم ينشئ الأمراء فاجتروا منه فإنه لم يزل وقال الأوزاعي  
ما من شيء أضر إلى الله تعالى من عالم يزور عملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار  
العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» (٣) وقال مكحول الدمشقي رحمه  
الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تعلقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار  
جهنم بعدد خطاه وقال سمعون ما أسمع بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيشعل عنه فيقال هو عند  
الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ  
مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاصبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه  
به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أجو من الدخول عليه كفاقا مع أنى  
لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون  
السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستقلهم وكره دخولهم عليه  
وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحة  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عني به سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال  
وكان لا ينشئ السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحة والقدم  
في الاسلام فلو أتيتهم فقال يابى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشاركم فيها . قالوا  
يا أبانا إذن نهلك هز الا قال يابى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا ممينا  
قال الحسن خصمهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى  
أن الداخل على السلطان لا يسلم من التفاق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر لسلمة بأسلمة لا تنش  
أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة  
للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه  
أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقم شعار الشرع إلى أن يغبل إليه أن  
الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويغوص في التناء  
والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا  
قدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشرطى بأقوام

والقبس والقناء والبقاء  
والجمع والفرقة وعين  
التحلم والزوائد والارادة  
والمريد والمراد والهمة  
والقربة والمصكر  
والاصطلام والرجبة  
والرهبة والوجد  
والوجود والتواجد  
فذكر شرح هذه على  
أوجز ما يمكن بمشيئة  
الله تعالى وإن كانت  
ألفاظهم المصرفة  
بينهم في علومهم  
أكثر مما ذكرنا  
فإنما قصدنا أن نريك  
منها أعمودا ودستورا  
تسلم به إذا طرأ  
عليك عالم تذكره  
للشبهة إذ لها مبعث  
وإلها سيل فتطلبه  
بعد ذلك على وجه  
(فأما السخر والطريق)  
فالمراد بها سفر القلب  
بالإفكار في طريق  
العمولات وعلى ذلك  
انتهى لفظ السالك  
والسافر في لغتهم ولم  
يريد بذلك سلوك  
الأقدام التي بها يقطع  
مسافات الأجسام فإن  
ذلك مما شاركه فيه  
البهائم والأنعام وأول  
مسالك السفر إلى الله  
تعالى عز وجل معرفة

- (١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتذكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة  
(٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي  
في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن  
ماجه بالاطر الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

قواعد الشرع وخرق  
حجب الأمر والنهي  
وتعلق الغرض فيها  
والمراد بها ومنها فاذا  
خلفوا وانواحيها وقطعوا  
معاظنها أشرفوا على  
مفاوز أوسع وبرزت  
لهم مهامه أعرض  
وأطول من ذلك معرفة  
أركان المعارف النبوية  
النفس والعدو والدنيا  
فاذا تخلصوا من  
أوعارها أشرفوا على  
غيرها أعظم منها في  
الانتساب وأعرض  
بغير حساب من ذلك  
سر القدر وكيف خفي  
بحكم في الخلائق وقادم  
بلطف في عفو وشدة  
في لين وقوة في ضعف  
وباختيار في جبر إلى  
ما هو في مجاريه لا يخرج  
الخائفون عنه طرفة  
عين ولا يتقدمون  
ولا يتأخرون عنه  
والإشراف على  
الملكوت الأعظم  
ورؤية عجائب ومشاهدة  
غرائب مثل العلم  
الإلهي واللوح المحفوظ  
واليمين الكاتبة  
وملائكة الله يطوفون  
حول العرش والبيت  
المعنون وهم يسبحونه

أستمع بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصنون شرفهم أن يدنسوه بالحياة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهذا أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الحرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن آدم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما ليبلغهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو لإجماع أو قياس جلي أفق وإن سئل بما يشك فيه قال لا أدري وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري (١) » قال الشافعي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضمها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن آدم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بلم ويسكت بلم يقول انظروا إلى هذا سكوتة أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يسدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومرة على وعبد الله رضي الله عنهما رجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اصرفوني وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقطع ضرره وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان ابراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يتكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلى وكان أبو المالكة الرياحي وابراهيم بن آدم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسر فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزيرني أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين أم لا (٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشربها قال لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشربها الأسواق (٣) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك

(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

(٢) حديث ما أدري أعزيرني أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشربها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر . وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار للهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً منه ويشهد لحسن الاحتراز من قلة الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والودعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعا لها وأروعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمور معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى (١) » وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئاً وما حمدنا عاقبته وقال ابن حنبل إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة (٢) » وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الروايات المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يتعرف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أ كثر كلاماً وفلان أ كثر عملاً وقال أبو سليمان المرفعة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثرت العلم قل الكلام وإذا كثرت الكلام قل العلم وكتب سليمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أخى بلغني أنك قصدت طبيبياً تدأوى المرضى فانظر فإن كنت طبيبياً فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطيئاً فاقه الله لا تقتل مسلماً فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً فمجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفاً من حصى ورماه به وقال تسألوني عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أ كثر إهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تنفض إلى الشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تنفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدا إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً الحديث ابن ماجه من حديث ابن خالد بإسناد ضعيف (٣) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء البخاري من حديث أبي جعفر .

ويقدسونه وفهم كلام  
الخلق من الحيوانات  
والجمادات ثم التخطي  
منها إلى معرفة الخالق  
لكل والمالك للجميع  
والقاد على كل شيء  
فتشأم الأنوار المحرقة  
ويتجلى لمراة قلوبهم  
الحقائق المحتجة  
فيطرون الصفات  
ويشاهدون الوصف  
ويحبون حيث غاب  
أهل الدعوى  
ويصرون ماعى  
عنه أولو الأبصار  
الضعيفة بحجب الهوى .  
والحال منزلة العبد في  
الحين فيصفو له في  
الوقت حاله ووقته  
وقبل هو ما يتحول  
فيه العبد ويتغير عما  
ورد على قلبه فإذا  
صفا تارة وتغير أخرى  
قليل له حال وقال بعضهم  
الحال لا يزول فإذا زال  
لم يكن حالاً . والقام  
هو القى يقوم بالعبد  
في الأوقات من أنواع  
للعاملات وصنوف  
المجاهدات فتى أقيم  
العبد حتى منها على  
التمام والكمال فهو  
مقامه حتى ينقل  
س إلى غيره



الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والاتقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فك من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وك من مقتصر على اللهم في التعلم ومتوقف على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » (١) وفي بعض الكتب السابقة يابى إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعبه ولا من وراء البحار من يسير يأتي به ، العلم جموع في قلوبكم تأدبوا بين يدي بأداب الروجانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يستطيعكم ويفعركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يبسطها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال عليه السلام « استفت قلبك وإن أقنوك وأقنوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به » (٢) الحديث فك من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب التجردن للذكر والفكر تخلوعها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل القسرين وإذا انكشف ذلك للمريد للراقب وعرض على القسرين استحسنوه وعلوا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية واللطاف الله تعالى بالهمم العالية التوجهة إليه وكذلك في علوم الكاشفة وأسرار علوم للعلماء ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة ومهمج رعا ع أتباع لكل ناعق يملون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وحيل الأحداث بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول يزوال ما تخرزان للأموال وم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حيلة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيع بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق لكن يزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولا ذاك أو منبوما بالذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه أقرب شهابهم الأنعام الساعة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبياناته وكه وأين أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم حجمهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلنوا ما استوعر منه للترفون وأنسوا بما استوحش منه النافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمنائه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلنظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف.

والكان هو لأهل  
الكمال والتمكين  
والنهاية فإذا كمل العبد  
في معانيه قد تمكن  
من المكان وغير  
القسمات والأحوال  
فيكون صاحب مكان  
كما قال بعضهم :

مكانك من قلبي هو  
القلب كله

فليس شيء فيه غيرك  
موضع

والشطح كلام يترجم  
به اللسان عن وجب

يغيب عن معدنه  
مقرون بالدعوى إلا أن

يكون صاحبه محفوظا  
والطوالع أنواع

التوحيد يطلع على  
قلوب أهل المعرفة

شعاعها فيطمس  
سلطان نورها الألوان

كما أن نور الشمس  
يمحو أنوار الكواكب

والذهاب هو أن يغيب  
القلب عن حسن كل

محسوس بمشاهدة  
محبوبها . والنفس

روح سلطه الله على  
نار القلب ليطن شرها

والسر ما خفي عن  
الخلق فلا يعلم به إلا الحق

وسر السر ما لا يحس  
به السر . والسر ثلاثة



فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والواظب على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله » (١) فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم يفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين » (٢) ومناه جالسوا للوقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كقوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : مامن آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضربه الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة » (٣) ولذلك قال عليه السلام « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار » (٤) وفي وصية لقمان لابنه يابى لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك ظلاما وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات الشركيين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الوقنين في مواضع دللنا على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات . فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمؤمنين مختلفين أما النظار والتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشئ له أربع مقامات : الأول أن يتبدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يماقه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بآثبات ولا نفي بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان تقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بينه لومات على هذه الحالة هل يماقب فان نفسك تميل إلى أنه لا يماقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجويز مساو لذلك الليل ولكنه غير دلغ رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشئ بحيث يظلم عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأني النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع سرفة محقة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقاداً مقارناً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ لا يدرسون في شؤونهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة شق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نقر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو مفضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في التوابع من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بين الناس أقل من العلم الحديث .

سر العلم وسر الحال  
وسر الحقيقة وسر  
العلم حقيقة العالمين  
بالله عز وجل وسر  
الحال معرفة مراد الله  
في الحال من الله وسر  
الحقيقة ما وقعت به  
الإشارة . والوصل  
إدراك الغائبات .  
والفضل قوت ما ترجوه  
من محبوبك . والأدب  
ثلاثة : أدب الشريعة  
وهو التعلق بأحكام  
العلم بصحة عزم الخدمة  
والثاني أدب الخدمة  
وهو التيسر عن  
العلامات والتجرد  
من الملاحظات .  
والثالث أدب الحق  
وهو موافقة الحق  
بالمعرفة . والرياضة  
اثنتان رياضة الأدب  
وهو الخروج عن  
طبع النفس ورياضة  
الطلب وهو صحة الراد  
والتحلي التشبه  
بأحوال الصادقين  
بالأحوال وإظهار  
الأعمال . والتخلي  
اختيار الخلو  
والإعراض عن كل  
ما يشغل عن الحق  
والتجمل هو ما يشكف  
لقلوب من أنوار

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للماعقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبدية لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجوده بحس وليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضروري غرق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبدية ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزئياً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمرادى إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديم وبعضها حادثة فإن كانت كلها قديمة فقد حصل للطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان السكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث غير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغيره العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو تجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عند عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نقي الشك. الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والتصوف أكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو التحكم والتصرف في النفس بالتجويز والنقص سمى ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يقادر فيه متسعاً لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما نذكرنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نقي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب للتحكم عليها للتصرف فيها فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في القلب والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تنهاه وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضاً ما فيها ينطرق إليه التجويز فلا ينكر. أعنى الاصطلاح الثاني وفيما اتفق الشك أيضاً عنه لاسيلاً إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقه بين تصديقك بوجود مكة ووجود فذلك مثلاً وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً فستندهما جميعاً التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس بوضوح ملاح له بدليل واحد كوضوح ملاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نقي الشك وهذا قد ينكره للتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يرجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

القبوب والملة تنبه  
عن الحق والارتجاج  
اقتناء القلب من سنة  
الفعل والتحرك للأشياء  
والوحدة. والملاحظة  
ثلاثة مشاهدة بالحق  
وهي رؤية الأشياء  
بدلائل التوحيد  
ومشاهدة للحق وهي  
رؤية الحق في الأشياء  
ومشاهدة الحق وهي  
حقيقة اليقين  
بلا رتاب. والمكاشفة  
أتم من للمشاهدة وهي  
ثلاثة مكاشفة بالسلم  
وهي تحقيق الإصابة  
بالفهم ومكاشفة بالحال  
وهي تحقيق رؤية  
زيادة الحال ومكاشفة  
بالتوحيد وهي تحقيق  
صحة الإشارة. واللوائح  
ما يلوح من الأسرار  
الظاهرة الصافية من  
السمو من حيلة إلى  
حالة أتم منها والارتقاء  
من درجة إلى ما هو  
أعلى منها. والتلون  
تلوين العبد في أحواله  
وقالت طائفة علامة  
الحقيقة رفع التلون  
بظهور الاستقامة  
وقال آخرون علامة  
الحقيقة التلون

متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علماً من فلان أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوياً اليقين في جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوياً اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاله وخفائه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيها ذا يطلب اليقين فاني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكن أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لأحكامها فالصدق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق النعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا ينضب عليهما بل يراها آيتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر لكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقناً بريثاً من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيقاق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجتلاً في الطلب ولم يشتد حرصه وشهره وتأسفه على ما فاتته وآتمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يطلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الحزب إلى الشيع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرس على التحصيل للخير طلباً للشيع فيحفظ قلبه وكثيره فكذلك يحرس على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به القربون وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لمواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرتك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدباً في جميع أحواله كالجالس يشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقاً متأدباً في جميع أعماله متأسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والدل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحميدة وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأشجار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربيع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الفيرة . والفيرة غيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالفيرة في الحق برؤية الفواحش والنهي وغيرة على الحق هي كتمان السرائر والفيرة من الحق منه على أوليائه . والحرية إقامة حقوق المبودية فتكون لله عبداً وعند غيره حراً . واللاطفة إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا يسعها العبارة . والفتوح ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الخلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه وفتوح للكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان يجريان في الأبد بما جرى في الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجا والقبض عبارة عن حال الخوف . والقناء قناء المعاصي ويكون قناء رؤية العبد لفعله

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق والفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التعلم إظهار غاية الخصوصية بلباس الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثة إرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى وإرادة الحفظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه وذلك موضع الإخلاص والريد هو الذي صبح له الابتلاء ودخل في جملة المقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .

النجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكونه لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والذلة والتواضع وقديلا ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينته فهي لبسة الأنبياء وسيا الصالحين والصدّيقين والعلماء وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطور والأمن والفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهودأب أبناء الدنيا الفاقلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم يأمر الله تعالى بأيام الله وهم للفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لا يأمر الله ولا يأياهم الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى ويأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصدّيقون والحشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورققا فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام للتقين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتعشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة <sup>(١)</sup> » وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم تقرب إلى الله تعالى يفضيه فانه يموت في السماء والأرض ويروي في الأسرائيليات أن حكما صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيه قل لقلان قدامات الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لأقبل من نفاقك شيئا قدم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشي في الأسواق ووا كل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيه قل له الآن وقت لرضائي . وحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيز بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين إلى الرياسة فلا يعقهم وهم أحق بالمت من ذلك الشرطى وروى أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال <sup>(٢)</sup> صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرتك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيتك لم يذكرك وإن ذكرتك لم يعنك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا <sup>(٣)</sup> »

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلنا سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلنا ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا في الدنيا وأكثر الناس ضعفا في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الله عنه في خطبة له ذمق رهينة وأنا به زعيم إنه لا يسبح على التقوى زرع قوم ولا ينظم على الهدى صنع أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل فحش علما أغار به في أغباش الفتنة حماه أشباهه من الناس وأرذلهم علما ولم يعش في العلم يوما سالما بكر واستسكبر فساقل منه وكفى خيرا ما أكثر وألمى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره فانزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشوا رأى فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خياط عشوات لا يعتذر عما يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغم تبيكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لاملء والله بأصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم الثلاث وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم العلم فأكظموا عليه ولا تخطوه بهزل فتعجه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكة معج من العلم بحة وقيل إذا جمع للعلم ثلاثا تمت النعمة بها على التعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع التعلم ثلاثا تمت النعمة بها على العلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتطهرون القرآن للعمل بالرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمة لا يدري ما أمره وما زجره وما ينبغي أن يقف عنده ينثره ثراقل (٢) » وفي خبر آخر عثل معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه وضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وغلبنا فمن أعلم منا فذلك حظهم (٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الحشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الحشية فمن قوله تعالى - إنا نحشي الله من عباده العلماء - وأما الخشوع فمن قوله تعالى - خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا - وأما التواضع فمن قوله تعالى - واخضض جناحك للمؤمنين - وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى - فبأرحمة من الله كنت لهم - وأما الزهد فمن قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - قيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانتسح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجراف عن دار الفرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤) » . ومنها أن يكون

والتراد هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والقامات.

والهمة ثلاثة : همة

منية وهي تحريك القلب

للمنى وهمة إرادة وهي

أول صدق المرید وهمة

حقيقة القصور عن

ملاحظة ذروة هذا

الأمر والجهل فان

الأمراد والخطب جد

والآخرة مقبلة والدنيا

مدبرة والأجل قريب

والسفر بعيد والزاد

طفيف والخطر عظيم

والطريق مسدود وما

سوى الخالص لوجه

الله من العلم والعمل

عند الناقد البصير رد

وسلوك طريق الآخرة

مع كثرة الفوائد من

غير دليل ولا رفيق

متعب ومكد فأدلة

الطريق هم العلماء

الذين هم ورثة الأنبياء

وقد شغلهم الزمان

ولم يبق إلا للترحمون

وقد استحوذ على

أكثرهم الشيطان

واستغواهم الطغيان

وأصبح كل واحد

بما جمل حظه مشغوبا

فصار يرى العرف

- (١) حديث إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم خوفا في الدنيا الحديث لم أجده أصلا  
(٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٣) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٤) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود .

منكرا والنكر معروف  
 حتى ظل علم الدين  
 مندرسا ومنار الهدى  
 في أفطار الأرض  
 منطمسا ولقد خيلوا  
 إلى الخلق أن لا علم إلا  
 قوى حكومة تستعين  
 به القضاة على فصل  
 الخصام عند تهاوش  
 الطعام أو جلد يتدفع  
 به طالب اللباهات إلى  
 الغلبة والإخام أو سجع  
 مزخرف يتوسل به  
 الواعظ إلى استدراج  
 العوام إذ لم يروا ماسوي  
 هذه الثلاثة معيدة  
 للحرام وشبكة للحطام  
 فأما علم طريق الآخرة  
 هو ما درج عليه السلف  
 الصالح وهي جمع المهم  
 بصفاء الإلهام  
 والغربة ثلاثة : غربة  
 عن الأوطان من أجل  
 حقيقة القصد وغربة  
 عن الأحوال من  
 حقيقة التفرد بالأحوال  
 وغربة عن الحق من  
 حقيقة الدهش عن  
 المعرفة . والاصطلام :  
 نعت وله بردي القلوب  
 بقوة سلطان فيستكنها .  
 والسكر ثلاثة : مكر  
 عموم وهو الظاهر  
 في بعض الأحوال

أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشر فإن أصل الدين التوق من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه  
 ولأن الأعمال العملية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواقفة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن  
 في معرفة لا يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يخلب مسيس الحاجة  
 إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفرجات في  
 الحكومات والأفضية ويتبعون في وضع صور تنقض الدهور ولا تقع أبدا وإن وقعت فأنما تقع لغريم  
 لا لهم وإذا وقعت كان في القاعين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويشكروا عليهم أثناء الليل وأطراف  
 النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه للآزم بهم غيره  
 النادر لإشارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشربها في أن يسميه البطالون  
 من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل  
 يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين  
 وفوز المقرين وذلك هو الحشران اللين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما  
 بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم أتفتت الكلمة في حقه  
 على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية  
 الغامضة في شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته  
 قال من حذيفة بن اليمان وقيل الحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته  
 قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة  
 أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني عنه <sup>(١)</sup> وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير  
 وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول  
 يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رأي أني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله  
 عنه أيضا قد خص بجم المناقنين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر  
 الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المناقنين فيخبر بعدد من يثق  
 منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك  
 وكان عمر رضي الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظرفان حضر حذيفة صلى عليها ولا ترك وكان  
 يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب  
 الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل  
 هذا تزويق للذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصا

والناس في غفلة عما يراد بهم فجاهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأدق لطباعهم فان الحق مر والوقوف  
 عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن  
 الشر الحديث أخرجاه مختصرا .

الذسومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة الصوم فهو يقاسى الشدائد لينكون فطره عند اللوت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكهما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل القسرى والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزير لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يئذل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتقاده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما للقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسرارهم فإن للقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما مامن أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي كعب ثم خلفهما في الفقه والقراءة جميعا . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه وترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرآن فسددم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على السموع من الغير تقليدا غير مرضى فلا اعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصنيف القرآن في مصحف وقالوا كيف فعل شيئا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا ترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهم حتى أشار عمر رضي الله عنه بوقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تحاذل الناس وتكاسلهم وحدثنا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من للتشابهات فاشترح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجعل القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس مامن أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه برضه بلفظه من قوله ويدع .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات . والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السرف الحق . والرهبة : رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقدته والوجود : تمام وجد الواحدين وهو أتم الوجد عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي ينبغي عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح الماني والاشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال



أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم  
وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء  
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا  
مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن  
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والنفوس في إبطال المقالات ، ثم مال الناس  
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك  
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكاييد الشيطان وأمرض عن ذلك إلا الأقولون  
فصار يسمى الجاهل التكميم عالما والناقص للزخرف كلاما بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام  
هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم  
وعلمهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث  
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن  
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما  
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون  
سابقة فكيف الظن زمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لتسبته إلى  
الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوق من محدثات  
الأمر وإن اتفق عليها الجمهور فلا يعرفه إطلاق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم  
وليكن حربا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم  
أكان في التدريس والتصنيف والناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا أو كل مال الأيتام  
ومخالطة السلاطين ومجاورة في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة  
الظاهر والباطن واجتناب ذيق الآثم وجليسه والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكاييد  
الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق  
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فثم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرا أتبعنا  
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه ليل طابعهم إليه ولم تسمح قلوبهم  
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن  
عبدان أحدنا في الإسلام رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يبعد  
الدنيا لها ينضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوها إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا  
بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما عن  
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويتفتي آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك نكونوا وقد  
روى عن ابن مسعود موقوفا ومستندا أنه قال « إنما هما اثنتان الكلام والمهدي ، فأحسن  
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن المهدي هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم  
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،  
ألا لا يطولن عليكم الأمد فتفسق قلوبكم ، ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت » (١)

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والمهدي الحديث ابن ماجه .

والأعمال والأحوال على  
الله تعالى قصدا ذاتيا  
لا على ماملكه أرباب  
علوم الظاهر ، ثم  
التصديق بالقوة والنظر  
إلى المسكوت من  
كوة ومعرفة العلوم  
في الانصراف ومصاحبة  
القدر بالمساعدة  
وبالمعروف ومعاطاة  
الوجودات الحسنة  
الداني والحس والحجالي  
والعقلي والشبهى  
حسبا فهم من الشرع  
وثبت معناه في المحفوظ  
من الوحي وقلنا أدرك  
شئ من العجز والعلم  
لا ينال براحة الجسم  
ومن يتق الله يجعل  
له من أمره يسرا  
ذلك أمر الله أنزله  
إليكم ومن يتوكل  
على الله فهو حسبه  
إن الله بالغ أمره قد  
جعل الله لكل شئ  
قدرا (والوصية) أيها  
الطالب للعلوم  
والناظر في التصنيف  
والاستشراف على كلام  
الناس وكتب الحكمة  
ليكن نظرك فيما  
تنظر فيه بالله وفيه  
وفي الله لأنه إن لم يكن

نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ما شا كل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار عليك لغيره ونكست على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيبه ولا حظت بالحقيقة سواء ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك الستر وتحجب اللب وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدرأ كمن يستغنى عنه في الظاهر وله إليه كثير حاجة في الباطن ولا تنقب به حيث وقف به كلامه فالعلماني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب للؤلؤات وكثير علم بما

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس وأشق من ما اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمصيبة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خلقته وصلحت سيرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بطله وأتقى الفضل من ما وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنن ولم يدها إلى بدعة (١) » وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أتم في زمان خيركم فيه للسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه التثبت التوقف لكثرة الشبهات وقد صدق لمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجاهل فبإمام عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضي الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكركم اليوم معروف زمان قد آتى وإنكم لا تزالون بغير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق قال أمة معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله عنهم إذ من غير المعروفات في زماننا تزيير للساجد وتجيدها واتفاق الأموال العظيمة في دقائق محاربتها وفرش البسط الرفيع فيها ولقد كان يعد فرش البوارى في السجد بدعة وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلسا يجالسون بينهم وبين التراب ساجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل وللناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من النكرات ومن ذلك التلحين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب والتساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال أتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على القرائب ما أقل العلم فيهم والله للشئان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان غشها ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوا اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فأنهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخبر أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وورب يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحاط فيهما لاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان للنبر في صلاة العيد عند الصلوة قام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنما ليست بدعة إنما خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يلفهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بغير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم وإنما أنكر ذلك عليه ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لاهل للنبر (٢)

(١) حديث طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس وأتقى ما لا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والبراز من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب الصرى وسط الحديث وكلها ضيفة (٢) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحية ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف وروا في الصغير من حديث سعد القرظي كان إذا خطب في الميدين خطب على قوس وإذا خطب في الجمع خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بل يسط كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس الحديث

وفي الحديث المشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»<sup>(١)</sup> وفي خبر آخر «من غش أمي فلعنه الله واللائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يتدع بدعة يحمل الناس عليها»<sup>(٢)</sup> وقال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته»<sup>(٣)</sup> ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثالا من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكم في السلف بالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق قيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالخط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالئ»<sup>(٤)</sup> وقال ابن عباس رضي الله عنهما الضلالة لها حلوة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذو الدين أخذوا دينهم لعبا ولهووا - وقال تعالى - ألن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فبكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم بما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللب واللغو وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال ما شأناكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتبعونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم قد هبوا نبهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تتلون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم شيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تتألوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تفر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال جفاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوم أين شاءوا. فإن قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورد عليهم من حيث لا يلمنون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك فقيه هلك المتدخلون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لومه إنكار الأنبياء وكان خارجاً عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يرضى إلى قوله بل ينبغي أن يتم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ في أمرنا ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمي فلعنه الله الحديث الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته لم أجده أصلاً (٤) حديث عليكم بالخط الأوسط الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفاً على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعاً .

لم يعبر عنه واطمع بنظر قلبك في كلامه إلى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك قدر صوابه بباب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد وليكن تحسین النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تتيقن من معانيه وإذا رأيت له حسنة وسيرة فانتبه الحسنة واطلب العاذر للسيئة ولا تكن كالذباب تزل على أقدر ما تجده ولا تجعل على أحد بالخطئة ولا تبادر بالتحجيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشمر فكل عالم عورة وله في بعض ما يأتي به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولي الله تعالى الخضر وكنية موسى على نبينا وعليهما السلام وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن في الظاهر بحال أو اختلال فخذ ما ظهر لك عليه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله

في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيها أحب ويدفع ما لا يوافق محبوه ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً والعوام العصابة أسعد حالاً من الجاهل بطريق الدين للعتدين أنهم من العلماء لأن العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمراً عليه إلى اللوث وإذا غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى واقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المحتاط المزلّة والافتراء عنهم ككسائي في كتاب المزلّة يأنه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة الرعشي ما ظنك بمن يبق لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه إلا كان آمناً أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر أو أن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد ولو تأمل هذا للسكين وعلم أن إقامته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن السكينة إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا وسيلة إلى الشرف فيكون هو معيّن على ذلك ورده أو ظهوراً وميثاقاً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للفرز ولذلك لا يرخس له في البيع بمن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكان أحد رجلين إما متصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بذلت آلة الدنيا بالدين وتشبه بسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بمهلك وإنكارك بزمرة المالكين الآيسين نموذ بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجهر ففسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تفرح الحياة الدنيا ولا يفرح بآله الفرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسيا وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدّها ضراوة واقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمة وهابة لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته »<sup>(١)</sup> وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكير شخصه ولا لزيادة قوته بل لثباته في نجرته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون للشيخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا وقتلوا أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وترأى لهم ما كان يتلأأ على دياجيه وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطناً في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإعسا القصدان نوراً ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد ساء الله نورا في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - ومعنى العلم المستفاد منه روحاً وحياء حياة فقال تعالى - كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - وقال سبحانه - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا عشتى به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي عن حديث أبي رافع بسند ضعيف .

عز وجل فهذه وصيقي لك فاحفظها وتذكرى إياك فلا تنهل عنه : اسمع وصيقي إن تحفظ حظيت بها وإن تخالف فقد يردى بك الخلف وأزيدك زيادة تقتضي التعريف بأصناف العلماء لكي يصرف أهل الحقيقة من غيرم فلك في ذلك أكبر منفعة ولى في وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا : العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وآياته مهتبا بالحشية لله سبحانه والورع في الدين والزهد في الدنيا والإيثارة عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد أخرج للتكلمين وأخفم للتخرسين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ما ينازع شواهد بينة ونجومه نيرة قد حصى صراط الله للمستقيم والمحجوج عالم بالله وبأمره وآياته

في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم عنه واعلموا أنه يجتدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم للنظر حقير الخطر دنيء المترقرث الهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل النظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً بالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تنفرت بتعظيم أهل الدنيا إياكم فانهم من الخاسرين (١) » . وقال عليه السلام « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطي وبك أتيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم الكاشفة فلا يليق ذكره بعلم العامة وغرضنا الآن ذكر علوم العامة وعن أنس رضي الله عنه قال « أتني قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال عليه السلام : إن الأحق بصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلني من ربهم على قدر عقولهم (٣) » . وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وماتم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال عليه السلام « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فند ذلك ثم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فيقدر عقله تكون عبادته أما صمته قول الفجار في النار - لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لقيم الداري « ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله عليه السلام كإسألتك فقال كأكفئت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت للسائل يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية للرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المهبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أسامة، وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس أتني قوم على رجل عند النبي عليه السلام حتى بالغوا في الثناء فقال كيف عقل الرجل الحديث ابن المهبر في العقل بتمامه والترمذي والحكيم في النوادر مختصراً (٤) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المهبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث ابن المهبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لقيم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء كثرت للسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث ابن المهبر وعنه الحرث .

ولكنه قد الحشية  
برؤيته لنفسه وحجبه  
عن الورع والزهد في  
الدنيا والرغبة والحرص  
وبعد من بركات  
علمه محبة الموت  
والشرف وخوف  
السقوط والفقير فهو  
عبد لعبد الدنيا خادم  
لخدمها مفتون بصد  
علمه مقتر بصد معرفته  
مخدول بصد نصرته  
شأنه الاحترار لثم  
الله والازدراء لأولياته  
والاستخلاف بالجهايل  
من عباده وفخره ببقاء  
أميره وصلة سلطانه  
وطاعة القاضي والوزير  
والحاجب له قد أهلك  
نفسه حين لم ينتفع بعلمه  
والاتباع له ومن يكون  
بعده قدوة به ومراده  
من الدنيا مثله في مثل  
هذا ضرب الله للثل  
حين قال - واتل عليهم  
نبأ الذي آتيناه  
آياتنا فانسلخ منها  
فأبغى الشيطان  
فكان من الظالمين  
ولو شئت لرفقناه بها  
ولكنه أخذ إلى  
الأرض واتبع هواه فله  
كئيل الكلب إن يحمل

عليه يلهث أو تتركه يلهث - فويل لمن يحب مثل هذا في دينه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل دينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عباده تراه إن أعطى من الدنيا رضى بالمدحة لمن أعطاه وإن منع رضى بالدم لمن منعه وقد نسي من قسم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم فتعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وإنما زدتك هذه الزيادة وإن ظهر لكبرأتها ليست من الفرض الذي نحن فيه قصدي أن يعلم من ذهب من الناس ومن بقي ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الأولين من الطاء قد ذهبوا وإن كان بقي منهم أحد فهو خير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالميل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم <sup>(١)</sup> » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد لللائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أو فرم عقلا <sup>(٢)</sup> » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله بما يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فيقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون <sup>(٣)</sup> » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية الرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل <sup>(٤)</sup> » وقال عليه السلام « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « آتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا <sup>(٦)</sup> »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يفارق الإنسان بمسائر البهائم وهو الذي استعده لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحرث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتبها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستمد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن الناقل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المبر (٢) حديث البراء بن عازب جد لللائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المبر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المبر (٣) حديث عائشة قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المبر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل الحديث ابن المبر وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٦) حديث آتمكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المبر من حديث أبي قتادة .

غاب الدين إذا ما حدثوا  
صدقوا  
وظنهم كيقين إن هم  
حدسوا  
وذلك لما سبق في  
التضاء من ظهور  
النسب وعدم أهل  
الصلاح والرشاد نعم  
وعدم الصنف الثالث  
على غيبته وأعز شيء  
على وجه الأرض وفي  
الغالب ما يقع عليه في  
الحقيقة اسم علم عند  
شخص مشهور به  
وإنما الوجود اليوم  
أهل سخافة ودعوى  
وحماقة واجترار وعجب  
بغير فضيلة ورياء  
يحبون أن يحمداوا  
بما لم يفعلوا وهم أكثر  
من عمر الأرض  
وصيروا أنفسهم أوتاد  
البلاد وأرسان العوام  
وم خلفاء إبليس  
وأعداء الحقائق  
وأخذان لموائد السوء  
وعنهم يرد عتب الحكم  
الشائعة وانتقاض أهل  
الارادة والدين :  
مثل البهائم جهال مخالفتهم  
لهم تصاورهم لم يعرف  
لهم حبا  
كل يوم على مقدار  
حيلته

العلوم والنائم بسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع قد العلوم وكأن الحياة غريزة بها  
يتبها الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تنبها بعض الحيوانات  
للعلم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والجماد في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لافرق  
بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوما وليس يخلقها في الجماد والبهائم لجاز أن  
يسوى بين الجماد والحياة ويقال لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الجماد حركات مخصوصة بحكم  
إجراء العادة فإنه لو قدر الجماد جادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فإله سبحانه وتعالى قادر  
على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما يجب أن يقال لم يكن مفارقتها للجماد في الحركات إلا بغريزة اختصت  
به عبرتها بالحياة فكذلك مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو  
كالمرأة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصفاة وكذلك  
العين تفارق الجبهة في صفات وهيئاتها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين  
إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقتها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور  
الشمس إلى البصر فهكذا ينبغي أن نفهم هذه الغريزة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات  
الطفل للميز بمجواز الجائزات واستحالة الاستحالات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص  
الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عنه بعض التكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض  
العلوم الضرورية كالعلم بمجواز الجائزات واستحالة الاستحالات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه  
العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا وإنما القاسدان تشكر تلك الغريزة ويقال موجود إلا هذه العلوم .  
الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حكمة التجارب وهذبه المذاهب يقال  
إنه عاقل في المادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمرا جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى  
عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى  
اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب  
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن  
سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والنبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول  
والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي  
الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عاقلين فطبع ومسموع ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو للراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل » (١) والأخير  
هو للراد بقوله ﷺ « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك » (٢) وهو  
الراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضى الله عنه « ازدد عقلا تزد من ربك قربا  
قال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا  
واعمل بالصالحات من الأعمال تزد في حاجل الدنيا رفة وكرامة وتتل في أجل العقب بها من ربك

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من  
رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر تقرب أنت بعقلك  
أبو نعيم في الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل  
فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزفة والقرب وإسناده ضعيف .



عز وجل القرب والمز<sup>(١)</sup> وعن سعيد بن المسيب «أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للتقيين إن العاقل هو للتقى وإن كان في الدنيا خسيسا ذليلا<sup>(٢)</sup> قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته<sup>(٣)</sup>» ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة تلك الفريزة وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها تمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الحشية والعالم من غنى الله تعالى فإن الحشية ثمرة العلم فتكون كالجهاز لغير تلك الفريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الفريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله للساء في الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويختص ويتميز بالحسن لا بأن يساق إليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى - وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فاتهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقرر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أي كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها القرب استعدادها للادراك ثم لما كان الإيمان مركوزا في النفوس بالقطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسها بفعله ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل - لعلمهم يتذكرون - وليتذكر أولوا الألباب - واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واتقكم به - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا الخط تذكرا ليس بعيد فكان التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالقطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه<sup>(٤)</sup> السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخط في مثل هذه الآيات ويتصف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسف ويتخيل إليه في الأخبار والآيات ضروب من الناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحغار ويعتقد فيها التهاوت ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالأواني المصنوعة في الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا الحديث قاله لأبي الدرداء ابن الحبر ومن طريقه طهارت ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن الحبر (٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته ابن الحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه من الرواج أي يكون السماع والتقليد رأيا عنده فتأمل اهـ مصححه .

زوائر الأسد والنباح

الله

فاحذرهم قاتلهم الله  
أن يؤفكون اغذوا  
أيمانهم جنة فصدوا  
عن سبيل الله إنهم  
ساء ما كانوا يعملون .  
أولئك كالأنعام بل هم  
أضل أولئك هم  
الذاللون .

أولو النفاق فإن قلت  
اصدقوا كذبوا  
من السفاه وإن قلت  
اكذبوا صدقوا

ولناخذ في جواب  
ماسألت عنه على  
نحو ما رغبت فيه  
واستوهب الله تفوذا  
البصيرة وحسن  
السيرة وغفران  
الجرير وهو ردي ورب  
كل شيء وإليه المصير .

[ ابتداء الأجوبة عن

مراسم الأسئلة ]

جرى الرسم في الأحياء  
بتقسيم التوحيد على  
أربع مراتب تشبها  
لمواقفة الغرض في  
التجليل به وذكرت أن  
للمفترض وسوس أو  
بالحوطر هجس بأن  
لفظ التوحيد ينافي  
التقسيم إذ لا يخلو بأن  
يتعلق بوصف الواحد

ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإنما الخلل في بصره فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالقارس والبدن كالقارس وعمى القارس أضمر من عمى القارس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - الآية وعمى ضده عمى قال تعالى - فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثابتة لم يعلق به من الدين إلا تشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطق اسم العقل عليها -

( بيان تفاوت النفوس في العقل )

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادأة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بمجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدرك إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزدد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المرفع لفائدة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتناء عن بعض الأطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك الماصي من الجاهل لقوة علمه بضرر الماصي وأعنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لأعماله أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فاتهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوت في الغريزة وإما تفاوت في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جرده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند من التميز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموًا خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم تدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطول قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاها لما اختلف الناس في فهم العلوم

الذي ليس بزيادة عليه  
فذلك لا ينقسم  
لأجنس ولا بالفصل  
ولا بغير ذلك وإما أن  
يتعلق بوصف المكلفين  
الذين توجب لهم حكمه  
إذا وجد فيهم فذلك  
أيضا لا ينقسم من  
حيث انتسابهم إليه  
بالعقل وذلك لضيق  
الجمال فيه ولهذا  
لا يتصور فيه مذاهب  
وإنما التوحيد مسلوك  
حق بين مسلكين  
باطلين أحدهما الشرك  
والثاني الإلbas وكلا  
الطرفين كفر  
والوسط إيمان محض  
وهو أحد من السيف  
وأضيق من خط  
الظل ولهذا قال أكثر  
التكلمين بتأني  
إيمان جميع المؤمنين  
والملائكة والنبين  
والرسلين وسائر عموم  
الرسلين وإنما تختلف  
طرق إيمانهم التي هي  
علومهم ومذاهبهم في  
ذلك معروف وعن  
لأنهم في هذه الإجابة  
كلها بقى من أعاء  
الجدال ومقابلة الأقوال  
بالأقوال بل يقصد  
إزالة غير الإشكال

ولما انقسموا إلى بيد لا يفهم بالفتهم إلا بعد تعب طويل من العلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبثق من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى - يكاد ينهاض في ولوم نفسه نار نور على نور - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ تنضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعنى ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به (١) وهذا النمط من تعريف اللائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر وتلك أخبر عن هذا بالنفث في الروح ودرجات الوحي كثيرة والجوهر فيها لا يليق بلم العامة بل هو من علم السكافة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يعد أن يعرف الطبيب للمريض درجات الصحة ويسلم العالم الفاسق درجات المدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود العلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف القوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا تنفيعه كاتقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الساء فيقوى فيضجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى الفنون وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت «يا ربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيات لأعظم بلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى سقا ومنهم من أعطى جنتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى قرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك (٢) فان قلت فما بال أقوام من التصوفة يذمون العقل والعقول . فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عديم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فقدموا العقل والعقول وهو المسمى به عديم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رساله فكيف يتصور ذمه وقد أثبت الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي يذمه محمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل للذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي تتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات إنما تارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخطوا فيها لتخييط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف (٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن الهجر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

ورد ما ظن به أهل الضلال والإسلال . واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على أعماه توجهها بشيء . قدح به المعرض أو هجس به الحاضر وإنما يستعمل ههنا من أعماه ما تتميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حالهها تسمى توحيدا على جهة تفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والليل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به مسمى أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي حنانيا والحنبل حنيليا

ومن رزق علم التوحيد  
وما يتحقق به عنده  
وسمى من أجله  
بشكوكه المارضة له  
فيسمى موحدا لأنه  
عارف به يقال جدلي  
ونحوي وقبه ومعناه  
يسرف الجدل والفتنة  
والنحو . وأما من  
استغرق علم التوحيد  
قلبه واستولى على جملة  
حق لا يجد فيه فضلا  
لغيره إلا على طريق  
التبعية له ويصكون  
شهود التوحيد لكل  
ماعداه سابقا له مع  
التفكير والفكر مصاحبا  
من غير أن يتريه  
ذهول ولا نسيان له  
لأجل اشتغاله بغيره  
كالعادة في سائر العلوم  
فهذا يسمى موحدا  
ويكون القصد بالمسمى  
من ذلك المبالغة فيه .  
فأما الصنف الأول وهم  
أرباب النطق بالفرد  
فلا يصرون في  
التوحيد بهم ولا  
يفوزون منه بنصيب  
ولا يكون لهم شيء من  
أحكام أهله في الحياة  
إلا ما دام الظن بهم أن  
قلب أحدهم موافق  
لسانه كما يفرد القول

ثم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل  
الأرض والسماء يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا

بسم الله الرحمن الرحيم

### ( كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول )

الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فنقول  
وبالله التوفيق : الحمد لله للبدى للعبد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي  
صفوة العبد إلى النهج الرشيد والسلك السديد النعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن  
ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار حبه الأكرمين الكرمين  
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو  
شاهد للعرف بإمام أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد  
قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قیوم لا انقطاع له دائم لا انصرام  
له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والاقضال بتصرم الآباد واقتراض  
الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . التنزيه : وأنه ليس بحجم مصور  
ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله  
الجواهر ولا يمرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثل موجود ليس كمثل شيء ولا هو مثل  
شيء وأنه لا يحده القدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتشفه الأرضون ولا السموات  
وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمنى الذي أرادته استواء منزها عن الماسة والاستقرار  
والتسكين والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في  
قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء  
كما لا تزيد بيدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات  
عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو  
على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء  
ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان  
والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواء ذاته  
وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتربه العوارض بل لا يزال في نعوت جلالة منزلها  
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرقن  
الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإتماما منه للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم .  
الحياة والقدرة : وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يتريه تصور ولا يحجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يمرضه  
فناء ولا يموت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات  
مطويات بيمينه والخلق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع التوحيد بالاعباد والإبداع  
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته نصارىف  
الأمور لا تحصى مقدورات ولا تنتهى معلوماته . العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من  
تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

( كتاب قواعد العقائد )

يُعلم ديبب الخلة السوداء على الصخرة السماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضهار وحركات الخواطر وخفيات السرائر يعلم قديم أزلى لم يزل موصوفاً به في أزل الأزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال . الإرادة : وأنه تعالى مرید للكانات مدبر للحادثات فلا يجري في للك واللسكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر تقع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيتته لما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيته لقلة ناظر ولا قلة خاطر بل هو للبدى العبد المفعول لما يريد لا إرادة لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لبعده عن معصيته إلا بتوقيفه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن ولللائكة والشیاطین على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيته لجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مریداً في أزاله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قد رها فوجدت في أوقاتها كما أرادته في أزاله من غير تقدم ولا تأخر بل وقت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير في الأمور لا بترتيب أفكار ولا ترص زمان فذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سمع بصير يسمع ويرى لا يمزج عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يفتي عن رؤيته مرئي وإن دق ولا يعجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وأذان كما يعلم بغير قلب ويطنش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام : وأنه تعالى متكلم أمرناه وأعدمتوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو صطكك أجرام ولا بحرف يقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه للزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في الصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الاتصال والافتراق بالاتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى البرار ذوات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مریداً مميماً بصيراً متكلماً بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا يعجز دالته . الأفعال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سوى إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وآتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ البعد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشیطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وأنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن شيئاً إذ كان في الأزل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كنهه لا لا فتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والإصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلاً وأنه عز وجل يثيب عباده للؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات واجب على الخلق بإيجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فلبثوا أمره ونهيه ووعده ووعده

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو اللبغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله النبي عنه قبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم ومنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم . وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فראوا على كل منها خطأ منتطباً فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فيادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهي الشهادة للرسول بالرسالة وأنه  
بعث النبي الأمي القرشي محمد صلى الله عليه وسلم رسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والأنس  
ففسخ بشريته الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الإيمان  
بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن به شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم  
الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن  
بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيان هائلان يقعدان العبد في  
قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن  
نبيك (١) وهما ثنائيا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بمذاب القبر (٤) وأنه  
حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته  
في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرته الله تعالى ، والصنج يومئذ  
مناقل النار والحرود تحقيقا لتمام العدل وتوضيح مخائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور  
فيثقل بها لليزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح مخائف السيئات في صورة قبيحة في كفة  
الظلمة فيخف بها لليزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم  
أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه قهوى بهم إلى النار  
وثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالحوض للورود

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت  
أو قال أحدهم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما النكير وللآخر النكير وفي الصحيحين من  
حديث أنس إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان  
فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنهما ثنائيا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ثنائيا القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن  
سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجه من حديث عائشة إنكم تفتنون  
أو تعذبون في قبوركم الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من  
عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طباق  
السموات والأرض البهي في البعث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه  
ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبي داود من حديث  
عائشة أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أبخف ميزانه أم يشغل زاد ابن  
مردويه في تفسيره قالت عائشة أي حي قد علمنا اللوازم هي الكفتان فيوضع في هذه الشيء ويوضع  
في هذه الشيء فترجح إحداها وتخف الأخرى والترمذي وحسنه من حديث أنس وأطابني عند الميزان  
ومن حديث عبد الله بن عمر في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة الحديث  
وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان  
بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشخان من حديث أبي  
هريرة ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ولهما من حديث أبي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم  
زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفعه أحمد من حديث عائشة  
والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعه في البعث من رواية عبيد بن عمير مرسل ومن  
قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم شرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظلمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم للقرّيون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين (٥) ويسأل للبتدعة عن السنة (٦) ويسأل للسليين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج اللوحدين من النار بعد الاتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يغفل

(١) حديث الايمان بالحوض وأنه شرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم ولها من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أما لكم حوض كابين جرباء وأدرج . وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن مخرمة وخازنة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب من شربة لم يظلمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولها من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يصب فيه ميزابان يمدّانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والتقدير كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقض الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حسابا يسيرا - قال ذلك العرض ولها من حديث ابن عباس عرضت على الأمّ قليل هذه أمّتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمّتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فها استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فها استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكرين يديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لييك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتي فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وآمته الحديث . وابن ماجه يحمي . النجاشي يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال للبتدعة من السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من التقدير صل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجلا رجلا وإسنادهما ضعيف (٧) حديث سؤال للسليين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسألي في الصلاة .

التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيجاده عن غيره وعقلت أنها عقلت توحيد فسيحان من جبرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا بهو هو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم للقرّيون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن يعرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده فأما من عدت عنه فهو كافر إن كان في زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمه إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعّد عن مقام هذا



في النار موحد<sup>(١)</sup> وأن يؤمن بشفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزله عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان<sup>(٢)</sup> وأن يستند فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup> وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين<sup>(٤)</sup> فكل ذلك لما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موثقاً به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رھط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المبرّد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بتيقظه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقرآءة الحديث ومعانيه ويشتمل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزاد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحداً بفضل الله سبحانه الشياخان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً عن أراد الله أن يرحمه عن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنين ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يصلوا خيراً قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نغير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فتخير أبو بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والتناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مفلح الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي . وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا .

الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به والقيلدون هم العوام وهم أهل للرتبة الثانية في الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لنفسه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالتقى لم يبلغ وكان على قرب هم القربون وهم أهل للرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل للرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائريين النبي والابنات وعصو بين البادي والغايات ولم يدخل أهل للرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث مزيد تشرح وبسط بيان تعرف منه ماذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسباهم وجماعهم وحياتهم في  
الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالتقاء بذن في الصدر وتكون  
هذه الأسباب كالسقي والترية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت  
وفرعها في السماء وينبئ أن يحرس سمه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل  
أكثر مما يعمده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد  
رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والشاهدة تكفيك في هذا  
بيان قناهيمك بالبيان برهانا قس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة التكلمين  
والمجادلين ترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة التكلم  
الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيطة مرسل في الهواء ينفثه الريح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع  
منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كالتلفف نفس الاعتقاد تقليدا إذا لفرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم  
الدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوء على هذه  
العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم  
يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش  
وتكليف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من السالكين طريق الآخرة وساعده التوفيق  
حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة اقتحت له  
أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيق الوعد  
عز وجل إذ قال - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - وهو الجوهر النفيس الذي  
هو غاية إيمان الصديقين والقربين وإليه الإشارة بالسرا الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه  
حيث فضل به الخلق وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات  
الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كثافات الخلق في أسرار  
الطب والفقهاء وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في التكاء والفطنة وكما  
لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسألة : فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كنتم النجوم أو هو  
مباح أو مندوب إليه فاعلم أن الناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن  
لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيره من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على  
الكفاية أو على الأعيان وإنما أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى  
وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن  
عبد الأمل رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي للعترة  
يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم  
الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلمت من أهل الكلام على شيء  
ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما تنهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام .  
وحكى الكراييسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فضرب وقال صل عن هذا  
حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له  
من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في  
الكلام من الأهواء لقروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى  
أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفراني قال الشافعي حكى في أصحاب

كل مرتبة ومقام  
وانقسام أهله فيه  
بحسب الطاقة والإمكان  
بما يجريه الواحد الحق  
على القلب واللسان  
(بيان مقام أهل النطق  
المجرد وتمييز فرقه)  
فأقول أرباب النطق  
المجرد أربعة أصناف  
أحدهم نطقوا بكلمة  
التوحيد مع شهادة  
الرسول صلى الله عليه  
وسلم ثم لم يستقدوا معنى  
ما نطقوا به لما لم يملوه  
لا يتصورون صحته  
ولا فساد ولا صدقه  
ولا كذبه ولا خطأه  
ولا صوابه إذ لم يستحوا  
عليه ولا أرادوا فهمه  
إما لبد همهم وقلة  
اكتراثهم وإما لنفورهم  
من التعب وخوفهم أن  
يكلفوا البحث عما  
نطقوا به أو يبدو لهم  
ما يلزمهم من الاعتقاد  
والعمل وما بعد  
ذلك فان التزموها  
فارقوا راحت أبدانهم  
العاجلة وفراغ أنفسهم  
وإن لم يلتزموا شيئا  
من ذلك وقد حصل  
لهم العلم فتكون  
عيشتهم منغصة وملاذم  
مكدره من خوف

عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه عفاة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاده من الأطعمة والأشربة والأنسجة أو كثير منها فيحتاج إلى أن يتركها أو يرتكبها على رقيه وخوف أن يصيبه صورة ما يسل ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأساً. مثل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يستقد وما دعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانحرطاً باظهار القول في الجمل الغير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة اللئكين أحدهم في القبر إذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لأدرى سمعت الناس يقولون قولا قتلته

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والينة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظراً في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالع في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على البدعة وقال له وبحك ألتست عني بدعتهم أو لا ثم ترد عليهم ألتست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعوم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام لا تادق. وقال مالك رحمه الله أرايت إن جاءه من هو أجدل منه أبدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام ترندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحنائق وأصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولمونه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هلك المتطعون هلك المتطعون هلك المتطعون»<sup>(١)</sup> أي المتمسكون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنباء<sup>(٢)</sup> وندبهم إلى علم القرائض وأثنى عليهم<sup>(٣)</sup> ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا<sup>(٤)</sup> عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طفلان وظنهم الأستاذون والقدة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المخذور من الكلام إن كان هو لفظ الجواهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تصدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولوعرض عليهم عبارة النقص والكسر والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فأحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المخذور هو المعنى فتحن لأننى به إلى معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كجاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المخذور هو القشعب والتصبب والعداوة والبغضاء وما يفضى إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى - قل هاتوا برهانكم - وقال عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم من سلطان بهذا أي حجة وبرهان وقال تعالى - قل لله الحجة البالغة - وقال تعالى - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه - إلى قوله - فبهت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإخامه خصمه في مرض التناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا يانوح قد جادلنا فأكثر جدالنا - وقال تعالى في قصة فرعون - وما رب العالمين - إلى قوله - أولو

(١) حديث هلك المتطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنباء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث ندبهم إلى علم القرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تملوا القرائض وعلموها الناس الحديث ولترمذى من حديث أنس وأقرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهام عن الكلام في القدر وقال أمسكوا - تقدم في العلم -

جئتكم بشيئين - مبينين - على الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فسمدة أفلة للتكلمين في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وفي النبوة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحيى الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون للنسكرين ويجادلونهم قال تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون للنسكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زماهم وأول من سن دعوة للبتدعة بالمجادلة إلى الحق طي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلهم فقال ما تنقمون على إمامكم قالوا قاتل ولم ينسب ولم ينتم فقال ذلك في قتال الكفار أرايتم لو سببت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدر يفرج عن القدر وناظر طي بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد ابن عبيدة في الإيمان قال عبد الله لوقلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن حميرة يا صاحب رسول الله هدمزلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث واليزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة وتكون لاهل الجنة فإنا نحن أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا نحن أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها من زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذ صناعة فيقال أما قل خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إتمام الحصر واعتراؤه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الحصر أو لجاجة لطال لا محالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بيزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تنفق إلا على الدور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخوارج فمعنى أيضا ترتيب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيع الحاد أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بدمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والبيعة وأغنى بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار واللوث وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة البيعة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك للسلم في وقت الحيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الأضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قلبه وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قلبه وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فان كثيرا يضر بالهرور وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيئا تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنمود إلى علم الكلام وهو قول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعة في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار وعمله حرام أما مضرته فأنارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان لا حديث ولا نلت وصحاح النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الدين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل به الإيمان ولا ينظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابة طائفة من الشيعة القدماء إن عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه غرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا التكبر ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « متفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار وإذا رجعوا إلى أهل

الإلحاد أعلنوا عدم  
كلمة الكفر فهم ولا  
التأقون الذين ذكرهم  
الله في كتابه بقوله :  
وإذا لقوا الذين آمنوا  
قالوا آمنا وإذا خلوا  
إلى شياطينهم قالوا  
إنا معكم إنما نحن  
مستهزون الله يستهزئ  
بهم ويمدحهم في طغيانهم  
يسمعون . الصنف  
الرابع قوم لم يعرفوا  
التوحيد وما نشأوا  
عليه ولا عرفوا أهله  
ولاسكنوا بين أظهرهم  
ولكبرهم حين وصلوا  
إلينا أو وصل إليهم  
أحد منا خاطبوا  
بالأمر المقتضى للنطق  
بالشهادتين والاقرار  
بهما فقالوا لا نعلم  
مقتضى هذا اللفظ  
ولا نقل معنى للأمر به  
من النطق فأمرنا أن  
نظهر والرضا وبهموا  
بلا مهلة فسكنوا إلى  
ما قيل لهم ونطقوا  
بالشهادتين ظاهرا  
وم على الجهل بما  
يستقدون فيها فاخترم  
أحدهم من حينه من  
قبل أن يأتي منه  
استهانام أو تصور يمكن  
أن يكون له مع معتقد

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد  
البدعة للبدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتهد حرصهم على الإصرار عليه ولكن  
هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى للبدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده  
باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون  
والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة  
المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء  
ويعرفك بالبيان أن الحق مع خصمك لكراه ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء الضال  
الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعة فقد يظن  
أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام ولما بهذا المطلب الشريف  
ولعل التخييل والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما  
خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاصبر هذا بمن خبر الكلام ثم قل له بعد حقيقة الحق وبعد التظلم  
فيه إلى منتهى درجة التكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن  
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح  
لبعض الأمور ولكن على التدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعة شيء  
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات البدعة بأنواع الجدل  
فإن العامي ضعيف يستغزه جدل البدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس  
متبدلون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودينام وأجمع السلف  
الصالح عليها والعلماء يتبعون بحفظها على العوام من تلبسات البدعة كما تعبد السلاطين بحفظ  
أموالهم عن تهجمات الظلة والفساد وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبغي أن يكون كالطبيب  
الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة .  
وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها  
مهما تأمنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعاطيهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم  
شكا وبزول عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بذلك بالإصلاح وأما العامي المعتد للبدعة فينبغي أن  
يدعى إلى الحق بالتلفظ لا بالتعصب وبالكلام اللطيف القنع للنفس المؤثر في القلب القريب من صياق  
أدلة القرآن والحديث المزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك أنفع من الجدل للوضع على  
شرط التكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها التكلم ليستدرج الناس  
إلى اعتقاده فان هجم عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدر أن يدفعه فالجدل  
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القوية  
المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض على  
اعتقد البدعة بنوع جدل سمح فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له  
من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامة فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه  
منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقي إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها للذهاب فيقتصر  
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويترتب وقوع شبهة فان وقعت ذكرك  
بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخذلوا فلا بأس أن يطوا  
القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات البدعة إن وقعت

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أفنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة منمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بقتنيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من الصفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فصبان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكواف وعن الإدراكات وعن الحوض في الرؤية هل لها ضد يسمى النع أو العمی وإن كان فذلك واحدهو منع عن بيع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات والضلات والقسم الثاني زيادة تقرير تلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضللا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيد الإطباب والتقارير غموضا . ولو قال قائل البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشجيد الحواطر والخطر آله الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشجيدهم كان كقوله لعب الشطر نج يشجدا الحواطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فإن الحواطر يتشجد بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر الحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمدها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به . فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع البتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لا تدرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه البتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه البتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرس عليه فإن المحترف بمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية الذكاء والفتنة والنصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه . الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبية عليه فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك محل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين اللاذ فلا يعرض على إزالة الشبهة بل يفتنهما ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا التعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة الحمودة في الكلام إنما هي من جنس جميع القرآن من الكلمات الطيبة المؤثرة في القلوب القنعة للنفوس دون التغافل في التفسيات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شموذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبس فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه، وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الحوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نهينا عليه وأن ما قل عن ابن عباس رضي الله عنهما من منظره الحواجر

فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكهم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بمدتهم وغيب الدهن وفرط البسالة أن يدعوا إلى النطق فيجيبوا ومعاذة ثم يدعوا إلى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود في النار ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أغنى المحترم قبل تحصيله المقدم مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى: فرغت شفاعة اللائكة والنبين وبقيت شفاعتي وهو أرحم الراحمين فيخرج



من النار أقواما لم يصلوا  
حسنة قط ويدخلون  
الجنة ويكون في أعناقهم  
صمات ويسمون عتقاء  
الله عز وجل والحديث  
يطول وهو صحيح  
وإنما اختصرت منه  
قدر الحاجة على للمنى  
وحكم الصنف الأول  
والثاني والثالث أجمعين  
أن لا يجب لهم حرمة  
ولا يكون لهم عصمة ولا  
ينسبون إلى إيمان ولا  
إسلام بل هم أجمعون  
من زمرة الكافرين  
وجملة المالكين ما،  
عشر عليهم في الدنيا  
قتلوا فيها بسيف  
الموحدين وإن لم يتر  
عليهم فهم صائرون إلى  
جهنم خالدين ترفع  
وجوههم النار وهم فيها  
كالخون .

[فصل] ولما كان  
اللفظ النسبي عن  
التوحيد إذا انفرد  
عن المقدر وتجرد عنه  
لم يقع به في حكم الشرع  
منفعة ولا لصاحبه  
بسيه نجا إلا مدة  
حياته عن السيف  
أن يراق دمه واليدان  
تسلط على ماله

وما نقل عن علي رضي الله عنه من الناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل  
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقتها فلا يبعد أن يختلف  
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة  
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ  
هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر  
الصافي عن شوائب المبادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر  
الرزق وبحسب التضرع وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره  
ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها  
جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي  
عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى للطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر  
وباطن وسر وعلم بل الظاهر والباطن والسر والعلم واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى  
خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلففوا في أوائل الصبا شيئا  
وجمدوا عليه فلم يمكن لهم ترقى إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة  
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلما (١) » وقال علي رضي الله  
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حمة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن  
معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث  
أحد قوما بعدت لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم (٣) » وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها  
للناس وما يفتلها إلا العالمون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة السكون لا يعلمه  
إلا العالمون بالله تعالى (٤) » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم  
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (٥) » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من  
إفشائه لتصور الأفهام عن إدراكه أولم يأت آخر فلم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لودكره  
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض  
مثلهن يتزل الأمر بينهن - لو ذكرت تفسيره لرجموني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . وقال  
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرين أما أحدهما فبشبهه  
وأما الآخر لو بشبهه لقطع هذا الخلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام  
ولا صلاة ولكن بسلوكه في صدره (٦) » رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد  
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري  
رضي الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يغله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسمعه إظهاره إلا لأهله  
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال  
بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم والعلماء بآفته سر لو أظهره

- (١) حديث إن للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه  
(٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث  
ما حدث أحد قوما بعدت لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة السكون  
الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث  
عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم .



لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فإذا كره له بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يظني نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبي [مسئلة] فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فيبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر فيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلا الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقض ولا يخالفه فهو غير زول به الإنقسام ولا يكون الشرع سر لا يخفى بل يكون الحفي والجل واحدا . فأن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم السكافة ويخرج عن مقصود علم العامة و غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تصدنا بتلقيها بالقول والتصد بصدق القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الش الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فن قال إن الحقيقة تخالف الشر أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها للقرين يدركها ولا يشاركهم الأكثرون في عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : الله الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تسلك أكثر الأنفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وما أن لا يشعروا إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أنفهامهم عن الإدراك وإخفاء سر الراد وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه (١) من هذا القسم فإن حقيقته مما تسلك الأنفهام دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرعول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا بد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بأداب الله فيستكون مما سكت عنه بل في صفاة الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أنفهام الجماهير عن دركه يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرها حق فهمها الخلق بنوع مناه توهوها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهون ذلك بن مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض الناس به شيء لم يفهموه بل لغة الجماع ذكرت للشيء أو الشيء لم يفهمها إلا بما يناسبه إلى لغة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهمها التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لغة الجم والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفاته نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو بما كانت له قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال فليس في قوة الب إلا أن يثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكل وأشرف فيكون معظم تحريره على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به . الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) ولي

(١) حديث كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسه حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم قلم يرد عليهم شيئا الحد .

(٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

إذالم يعلم خفي حاله حسن فيه أن يشبه بغير الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أي مجالس الطعام ولا تشبه النفوس إلا مادام منطويا على طعمه صونا على له فإذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أوسوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا يخفى في محته والتمريض بالتمثيل تقرب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاس على التعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يصحكون مطابقا للواحد المراد منه .

[فصل] فإن قلت لما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق من النظر والبحث حتى نطوا أو من الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله

الغنى أني أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلالة ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل الخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولتضمن عتات الكلام عن هذا النمط ولترجع إلى الفرض وهو أن أحد الأقسام ما تكلل الأفهام من إدراكه ومن جملة الروح ومن جملة بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره » (١) القسم الثاني من الحفيات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر للسميعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذي منح أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يحد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الحفائش وكأضرار ريار الورد بالجلل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا واللصا والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق في نفسه وقد أضر سماعة بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دالة على السفه وتقيض الحكمة والرضا بالتبعية والظلم وقد ألد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين على ذلك وكذلك سر القدر لو أفتى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيد ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فعمل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل أكثرائها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا الغنى لو أنجحه وصح فيكون مثالا لهذا القسم . القسم الثالث : أن يكون الغنى بحيث لو ذكر صريحها لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكفي عنه على سبيل الاستمارة والرمز ليكون وقفه في قلب السميع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقت ذلك الأمر في قلبه كالمو قال قائل رأيت فلانا يتقعد الدر في أعناق الخنازير فكفى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالسميع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير فظن لدرك السر والباطن في تفاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر :  
رجلان خياط وآخر حائك      متقابلان على السكك الأعزل  
لازال ينسج ذاك خرقة مدبر      ويحيط صاحبه ثياب القبل

فانه عبر عن سبب محاوى في الاقبال والادبار برجلين صائمين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن الغنى بالصورة التي تتضمن عين الغنى أو مثله . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد ليتروى من النخامة كما تروى الجملدة على النار » (٢) وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تتقبض بالنخامة ومضاه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقيره فيضاد معنى السجدة مضادة النار لاتصال أجزاء

(١) حديث إن سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهها ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بين الله وبين اللاتكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وإسناده ضيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور ، وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد مؤن الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبي موسى حجاب من نور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولا بين ما جبه غنى أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد ليتروى من النخامة الحديث لم أجده أصلا .

وهم في الظاهر قادرون على ذلك وما السانع الحسنى الذي منهم وأبسطهم . وهم يعلمون أن ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم ثقة فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من القصد ولكن لا بد إذا وقع في الأصماع ووعته قلوب الطالبين واشتاتت إلى صماع الجواب عنه أن نور في ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتفتح به النفوس بحول الله وقوته ، نعم ما سبق في العلم القديم لا تجرى غلغلة المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق السكلاية والشيم القدائية والطباع السبعية وغلبتها عليهم واللائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والقلوب بيوت تولى الله بناءها يسهه وأعداها لأن

الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كأن إذا رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الامام قد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحق وهو القصد دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الحقى وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقفا في فهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل في كنياته عن الاقتدار قوله تعالى -إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون- فان ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطأ بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ لعدم لا يفهم الخطاب حتى يمثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى -أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هي القلوب وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والتناقض فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ولهداية التي تنفع الناس تمكث ، وفي هذا القسم تصق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرها وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الانسان الشهادة جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والدوق بأن يصير حاله لا بأسا له في تفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب والأول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والایمان والتصديق إذ قد يصدق الانسان بوجود المشرق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث عند تصدقه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام أربعة تفاوتات الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم القلب القشر والسلام . القسم الخامس : أن يعبر بلسان اللقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويستعده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السرفيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد لم تشقني قال سلم من يدقني فلم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان اللقال ، ومن هذا قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فالبلد يفترق في فهمه إلى أن يقدر لها حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة .

(٢) حديث قلب البدين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

تكون خدائن على ومشارق مكشوفاته ومهبط ملائكة ومغاشي أنواره ومهابت فضائه ومحال مكاشفاته ومجاري رحمة وهياها لتحصيل المعرفة به في كان فيها شيء من تلك الأخلاق للدمومة لم يدخلها اللائكة ولم ينزل عليها شيء من الخير من قبله إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق للدمومة التي حلت فيهم وهي التي فم الكلب لأجلها لما احترمت لللائكة بإذن الله عن حولها فيها وهي لا تغلو من خير تنزل به ويكون معها خيفة حلت حل الخير في ذلك القلب غلوا وإنما هي لها خيفة وجدت قلب خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على لللائكة ما زعمها عنه

بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فالبلد يختر فيه إلى أن يقدر لأجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحانه الله ليتحقق تسميحه والبصير يعلم أنه ما أريده نطق اللسان بل كونه مسجعا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحداية التسميحه كما يقال :

وفي كل شيء له آية يدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصفة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكال العلم لا يمتنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويقيه ويدبره أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجة يشهد لحالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا يفقهون تسميحه - وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما القربون والطاء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسميحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم العامة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا اللقائ لأرباب اللقائات إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - وقوله تعالى - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي اللزبان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون - وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعد كون كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحبر الأسود يمين الله في أرضه » (١) وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين » (٢) ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسم الباب ورعاية لصالح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الحرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدهما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الزجر ونشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمرؤها كجاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه جميعا بصيرا وأولوا للمراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والليزان والصراط وحجة بين أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد والجنة واشتغالها على الأكلات والشهوات والنكوحات وللأخذ

(١) حديث الحبر يمين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمين ورجاله تمات .

من تلك الأخلاق للنسوة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة اللاتكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت واتساعه من الخير فان كان البيت كثير الاتساع أكثر فيه من متاعها واستماتت بغيرها حتى يتلى البيت من متاعها وجهازها وهو الإيمان بالله والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرقت ذلك البيت طارقت شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان فاته الله وطرده عن ذلك المثل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب للتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد

المحسوسة وبالنار واشتغالها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترتبهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ماورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولغات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا يقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة ببذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم السرفون وحد الاقتصاديين. هذا الانحلال كله وبين جمود الخنابة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموقنون الذين يدركون الأمور بنور الهي لا بالسماح ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتبين له موقف والأليق بالتقصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف النطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم السكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والفرص بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالفة فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن تقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوفه تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوازم من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلتورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولتقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وصيناء الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائعين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد الرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالجلل التين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع للنقول وتحققوا أن النطق بما تبعدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا عصور إن لم يتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلتي الشهادة على إنجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا صميما بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنه تعالى تكليف ما لا يطاق وأنه يلام البرى ولا يجب عليه رعاية الأهل والأولاد إلا بالشرع وأنه بثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبيينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع في السميات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر ومؤال منكر ونكير وعذاب القبر واليزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة .

فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

انشرأحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وذل واهتدى فان قلت : فيزلى أصناف هذه الأخلاق المذمومة التي صددت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت اللائكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا تبيها من الخبرات السالكين معها فاعلم أن الأخلاق التي لا يجتمع معها اللائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها مظهرها وهي الطمع في غير خطير والحرس على فان حقيق . وأما الصنف الأول فانهم رجوا وخافوا أن تبدو لهم حمة ما يشغلهم عن قدامهم وينص عليهم ما رغبوا فيه من راحاتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أكرم على ما هم عليه . وأما الصنف الثاني والثالث فقدم أيضا خوف وجزع وحرس على ما ألقوه من تبجيل أحدهم أن يزول

ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهادا  
والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا  
فوقكم سبعاً عدادا وجعلنا سرارجاً لها وأنزلنا من المصرات ماءً فجاجاً لتخرج به حياواتنا ووجات  
الفا - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في  
البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة  
وتصريف الريح والسحاب المغيرين بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف  
خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً وآية أنبتكم من الأرض نباتاً  
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً - وقال تعالى - أفرأيتم ما تمنون ما أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون - إلى  
قوله - المقون - فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار  
نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب  
والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها  
منهورة تحت تسخيرهم ومعرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفي الله شك فاطر السموات والأرض -  
ولهذا بث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا  
لنا إله وللإله إله فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي غفوة شبابهم ولذلك قال  
عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - فأقم وجهك للدين حنيفاً  
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن  
ما يبنى عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار يقول من بدائه العقول  
أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب محدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما  
قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل  
تقدير تقدمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتر بالضرورة إلى المختص وأما قولنا  
العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث  
فقد حدث في هذا البرهان ثلاث دعاوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه  
مدركة بالبدية والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وانكار فإن من عقل جسم لا سا كنوا لا متحركا  
كان لمن الجهل راكباً وعن نهج العقل ناكباً . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما  
ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد لها  
من ما كن إلا والعقل قاض بمجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بمجواز سكونه فالطاري  
منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه  
وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه  
أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولولم تنقض تلك الحوادث بمحملتها  
لانتهى النوبة إلى وجو الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك  
دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعاً أو وتراً أو شفعاً وترتاً جميعاً أو لا شفعاً  
ولا وترتاً ومحال أن تكون شفعاً وترتاً جميعاً أو لا شفعاً ولا وترتاً فإن ذلك جمع بين النقيضين والاثبات  
إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شفعاً لأن الشفع صير  
وترتاً بزيادة واحد وكيف يجوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترتاً إذ الوتر صير شفعاً بواحد  
فكيف يجوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شفعاً ولا وترتاً إذ له نهاية فتبطل من

ومؤانسة أشياعهم أن  
تفسير وتذهب ومواساة  
إيلافهم أن تنقطع  
واستقلالاً لما شاهدونه  
من أهل الإيمان أن  
يلتزموه وفراراً من  
شرائطه وما يصحبه  
من الأعمال والوظائف  
إذ يتشبهوا والكلب  
ما فهم صورته وإنما ذم  
بهذه الأخلاق التي  
هي الطمع في الحسائس  
والجزع من الصبر على  
ما يسهل من الفضائل  
حق احترمت لللائكة  
أن تدخل بيتاً فيه كلب  
فان قلت فكيف آمن  
من كفر وأطاع من  
عصى واهتدى من  
ضل إذا كانت  
الشياطين لا تفارق  
قلب الكافر والماعى  
والضال بما تثبتون  
من الأخلاق للذمومة  
التي هي كلاب نابعة  
وذئاب عادية وسباع  
ضارية وأصناف الخير  
إنما ترد من الله عز  
وجل بواسطة لللائكة  
وهي لا تدخل موضعاً  
عمل فيه شيء مما ذكرنا  
وإذا لم تدخل لم يصل  
إلى الخير الذي يكون  
مهما ولم تصل إليه فضل



هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى الحدث من الدركات بالضرورة. الأصل الثاني : العلم بأن الله تعالى قدير لم يزل، أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى مالا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى صيغته صانع العالم ومبدئه وبارئته ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخرو الظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن يتعدم بنفسه أو بعدم مضاده ولو جاز أن يتعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب وباطل أن يتعدم بعدم مضاده لأن ذلك العدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصليين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فان كان الضد للعدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحدث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يقل قدم جواهر العالم فان سماه سم جوهرها ولم يرد به التحيز كان غلطاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الاقتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والقدر وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو شيء آخر من أقسام الأجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بمرض قائم بجسم أو حال في محل لأن الغرض ما يعمل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تفصل إلا لوجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كشيء شيء وأن يشبه المخلوق خالقه وللقدر مقدرة وللصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه ومنه فاستحال القضاء عليها بمائته ومشايمته . الأصل السابع : العلم بأن الله تعالى منزّه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفلى لما يلي جهة الرجل حتى إن النملة التي تدب بمنكسة تحت القف تتقلب جهة الفوق في حقها تحنا وإن كان في حقنا فوقا وخلق للإنسان اليدين وإحدهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم

هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا مصوما فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم . فاعلم أن هذا يستدعى أسنافا من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا المقام للعلوم والقول وللنفي في جواب ما سألت عنه ان للشيطان غفلات وللأخلق للدمومة عدمات كما أن لللائكة لها عن القلوب غيبات وتواتر الخير عليها قرأت فاذا وجد الملك كما أعلنتك قلبا خاليا ولو زنا ما فر ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فان صادف منه قبولا ولما عرض عليه من الخير تشوقا وتزوعا أورد عليه ما يملأ ويستغرق به وإن صادف منه محورا ومع منه مجنود الشياطين استغاثة بالأخلاق الكلاية استغاثة رحل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا لب عن لمة ملك أو زعة شيطان . فان قلت : فأى بيت فهم



اليمن للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلى اليمن يمينا والأخرى شمالا وخلق له جانبين يصير من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولولم يخلق الانسان بهذه الحلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بمحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضًا فاستحال كونه مختصا بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المنين كان غلطًا في الإنساق مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيًا له وهو محاذ لجسم فلما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محجوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد للدير فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة إلى ماهو وصف المدعو من الجلال والكبرياء تنبيهًا بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن . العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا يتأني وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدود والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

واضطرت أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرت أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود عين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره لزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكين لزم منه كون المتمكن جسمًا محاسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن تراني - وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بنوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك . الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفراد بالخلق والإبداع واستبداد بالإيجاد والاختراع لا مثل له يساويه ولا ضد له فينازعه ويتاوه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأي كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللين ولب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته أن للتصود بالإخبار هو بيت اللين ولب الحيوان معلوم ولا يتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه ويتخطى منه إلى ما أثرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ دل عليه العلم ووجه الاستنباط ولم تجبه القلوب الستضاء ولم تصادم به شيئا من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من تصور مقله فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى ما في معناه ومثابه من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

فيها آلهة إلا الله لقدتنا - ويانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالتاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومداغته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا .

( الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى - ومداره على عشرة أصول )

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم حكم في صنعه مرتب في خلقه ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسيج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له أو عن إنسان لا قدرته كان متخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل الضلالة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل الخلقات - لا يهرب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستغرب في دلالة الخلق اللطيف والصنع للزينة بالترتيب ولوفي الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انقصاص في غمرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو البدئ والمبدى والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الغدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارقة للقدرة إلى أحد التقديرين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن ينفي عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى مسمع بصير لا يهرب عن رؤيته هو اجس الضمير وخفايا الوم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون مسمعا بصيرا والسمع والبصر كالإحالة وليس بنقص فكيف يكون الخلق أكل من الخالق والصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تتبدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على آية إذ كان يعبد الأصنام جهلا وفيما قال له - لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفي عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدة ومبصرا بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جملة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يقله عقله ولا نهمها عن أن يقول لسانه حادث ولكن ما يحدث فيه بقدر في الحادثة قديم

قوله إلى من هو أفقه منه  
سؤال : فان قلت قد  
قال النبي صلى الله عليه  
وسلم « لا تدخل  
الملائكة بيتا فيه  
صورة » وعلم السبب  
الذي جاء هذا الحديث  
عليه وفيه قبل يمدى  
عن سببه ويرتقى منه  
إلى مثل ما ترقى من  
الحديث الآخر فهذا كما  
قيل الحديث شجون  
وأبتنا هذا الباب  
ما يقرب منه ويعد  
علينا التخلص عنه نعم  
يرتقى منه إلى قريب من  
ذلك وشبهه ويكون  
هذا الحديث منها  
عليه وهو أن الصورة  
النحوتة قد اتخذت  
آلهة وعبدت من  
دون الله عز وجل وقد  
نهى الله عز وجل قلوب  
المؤمنين على عيب فعل  
من رضى بذلك ونقص  
إدراك من دان به حين  
قال مخبرا عن إبراهيم  
عليه السلام حيث قال -  
أعبدون ما تحتون  
والله خلقكم وما  
تعلمون - فكان  
امتناع الملائكة من  
دخول بيت فيه صورة  
لأجل أن فيه ماعبد

من دون الله سبحانه  
أو ما حكى به ما هو على  
مثاله ويرقى من ذلك  
المعنى إلى أن القلب  
الذى هو بيت بناء الله  
ليكون مهبط الملائكة  
ومحلا للذكر ومعرفة  
عبادته وحده دون  
غيره فإذا حل فيه  
معبود غير الله سبحانه  
وهو الهوى لم تقر به  
الملائكة أيضا . فان  
قل فظاهر الحديث  
يقضى منافرة الملائكة  
لكل صورة عموما وما  
ذكرته تمليلا ينبغى أن  
لا يقضى إلا منافرة  
معبود أو ما تحت على  
مثاله . قلنا تشابهت  
الصور النحوتية كلها  
في المعنى الذى قصد بها  
التصوير لأجله وهو  
مضارعة ذى الأرواح  
وما تحت للعبادة إنما  
قصد به تشبيه ذى روح  
فما كان هذا المعنى  
الجامع لها وجب تحريم  
كل صورة منافرة  
للملائكة . فان قيل  
لما وجه الترخيص فيما  
رقم في ثوب فذلك لأنها  
ليست مقصودة في  
نفسها وإنما المقصود  
الثوب الذى رقت فيه .

فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيئا  
وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين التأخر عن الباء قديما فتره عن الالتفات  
إليه قلبك فله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد - ومن يضل الله فماله من هاد - ومن استبعد أن  
يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجودا  
ليس بحجم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره  
فليقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الوجودات  
فليقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه من المرات وإن عقل كون السموات  
السيعة كون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة وعخوفة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك  
مرئى في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحمل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدقة  
والقلب والورقة فليقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير  
حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه  
في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولا حرق . الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه  
قديم . كذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخل تحت التغير بل يجب للصفات من  
نوع القدم ما يجب للذات فلا تتغيره التغيرات ولا تحل الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمعامد  
الصفات ولا يزال في أبدنه كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو  
عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبتت الحدوث للأجسام من حيث تضرعها للتغير وتقلب الأوصاف  
فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما  
الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق  
ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك  
الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليقل قيام الطلب الذى دل عليه  
قوله عز وجل - اخلع نعليك - بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به - وجوده إذ خلقت  
له معرفة بذلك الطلب وسمع فذلك الكلام القديم . الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته  
وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم  
الأزلى إذ لو خلق لنا علم بقدم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس كان  
قدم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فكذا ينبغى أن يفهم قدم  
علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تملكت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللاحقة  
بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو  
مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة  
أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث  
إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلم حى بحياة  
قادر بقدره ومريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير بصير وله هذه الأوصاف من  
هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم  
فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتل  
ولا يتصور قاتل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم  
بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

فليجوز انفسكاكه عن العلوم وانفسكاكه العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .  
(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى . ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواء ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعمهم وأوجد قدرتهم وحر كتهم لجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى - وأسروا قولكم أو جهروا به إنه علم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر الباطن بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإظهارهم لعلهم بما ورد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا تصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها لما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انقردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات . الأصل الثاني : أن أفراد الله سبحانه باختراع حر كات الباطن لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والقدر جميعا وخلق الاختيار والاختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسبه . وأما الحر كة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسبه فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحر كة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحر كة القدرة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحر كات للملكوتية وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاعتقاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وقدرة العبد على وجه آخر من التعلق بغير عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله تعالى في الأزلة قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصل بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بمحصل المقدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا فمسيبانه فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فتنة خاطرة ولا فتنة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته تبارك وتعالى ومنه الشر والخير والنفع والضرب والإسلام والكفر والعرفان والسكر والقوز والخمران والتوبة والرشد والطاعة والعصيان والترك والإيمان لأراد لقضائه ولا مقب لحسكه يضل من يشاء ويهدي من يشاء - لا يستل عما يفعلون - يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة العقل أن العاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريد بها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لئنه أقمع أنه عدو فمسيبانه والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز السلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لوردت إليها رياسه زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والضيعة هي الغالية على الخلق وكل ذلك جار عند البدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والمعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهاظر أن أفعال العباد مخلوقة لله صرح أنها مرادة له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد

فان قيل لما بال الثياب رخص في محاسنها بالتصوير وذات أنواط في الصرب مشهورة معلومة فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة في أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما في السنة فاخر ثيابها وحل نساها لأجل اجتماعها عندها وراحتها في ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثل للنحوته والأصنام ولو كان ذلك ماسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حق أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والسيح عليه السلام وعلى رضى الله عنه ولم يبدوا ما تحت على شكل النبات فلم تعبد من هذه إلا ذات روح فلما أبدع در كهامن حرمة الله تعالى إياها لله الحمد وهو أهله .

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجة بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بعهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولولم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والأمر والنهي وكيف يهدف لإيجاب أو تضرع للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عنه إلى محال كما يقال وجود العلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وأن أراد به المعنى الثاني فهم مسلم إذ بعد سبق العلم لابن من وجود العلوم وأن أراد به معنى ثالث فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فإنه إذا لم يضر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلاء ويسرّهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهو العرض والحساب فإني في ذلك غبطة عند ذوى الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولولم يجز ذلك لاستحال سؤالهم وقد سألو ذلك فقالوا سألنا ولا عملنا ما لا طاقة لنا به . ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أباهل لا يصدق ثم أمره بأن يأمره بأن يصدق في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدق فكيف يصدق في أنه لا يصدق وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن لله عز وجل إيلام الخلق وتقديرهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يبدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهائم إيلام لها وما صاب عليها من أنواع العذاب من جهة آدميين لم يتقدمها جريمة . فإن قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قامت من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقعة عركت حتى يشيها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فإنه لا يستل عما يفعل وهم يستلون وليت شعري بما يجب للمعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة نرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ مائة مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه يحب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفضت منزلته على فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن المدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلك فيقول الله تعالى لأنني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر للمعتزلي عن الله عز وجل . وعند هذا ينادي الكفار من درجات لظي ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فانارضينا بعبادون منزلة الصبي المسلم فهذا يجب عن ذلك وهل يجب عند

[بيان أصناف أهل]

[الاعتقاد المجرد]

وأما أهل الاعتقاد

المجرد عن تحصيله بالعلم

وتوثيقه بالأدلة وشده

بالبراهين قد اتسموا

في الوجود إلى ثلاثة

أصناف أحدهم صنف

اعتقدوا مضمون

بما قرأوا به وحشوا به

قلوبهم من غير تردد

ولا تكذيب أسروا في

أنفسهم ولكم غير

عارفين بالاستدلال

على ما اعتقدوا وذلك

لقرط بعدم وغلظ

طبائهم واعتياص

طرق ذلك عليهم ويقع

عليهم اسم الموحدين

ونحننا وجود أمثالهم

كثيرا على عهد سيد

الرسولين صلى الله عليه

وسلم والسلف الصالحين

رضي الله عنهم ثم لم

يلتفتا أنه اعترض

أحد إسلامهم ولا

أوجب عليهم الخروج

منه والعروق عنه ولا

كفوا مع قصور فهمهم

وبعدم عن فهم ذلك

بعلم الدلالة وقراءة

ترك البراهين وترتيب

الحجاج بل تركوا على

مام عليه وهؤلاء

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعترال . فان قيل هما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح مالا يوافق الغرض حتى إنه فديكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره . إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستبيح قتل الشخص أو يلوأوه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من محاسبة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بمخاتق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح . وأما الحكيم منابر أسمى الأصلح نظرا لنفسه لينتفد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بل محباب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها للغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العيب وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والقوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيات وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه وليس في المال إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على العصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد دل من أخذ هذا من القياسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لئلا له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر مالم ينظر للكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندي إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدي ذلك إلى إضحام الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من اللواضع إن وراءك سبعا ضاريا فان لم ترح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك مالم ألتفت ورائي ولا ألتفت ورائي ولا أنظر مالم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على المهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المهرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لي صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما على البلاغ البين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر التوقع فان العقل لا يهدي إلى التهرب للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بشة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأفعال النجبة في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية للفساد للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندي معذورون  
يعدم مقبولون بما  
توافقوا عليه من إقرارهم  
وعقدتهم والله سبحانه  
قد عذرهم مع غيرهم  
بقوله سبحانه لا يكلف  
الله نفسا إلا وسعها ولا  
يخرجون عن مقتضى  
هذه الآيات محال  
وسنبدى لك طريقا  
من الاعتبار تعرف به  
صحة إسلامهم وسلامة  
توحيدهم إن شاء الله  
عز وجل . والصنف  
الثاني اعتقدوا الحق  
مع ما ظهر منهم من  
النطق واعتقدت مع  
ذلك أنواعا من الخائيل  
قام في محيلتها أنها أدلة  
وطأتها براهين وليست  
كذلك وقد وقع في  
هذا كثير ممن يشار  
إليه فضلا عن دونهم  
فان وقع إلى هذا  
الصنف من يزعم  
عليهم تلك الخائيل  
بالصدق ويظهرها  
عليهم بالمعارضة أو  
الاعتراض لم يلتفتوا  
إليه ولا أصغوا لما يأتي  
به ويرفعوا إلى أن  
يجابوه لما يحملهم  
عليه من سوء الفهم  
أو رداة الاعتقاد

وعندهم أن جميع تلك الخايل في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا له ومنهم من يكون دليله بعض احتملات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقموا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يهركوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في قلوبهم بدعة يمسر انحلالها أو يقيموا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة . واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلما من أغذية النفوس فمن رغب في أكلتها لم يقع بدونها وإياها حصل له ذلك قويا به ومن قنع بأيسرها ولم تطمح منه إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصائبين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتسييح الحمى (٢) وإنطاق العجاء (٣) وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تعدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة نهّدقوا لسيده ونبيهم وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضة مثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير محارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلفين رؤوسكم ومقصرين - وكقوله تعالى - ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين - ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما يحجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فلهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك الدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مها قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السميات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافاء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة - فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا بشئكم إلا كنفس واحدة - والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول . الأصل الثاني سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعي الاعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي يفهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء البيت وعدم معانها للسؤال له فإن النائم ساكن بظاهرة ويدرك باطنه من الآلام والذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسييح الحمى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمحموط رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجاء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير التي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لمحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة خفاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أتتا في بيت المقدس وأرض الحشر والنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا لقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .



من ذلك ضعف ولكنه  
يشي عيش الطيف  
وإنما يهلك من لابلغة  
له ولا يجدها أو مجدها  
ولكنها تكون مشابهة  
ممن جاء بمضرة بدعة  
ومموم كفر فلا تنهل  
عماء شار لك إليه وإنما  
المرغوب تنبيهك والله  
للسمتان وقلم بين  
الصنف الثاني والأول  
من التفاوت من حيث  
إن أولئك مقلدون فيما  
يعتقدونه دليلا غير  
أنهم أوثق رباطا من  
الأولين لأن أولئك إن  
وقع إليهم من شكهم  
ربما شكوا وانحل  
رباط عقدهم وهؤلاء  
في الأغلب لا سبيل إلى  
انحلال عقودهم إذ  
لا يرون أنفسهم أنهم  
مقلدون وإنما يظنون  
أنهم مستدلون عارفون  
فلهذا كانوا أحسن  
حالا. والصنف الثالث  
أقروا واعتقدوا كما فعل  
الذين من قبلهم وقدموا  
النظر أيضا ولكنهم  
لعدم سلوكهم سبيله  
مع القدرة عليه ومعهم  
من الدكاء والفتنة  
والتيقظ مالم ينظروا  
لعلوا ولو استدلو

الأصل الثالث : عذاب القبر وقد ورد الشرح به قال الله تعالى - النار يرضون عليها غدوا وعشيا ويوم  
تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح  
الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء  
البيت في بطون السباع وحواصل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر  
الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : اليزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع للوازنين  
القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه -  
الآية ووجه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير  
مقادير أعمال المباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في المقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . الأصل  
الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى  
- فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقومهم إنهم مسئولون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على  
أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار  
مخلوقتان قال الله تعالى - وسارعوها إلى مفطرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين -  
قوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة  
في خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - . الأصل السابع : أن الامام  
الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول  
الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء  
على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا فلم  
يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كاهم إلى مخالفة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض واعتقاد  
أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم  
وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منارعة من معاوية في الامامة  
إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشارهم واختلاطهم بالمسكر يؤدي إلى  
اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم  
يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون  
للمصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي ذو تحصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله  
عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه  
إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك  
دقائق الفضل والترتيب فيه للمشاهدون للوحي والتزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلو لا فهمهم  
ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ،  
الأصل التاسع : أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الكورة والورع والعلم والكفاية  
ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٣) وإذا اجتمع عدد من الوصفين  
بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف لا أكثر باغ يجب رده إلى

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الأئمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

الانقياد إلى الخلق . الأصل العاشر : أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه إثارة فتنة لاتطاق حكمنا بانقياد إمامته لأننا بين أن تحرك فتنة بالاستبدال فما يليق المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يغوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية الصلحة فلا يهدم أصل الصلحة شغفا بمزاياها كالتدنى بيني قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلاؤ البلاد عن الامام وبفساد القضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البقي في بلادهم لميس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فناعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالحمد لله تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه عنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[ الفصل الرابع من قواعد العقائد ] في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [ مسألة ] اختلفوا في أن الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلزمه قليل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيان لا يتواصلان وقيل إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ، وقد أورد أبو طالب السكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلتهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعرج على نقل مالا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لقوى والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي . البحث الأول : في موجب اللغة والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد والتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فوجب اللغة أن الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما الترادف ففي قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين - وقال صلى الله عليه وسلم « بني الإسلام على خمس <sup>(١)</sup> » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس <sup>(٢)</sup> وأما الاختلاف فقوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث وبالحواسن وبالقدر خيره

(١) حديث بني الإسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ، البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزادوا أن تؤتوا خمسا من النعم .

لحقه قوا ولو طلبوا  
لأدر كواسيل المعارف  
ووصلوا ولكنهم آثروا  
الراحة وما لو إلى الدعة  
واستبعدوا طريق العلم  
واستقلوا الأعمال  
الوصلة إليه وقنوا  
بالقعود في حضيض  
الجهل فهؤلاء فيهم  
إشكال عند كثير من  
الناس في البداية  
ويرد في حالم النظر  
وهل يسمون عصاة أو  
غير ذلك يحتاج إلى  
تمهيد آخر ليس هذا  
مقامه والالتفات إلى  
هذا الصنف أوجب  
خلاف التكلمين في  
العوام على الإطلاق  
من غير تفريق بين  
بلد ومتيقظ وفطن  
فهم من لم ير أنهم  
مؤمنون ولكن لم  
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا  
اسم الكفر عليهم  
ولعلك تقول إن  
مذهبهم للشهور أن  
الحل لا يخلو عن  
الصفات إلا إلى ضدها  
فن لم يحكم له بالإيمان  
حكم عليه بالكفر كما  
أن من لم يحكم له  
بالحرمة حكم عليه  
بالسكون وكذلك

وشهره فقال لما الاسلام فأجاب بذكر الجلال الحسن (١) « فغير بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم فأعاده عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « وأما التداخل فمأروى أيضا أنه سئل « قيل أى الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال ﷺ الإيمان (٣) « وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إمام القلب وإمام اللسان وإمام الجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم يعنى حال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن من لم يس غير يعنى بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - وقوله ﷺ في حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل السمين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيته بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أى الاسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص يتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن وتبجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمرة على حيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله - فمأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعى، والاسلام والإيمان حكمان أخروى ودنيوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٤) »

(١) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الإيمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الأخير قال رجل يا رسول الله أى الاسلام أفضل قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجه من حديث أبى سعيد الخدرى في الشفاعة وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخارى منهما ، وله تعليقاً من حديث

الحياة والوفا والعلم والجهل وسائر ما له من الصفات. قلنا فلئن صح ذلك في الصفات التي هي أعراض قد لا يصح في الأوصاف التي هي أحكام الإيمان والكفر والمداية والفضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الأعراض وإنما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهو لا يخالقوا للذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهو لا أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة للشرطة في صحة الإيمان وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشدوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألوا بقول من جعل المعارف

كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لأنهم إذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد الاعتقاد وعندوا من هذه العارفين كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن العارفين كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسبية ولم يتمروا على العبارة على مواضع العلوم والأفهام إذا نبهوا عليها وتلطف بهم في فهمها بالزوال إلى ما ألقوه من عبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى الفينة ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو إنسانا نصحه أو رآه فغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيدنا ثلثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف النطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو محلد في النار وهذا باطل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب للكي العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم للعاد والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به (١) » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فتريد وتقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزن ثم مات فهل يغلد في النار فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك اللذة وماعده تلك الطاعات التي تركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التي بارثكها يبطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل قول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا ما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يغلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمرملة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يحصل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة وتقول هو مؤمن غير محلد في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى ترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كالأينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلنا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وإبتداء شهادة والتزام الأول أظهر وقد فلا في هذا طائفة للرجعة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عمى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

محمد رسول الله ولكن لم يصدق قلبه فلانشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه عجلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ماقاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه وإنما نشك في أمرناك وهو الحكم الديني في ما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفيق ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أن نكح مسلمة ثم يصدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ومحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ويؤمره إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من الناقين وعمر رضي الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » وليس هذا مانقضا لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث قهية ظنية تنبئ على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن الطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفصح من نظر إلى العادات والراسم في العلوم . فان قلت فإشبهة المعزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل - فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا - وقوله عز وجل - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - الآية ولقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها - إلى قوله - فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء - قوله كلما أتى فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من أتى في النار مكذبا ولقوله تعالى - لا يصلها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - وهذا حصر وإثبات ونفي ولقوله تعالى - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون - فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى - والله يحب المحسنين - وقال تعالى - إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا - ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى - إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء - والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها - وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى - ألا إن الظالمين في عذاب مقيم - وقال تعالى - ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار - فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون (١) بل قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - كالصريح في أن ذلك لا بد منه لكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى - لا يصلها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقي شخصا معينا أيضا وقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها - أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات

(١) حديث تمذيب العصاة البخاري من حديث أنس يصيين أقواما سفح من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتي في ذكر الموت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفا بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من التكلمين أيضا أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة للشروطة عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وإنما غرضنا تبديد ما أشاعه في الأحياء أهل الغلول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقب الزلف ما ينبغي فيها بآذن الله عز وجل .

[فصل في بيان أصناف أهل الاعتقاد]

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تامة ما جرى قلنم أن ما منهم صنف إلا وله على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فأصنى الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان

الإيمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق . الحالة الثانية أن لا يتعدوا إلا بعض الأركان مما فيه خلاف إذا قرء ولم تصف إليه في اعتقاده سواء هل يكون مؤمنا أو مسلما أن يتعدوا وجود الواحد فقط أو يعتقد أنه موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويغلو عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا يعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن التقدير الذي يعتقد من الأركان الثلاثة موافق للحق غير منسوب لتبنيه . الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكون فيها يعتقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق ما هو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من التكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما العقلة فبهم قوله تعالى - وإني لفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والمصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردة كان على ربك حتما مقضيا - ثم قال - ثم تنجي الدين اتقوا - وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فإن له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالد فيها - وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى - وينظر مادون ذلك لمن يشاء - فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى - إنا لانضج أجر من أحسن عملا - وقوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمصية واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا - أي لا يمانه وقد ورد على مثل هذا السبب . فان قلت قد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشترى عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فإمناه . قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التديجات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدائها التصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بدمه وبقي الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »<sup>(١)</sup> والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب للعزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال للماجز لا تقطع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية . (مسئلة) فان قلت قد انطق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمصية فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول لما ذكره حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلبه ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالر كوع والسجود بل تزيد بالأدب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فان قلت فلا اشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا للداهنة ولم نكثر بتشبيب من تشب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف والاشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشدد وتقوى وتارة تضعف وتترخي كالعقدة على الحيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استزاله عن اعتقاده بأدنى استئالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في تمام هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في تمام الأشجار ولذلك قال تعالى - فزادهم إيمانا - وقال تعالى - ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فما يروى في بعض الأخبار «الإيمان يزيد وينقص»<sup>(١)</sup> وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فسمع رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربيع للنجات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالمقالات والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودفقة بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

رق الزجاج ورق الخمر وتشابها فتشاكل الأمر  
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وترجع إلى القصور فان هذا العلم خارج عن علم العامة ولكن بين العالين أيضاً اتصال وارتباط فذلك ترى علوم للكاشفة تتلاقى كل ساعة على علوم للعامة إلى أن يكف عنها بالكشف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ولهذا قال على كرم الله وجهه: إن الإيمان ليدو لمة يضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليدو نكة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلاقؤه تعالى - كلا بل ران على قلوبهم - الآية. الإطلاق الثاني: أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون باباً»<sup>(٢)</sup> وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تحضر زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه. الإطلاق الثالث: أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وإشراح الصدر والشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما فإن اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق

(١) حديث الإيمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب اللحي يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢) حديث الإيمان بضع وسبعون باباً وذكر بعد هذا فزاد فيه: أدناها إمطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الإيمان بضع وسبعون زاد مسلم في روايته وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها قد كرهه ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه .

والله أعلم على سبيل  
نجاة ومسلك خلاص  
ووصف إيمان أو إسلام  
وسواء في ذلك الصنف  
الأول والثاني من أهل  
الاعتقاد ويبقى الصنف  
الثالث على محتملات  
النظر كما نبهناك عليه  
وأما أهل الحالة الثانية  
وهي الانقصار على  
الوجود الفردي والوجود  
ووصف آخر معه مع  
الخلو من اعتقاد سائر  
الصفات التي للكمال  
والجلال وأركانها  
فالمقدمون من السلف  
لم تشهر عنهم في صورة  
للسئلة ما يخرج صاحب  
هذا المقدح عن حكم  
الإيمان والاسلام  
ولتأخرون مختلفون  
فكثير خاف أن يخرج  
من اعتقد وجود الله  
عز وجل وأظهر  
الإقرار بنبية صلى الله  
عليه وسلم من الاسلام  
ولا يعد أن يكون  
كثير ممن أسلم من  
الأجلاف والرعيان  
وضغفاء النساء والأبناء  
على هذا بلا مزيد عليه  
لوسئلوا واستكشفوا  
عن الله عز وجل هل  
له إرادة أو بقاء أو كلام



أو ماشا كل ذلك وهل  
له صفات معنوية ليست  
هي هو ولا هي غيره  
ربما وجدوا مجهولون  
هكذا ولا يقولون  
وجه ما يخاطبون  
به وكيف يخرج من  
اعتقد وجود الله  
ووجدانيته مع الاقرار  
بالنبوة من حكم  
الاسلام والنبي صلى الله  
عليه وسلم قدر رفع  
القتال والقتل وأوجب  
حكم الايمان أو الاسلام  
لمن قال لا إله إلا الله  
واعتقد عليها وهذه  
الكلمات لا تقتضي  
أكثر من اعتقاد  
الوجود مع الوحدة  
في الظاهر وعلى الدينية  
من غير نظر ثم ممنا  
عمن قالها في صدر  
الاسلام أنه لم يعلم بعدها  
إلا فرائض الوضوء  
والصلاة وهيات  
الأعمال الدينية  
والكف عن أذى  
السلم ولم يسلطنا أنهم  
درسوا علم الصفات  
وأحوالها ولاهل الله  
تعالى عالم يعلم أو عالم  
بنفسه وهو باق يقاء  
أوباق بنفسه وأشباه

وكيف لا وفي الأخبار « أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفي بعض المواضع في خبر آخر « مثقال دينار (١) » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت (مسئلة) فإن قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يعتقدون عن جزم الجواب بالايان ويحترزون عنه فقل سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كأن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزيننا أو بصيرا أو لوقيلا للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فإذا قول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله قيل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا عمل في غير معمل وقال إبراهيم بن آدم إذا قيل لك أمؤمن أنت قل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لأشك في الايمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لمقلقة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وماندرى ما نحن عند الله تعالى فامعنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل الايمان ولكن في خاتمة أو كاله ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقال - ألم نر إلى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء للره على نفسه والايان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها قل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طيب أو قبيح أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصفة صيغة التردد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للآزم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مخلفين رءوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لأحالة وأنه شاءه ولكن للقصود تلميحه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل القابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢) » والحق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فإذا قيل لك إن فلانا يموت سرى فقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه أو يصح فقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي في ذكر اللوت وما بعده (٢) حديث لما دخل القابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

معنى الرغبة « كذلك العدول إلى معنى التأديب بذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومنه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى تقوم غصصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا - فاقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لافي أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين « أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه . والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالمهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال **عليه السلام** « الإيمان عريان ولباسه التقوى <sup>(١)</sup> » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان يضع وسبعون بابا أدناها إمطة الأذى عن الطريق » فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الحقيقى فتقوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان وإذا خاصم فجر <sup>(٢)</sup> » وفي بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفي حديث أبي سعيد الخدري « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والصدید فأى اللادتين غلب عليه حكم له بها <sup>(٣)</sup> » وفي لفظ آخر « غلبت عليه ذهبته » قال عليه السلام « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها <sup>(٤)</sup> » وفي حديث « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا <sup>(٥)</sup> » وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها مناققا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات <sup>(٦)</sup> » وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق « وقال حذيفة المناققون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكلاه وهو خفي . وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المناققون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غديره لو نبئت للمناققين أذئاب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الإيمان عريان تقدم في العلم (٢) حديث أربع من كنّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافق هذه الأمة قراؤها أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبي موسى وسليمان في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها مناققا الحديث أحمد بإسناد فيه جهالة وحديث حذيفة للمناققون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخارى إلا أنه قال شر بدل أكثر .

سده المعارف ولا يدفع ظهور هذه إلا معاند أوجاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب على الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود في النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من لا إله إلا الله دخل الجنة ولملك يقول قد قال في مواطن أخرى إلا يحفظها ثم يقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعزّ وكلاه من حقها ثم من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقوله أن يلقاها ولم يسمع بها فبها مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر وهذا وأمث

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من الثقال إلى القدرة والحردة من الإيمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم الرادين لأن التقدير وقع في الإيمان لافي الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة الطوائف من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبدأ له أنه تسبب إلى ما يظهر له من نظره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولا ترمي من حسه الركون إلى ما أريناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

«وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يتعرض للحجاج فقال أرايت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تسكلم فيه قال لا فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق وقال والله لأن أكون أعلم آني بريء من النفاق أحب إلي من تلاح الأرض ذهابا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن النفاق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده ويدين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سعة من الشيطان» فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم (٢) وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم أعلم قليل له آخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يعتسبون (٣)» قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور غناطيه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في النفاقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر خفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض قلبي التزين للخلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكاله وصفاه لأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويأحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلفين في النار والثاني يقضي بصاحبه إلى النار مدة أو يتقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمر آخر لا يغلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع: وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخائفة فانه لا يدري أي سلم له الإيمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو مثل

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرايت لو كان حاضرا أ كنت تسكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبراز والدارقطني من حديث أنس (٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولأبي بكر بن الضحاك في الشمايل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لا أعلم ..

الصائم ضحوة النهار عن صفة صومه فقال أنا صائم قطعاً فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصفة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صفة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القمية السابقة والشبهة الأرية التي لا تظهر إلا بظهور القضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر تخوف الحائمة تكوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى - وجاءت سكرة الموت بالحق - أي بالسابقة يعني أظهرتها - وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الحائمة نموذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالأقراء - وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لا اخترت للموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنني لا أدري ما يمرض قلبي من التخيير عن التوحيد إلى باب الدار - وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل»<sup>(١)</sup> وقيل في قوله تعالى - وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا - صدق لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك - وقد قال تعالى - ولله عاقبة الأمور - فهم ما كان الشك بهذه الثابتة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الدمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الدمة فيخرج عن كونه صوماً فكذلك الإيمان بل لا يعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصحمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطالع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطالع عليها إلا الرب الأرباب جلّ جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد ثم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

( كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع المبادات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلطّف بعباده فتصدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزيّة لسرايرهم أنواره وألطافه، وأعدّ لظواهرهم تطهيراً لها الباء المخصوص بالبرقة واللطافة ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجيها بركايتها يوم الخافه ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة »<sup>(٢)</sup> .

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأصغر بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

( كتاب الطهارة )

(٢) حديث بن الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود والنظافة تدعو إلى الإيمان .

ولم يدل عن مذهبه ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم يقولوا اسم الكفر عليهم ثم يرضوا على الاستتابة إن كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه وقص ما قالوا إليه فلترجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فان حكماً بصحة إيمان أهل الحالة للذكورة قبل هذا وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه تصديقهم عن إيصال الصدر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الملاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهروا النع عن الإصلاح والرجوع

بالعبودية المؤلمة دون  
قتل كان ذلك وإن  
قالوا بالموت لم تقصر  
في اعتقادنا عن أرباب  
الحالة الثانية المذكورة  
قبلهم والله أعلم بالتأجى  
والهالك من خلقه  
والطبع والماضى من  
عباده هكذا ينبغي أن  
يكون مذهب من نظر  
في خلق الله تعالى بين  
الرفقة والرحمة ولم  
يدخل بين الله عز وجل  
وبين عباده فيما ناب  
عنه علمه وعدم فيه  
سبيل اليقين وفهم  
معنى قوله عز وجل  
- ولا تقف ما ليس  
لك به علم إن السمع  
والبصر والفؤاد كل  
أولئك كان عنه  
مسئولا - . فإن ظف  
وأين أنت من تكفير  
كثير من الناس لجميع  
أهل البدع عامة وخاصة  
وقول النبي صلى الله  
عليه وسلم في القدرة  
« إنهم مجوس هذه  
الامة » وقوله صلى الله  
عليه وسلم « ستفترق  
أمتي إلى ثلاث وسبعين  
فرقة كلها في النار إلا  
واحدة » وقال عن

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور <sup>(١)</sup> » وقول الله تعالى - فيمرجال يحبون أن يتطهروا  
والله يحب المطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان <sup>(٢)</sup> » قال الله تعالى  
- ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن  
أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوة صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان »  
عمارة الظاهر بالتنظيف بأفاسة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإيقائه مشحونا بالأخباث والأقدار هيات  
هيات والطهارة لها أربع مراتب : للرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث  
والفضلات . للرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . للرتبة الثالثة : تطهير القلب عن  
الأخلاق المذمومة والردائل المقتومة . للرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء  
صلوات الله عليهم والصدّيقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل  
السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن نعلم معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل  
ماسومه الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - لأنهما لا يجتمعا  
في قلب - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق  
الحمودة والمقائد للشريعة ولن يتصف بها مالم يتظف عن هوائها من المقائد الفاسدة والردائل  
المقتومة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شرط  
الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو  
شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارته بالطاعات الشطر الثاني فهذه  
مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال الصدا الطبقة السالية إلا أن يجاوز الطبقة الساقطة فلا يصل  
إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب من الخلق  
للنوم وعمارته بالخلق الحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي  
وعمارته بالطاعات وكلما عزّ الطلوع وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن  
أن هذا الأمر يدرك بالمنى ويتال بالمهوى ، نعم من غميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من  
مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالتشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب للطلوب فصار  
يعين فيها ويستقصى في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر  
وطلب البياض الجارية الكثيرة ظنانه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي  
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع المهمة والفكر في تطهير القلب وتساهيلهم في أمر  
الظاهر حتى إن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه تواضاً من ماء في جرة نصرانية وحسب إنهم  
ما كانوا يسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمس أقدامهم وعدوا  
الأشنان من البدع المحدثه ولقد كانوا يصلون على الأرض في الساجد ويمشون خفاة في الطرقات  
ومن كان لا يجمل بينه وبين الأرض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون  
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام  
الصلاة فتدخل أصابعنا في الحصى ثم نتركها بالتراب ونكبر <sup>(٣)</sup> » وقال عمر رضى الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت . من حديث علي قال الترمذي هذا أصح شيء في هذا الباب  
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم  
من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ شطر كافي الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة  
فتدخل أصابعنا في الحصى الحديث . من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة .

« ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا القمر مسحنا بها (١) » ويقال أول ما ظهر من البدع بمدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع للناخل والأشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النملين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتن نعالكم (٢) » وقال النخعي في الدين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا خلعت النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحيل مع كثرة تمرتها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسة والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والتفاخر ولا يستكرونها ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو طوى بوارى للسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم أو توشا من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زميرهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار النكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه . فان قلت أقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المخطورات أو للنفكرات . فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار للقفح به لدفع النجاس وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقرن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يعني أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يحمل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بنى الدين على النظافة » حتى يشكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرم فان ذلك هو الرياء المخطور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا يشكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقرن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يحمل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للباطنين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يبعد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمرو لابن ماجة نحوه مختصرا من حديث جابر (٢) حديث خلعت نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يعرفون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام التقيين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال عجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل عجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يعرفون من الدين كما يمرق السهم

بصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات القربين ولا ينبغي للبطل أن يترك النظافة ويشكر على التصوفة ويزعم أنه يقشبه بالصعابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تشرح لحيتك؟ قال إني إذن لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للتعلم ولا للعامل أن يضع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب القصورة وتوها بالقصار تقصير في الفصل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء اللدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين القصوراة واللدبوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالنظر إليه معين له على الاسراف فكانوا يمدون حمام الذهب لاستنباط مثل هذه الرقائق لاقى احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالإضافة إلى التساهل خير وذلك العامى يلتفت بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه للمعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشئ شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامى أن يشغل بعلمه فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا للثل لنظارته من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض قد دقق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نكمل إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأننا في الشطر الأول من الكتاب لا نتمرض قصد إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الحبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستعداد واستعمال النورة والختان وغيره .

( القسم الأول في طهارة الحبث والنظر فيه يتلاق بالمزال والمزال به والازالة )

( الطرف الأول في المزال )

وهي النجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الحجر وكل متبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الأدوى والسماك والجراد ودود الفخاخ وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذهب والحنفاء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه وأما أجزاء الحيوانات فقسمان : أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والعظم ينجس . الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللحاح والمخاط وما له مقر وهو مستحيل نجس إلا ما هو مادة الحيوان كاللحم والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعنى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة : الأول أثر النجس بعد الاستجمار بالأحجار يعنى عنه ما لم يمد المخرج . والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعنى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب التلطيح به إلى تفریط أو سقطة . الثالث ما على أسفل الحنف من نجاسة لا يغلو الطريق عنها فيعنى عنه بذلك الحاجة . الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا تجاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فليسته . الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد وذلك ابن عمر رضى الله عنه برة على وجه

من الرمية قد قال متصلا بهذا القول وتناهى في الفرق وما موضع هذا التناهى من المثل الذي ضربه فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أراك تلاحظ جهة وتترك أخرى وتذكر شيئا وتذهل عن غيره عليك بالعدل تكن من أهله واستعمل التفتن تشاهد العجائب المعجبة وتفسهم قول الله - وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكفروا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا - .

[فصل] ولما كان الاعتقاد المجرّد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا من رآه ألقى عليه شبه القشر الثاني من الجوز لأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صونا وإذا اقرء أمكن أن يكون طعاما للحجاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لا شئ معه خير من قد



فخرج منها الدم وصل لم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدمايل التي تدوم غالباً وكذلك أثر القصد إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يغسل الإنسان عنها في أحواله ومسامحة التبرع في هذه النجاسات المحس تترك أن أمر الطهارة على التسهيل وما اشبع فيها وسوسة لأصل لها .

### (الطرف الثاني في الزوال به)

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترق وأما اللطائف فلا تزال النجاسات حتى منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتناحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم يتنجس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً»<sup>(١)</sup> وإن كان دونه صار نجساً عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة الجارية للتغير نجسة دون ما فوقها وما تحته لأن جريات الماء متفاضلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقفاً من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة لما فوق النجاسة طاهر وما أسفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليهم مشار الوساوس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لم يمر سبب للشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله وما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتغير الطهارة مكة والدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكد الكثرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضحاً عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يبول إلا على عدم تغير الماء وإلا فتجاسة النصرانية وإنائها غالباً تعلم بظن قريب فإذا عسر القيام بهذا للذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إماء الله<sup>(٢)</sup> وعدم تقطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السناير فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلقى الماء النجاسة بالورود عليها أو يورودها عليه وأى معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة للحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجابة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإحانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً وأى فرق بين الجاري والراكد وليت

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إصغاء الإماء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجرداً عن سبيل للعرفة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفاً فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التطييل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الحرج والشكر . [ بيان أرباب للربة الثالثة وهو توحيد للقرين ] والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه وللأسالك التي يصير عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بحصوله كإقداره المزين العلمي واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط للستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في حين ذلك التوحيد وقته وحقيقته وكيف يتصور للأسالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه للمشاهدة

والحد الثالث في غمرات ذلك التوحيد وما يلحق أهله به ويطعنون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلل للصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بث الأنبيا ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناه وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات فلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتموه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ولما عني رسول الله

شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع قلتان فأى فرق بين الجامد والائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقنا فكل كوز يتعرف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري هل تحليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق قاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تنزل في الأعصار الحالية يتوضأ فيها المتشققون ويضمضون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولونه أو ربحه (١) » وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى السكب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلية عنه فكذلك الحلق يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بطله طعمه أولونه أو ربحه فهذا للعار وقد أشار الشارع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يقول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يظلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الفسالة وفي الماء الجاري وفي إصفاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاق له نجسا ولا ينجس بالفسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » فهو في نفسه مبهم فانه يحمل إذا تغير . فان قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي يقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي القدران ويضمضون الأواني النجسة فيها ثم يرددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فيبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة . فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا يقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فمبلى في أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهنا من سيرة الأولين وحمل المادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيها وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل .

#### ( الطرف الثالث في كيفية الإزالة )

والنجاسة إن كانت حكيمة وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عقيمة فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا أن يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحلت والقرص أما الرائحة فيقاؤها يدل على بقاء العين ولا يبقى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يصير إزالتها فالدلك والمصرمرات متواليات يقوم مقام الحلت والقرص في اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ربحه . من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقدرناه بدون الاستثناء دونت من حديث أبي سعيد وصححه وغيره .

والزبل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة يتيقن فلا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يتيقن  
يصلي معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات . القسم الثاني طهارة الأحداث :  
ومنها الوضوء والفعل والتميم ويتقدمها الاستنجاء . فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسنفا  
مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

### (باب آداب قضاء الحاجة)

ينبغي أن يعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر حتى . إن وجدته وأن لا يكشف عورته  
قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها  
إلا إذا كان في بناء والمدول أيضا عنها في البناء أحب وإن استتر في الصحراء براحتة جاز وكذلك  
بذيله وأن يتق الجلود في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة للثمة ولا في  
الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وأن يتكى في جلوسه  
على الرجل اليسرى وإن كان في بستان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمين في الخروج ولا يبول  
قائما قالت عائشة رضي الله عنها « من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه » (١)  
وقال عمر رضي الله عنه « رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : يا عمر لا تبول  
قائما » (٢) قال عمر فابلت قائما بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه « أنه عليه الصلاة  
والسلام بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه » (٣) ولا يبول في القنصل قال صلى الله عليه وسلم  
« عامة الوسواس منه » (٤) وقال ابن المبارك قد وسع في البول في القنصل إذا جرى للماء عليه ذكره  
الترمذي وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس  
منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله  
صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس  
النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذي وأبقى علي  
ما ينفعني ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجي بالماء في موضع  
الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنضج والترتلات وإمرار اليد على أسفل القضيبي ولا يكثر التفكر في  
الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك  
فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله  
عليه وسلم فعله أعنى رش الماء (٥) وقد كان أخفهم استبراء أقفهم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي  
حديث سلمان رضي الله عنه « علنا رسول الله ﷺ كل شيء حق الخراءة فأمرنا أن لا نستنجي  
بظلم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بفائط أبول » (٦) وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد

(٢) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن . قال  
ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح (٣) حديث عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما  
فقال يا عمر لا تبول قائما ابن ماجه بإسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر  
لعمر (٤) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٥) حديث قال في البول  
في القنصل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذي غريب قلت  
واسناده صحيح (٥) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الاتضاح د ن . من حديث سفيان بن الحكم  
الثقفي أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كقالت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كل شيء حق الخراءة الحديث م وقد تقدم في فواعد العقائد .

صلى الله عليه وسلم بقوله  
« من مثل عن علم  
فكتمه أجم يوم  
القيامة بلجام من نار »  
وجميع ذلك محصور  
في اثنتين العلم بالعبادة  
والعمل بالسنة وما  
مبين على آيتين  
الحرص الشديد والنية  
الحالصة والسر في  
تحصيلهما اثنان نظافة  
الباطن وسلامة  
الجوارح ويسمى  
جميع ذلك بعلم العامة  
وأما الحد الثاني فالكلام  
فيه أكثر ما يكون على  
طريقة ضرب الأمثال  
تشبيها بالرمز تارة  
وبالتصریح أخرى  
ولكن على الجملة بما  
يناسب علوم الظواهر  
ولكن يشرف بذلك  
الليبيب الحاذق على  
بعض المراد ويخبر منه  
كثيرا من المقصود  
وينكشف له جل  
ما يشار إليه إذا كان  
سالما من شرك التعصب  
بيدا من هوة الهوى  
نظيفا من دنس  
التقليد . وأما الحد  
الثالث فلا سبيل إلى  
ذكر شيء منه إلا مع  
أهله بعد علمهم به على

سبيل التذكار لاطي  
التعليم إنما كانت أحكام  
هذه الحدود الثلاثة  
على ما وصفناه لأن الحد  
الأول فيه عجز النصح  
للخلق واستفادهم من  
غمرة الجهل والتكيب  
بهم من مهاوى العطب  
وقودهم إلى معرفة هذا  
للقيام وماوراء بما هو  
أعلى منه مما لهم فيه  
الملك الأكبر وفوز الأبد  
وقد بين لهم غاية البيان  
وأقيم عليه واضح  
البرهان وهو يومئذ  
الطريق وأول سبيل  
السعادة فمن عجز عن  
ذلك كان عن غيره  
أعجز ومن سلكه على  
استقامة فالغالب عليه  
الوصول إن الله لا يضيع  
أجر من أحسن عملا  
ومن وصل شاهد ومن  
شاهد علم وذلك غاية  
الاطلوب ونهاية المرغوب  
وال محبوب ومن قصد  
حرم الوصول وما بعده  
فضل الله للمجاهدين على  
القاعدين أجرا عظيما  
ومن غاب لم تنفعه  
الأخبار ولم يفده  
كثير من الأحاديث  
وأيا فان الأخبار  
بما وراء الحد الأول

خاصه لأحبك تحسن الحراء قال بلى وأليك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد الددر  
وأستقبل الشيخ وأستدير الریح وأقمى إقواء الظبي وأجفل إجمال النعام . الشيخ نبت طيب الرائحة  
بالبادية ، والإقواء هنا أن يستوفى على صدور قدميه ، والأجمال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول  
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فلذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليبين للناس ذلك .

### ( كيفية الاستنجاء )

ثم يستنجى بقعدته ثلاثة أحجار فلان أنقى بها كفى والاستعمال رباعيا فان أنقى استعمال خامسا لأن الإقواء  
واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر (٢) » يأخذ الحجر بيساره ويضعه  
على مقدم القعدة قبل موضع النجاسة ويمر بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر  
كذلك ويمر به إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول السرة إدارة فان عسرت الإدارة ومسح  
من المقدمة إلى المؤخر أجزاء ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه  
ويعرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن  
لا يرى الرطوبة في محل للمسح فان حصل ذلك بمرتين آتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصاد على  
الحجر وإن حصل بالرابعة استحسب الخامسة للإيتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى  
بالماء بأن يفيضه باليمين على محل النجاسة ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللبس ويترك  
الاستقصاء فيه بالعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس ويعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن  
ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فمظهره أن  
يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن  
فرجى من الفواحش ويدلك يده بمخاط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر  
مستحب قد روى « أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قال  
رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التى أئتم الله بها عليكم قالوا كئنا نجتمع بين الماء والحجر (٣) »

### ( كيفية الوضوء )

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدىء  
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهمكم طرق القرآن فطيوها بالسواك (٤) »  
فينبى أن ينوى عند السواك تطهير له لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم  
« صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر  
فليوتر متفق عليه فى حديث أبى هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن  
يتطهروا - الحديث من أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البرار من حديث ابن عباس بسند ضعيف  
ورواه ك وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر  
وقول النووي بما لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر فى أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم  
(٤) حديث إن أفواهمكم طرق القرآن أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه موقوفا على  
وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم  
فى كتاب السواك من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف ورواه ك وصححه والبيهقى وضعفه من حديث  
عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا» (٢) أي صفر الأسنان «وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا» (٣) وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: «لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء» (٤) وقال عليه السلام «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «أبى طالب كرم الله وجهه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلم» (٦). وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بغضب الأراك أو غيره من قشبان الأشجار مما يخن ويزيل القلع ويستاك عرضا وطولاً، اقتصر فرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبته وعند تغير النكبة بنوم أو طول الأزم أو أكل ما تكره راحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم «لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى» (٧) أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن محضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يحزه ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتضمض بها ثلاثا ويغترغ بأن يرد الماء إلى الفلصة إلا أن يكون سائما فيرق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة التذكر لك ثم يأخذ غرفة لأفقه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي راحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه الزنعتان اللتان على طرفي الجبين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يتأد النساء تحذية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زواية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشهور الأربعة الحاجبان والشاربان والمذاران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والمذاران هما ما يوزيان الأذنين من مبدإ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفة حكم اللحية في الكشافة والحفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب دوالقوى من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الحطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعند دت وصححه أن يزيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواك على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقلت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب.

والثاني على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجرى بين الناس من عرف الخطاب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه إهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لمرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه في منازل الرضة وبسده بالجللة والتفصيل من جميع ما عهد في عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود والألوف ومبايسته لكل ما نشأ عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فبما كان لا يدرك شيء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كما قال عز وجل: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وحكى عن ابن عباس رحمه الله أنه قال ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء وأراد من لم ينكشف له شيء من علمها وحققها

من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل ويتقيهما قد روى أنه عليه السلام فعل ذلك (١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم يضر وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجود أعدائك ويغسل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يمسح يديه إلى مرقبيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويغسل القرة ويرفع الماء إلى العضد فاتهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل » (٢) وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء (٣) ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبي حسابا يسرا ويقول عند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضمهما على مقدمة الرأس ويمدها إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحته في صمخى أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني مناديا الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من القل يوم القيامة » (٤) ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يفصل رجله اليمنى ثلاثا ويغسل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويغتم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصليا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء نفع على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدمه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة . ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء « تواضعا عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأسأ » (٥) وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يتدنون في الدعاء والظهور » (٦) ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الظهور (٧) وقال إبراهيم بن آدم يقال

(١) حديث إدخاله الأصبع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة كان يتماهد للماقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف أشربوا للماء أعينكم (٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من القل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث تواضعا ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أسأ وظلم دن واللفظ له . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يتدنون في الدعاء والظهور د . وابن جبان وك من حديث عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلا .

في الدنيا وإضافا لوجاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورها إلا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد ويتطرق إلى من أهل الغفلة وذوى القصور رجوع وتبعد فلهذا أمرنا بالكم إشفاقا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « لا تعذبوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة » وعلى هذا يخرج قول المشايخ إفشاء سر الرواية كقوله رزقنا الله وإياكم قلوبا واعية الخير إنه ولي كل صالح وإذا علمت أن الحد الأول قد تقرر علمه في كتب الرواية والتراية فوملت منه الطروس وكثرت به في المحافل الدروس وهو غير محجوب عن طالب ولا ممنوع عن راغب قد أمر الجهال به أن يعلموه والعلماء

إن أول ما يتبدى الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن إن شيطاناً يضجك بالناس في الوضوء يقال له الوهمان ويكره أن ينفذ اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلمس وجهه بالماء لطماو كره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ رضى الله عنه « أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه <sup>(١)</sup> » وروى عائشة رضى الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة <sup>(٢)</sup> » ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء الشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما كراهية إناء الصفر وقال بهنهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه وتقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغى أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجسيص ظاهر الباب البرانى من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للحقت واليوار والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ( فضيلة الوضوء )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه <sup>(٣)</sup> » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات <sup>(٤)</sup> » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام <sup>(٥)</sup> » وقال عليه السلام « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء <sup>(٦)</sup> » وقال عليه السلام « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات <sup>(٧)</sup> » وقال عليه السلام « الوضوء على الوضوء نور على نور <sup>(٨)</sup> » وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما ود من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لاسهو فيهما الحديث (٤) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به الحديث . من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطنى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٧) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت . من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٨) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجده أصلاً .

أن يذلوله ويملوه فلانريد فيه ههنا قولاً ولما كان حكم الحد الثالث الكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل إلى تعد إلى محدودات الشرع فلتن العنان إلى الكلام بالذى يليق بهذا الحال والمقام فقول : أرباب المقام الثالث في التوحيدوم القربون على ثلاثة أصناف ، وعلى الجملة فكلامهم نظروا إلى المخلوقات وأواعلامات الحدوث فيها لأنحة وعانوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة ومعموا جميعها تدل على توحيدده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم ، وشاهدوه بغير أرواحهم ولا حظوا جلاله وجماله بغنى أسرارهم وممع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الأصناف الثلاثة إنما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته



وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشجار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه إلى السجدة وصلاته نافلة له <sup>(١)</sup> » وروى « إن الطاهر كالصائم <sup>(٢)</sup> » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء <sup>(٣)</sup> » وقال عمر رضي الله عنه: « إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا إذا كرا مستغفرا فليفعل فإن الأرواح تبع على ما قبضت عليه .

### ( كيفية الفسل )

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا لإغسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم بذلك ما قبل من بدنه وما أدبر ويغسل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كشف منه أو خف وليس على المرأة تقص الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتعمد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الفسل فلا يعيده بعد الفسل فهذه سنن الوضوء والفسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعده من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الفسل أمران النية واستيعاب البدن بالفسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما يتطلى عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الواوالة فليست بواجبة والفسل الواجب بأربعة مخروج التي والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعده من الأغسال سنة كفسل العيدين والجمعة والأعياد والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب .

### ( كيفية التيمم )

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانعه عن الوصول إليه من سبغ أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو له طش رقيقه أو كان ملكا لغيره ولم يسهه إلا بأكثر من ثمن الثلث أو كان به جراحة أو مرض أو خاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د . من حديث الصنابعي إسناده صحيح ولكن اختلف في صحته وعند م من حديث أبي هريرة وعمرو بن عتبة نحوه مختصرا (٢) حديث الطاهر الثائم كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر الثائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عتبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقد رواه في اليوم والثيلة من رواية عتبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده .

واقسامهم في تلك المعرفة كاتسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كاله ومن حافظ لجميعه لكنه متلبم فيه متوقف على الانهماز في قراءته ومن حافظ في تلاوته غير متوقف في شيء منه وكلهم ينسب إليه ويعد في المشهد والقيس من أهله وكذلك أهل هذه الزبنة أيضا منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات ما يسم عليه ومن قارى جميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبرة ومن ماهر في قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة في رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الأشياء في فراغه وغفلة ومحبب ذلك اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوى عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور، خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بهرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلمص ظهور أصابع يده اليمنى يطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأناامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ثم يقبض بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمررها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويغسل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تعصيل الاستيعاب إلى الرقبتين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به القرض فله أن يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم الثانية وهكذا يفر لكل فريضة بتيمم والله أعلم .

( القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة ، وهي نوعان أو سائح وأجزاء )

( النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترسعة وهي ثمانية )

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل فالنظيف عنه مستحب بالفصل والرجيل والتدهين إزالة للشعث عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ورجله غبا ويأمر به <sup>(١)</sup> » ويقول عليه الصلاة والسلام : « ادهنوا غبا <sup>(٢)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها <sup>(٣)</sup> » أي ليصنعها عن الأوساخ « ودخل عليه رجل نازر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان <sup>(٤)</sup> » الثاني ما يجتمع من الوسخ والقمل في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قر الصباغ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالمع . الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المتسقة بمخاطه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القاح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالفصل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرأة في سفر ولا حضر <sup>(٥)</sup> » وهي سنة العرب وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين <sup>(٦)</sup> وكان صلى الله عليه وسلم كثر اللحية <sup>(٧)</sup> وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ورجله غبا الترمذي في الثمائل بأسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الثمائل أيضاً بأسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا (٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجده أصلاً وقال النووي غير معروف وعند دت ن من حديث عبد الله بن مفضل التهي عن الرجل إلأغبا بأسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمها وليس إسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل نازر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث دت وابن حبان من حديث جابر بأسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطوًلاً (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كثر اللحية ت في الثمائل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند ت .

والفناء والبقاء ، ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لقوى الأفهام من فمس النهار وقت الزوال وعلمت لم يهي أهل هذه للربة مقربين فذلك لعدم عن ظلمات الجبل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لها في هذا الفن إحدى الحالتين عمام البصرة وانطاس القلب والحلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعدا مأخوذاً من البعد عن محل الراحة والتزل الواجب وموضع العبادة والأنس والاشتغال في مهامه القفر وأمكنة الخوف ومطمان الاقتراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتغال القلب وانقاس الصدر بنور اليقين والمعرفة

وكان على عربى اللحية قدامات ما بين منكبىه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها  
«اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في الحب يسوى من رأسه  
ولحيته قللت أو تفعل ذلك يا رسول الله ١ فقال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه  
إذا خرج إليهم (١) » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبيها  
للملائكة بالحدادين وهيات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من  
وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه قلوبهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا  
تستغفره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق الناقدون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم  
تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب غرة الناس عنه  
والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين  
على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية إظهاراً للزهد وقلة البالاة بالنفس عذور وتركه شغلاً  
بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتليس  
غير راجع عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتاً إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى  
غيره ويزعم أن قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم  
إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم  
يعثر مافى القبور ويحصل مافى الصدور - فقد ذلك تتميز السيكة الخالصة من البهجة فتعوذ بالله  
من الحزى يوم العرض الأكبر - السادس وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الأنامل كانت العرب  
لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الفضون وسخ فأمرهم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم (٢) . السابع تنظيف الرواجب (٣) أمر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم العرب بتنظيفها وهى رءوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها  
المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق  
العانة أربعين يوماً (٤) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار (٥)  
وجاء فى الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قاله  
كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجكم وقلعاً لا تستاكون مرأيتك  
بذلك (٦) » والأف وسخ الظفر والتنف وسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تقل لها أف - تعبهما أى بما

(١) حديث عائشة اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في الحب يسوى من رأسه  
الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم  
الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجكم ولا بن عدى فى حديث  
لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا تواضاً وسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم  
(٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ  
عنك جبريل قبيلاً ولم لا يبطىء وأتمم لا تستنون ولا تظفون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا  
تنظفون رواجبكم وفيه إسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت فى قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق  
للعانة أربعين يوماً من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبرانى من  
حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شئ حتى سأله عن الوسخ الذى  
يكون بين الأظفار فقال دع ما يريك إلى ما لا يريك (٦) حديث استبطأ الوحي فلما هبط عليه  
جبريل قاله كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا حديثين

تحت الظفر من الوسخ وقيل لاتأذى بها كما تأذى بما تحت الظفر . الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضى الله عنهما وقال بعضهم بشئ البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتماطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس القنذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة مس ما ليس بسواة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقيس التحريم إذا لحق مس السوائين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين ، والواجبان في عورة الغير أن يفض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهى عن النكسر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا الخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكس حراما يرهق النكسر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عن ذرا بل لابد من الذكر فلا يغفلوا قلب عن التأثر من سماع الإنكار واستعمار الاحتراز عند التعبير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقييد الأمر في عينه وتغيير نفسه عنه فلا يجوز تركه لمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تغلو عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يمدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحریم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر رضى الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بمصاية وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن يزارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه . وأما السنن فحشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عاجل لأجل هوى بل يقصده للتنظيف المحبوب تزيينا للصلاة ثم يعطى الحمامي الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجبول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد الموضين وتطيب لنفسه ثم يقدم رجلاه اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الحثيث الشيطان الرجيم ثم يدخل الحلوة أو ينكسف تخلية الحمام فانه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمهتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكور للنظر في العورات ثم لا تغلو الإنسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويفعل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه للأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مثونة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقبض إلى جهنم فانه أشبه بيت جهنم النار من تحت والظلام من فوق معوذ بالله من ذلك ، بل الماقل لا يفضل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دار معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى القروش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

احتيال وهمي وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشرة المشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والثقل وشاع في حال النضال إيراد القطعي وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الحضم والقام للشار إليه بالذكر وشبه إنعام هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم للضارح للضرورة بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواء ومشاهدة القلوب لما حجب من الصيوب ومن أين للنازل طي النازل ومال العالم الكلام مثل هذا القام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والدار في أوقات الضرورات والاختيار

وبين ما يراد لوقت حاجته إن دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينخص على ذوي اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع عليه فيما مضى من الزمان إليهم لا يقول في أكثرهم إنهم لا يحسنون غيره ولا يفتخرون بالتوحيد بمقام سواء بما هو أعلى منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أسنى والصلة به لتوجه الضرورة أعم وأكد ولما كان نجم في وقته من البدع وظهر من الأهواء وشاع من تشبث كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم وللنازعة لهم والسعي في اجتباع الكلمة على السنة بعد اقترابها وإهلاك ذوي الكيد في احتياهم وإخساد نارهم الذين هم أهل

والبناء ينظر إلى الخيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكري للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم وإن نظر إلى صورة قيحة شقية تذكر منكراً ونكيراً والزبانية وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فإذا نسب مدة القام في الدنيا إلى مدة القام في الآخرة استحقها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بافظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصفح الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء الكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرار ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد قل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله؟ فقال إن الناقة تفحمت في (١) ثم معها فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعم الذي أحدثوه هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة في كل شهر مرة تطفى اللثة الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع . وقيل بولة في الحمام قائم في الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تبدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من القمل ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفي البيت المستعم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا تنقأ أو مرضت ودخلت عائشة رضي الله عنها حماماً من سقم بها فإن دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمنزلة ما يكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على الكروه .

( النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية )

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجله إلا إذا تركه فزعا أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل القوابل على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة الحديث النسائي والحاكم ومحمد بن حنبل جابر بن عبد الله قال يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمنزلة ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللعلماء من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمي قال صحيح الإسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال إلا بالازار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو تنقأ .

شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلييبا . الثاني شعر الشارب . وقد قال صلى الله عليه وسلم «قصوا الشارب» وفي لفظ آخر «جزوا الشوارب» وفي لفظ آخر «حفوا الشوارب وأعفوا اللحي» (١) أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه - وترى الملائكة حافين من حول العرش - وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشمر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل - إن يستلكنوها فيحفرنكم تبخلوا - أي يستقصي عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحفاء اقرب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربہ فقال ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال القيرة بن شعبة «نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لي على سواك» (٢) ولا بأس بترك سباليهوها طرقا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستز القم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحي أي كثروها وفي الخبر «أن اليهود يصفون شواربهم ويقصون لحامهم» (٣) غالفوهم» وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة . الثالث شعر الأبط ويستحب تنفقه في كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود تنفقه في الابتداء فأما من تعود الحلق فيسكه الحلق إذ في التنفقه تعذيب وإيلام والقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي أن تأخر عن أربعين يوما . الخامس الأظفار وتقليمها منسحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها» (٤) ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء . لأنه لا يمنع وصول الماء . ولأنه يتساهل فيه للحاجة لاسيا في أظفار الرجل وفي الأوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بأعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليط والزجر عن ذلك ولم أرقى الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت «أنه صلى الله عليه وسلم يبدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخصصر إلى الإبهام» (٥) ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذوالبصرة فقايله أن يستنبطه من العقل بدقل الفعل إليه فالذي لاح لي فيه والعالم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي الشيرة

(١) حديث قصوا وفي لفظ جزوا وفي لفظ احفوا الشوارب وأعفوا اللحي متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ أحفوا ولمسلم من حديث أبي هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث القيرة ابن شعبة نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لي على سواك (٣) في الثمائل (٤) حديث إن اليهود يصفون شواربهم ويقصون لحامهم غالفوهم أحمد من حديث أبي أمامة قلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالم فقال قصوا سبالمكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والشهور أن هذا فعل الجوس في صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في الجوس أنهم يوفرون سبالمهم ويحلقون لحامهم غالفوهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظافيركم فان الشيطان يجري مابين اللحم والظفر (٥) حديث البداة في قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والخصم بابهامها وفي اليسرى بالخصصر إلى الإبهام لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازري في الرد على القزالي وشنع عليه به .

الأهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الإشارات وكشف أحوال أرباب القمامات ووصف قه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وم مكفيون المؤنة والعامية أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصديق على ذى بلمة من الميث فكيف إن كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الأحاد والزيج لقصورهم عن ملاحظة الحق موضع السيف للأنبياء وللرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل الضاد والتمادي على التمي وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء

في كلتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يتبدى بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستقامت الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فيقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرية فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والحتم بإبهامها ويقيم الإبهام اليمنى فيختم به التقليل وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها ثقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها في اليد لا تشبه هنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الأخص على الأخص بأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تتكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عايناه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن أن أقواله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يترد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاندماج والتقديم فان الاسترسال مهما كما يتفق سجية الهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى . وكلما كانت حركات الانسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذا القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعود بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين <sup>(١)</sup> » فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوتها بين العينين لتكوين الجملة وترا فان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يغلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجناف بالكحل وإنما خص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للإيتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق . فان قلت فلم اقتصر على اثنتين اليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا إذا الوتر مع الوتر زوج ورعايته الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الزمزم <sup>(٢)</sup> وقد قل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصى دقائق مراعاة صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر قسى بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا للي

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين الطبراني من حديث ابن عمر باسناد

ضعيف (٢) حديث الا يكتحل في كل عين ثلاثا قال الفزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند

الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

وكما لا يقال في الصدر الأول قهواء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب إلا علوم آخر كالفقه والحديث والتفسير لأن الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لعلبة الجهل على أكثرهم فلو لا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات واقطع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذ عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصعابة رضى الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الإسلام وأن يضعف ويقل أهلهم ويرجع البلاد والعامه إلى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والبسوث لدعوة الحق عليه



صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والورث إذ الورث هو الذي حصل للماله واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلعة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالحنان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يشفر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال عليه السلام « الحنان سنة للرجال ومكرمة للنساء <sup>(١)</sup> » وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم « لا تم غطية وكانت تخفض » يا أم عطية أشمى ولا تنهكي فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج <sup>(٢)</sup> » أي أكثر لئلا الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت القفلة عنه خيف ضرره فنباح من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم يمينه بمصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من الحسن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها قليل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقنادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا اللحية » والأمر في هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الحلقة ويطلق ألسنة الفتاين بالبذالة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعي عجت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويحمله بين لحيته فان التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقول .

(فصل) وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتصفها وتصف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتزيحها تصنعاً لأجل الرياء وتركها شعثاً إظهاراً للزهد والنظر إلى سوادها عجباً بالشباب وإلى يابضها تكبراً بعلم الدين وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبه بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شبابكم من تشبه بشبابكم <sup>(٣)</sup> » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لافي تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد <sup>(٤)</sup> » وقال « هو خضاب أهل النار <sup>(٥)</sup> » وفي لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث الحنان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي الليث عن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمى ولا تنهكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بشيوخكم الحديث الطبراني من حديث وثالة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر : وغيروا هذا شيء واجتنبوا السواد قاله حين رأى يابض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكفار قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثمر المدو والفزوي سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهراً وباطناً وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر إلى حال المومم يؤكّد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بمعالهم قيام والمومم إن لم يكن مشتغلاً بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وسائقا بهم إلى مرآشدم وصلاهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال المومم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شيء كامل من البر فلا خاصة إلا بصامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم حال الجاهل أكثر والخوف عليهم من الزيف والضللال

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخطب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرسه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضرباً وقال غررت القوم بالشباب ولبت عليهم شيبتك ويقال أول من خطب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يخطبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون راحة الجنة (١) »

الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تليسيا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين (٢) » وكانوا يخطبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والسكر للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالاً لإظهار علو السن توصلاً إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعاً عن الشباب وإظهار الكثرة العلم فلنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً وهبات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلاً فالعلم عمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول المدة يؤكد حماقة وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكبر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أتى الله عز وجل عبداً علماً إلا شاباً والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا سمعنا فحق يذكركم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم قتيبة آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبياً - وكان أنس رضي الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة قد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب قليل أهوشين فقال كاسك يكرهه (٣) » ويقال إن يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخلجه بضر سنة كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه (٤) »

وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تترنكم اللحية فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخطبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب للمسلمين والحمرة خضاب للمؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله قليل الخ ولمسلم من حديثه ومثل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله ببيضاء (٤) حديث يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة قليل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فإنه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فأنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

القلم يتعلم منه . وقال علي بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك ، وقيل لأبي عمرو بن العلاء أحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجمل يبيع به فالتعلم بحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه عثى خلف بقة الشافعي يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وعثى خلف بقة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت عثى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول . الرابع تنف يياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال هو نور للمؤمن <sup>(١)</sup> » وهو في معنى الحصاب بالسواد وعلّة الكراهية ماضية والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور . الخامس تنفها أوتف بعضها بحكم الميت والموس وذلك مكروه ومشوه للخلقة وتنف الفنيكين بدعة وهما جانبيا العنقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان يننف فنيكه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان يننف لحيته وأما تنفها في أول النبات تشبها بالمرء فمن النكرات السكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن شبعانها ملائكة يقسمون والذي زين بن آدم باللحي وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غرب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف شكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يمرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فإن له لحية إلى سترته تخصيصا له وتفضيلا . السادس تقصيصها كالنعبة طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحام كذب الحمامة ويرقبون نعالهم كالمنجل أولئك لاخلق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصديين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف الحنك وذلك بيان هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها متفلة لاظهار الزهد . التاسع والعاشر النظر في سوادها وفي يياضها بين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس <sup>(٢)</sup> والضمضة والاستنشاق <sup>(٣)</sup> وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم

(١) حديث نهى عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس أخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكعب يعني الاستنجاء قال مسعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون الضمضة ضعفه ن ولأبي د . من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه الضمضة والاختان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قاله روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان الحديث .

بالكفر لرددت البيت على قواءد إبراهيم وقال للأصهار أماترون أن يذهب النار بالشاء والبعر فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ومع ذلك فالذي حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وقفاء الأمصار وأعيان التكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه مثاهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توفيق ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب .

[بيان المرتبة الرابعة]

وهو توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلموا في الوجود

على سواء قد كان بيان  
شارات الصحابة رضى  
الله عنهم أجمعين فيها  
خصوصا من المعرفة في  
هجيرهم فكان هجير  
أبي بكر الصديق رضى  
الله عنه : لا إله إلا الله  
وكان هجير عمر رضى  
الله عنه : الله أكبر وكان  
هجير عثمان رضى الله  
عنه : سبحان الله وكان  
هجير علي رضى الله  
عنه : الحمد لله فاستقرى  
السابقون من ذلك  
أن أبا بكر لم يشهد في  
الدارين غير الله سبحانه  
وتعالى فلذا كان  
الصديق ومضى به كما  
علمت وكان يقول  
لا إله إلا الله وكان عمر  
يرى مادون الله ضيرا  
مع الله في جنب عظمته  
فيقول الله أكبر وكان  
عثمان لا يرى التنزيه  
إلا الله تعالى إذ الكل  
قائم به غير معرى من  
النقصان والقائم بغيره  
معلول فكان يقول  
سبحان الله وعلى  
لا يرى نعمة في الدفع  
والرفع والعتاء والنفع  
في السكرو والمحبوب  
إلا من الله سبحانه  
فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب<sup>(١)</sup> وأربعة في الجسد وهي تنف الأبط والاستحداد والختان  
والاستنجاء بالماء قد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة  
الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولتتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف  
منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها في ربيع المهمات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير  
القلب منها إن شاء الله عز وجل . ثم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء  
الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

### ( كتاب أسرار الصلاة ومهماتا )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غفر العباد بطاقتهم وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى السماء  
الدنيا من درجات الرحمة إحدى عوالمه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في  
السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وبين السلاطين بفتح الباب  
ورفع الحجاب فرخص للعباد في الناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخواص ولم  
يقتصر على الرخصة بل تطفب بالترغيب والدعوة وغيره من ضمائم الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم  
الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه  
المصطفى ووليته المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإن الصلاة  
عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقداسة صينية في فن الفقه في بسيط المذهب  
ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريحها النادرة ووقائدها الشاذة لتكون خزانة  
للفنق منها يستمد ويعول إلى إليها يفرغ ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب نقصر على ما لا بد للمريد منه  
من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص  
والنية ما لم تجر العادة بذكره في فن الفقه، ومربون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : في فضائل  
الصلاة . الباب الثاني : في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة  
منها . الباب الرابع : في الإمامة والقدوة . الباب الخامس : في صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس :  
في مسائل متفرقة ثم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : في التطوعات وغيرها .  
( الباب الأول : في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها )

### ( فضيلة الأذان )

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى  
يخرج مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأتم بقوم وهم به راضون ورجل أذن في  
مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة<sup>(٢)</sup> »  
وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة<sup>(٣)</sup> »

(١) حديث تنظيف الرواجب تقدم .

### ( باب أسرار الصلاة )

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر عنصرا  
وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس  
ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبي سعيد .

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه» (١) وقبل في خصره قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» (٢) وذلك مستحب إلا في الجملة فإنه يقول فيها لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وفي التثويب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وإيتنا المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

## ( فضيلة للكتابة )

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال صلى الله عليه وسلم «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفاف بحقهن» كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بياض أحداً كمن يتحتم فيه كل يوم خمس مرات لما ترون ذلك يتيقن من درته قالوا لا نبي» قال صلى الله عليه وسلم «فإن الصلوات الخمس تذهب القنوب كما يذهب الماء العكر» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن» ما اجتنب الكبائر» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «بيننا وبين الناس شهود التهمة والصبح لا يستطيعونها» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يصب الله بشيء من حسنة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين» (٨) وسئل صلى الله عليه وسلم «أى الأعمال أفضل فقال الصلاة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة» (١١) وقال «ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتجد به ملائكة فمن رآه كع ومنهم ساجدون منهم قائمون وقاعد» (١٢)

(١) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ح ب من حديث عبادة بن الصامت ومحمد بن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولما نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر م من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين الناس شهود التهمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلاً (٧) حديث من لقي الله مضيعاً للصلاة لم يصب الله بشيء من حسنة وفي معناه حديث أول ما يغاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طبراني في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعه من حديث عمر قال لك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً الحديث أحمد ح ب من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلياً في الرواية (١٢) حديث ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر.

وأهل هذه الرتبة على الجملة في حال خصوصهم فيها صنفان مریدون ومرادون فالمریدون في الغالب لا بد لهم من أن يعملوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد للقرين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبداية ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم . فإن قلت أليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوف والآله ثم معلوم أن الآله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تحدث بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والرواق من مصدر العقل ما ينشأ من إطالة القول فيه وإن كان على طريق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر »<sup>(١)</sup> أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه يلتفتها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد بصرى » من ذمة محمد عليه السلام<sup>(٢)</sup> وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من توشأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يسجد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوبته حسنة ونعمى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أهدمكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . ويروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة »<sup>(٣)</sup> فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تختبئ »<sup>(٤)</sup> وقال بعض العلماء مثل للصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك للصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتوها فاطفئوها .

( فضيلة إتمام الأركان )

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى »<sup>(٥)</sup> وقال يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة »<sup>(٦)</sup> وقال عليه السلام « إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض »<sup>(٧)</sup> وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم عليه بين ركوعه وسجوده »<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار »<sup>(٩)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال .  
 (٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حمى من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأنهاب السنن ك وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتى (٤) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تختبئ لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البهيقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المبر في القل من حديث أبي أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن المبر (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم عليه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى في عوالى مشايخ مصر من حديث جابر مایؤمنه إذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار .

التخيل للولى لما لا حقيقة له فكيف يخرج به أو كيف يمد حالا لولى أو فضيلة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تقلب إلى القدم ولم تتعد بالفاععل ولا اعترى الولى تخيل تخيل ما لا حقيقة له وإنما هو ولى مجتبى وصديق مرتضى خصه الله تعالى بعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف قلبه مالوراه يصره عبانا ما ازداد الإيقنا وإن أنكرت أن يكون وهب الله العرفه على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أطم مصيتك وما أعظم العزاء فيك حين فقتبت الخلق بمبارك وكلهم بمصكياك وفضلت نفسك على الجميع إذ لاسبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من العرفه مالم يخص فإذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف قلبه

« من صلى صلاة لوقتها وأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لتبروقتها ولم يسبح وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلفت الثوب الخلق فيضرب بها وجهه<sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته<sup>(٢)</sup> » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكبال لمن أوفى استوفى ومن طلف قد علم ما قال الله في الطغففين .

( فضيلة الجماعة )

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة أفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة<sup>(٣)</sup> » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قد ناما في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتنهم<sup>(٤)</sup> » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم يوتنهم يحزم الحطب ولوعلم أحدهم أنه يجد عظامنا أو مرامتين لشهدها يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة<sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة<sup>(٦)</sup> » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في السجد وقال محمد بن واضح ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة أخا إنه إن تعوجت قومى وقوتا من الرزق غفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عن سبورها ويكتب لي فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان في آثا حتى أريت أن لي فضلا على غيري لأؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى الماء . وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتتني الصلاة في الجماعة فزاني أبو إسحق البخاري حده ولومات لي ولد لزمانا أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من مع نادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن عملا أذن ابن آدم رصا ما مذا خيره من أن يسمع النداء ثم لا يجب . وروى أن ميمون بن مهران أتى السجد فقبله إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار<sup>(٧)</sup> »

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طبع في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة أفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا (٦) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته تكبيرة الإحرام الحديث ت من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات .

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا ينيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينسأ ولا في حال نومه وشغلته وهذا موجود فيمن أكثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقه في شغلته ونومه كما لا يفقه في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو مجادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرته وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها في المخلوقات لبست لغيره للوصوف الذي هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم يرسوا ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير المعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به



ويقال إنه إذا حكان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوك النرى فتقول لهم لللائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأنصار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في السجد . وروى أن السلف كانوا يمزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويمزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

## ( فضيلة السجود )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشئ أفضل من سجود خفي <sup>(١)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة <sup>(٢)</sup> » وروى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مراقبتك في الجنة فقال <sup>(٣)</sup> » أعني بكثرة السجود <sup>(٤)</sup> » وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا <sup>(٥)</sup> » وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيأمن في وجوههم من أثر السجود - قيل هو ما يتصلق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فصليت في النار <sup>(٦)</sup> » وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض لما بقي أحد أحده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شئ من الدنيا إلا على السجود ، وقال عتبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث غفر ساجدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

## ( فضيلة الخشوع )

قال الله تعالى - وأتم الصلاة كرى - وقال تعالى - ولا تكن من الغافلين - وقال عز وجل - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب للراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال - حتى تعلموا ما تقولون - وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ما تقرب العبد إلى الله بشئ أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسل (٢) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة . من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٣) حديث إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مراقبتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة .

وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أحبه أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عندهم من الحول والقوة وهو العلي العظيم [فصل] وأما معنى إفتاء سر الرواية كسر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيما لما آتى به للنبي وتعظيما لما ارتكبه ويمتض هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفرا لأنه ضد الكفر إذ الكفر الذي مسمى على معناه سائر وهذا للنبي للسر ناشر وأين النشر والإظهار من التغطية والإعلان من الكتم واندفاع هذا من بأن يقال ليس الكفر الشرعي تابع للاشتقاق وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وارتكاب التسي فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة منفضل يقال عليه كافر

«من صلى ركعتين لم يحدث ، نفسه فيهما بشئ» من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه<sup>(١)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج»<sup>(٢)</sup> وروى عن الله سبحانه في السكب السالفة أنه قال «ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمي ولم يشكر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والبتنى عظيمة ولاهية لما قيمة ذكرك»<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع»<sup>(٤)</sup> أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ - وقال تعالى - وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَسْكُنْ اللَّهُ - وقال تعالى - وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا»<sup>(٥)</sup> والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله بن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل «كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»<sup>(٦)</sup> اشتغالا بنظامه الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه<sup>(٧)</sup> وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته<sup>(٨)</sup> ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه<sup>(٩)</sup>

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زياد في أوله دون قوله بشئ من الدنيا وزاد طس إلا بغير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قالت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب وك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا على بن معبد في كتاب الطاعة والعصية من حديث الحسن مرسل بإسناد صحيح ورواه طبري وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن النكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جامع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتابه الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهريش مرسل لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم .

لجهتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك أصما يني عن وصف والثانية من جهة التصرع ويكون إذ ذاك حكا يوجب عقوبة والتصرع قد ورد بشكر للنعم فافهم ولا تنذهب مع الألفاظ ولا يفرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفتطن لخداعها واحسرس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكنهه كان كمن كتم ما أمر بشهره في مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة التصرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي ارتكاب التي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور ككفران البدن وقسمه أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فمأس الإنسان تشابه سماء العالم من حيث

ويروي أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالخصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بشئ الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالخصى وقيل لحلف بن أيوب ألا يؤذيك اللذباب في صلاتك فخطرها قال لا أعود نفسي شيئا يفسد عليّ صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني أن الصفاق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربّي فأتحرك لثباته. وروي عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تعمدوا أنتم فاني لست أسمعكم وروي عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزّول ويثلون وجهه فقبل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها وروي عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي بتركك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن تقبل الصلاة فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجله، يطعم الجامع ويؤوى الغريب ويرحم اللصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كأنه شمس إن دعاني لبيته وإن سألتني أعطيت أجلا في الجهل حلما وفي الظلمة نورا وإنما مثله في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان لا تبيس أنهارها ولا تتغير ثمارها وروي عن حاتم الأصم رضي الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسيئت الوضوء وأتيت للموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورأى أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترنيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالانحلال ثم لأدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.

## ( فضيلة السجدة وموضع الصلاة )

قال الله عز وجل - إنما يامرر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بقى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة»<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام «من ألف المسجد ألفه الله تعالى»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»<sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «اللائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل على اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد»<sup>(٥)</sup>

(١) حديث من بقى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث - من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة (٢) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

إن كل ما علا فهو  
سماء وحواسه تشابه  
الكواكب والنجوم  
من حيث إن  
الكواكب أجسام  
مشقة تستمد من نور  
الشمس فتضيء بها  
والحواس أجسام لطيفة  
مشقة تستمد من  
الروح فيضيء مسلك  
للدرجات وروح  
الإنسان مشابهة  
للشمس فضاء العالم  
ونور نباته وحركة  
ضواريه وحيوانه  
وحياته فيها تظهر  
بتلك الشمس وكذلك  
روح الإنسان به حصل  
في الظاهر نعمة أجزاء  
بدنه ونبات شعوره  
وحلول حياته وجلست  
الشمس وسط العالم  
وهي تطلع بالتهار  
وتغرب بالليل وجلست  
الروح وسط جنم  
الإنسان وهي تقيم  
بالنوم وتطلع باليقظة  
وتنفس الإنسان تشابه  
القمر من حيث إن  
القمر يستمد من  
الشمس ونفسه تستمد  
من الروح والقمر  
خالف الشمس والروح

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيقعدون فيها حلقة حلقة ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوم فليس لهم حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب إن يوتى في أرض الساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لبدن تطهر في بيته ثم زارني في بيتي لحق على الزور أن يكرم زائره (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يتناد للسجد فاشهدوا له بالإيمان (٣) » وقال سعيد بن الحبيب من جلس في السجد فأتى يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا وروى في الأثر أو الخبر « الحديث في السجد يأكل الحشرات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعي كانوا يرون أن لكى في الليلة للظلمة إلى السجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في السجد سراجا لم تزل لللائكة وحمة العرش يستغفرون له مادام في ذلك السجد ضوؤه وقال على كرم الله وجهه إذا مات العبد يركب عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ - لما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين - وقال ابن عباس بكى عليه الأرض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها صلاة أو ذكر إلا اقتضت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرت له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلطمهم .

( الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله )

ينبغي للصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الحب في البدن وللكان والياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على قلة الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلاة (٥) » والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى - مفرنين في الأصفاد - والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجياد - هذا ما راعيه في رجله عند القيام وراعى في ركبتيه ومعدن نطقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيقعدون فيها حلقة حلقة ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود و « من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) » حديث قال الله تعالى : « إن يوتى في أرض الساجد » وإن زوارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة ابن جبرائيل فتقول لللائكة من هذا الذي ينبغي له أن يجاورك فيقول أين قرأ القرآن وعمار للساجد وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسنده ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يتناد للسجد فاشهدوا له بالإيمان وحسنه . و « وك صححه من حديث أبي سعيد (٤) » حديث الحديث في السجد يأكل الحشرات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

( الباب الثاني )

(٥) حديث النهى عن الصفن والصفد في الصلاة عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب التريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أو صافا قديما فقال أخطأ هذا السنة .

خالف النفس والقمر آية محمودة والنفس مثلها وعو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه وعو النفس في أن ليس عقلها منها ويسترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الخواص غيب وفحول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الإنسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فصلت للشبهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيها ذكرناه ما يحصل به قدوى القول تشبيه وتخييل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

عليه إذ قد كثرت الخلاف في ذلك فاعلم أنه إنما على الإنسان أن يني كلامه على ما يعلم لا على ما جهل وأنت لو علت النفس والروح علت أهما اثنان فان قلت قد سبق في الإحياء أهما شيء واحد وقلت في هذه الإجابة إن النفس من أسماء الروح فالذي سبق في الإحياء ورأيت في هذه الإجابة وهو شيء واحد لا يتناقض مع ما قلناه الآن وذلك أن لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى وبغير ذلك ثم لا يبعد أن يكون لها معنى آخر يفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الإضافة التي في ضمير صورته والوجه الآخر وهو أن من حمل إضافة الصورة إلى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لأن الله سبحانه نبأ بأنه حي قادر سميع بصير عالم يريد متكلم فاعلم

وأغض البصر وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يسلى عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطاً فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف الصلّى وحدود الخط وليدع على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا امتوى قيامه واستقبله وإطرافه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصناً به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر التبة وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه أودى فريضة الظهر لله ليعزها بقوله أودى عن القضاء وبالقرينة عن النفل وبالظهر عن الصبر وغيره وتلكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجتهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يمزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حدو منكبيه بمد إرسالهما بحيث يهاذى بكفيه منكبيه وبإهاميه شحقي أذنيه وبرهوس أصابعه رهوس أذنيه<sup>(١)</sup> ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه ويكون مقبلاً بكفيه وإهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يفضها ولا يتكلف فيها تحريها ولا ضماً بل يتركها على مقتضى طبعها إذ قل في الأثر النشر والضم<sup>(٢)</sup> وهذا بينهما فهو أولى وإذا استقرت اليدين في مقرهما ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار التبة . ثم يضع اليدين على مافوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة ويغسر للسبعة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبصر على كوع اليسرى وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين<sup>(٣)</sup> ومع استقرارهما<sup>(٤)</sup> ومع الإرسال<sup>(٥)</sup> فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالارسل أليق فانه كلمة القعد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة القعد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأه فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والقعد وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رفا عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا يفضهما عن يمين وشمال فضا إذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً ويستأنف وضع اليدين على التمال بمد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى<sup>(٦)</sup> » فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الماء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حدو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رهوس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول وورد من حديث والى بن حجر بإسناد ضعيف إلى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجداً التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث والى يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حدو منكبيه ثم كبر زاد دهما كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين من حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يهاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في المشكل فكلمة حتى التي هي للغاية تدل باليمنى على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ بإسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك يساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء كبر ورائه ألفا كأنه يقول كبراً ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يبتدىء بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (١) وجهت وجهي إلى قوله وأؤمن المسلمين (٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جامعا بين متفرقات ماورد في الأخبار وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدىء فيها بسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويختد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة وبعد هاءمدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهز بالقراءة في الصبح والغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهز بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن لما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من الفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة .

(الركوع ولو أحقه)

ثم يركع ويراعي فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يعد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يشبههما وأن يعد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يحافي مرقبيه عن جنبه وتضم الرأفة مرقبها إلى جنبها وأن يقول سبحان ربّي العظيم ثلاثا وزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماما ثم يرفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التيسيع والكسوف والصبح ويقت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود (١)

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأذنه وكفيه مكشوفة ويكبر

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينما نحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د من حديث جابر بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا ذلك وصححه من حديث عائشة وضعفت فقط ورواه م موقوفا على عمر وعند حق من حديث جابر الجعفي وجهت وبين سبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة حق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يفت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث م ت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلهه هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام جبا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لأدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدره بالقول وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ قطبولا فيهم من ذلك نفى الصفات فليس هو مرادنا وإنما مرادنا تبين ما بين الصورتين بأبعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا في الإسماء للفظ بها لا غير وفرار أن ثبت صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك ويلج قلبك ويظهر لطفك ولهذا قيل لك فان كنت تستد الصورة الظاهرة ومعناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبا مطلقا ومعناه يتيقن أنك من الشبهين لا من الزهين

عند الموى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبغى أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبته وأن يضع يدهما يديه ثم يضع يدهما وجهه وأن يضع جبهته وأنته على الأرض وأن يحافى مرقبه عن جنبه ولا تفعل للركعة ذلك وأن يفرج بين رجله ولا تفعل للركعة ذلك وأن يكون في سجوده نحوياً على الأرض ولا تكون للركعة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما وإن لم يضم الإبهام فلا بأس ولا يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب (١) فإنه منهي عنه وأن يقول سبحان ربى الأسمى ثلاثاً فإن زاد لحسن إلا أن يكون إماماً ثم رفع من السجود فيطمئن جالساً معتدلاً فيرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عني ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التيسيع ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالساً جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة. لا تشهد عقبيها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجله في حال الارتفاع وبعد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام بحيث تكون الماء من قوله الله عند استوائه جالساً وكافاً أكبر عند اعتناؤه على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط ارتفاعه ولا يغلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصل إلى الركعة الثانية كالأولى ويعد التعمد كالابتداء.

## (التشهد)

ثم يشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويضم أصابعه اليمنى إلى السبعة ولا بأس بأرسال الإبهام أيضاً ويشير بمسبحة يمينه وحدها عند قوله إلا الله لا عند قوله لا إله إلا الله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدة بين وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء للأئمة (٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنة التشهد الأول لكن يجلس في الأخير على وركة الأيسر لأنه ليس مستوفزاً للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ويلتفت شمالاً كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوى الخروج من الصلاة والسلام وينوى بالسلام من على يمينه الملائكة والسلمين في الأولى وينوى مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم (٣) ولا يعمده مداً فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى الامام الامامة لينال الفضل فإن لم ينو صلاته القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمفرد ويجهز بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولي العشاء والقرب وكذلك المنفرد ويجهز بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقياً ويسكت الامام سكته عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ للمأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكته ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ للمأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

- (١) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث الدعاء للأئمة بعد التشهد من حديث على في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل (٣) حديث جزم السلام سنة دلت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضحه ابن القطان.

على نفسك بالتشبيه معتقداً ولا تشكر كاقبل كن يهودياً صرفاً وإلا فلا تلعب بالتوراة أى تلبس بدينهم وتريد أن لا تنسب إليهم أى تقرأ التوراة ولا تعمل بها وإن كنت تعتقد الصورة الباطنة منزهة مجللاً ومقدساً مخلصاً أى ليس تعتقد من الاضافة في الضمير إلى الله تعالى إلا الأسماء دون للعاني تلك العاني للسما لا يقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبل راحة الله عليه في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قول بليغ مختصر حين سئل عن معنى الحديث قال خلقه الله على الأسماء والصفات لا على الذات . فان قلت فكذا قال ابن قتيبة في كتابه للعروف بتناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه في ذلك وأقيمت عليه الشناعة به وإطرح قوله ولم ير ضاً أكثر العلماء وأهل التحقيق . فاعلم



صوت الامام ويقول الامام مع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم ولللائكة وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وفمالة واليمين أحب إلى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا وبجر به ويؤمن القوم ويرضون أيديهم خلف صدورهم ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

## (التيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناها وعن الإقماء (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن الواصلة (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحازق (٩) وعن صلاة الجائع والغضبان والتئم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإقماء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على ركبته وينصب ركبته ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين

(١) حديث النهي عن الإقماء تـ من حديث علي بن بسند ضعيف لا ينع بين السجدين وم من حديث عائشة كان ينهى عن غلبة الشيطان ولك من حديث سمرة ومحمه نهى عن الإقماء (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة د ت ك ومحمه من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نسكت شعرا ولا ثوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار د ك ومحمه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل مختصرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة د من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث النهي عن الواصلة عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسر الفزالي بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتان حفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته الحديث (٧) حديث النهي عن صلاة الحاقن . فقط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن . د من حديث أبي هريرة لا يحل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لا صلاة بمحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهري بمدافعة الفائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحازق عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب القريب حديث لا رأي لحازق وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن التئم في الصلاة د من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يضطج الرجل قائ في الصلاة زواه الحاكم ومحمه قال الخطابي هو التئم على الأنفواء .

أن الذي ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضا عنه وأبلغ في الإنكار عليه وأبعد الناس من تبويخ قوله وليس هو الذي أئمتنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تسفل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك أنا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا حالة للذات فإين من لب الجوز قشور تفرقع والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة أنه لم يفرع سمعه هذه الدقائق السقي أشرفنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالمبارة عنها وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذي هو موجب عند ذوى التصور تشبيها وبين التأويل الذي ينفه فأنبت للناس المرغوب

والركبتين . وأما السدل فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم قهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقبل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يغطهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكعب فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكعب في شعر الرأس فلا يصلح وهو عاقص شعره والتي للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا » (١) وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكعب . وأما الاختصار فإن يضع يديه على خاصرته . وأما الصلب فإن يضع يديه على خاصرته في القيام ويجافي بين عضديه في القيام . وأما اللواصة فهي خمسة أثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمة وتسليمة واحدة بينهما أن لا يصل تسليمة القرض بالتسليمة الثانية ويفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الحنف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع والهم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ما كن القلب » (٢) وفي الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان » (٣) وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنحاس والوسوسة والتأؤب والحكاك والالتفات والعبث بالثياب » (٤) وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصل بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه » (٥) أو يفرقع أصابعه » (٦) أو يستر وجهه » (٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلها بين فخذه في الركوع » (٨) وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نعمل ذلك فنهينا عنه وبكره أيضا أن ينفع في الأرض عند السجود للتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة: الرعاف والنحاس والوسوسة والتأؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنحاس والتأؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يارسل الله إن الشيطان قد حل بيني وبين صلاتي الحديث والبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يخلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التأؤب من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى (٥) حديث النهي عن تشبيك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ث ه ح نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث النهي عن تفتيح الأصابع في الصلاة من حديث علي بن إسماعيل ضعيف لا تضع أصابعك في الصلاة (٧) حديث النهي عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن ينطى الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٨) حديث النهي عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا قمنا قريبا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركبتين .

عنه وأرادني ماخاف من الوقوع فيه فلم يأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فها هو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لاقطة فتبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق - فإنك بالوادي

القدس طوى - أي دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فإنك على هداية ورشد والوادي للقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وإنما قدس الوادي بما أنزل

فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فيه فعذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وإلا فالمقصود ما حذف لا ما أظهر بالقول إذ الواضع لا تأثير لما وإنما هي ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أي سر قلبك لما يوحى فطقت تجد على النار هدى ولعلك من

يسوى الحصى يده فاتها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذيه ولا يستند في قيامه إلى حائط فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لم يقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

( تميز الفرائض والسنن )

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض و سنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير . والقيام والقنعة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتك ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا يجب وماعدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الموهى إلى الركوع وعند الارتقاء إلى القيام والجلسة للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية خسر الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والاقتراش هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتقاء من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم نتردد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم التذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول . والصلاة في حق النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فإنها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم فبهر عن ذلك بالمعنى وقيل الأباض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تنقض سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفتان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقالات فقدم تلك الأذكار لا تغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركها لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالقنعة وبمزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كدجلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة . فان قلت تميز السنن عن الفرائض معقول إذ نفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تميز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتيهما ولنكشف ذلك لك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمضى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعددتها كالقلب والكبد والدماع وكل عضو نفوت الحياة بفواته وبعضها لا نفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن

سراقات المرء تنادي  
بما نودى به موسى إن  
أنار بك أي فرغ قلبك  
لما يرد عليك من  
فوائد الزيد وحوادث  
الصدى وتماز المعارف  
وارتياح سلوك الطريق  
وإشارات قرب الوصول  
وسر القلب كما يقول  
أذن الرأس ووسع  
الأذان وما يوحى أي  
ما يرد من الله تعالى  
بواسطة ملك أو لقاء  
بواسطة ملك أو لقاء  
في روع أو مكاشفة  
بحقيقة أو ضرب مثل  
مع السلم بتأويله  
ومعنى لعلك حرف  
ترويح ومعنى إن لم  
تدرك آفة تقطعك  
عن سماع الوحي من  
إعجاب بحال أو إضافة  
دعوى إلى النفس أو  
قنوع بما وصلت إليه  
واستبداده عن غيره  
وسراقات المجد هي  
حجب للكسوت وما  
نودى به موسى هو علم  
التوحيد التي وسعت  
العبادة اللطيفة عنه  
بقوله حين قال له  
يا موسى إنى أنا الله لا إله  
إلا أنا والنادى باسمه  
أزلا وأبدا هو اسم

الحاجبين واللعبة والأهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كاله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهدب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورها الشروع وتعبنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والسكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى اليدين والمئين والرجلين ولا نفوت الصحة بفواتها كما لا نفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الحلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون . وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك الحيرة في تحسين صورتها وتجميلها فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فقلبك ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بغيرك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقه العين لا يسطل وجود الانسان ولكن يخرج عن أن يصدق رجاء التقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فمكذبا ينبغي أن نفهم مراتب السنن والهيئات والأداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الحضم الأول على صاحبها تقول ضيكت الله كما ضيقتي فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

### ( الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب )

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر للعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون سالحة تزداد الآخرة .

### ( بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب )

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى - أقم الصلاة لذكري - وظاهر الأمر الوجوب والغلبة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقبلا للصلاة لذكره وقوله تعالى - ولا تكن من الغافلين - فهي وظاهره التحريم وقوله عز وجل - حتى تطمئنا ما تقولون - تطمئنتهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهمة بالسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمكن وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة إنما لتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام « إنما الشفعة فيها لم يقصر » الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بندا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والنكر . وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب <sup>(١)</sup> » وما أراد به إلا الغافل وقال

### ( الباب الثالث )

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . من حديث أبي هريرة ربه قائم ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد ربه قائم حظه من صلاته السهر وإساده حسن .

موسى لما صامى السالك  
الوجود في كلام الله  
تعالى في أزل الأزل قبل  
أن يخلق موسى لا إلى  
أول وكلام الله تعالى  
صفه لا يتغير كالاتغير  
هو إذ ليست صفاته  
للصنوية لتغيره وهو  
الذي لا يحول ولا يزول  
وقد زل قوم عظم  
اقتراحهم وهو أنهم  
حملوا صدور هذا  
القول على اعتقاد  
اكتساب النبوة وعبادته  
بالله من أين يحتمل  
هذا القول ماحلوه  
من اللذهب أليسوا  
وهم يعرفون أن كثيرا  
من يكون بحضرة  
ملك من ملوك الدنيا  
وهو مخاطب إنسانا  
آخر قل ولاية كبيرة  
وفوض إليه عملا عظيما  
وحياه حياه خطيرا  
وهو ينادى باسمه أو  
بأمره بما يمثل من  
أمره ثم إن السامع  
للملك الحاضر معه غير  
الولي لم يشارك للولي  
المخووع عليه والفوض  
إليه في شيء مما ولى  
وأعطى ولم نجب الله  
بسماعه ومشاهدته

على الله عليه وسلم «ليس للصائم من صلاته إلا ما عقل منها»<sup>(١)</sup> والتحقيق فيه أن الصلي مناخ ربه عز وجل<sup>(٢)</sup> كما ورد به الخبر والكلام مع التفلة ليس بمناجاة البتة ويأنه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة عديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسلطة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع التفلة وكذلك الحج أضالته شاقة عديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء كان القلب حاضراً مع أضالته أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فإنه محاور ومناجاة مع الله عز وجل فأما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً وهاوياً والمقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل كما يتحقق للعدو والفرج بالاسم في الصوم وكما يتحقق للبدن بمشقة الحج ويتحقق للقلب بمشقة إخراج الزكاة والانتطاع لله للعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهليان ما أخفه على الناظر فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف ومن حيث إنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب فأى سؤال في قوله لهدن الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً وإذا لم يقصد كونه تضرباً ودعاء فأى مشقة في تحريك اللسان به مع التفلة لا سيما بعد الاعتقاد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلاناً وأثنى عليه وأساءه حاجة ثم جرت الألفاظ للهالة على هذه اللامى على لسانه في النوم لم ير في عينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضراً وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارأى يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً مع ما لم يكن هو حاضر في قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في رياض النهار غافل لكونه مستغرق في المهم فحكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصير بارأى يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب التفلة محبوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة لما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديده ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والله كرو بالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التمتع قطعاً ولو جاز أن يكون معظاً لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظاً لغيره لموضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظاً للعائط الذي بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيلاً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من الشقة ما يقصد الامتحان به ثم يحمله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقسم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود الناجاة فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرايين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - أى الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أضالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اعتراط حضور القلب . فإن قلت إن حكمت يطلان الصلاة وجلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فاتهم بشرطوا

(١) حديث ليس للصائم من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نسر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الهذلي في مسند القردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما ينهى عنه (٢) حديث الصلي بناجى ربه متفق عليه من حديث أنس .

أكثر من حظوة القرية وشرف الحضور ومنزلة للكاشفة من غير وصول إلى درجة المخاطب بالولاية وللقوى إليه الأسر وذلك هذا السالك للذكر إذا وصل في طريقه ذلك بحيث يصل للكاشفة وللشاهدة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك إذ هو محل صماع الوحي على الدوام وموضع لللائكة وكفى بها أنها الحضرة الربوبية وموسى عليه السلام ما استلقى الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصوداً بذلك بملوئه في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة قطع بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى إلى ذلك المقام أضماً لما تجاوز للرتبة الرابعة لأن أخسر مقامات

إلا حضور القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل ونزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع صدقاً على من جبر بين الحارث فيارواه عنه أبو طالب للسكنى عن صفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع ومن معاذن جبل من عرف من على يمينه وشماله متمعداً وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضاً مستنداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها <sup>(١)</sup> » وهذا لو قل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعاً وما قل من هذا الجنس عن الفقهاء الثوريين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يصح عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيماب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى المحفظات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على القتل ظاهراً وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحق أشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر خطراً في نفسه فإليك الحيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب للامانة عن التصريح بكل ما يشكف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقعاً للريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل للخصم فلنأخذ بقصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رفق الروح الحضور عند التكبير فالتقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكل من حى لأحراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لأحراك به نسأل الله حسن العون .

( بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة )

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والحيية والرجاء والحياء فلنذكر تفصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في إكتسابها . أما التفصيل فالأول حضور القلب ونعني به أن يخرج القلب عن غير ما هو ملابس له ومشكك به فيكون القلب بالفعل والقول مقروفاً بهما ولا يكون الفكر جائلاً في غيرها ومهما استصرف الفكر من غير ما هو فيه وكان <sup>(١)</sup> حديث إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا عشرها الحديث من حب من حديث عمار بن ياسر بنحوه .

الأولياء أول مقامات الأنبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل فقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لأن هذا المقام الذى هو للربة الثالثة ليست من غايات مقام الولاية بل هو إلى مبادئها أقرب منه إلى غايتها فمن لم يهجم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطمع على أهلها هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف أنه مؤاخذ بكلامه محاسب بظنه وبقينه مكتوب عليه خطراته محفوط عليه لحظاته غلصاً منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . فإن قلنا تارك قد أوجب له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - قد نه أن تكلم الله تعالى لمن



في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم الماني للقرآن والتسيبحات وكمن معان لطيفة يفهمها للمنى في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والنكر فانها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخافة من القرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الحسية لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان العظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلا شك أنه زادكم من معظم مملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استئثار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه الماني الستة فاعلم أن حضور القلب حياء الهمة فان قلبك تابع لمحتك فلا يحضر إلا فيما يهيك ومهما أمرك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعظلا بل جائلا فها الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تنصرف إليها مالم يتبين أن الفرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بمقاراة الدنيا ومهماتنا حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه الملة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عبد المناجاة مع ملك المولا الذي يده الملك والملكوت والنع والضر فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستصفي في غير هذا الموضع . وأما التفهم فسيبه بمد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أغنى التزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ومالم تقطع تلك اللواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تنصرف له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان من لا يستقد عظمته لا تدع عن النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخساستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيجبر عنه بالتعظيم ومالم تخرج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان للسكنى عن غيره الأمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه . وأما الهيبة والخوف فعالة للنفس تولد من المعرفة بقدرته الله وسطوته وتقوذه مشيئته فيه مع قلة البلاء به وأنه لو أهلك الأولين وآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كله من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأننا ما أوجينا أنه كلمه قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره بما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام إنسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا للمشاركة في نبوته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن



ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الحشية والمهية وسبب أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربيع النجيات . وأما الرجاء فسيه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف منعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبثت من مجموعهما الرجاء لا محالة . وأما الحياة فباستشماره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويحرق ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتنا وقلة إخلاصها وخبت دخلها وبيلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياة فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فملاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وقدر اليقين ينشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدهه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنفض أعضاءك » كمن عند ذكرى خاضعا مطمئنا وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قلت بين يدي قم قيام العبد الدليل وتاجني قلب وجعل لسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لصلاة أمتك لا بد كروني فاني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم بالجنة » هذا في عاص غير غافل ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعيان وباختلاف الماني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتم ولم ينب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب المم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في السجدة اجتمع الناس عليها وبضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع مجرم وضعهم وخساسة الخطوط الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهجة ثم يخرج ولو مثل ممن حوالبه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدّر على الاخبار عنه لاغتفال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوالبه ولكل درجات مما عملوا حفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحضر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعم بها واللذة ولقد صدق فانه يحضر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من آوى الله قلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

( بيان الدواء النافع في حضور القلب )

اعلم أن اللّو من لا بد أن يكون معظا لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحيما من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانكسار كنهها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتهميش الحاطر وغية القلب عن النجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة

الاختلاف فيه فيكون النبي للرسول يسمع كلام الله تعالى عز وجل الداني القديم بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينهما وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقي في روعه ومما ينادي به في سمعه أو سره وأغياه ذلك كما ذكر أن قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى أنهم سمعوا صوتا كالشبور وهو القرآن فإذا صعد ذلك فبتابين التمامات اختلف ورود الخطاب لموسى سمع كلام الله بالحقيقة الذي هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا غلوا فجعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضروري وسمى ذلك الذي سمعوه كلامه إذ كان دلالا عليه كما تسمى التلاوة وهي الحروف المتلو بها

إلا الحواطر الواردة الشاغلة والدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الحواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الحواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فما يفرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبهم ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا لبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلبه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يفرض بصره أو يصل في بيت مظلم أولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المفتوحة للصنوعة وعلى الفرش للصبغة ولذلك كان للتجبدون يتجدون في بيت صغير مظلم سعة قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على عيניהم ولهمالهم ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا نزعها ولا كتابا إلا محاه . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فأن من تشبعت به الموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يفنيه ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستمد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف للنجاة وخطر التمام بين يدي الله سبحانه وهو الطلوع ويغري قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهجمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة « إني نسيت أن أقول لك أن تحمر القدر الذي في البيت (١) » فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء الممكن فلا ينجيه إلا السهل الذي يجمع مادة الداء من أعماق المروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالتزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك الملائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامساكه أضرم عليه من إخراجها فيخلص منه بإخراجها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخيضة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته » وقال صلى الله عليه وسلم : « ذهبوا بها إلى أبي جهم فانها ألتقى آتقا عن صلاتي واتوني بأبجانية أبي جهم (٢) » . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شركائه ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشركاء الخلق (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى فعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يعقني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له ثلثين سبتيتين جرداوين فلبسهما (٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

- (١) حديث إني نسيت أن أقول لك تحمر القدرين اللذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الحجوي وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخيضة وقال اتوني بأبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقيم في العلم .  
(٣) حديث أمره بنزع الشركاء الجديد ورد الشركاء الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى فعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي الحديث أبو عبد الله بن حقيق في شرف الفقراء من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى  
إذ هي دلالة عليه . فإن  
قلت لا يبقى على السامع  
إذا سمع كلام الله تعالى  
الذي يستفيد معرفة  
وحدانيته وقته أمره  
ونبيه وفهم مراده  
وحكمه يلحقه السلم  
الضروري فيها أرى  
بأنه الشيء المرسل  
إلا بأن يشتغل باصلاح  
الخلق دونه ولو كان  
عوضا منه آخر  
عنه ومقامه مقامه ؟  
فاعلم أن الذي أوجب  
عشورك ودوام ذلك  
واعترافك على العلوم  
بالجهل وعلى الحقائق  
بالخايل إنك بعيد  
عن غور اللطاب بعيد  
في شرك اللطاب بعيد  
صوب الصوت عتيد  
صحب السحاب إن  
الذي استحق به  
الناظر السالك الواصل  
للمرتبة الثالثة سماع  
نداء الله تعالى معنى  
ومقام وحال وخاصة  
أعلى من تلك الأولى  
وأجل وأكبر وبينهما  
ما بين من استحق  
للاوجهة بالخطاب  
والقصد به وبين من

لا يستحق أكثر من  
سماعه من مخاطب به  
غيره فهذا من الإشارة  
باختلاف ورود  
الخطاب إليهما بما  
يوجب تقورا وتباين  
ما بينهما فإن فهمت  
الآن وإلا فقد عني  
لا ندر بحال؟ فإن قيل  
ألم يقل الله تعالى - فلا  
يظهر على غيره أحدا  
إلا من ارتضى من  
رسول - وسماع كلام  
الله تعالى بحجاب أو  
بغير حجاب وعلم مافي  
لللكوت ومشاهدة  
اللائكة وما غاب عن  
الشاهدة والحس من  
أجل الصوب فكيف  
يطلع عليها من ليس  
برسول قلنا في الكلام  
حذف يدل على صحة  
تقديره الشرع الصادق  
والشاهدة الصورية  
وهو أن يكون معناه  
إلا من ارتضى من  
رسول ومن اتبع  
الرسول بالإخلاص  
والاستقامة أو عمل بما  
جاءه النبي لأن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال  
« اتقوا فراسة المؤمن  
فانه ينظر بنور الله »

فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم (١) « وروى « أن أباطلحة صلى في حائط وفيه شجر فأعجبه  
دبى طار في الشجر يلتصق بخرجا فأتبعه بصرا ساعا ثم لم يدركه صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
ما أصابه من القتنه ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضمه حيث شئت (٢) « . وعن رجل آخر أنه صلى  
في حائط والنخل مطوقة بشعرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركه صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال  
هو صدقة فاجله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر  
وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يبقى غيره فأما ما ذكرناه  
من التلطف بالتسكين « الرد إلى فهم الله كذا » فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والمهم التي لا تشغل إلا حوائش  
القلب فأما الشهوة القوية للرقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتتغنى  
جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثال رجل تحت شجرة أراد أن يفعله فكره وكانت أصوات الصافير  
تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويمود إلى فكره فتمود الصافير فيعود إلى التقير بالخشبة  
فقيل له إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات  
إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب الصافير إلى الأشجار وانجذاب القلب إلى  
الأقذار والشغل يطول في دفعها فإن الدباب كلما ذاب وآب ولأجله سمى ذبابا فكذلك الحواطر وهذه الشهوات  
كثيرة وقلما يغفل العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس  
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى بباطنه على حب الدنيا انتهى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ولا  
ليستعين بها على الآخرة فلا يطمئن في أن تصفوله لذة للتجاعة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله  
سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرعة عينه فإن كانت قرعة عينه في الدنيا انصرف لامحالة إليها همه ولكن مع  
هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر والمرارة  
استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الدواء عضالا حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين  
لا يحدثنها أنفسهم فيها بأمور الدنيا فجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليتسلم لنا من الصلاة شطرها  
أو ثلثها من الوسواس لتكون بمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب  
مثل الماء الذي يصب في قدر مخلوئ غل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الحبل لا محالة ولا يجتمعان .

( بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة )

فقول حقا إن كنت من الريدن للآخرة أن لا تنفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة  
وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما  
والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشم بظاهرك وباطنك  
للإجابة وللإسراع فإن السارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون بالطف يوم العرض الأكبر فأعرض  
قلبك على هذا النداء فإن وجدته مخلوئا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتداء فاعلم أنه  
يأتيك النداء بالبشرى والقوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال (٣) » أي أرحنا بها  
وبالنداء إليها إذ كان قرعة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك

(١) حديث روى به بالحاقم التذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث  
ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الحاقم كان ذهبيا ولا فضة إنما هو مطلق (٢) حديث إن  
أباطلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه  
بالحائط « الك عن عبد الله بن أبي بكر أن أباطلحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بلال  
قط في الطل من حديث بلال ولأبي داود ومعه من حديث رجل من الصنابة لم يسم باسناد صحيح .

الأبسد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد في تطهيره بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر مبدوك . وأما ستر المورة فاعلم أن معناه تغطية مقايح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق لما بالك في عورات باطنك وفشاح سرائك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفشاح يالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه سائر وإنما يسترها النديم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانها فتدل بها نفسك ويستكين تحت الحجة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام البعد المجرم المسمى الأبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أقرى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمراقه عز وجل ليس مطلوباً منك هيات فلا مطلوب سواء وإنما هذه الظواهر تحريكات للباطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالآليات في جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فانها إذا ثبتت وظلت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استبقت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفريغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه <sup>(١)</sup> » وأما الاعتدال قائماً فانما هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطأ متكسباً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترفع والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول اللطع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك قم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تتعجب عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائنة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تبدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز للسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالهناك عند ملاحظة عبد مسكين فحاسب نفسك وقُل لها إنك تدعين معرفة الله وجهه أفلا تستعين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله قال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك <sup>(٢)</sup> » وروى « من أهلك » . وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في أمثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه باذنه إليك في النجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تتاجى وكيف تتاجى وبماذا

- (١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده  
(٢) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق حق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسل بنحوه وأرسله حق بزائدة ابن عمر في السند وفي الطلق عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد الثمرة .

وهل يبقى إلا ما غاب عنه  
أن يكشف إليه  
وقال « إن يكن منكم  
محدثون فمصر » أو كما  
قال « للؤمن ينظر  
بنور الله » وفي القرآن  
العزيز - قال الذي  
عنده علم من الكتاب  
أنا آتيك به قبل أن  
يرتد إليك طرفك -  
فلم ما غاب عن غيره  
من إمكان بيان  
ما وعد به وأراد أنه  
قدر عليه ولم يكن  
نيا ولا رسولا وقد أنبا  
الله سبحانه وتعالى  
عن ذي القرنين من  
إخباره عن العلوم  
الغيبية وصدق فيه حين  
قال - فإذا جاء وعد  
ربى جملة دكاء وكان  
وعد ربى حقاً - وإن  
كان وقع الاختلاف  
في نبوة ذي القرنين  
فالإجماع على أنه ليس  
برسول وهو خلاف  
السطور في الآية  
وإن لم أحد الدافعة  
بالاحتيال لما أخبر به  
فوا القرنين وما ظهر  
على يدي الذي كان  
عنده علم من الكتاب  
وأراد أن يجوز على



في بقطة أو مقام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده في بقطة أو مقام فانه يطلع على ذلك أيضا ويكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لا تصل إليها قوة ولا مخلوق سواء إلا بالله تعالى حين أرسل إليه للملك بذلك وبمشة الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيئته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معني من

فيترجمه فترق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب وللمترجمون لسانهم ترجمان ينبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة اللغوي أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن للراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده قصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتضع لك رحمة فينبعث بها رجاؤك ثم استر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا باعاقته وأنه له لئنة إذ وثقك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لثأجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من الطرودين مع الشيطان اللعين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فمضى سؤالك ولا تطلب إلا أم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويغضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالدين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصائبين ثم التمس الاجابة وقل آمين فإذا تلاوت القاعة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » (١) يقول الصمد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمح الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فتأهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والامتاع حق الوعظة والشكر حق ذكر النعمة والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروي أن زرارمة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى - فإذا قرأ في الناقور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى - إذا السماء انشقت - اضطرب حتى تضطرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مضطربا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعده سيده ووعيده فانه عبد مذبذب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه اللغوي بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم راعى الهيئة في القراءة هيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين قناته في آية الرحمة والعذاب والوعود والوعيد والتعظيم والتعجيد . كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله - يخفض صوته كالمتسجعي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به وروى أنه يقال قارئي القرآن « اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » (٢) .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرق دت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .



رسول أي عن به  
رسول من اللاتكة .  
[فصل] ومعنى ولا  
يشغى رقاب الصديقين  
إن قلت ما الذي أوصله  
إلى مقامهم أو جاوز به  
ذلك وهو في الرتبة  
الثالثة حال للقرينين  
ما وصل حيث ظننت  
فكيف يجاوزه وإنما  
خاصية من هو في رتبة  
الصديقين عدم السؤال  
للكرة التحق  
بالأحوال وخاصة من  
هو في رتبة القرب  
كثرة السؤال طمعا  
في بلوغ الآمال ومثالها  
فيما أشير إليه مثال  
إنسانين دخلا في بستان  
أحدهما يعرف جميع  
أنواع نبات البستان  
ويتحقق أنواع تلك  
الثمار ويعلم أسماءها  
ومتافعها فهو لا يسأل  
عن شيء مما يراه ولا  
يحتاج إلى أن يخبر به  
والثاني لا يعرف مما  
رأى شيئا أو يعرف  
بعضا ويجهل أكثر  
مما يعرف فهو يسأل  
ليصل إلى علم الباقي  
وذلك من تكلمنا  
عليه حين أكثر

وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على الصلي ما لم يلتفت <sup>(١)</sup> » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فاذ التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه وألزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا صلياً يبث بليغته « أما هذا لو خشع قلبه لحشعت جوارحه » فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصلح الراعي والرعية <sup>(٢)</sup> » وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع المصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لتصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سـهـه وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه . وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجد عند هذا ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيبرا بفؤ الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجهدا في ترفيق قلبك وتجهيدا خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد كده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكرر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فاقبل فانه أجلب للخشوع وأدل على الدل وإذا وضعت نفسك موضع الدل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تعود فتجد هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضيفة الأثر فاذا رقى قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمة تتسارع إلى الضعف والدل إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائل رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أوما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فقد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ساندلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة فه وكذلك للملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يلغى ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وأقيا بمدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمدنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة تكملي الشهادة ومستأنفا لتحسينها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء للأتور مع التواضع والخشوع والضرعة والابتهال

(١) حديث إن الله يقبل على الصلي ما لم يلتفت د ن ك وصحح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية لما نقله على أصل وفسره للصنف بالقلب والجوارح .



أسطوانة في السجدة وهو في الصلاة وتأكل كل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه قليل إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقليل آخر هل تحدث نفسك بشئ من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئاً فقال وهل شئ أحب إلي من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من قبه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتوني قصت من حدودها شيئاً قالوا لا قال إني بادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها<sup>(١)</sup>» ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال طي النبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . وسئل أبو العالية عن قوله - الذين هم عن صلاتهم ساهون - قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري طي كم ينصرف إلى شفع أم طي وتر؟ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم هو الذي إن صلاه في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إثمًا . واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كإدلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول إن الصلاة في الصحة لا تجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دل عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل<sup>(٢)</sup> وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجاً مني عبدي وبالنوافل تقرب إلى عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضته عليه<sup>(٣)</sup>» وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم «صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انقضى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري أنسحت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صفوفهم ونيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتفسونون عن قلوبكم باطل ما تذهبون إليه<sup>(٤)</sup>» وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجده على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

(١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان الحديث وفيه إن العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وتقدم للرفع عنه وهو عند (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فإن انتقص من فرضه شيئاً قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انقضى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مراسلاً وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه مختصراً من حديث عبد الرحمن بن أبي رزي بإسناد صحيح.

أكل منها ولو كان وأدّخره مع القدرة كان ذلك مجزأً يناقض الكرم الإلهي وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك مجزأً يناقض القدرة الإلهية فكيف يقضى عليه بالجزء فما لم يخلقه اختياراً وكان ذلك ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال إذا خار إخراج العالم من العدم إلى الوجود مجزئاً ما قبل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخيرها بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجها من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث إن الفاعل المختار له أن يفعل فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم مجاري أفعاله ومصادر أموره وأن تتحقق أن كل ما اقتضاه يقتضيه عن خلقه بطله وإرادته وقدرته إن ذلك طي غاية الحكمة ونهاية

فهذه صفة الخاشعين فدلّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في العباد واقه أعلم نسأل الله حسن التوفيق .  
( الباب الرابع في الإمامة والقُدوة )

وفي أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقولون هم أهل الخبر والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاحهم رؤسهم : البعد الأبق وامرأته زوجها ما خط عليها وإمام أم قومها ومهله كارهون » (١) وكان ينبغي عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينبغي عن التقدم إن كان وراءه من هو أقدم منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليقدم بهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك المدافعة قد قيل إن قومًا تدافعوا الإمامة بمدافعة الصلاة فخصف بهم وماروى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسيبه إشارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاحهم فإن الأئمة ضمانهم وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من للتقدين لاسيا في جهزه بالقراءة فكان لا حتراز من احتراز أسباب من هذا الجنس . الثانية إذا خیر للرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما قلناه من فضيلة الأذان لقوله ﷺ « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » (٢) فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا » (٣) وفي الحديث « فإن أمّ فله ولهم وإن قص فعليه لأعلمهم » (٤) « ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » (٥) « وللقفرة أولى بالطلب فإن الرشيد يراد الله فقرة وفي الخبر « من أمّ في (١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب » (٦) ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمامة والخلافة أفضل لقوله ﷺ « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » (٧)

#### ( الباب الرابع )

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاحهم رؤسهم : البعد الأبق الحديث ت من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبي هريرة وحكي عن ابن للدين أنه لم يشته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبي هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فان أمّ فله ولهم وإن اتقص فعليه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بمحدثين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

(١) قوله من أمّ الخ هكذا هو في النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن في المراقى والشارح لفظا وإن في الوضعين فليحرر الحديث اه .

الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كل ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله في صفات جلاله اللوجبة لإجلاله فلو كان ما خلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على كل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهمها وعرفهم ما أمكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على قصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق البين وأيضا فلا يعترض هنا ويتز به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أتمسك شفعاً وكم أوقال وفدكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم » (١) وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من الماء ولا بعد الماء أفضل من الأئمة الصليين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بمعاد الدين وهو الصلاة وهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة محمد الدين فاخترنا لديننا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا (٢) وما قدموا بلالا احتجاجاً بأنه رضى للأذان (٣) وما روى أنه قال له رجل يا رسول الله « دنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذناً قال لا أستطيع قال كن إماماً قال لا أستطيع فقال صل يا أبا الامام » (٤) فله ظن أنه لا يرضى بامامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بذلك توهم أنه ربما يقدر عليها . الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصل في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا (٥) هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تفته ، ولما فاتته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها » (٦) ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا تنظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجماعة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإماماً آخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصل بهم حتى قامت رسول

الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أتمسك وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم قط حق وضعف إسناده من حديث ابن عمر والنفوي وابن قانع والطبراني في معاجهم ولك من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه عجيبي يحيى الأسلمي وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لديننا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد ما أنا بجانب ولأني مرض فرسنا لديننا ما رضى به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وللرفع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قالوا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصحابة بلالا (٤) احتجاجاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما للرفع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه تم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي ﷺ فروى الطبراني أن بلالا جاء إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى قد كبرت سننى وضعت قوتي واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فاني عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه وفي إسناده جهالة (٤) حديث قال له رجل يا رسول الله دنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذناً الحديث البخاري في التاريخ والحقيل في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن العبد ليصلي الصلاة في أول وقتها ولم تفته الحديث الدارقطني من

(١) قول الرازي تقديم الصحابة بلالا لئلا للناس عدم تقديمه فليتامل

أصلاً في العلم أو كان نسخاً له ومعنى تقيس عليه غيره وأما انكشافه بخبر بمن رزق علم ذلك كان بطلان العلم في حق المخبر إذ أفشاء لتسير أهله وأهده لمن لا يستحقه كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام لا تعلقوا بالدرق أعناق الخنازير . وإنما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تمنعوا الحكمة أهلها تظلموا ولا تضعوها عند غير أهلها تظلموها وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب صغيفة بطلت الأحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلاً أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتب نفسه في خير وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كن

الله صلى الله عليه وسلم ركة فقام يقضيها قال فأشفتنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا» (١) وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه (٢)، وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للأقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره. الرابعة أن يؤتمن مخلصاً لله عز وجل ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً (٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقاً من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو أحد الناس فلا يحكم بتجريعه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أعم منها في الترايع وتكون أجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة. وأما الأمانة فهي الطهارة باطنياً عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغار فالترشح للإمامة ينبغي أن يحرز عن ذلك مجاهدة فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواء كان تذكر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (٤) وقال سفيان «صلى خلف كل بر وفاجر إلا ممن خمر أو معلن بالقسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق. الخامسة أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليفت يمينا وشمالاً فإن رأى خلافاً بالتسوية، قيل كانوا يتعاضدون بالمناكب ويتضامون بالكعب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة ففي الخبر «ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصامه» (٥) وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين (٦) وأمر بتقديم العشاء على العشاء (٧) طلباً لفرغ القلب. السادسة أن يرفع صوته بتكبير الاحترام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبير الإمام فيبتدىء بعد فراغه والله أعلم. وأما وظائف القراءة الثلاثة: أولها

حديث أبي هريرة نحوه بأسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوماً عن صلاة الفجر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث العبرة. (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكره بأسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوماً إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند غ استخلاف عمر في قصة طعنه (٥) حديث يمهل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصامه، تذكر من حديث جابر: يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه وللمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده سطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد النعم الدياجي منكر الحديث قاله غ وغيره (٦) حديث النهي عن مدافعة الأخبثين م لمن حديث عائشة بلفظ لا صلاة واليهيقي لا يصلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابتدءوا بالعشاء متفق عليه.

أيهما ك فلا يحتاج إلى تبزائد ولا تصيه مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الأحكام الجارية عليه وإن كان كشفها من غير استروح الضيف إلى ما يسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل إلا على ما يقدر لا على ما يوجد ولذلك جعله مقروناً بحرف لو الدال على امتناع الشيء لا امتناع غيره كما يقال لو كان للإنسان جناحان لطار ولو كان للنساء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكاً لفقد السموات فعلى هذا يخرج كلام سهل في ظاهر العلم. [فصل] وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر قديماً نذب الناس الديار وسألوا الأطلال واستخبروا الآثار وقد جاء في أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير وفي حديث

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالتفرد ويجهر بالقراءة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولي العشاء والغرب وكذلك للتفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقياً<sup>(١)</sup> ويجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة<sup>(٢)</sup> واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للإمام في القيام ثلاث سككات<sup>(٣)</sup> هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن إذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما قص من صلاتهم فإن لم يقرأوا فاتحة في نكوتها واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لأعليهم . السككة الثانية إذا فرغ من الفاتحة لين من يقرأ الفاتحة في السككة الأولى فاتحته وهي كنصف السككة الأولى . السككة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه وللقصر هو الإمام وإن لم يسمع للمأموم في الجهرية بعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من اللذان مادون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتفليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يغتمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكير وإعنا كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع<sup>(٤)</sup> وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة<sup>(٥)</sup> وهي قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت<sup>(٦)</sup> ويقرأ في الظهر

(١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قطك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين في سككات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سككات في صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من السند والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضوع من السند وده حب وت فأنكر ذلك عمران وقال حفظا سككة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة إلا سككتان ولكن اختلف عنه في محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ فاتحة الكتاب في سككاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية ، وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهدوا بأننا مسلمون - ودمن حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه .

إني صلى الله عليه وسلم . اسكن أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وقال بعضهم اسأل الأرض تغبرك عن شق أنهارها وجف بحارها وفتق أهواءها ورتق أحواءها وأرسي جبالها إن لم تحبك أجابتك اعتبارا وإعنا الذى يتوقف على الأذهان ويتعير في قوله السامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ففي هذا وقع الإنكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذوالسمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقل ممن لم يعقل عنه في للشهود يكون على جهات من ذلك سمع الكلام الداني كما تلقى من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسول صلوات الله عليهم في بعض الأوقات كحين

الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه في طريقه قبل مبعة ومنها تلقى الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويمتري هذا سائر الحواس كشكل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والثال للرقى للنائم ليس له وجود في سمعه وأما ما يجده غير النائم في اليقظة فمنها خاصة وعامة ، فقد ورد أن الحجر في زمن عيسى ينادى المسلم يا مسلم خلني يهودى فآتله وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار في العادة من اللائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل في أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال في العرض الأكبر يوم

يطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماضى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضيف والكبير وإذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء » (٢) . وقد كان معاذ ابن جبل صلى يوم العشاء ققرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم نفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذًا فقال أفتان أنت يا معاذ أقرأ سورة تسبح والسماء والطارق والشمس وضحاها (٣) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسيجات على ثلاث قد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام (٤) ، ثم روى أيضا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكننا نسبح وراءه عشر أعشرا (٥) وروى مجمل أنهم قالوا : كننا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا (٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا التجردون للدين فلا بأس بالشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده . الثانية في اللأموم ينبغي أن لا يساوى الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤون وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام . وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس بأن يستعبد في التشهد بالكلمات الحسنة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة الحيا والمات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين (٨) وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها

- (١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل .
- (٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث صلى معاذ بقوم العشاء ققرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهي عند الباقى (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث دن بإسناد جيد ووضفه ابن القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرًا لم أجده أصلاً إلا في الحديث الذى قبله وفيه فحرننا في ركوعه عشر تسيجات وفي سجوده عشر تسيجات .
- (٧) حديث كان الصحابة لا يهونون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التوعد في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه التزالي هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولم أجده مقيداً .

وقيل لأنه مسح العين أي مطموسها . وأما وظائف التحلل الثلاثة : أولها أن ينوي بالتسليتين السلام على القوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يغم حتى ينصرفن<sup>(١)</sup> وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام<sup>(٢)</sup> . الثالثة إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل اقتال الإمام قد روى عن طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما صلا قالا للإمام ما أحسن صلاتك وآتتها لإشيئا واحدا أنك لما سلمت لم تغفل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن يغفل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من بينه وبينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فريد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن للمأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضي عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فقرأه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت<sup>(٣)</sup> فإذا صبح الحديث استحبه ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التمويل على التوقيف وبينهما يضاف ذلك أن لا يدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه لا يلقى بالدعاء وأما أعلم فهذه جملة آداب القدوة والإمامة والله للوفى .

( الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وصحتها وشروطها )

( فضيلة الجمعة )

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين . قال الله تعالى - إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاختغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا<sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه<sup>(٥)</sup> » وفي لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره<sup>(٦)</sup> » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة ، فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرقوا عنه وهدانا الله تعالى له وآخره لهذه الأمة وجعله عبدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع<sup>(٧)</sup>

بآخر الصلاة ولترمذى من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك قننة فأقبضني إليك غير مفتون ولا نخوة من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عابش وصحبهما وسيأتى في الدعاء (١) حديث المكث بعد السلام من حديث أم سلمة (٢) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء وقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الفداة رفع يديه يدعو عليهم .

( الباب الخامس )

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث . من حديث جابر باسناد ضعيف .  
(٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن و ك وصححه من حديث أبي الجعد الضمري (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله نبذ الاسلام وراء ظهره البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس (٧) حديث إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيامه إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلق مثل اسم للنادى به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي فيجمل أن يكون ذلك النداء يخلق للنادى في حاسة أذنه ليتحرك إلى الحجاب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأمثلة كثيرة في التبرع وفيما سمعت غنية ومفتنع .

ومنها تلقى الكلام في العقل وهو الاستفاد بالمعرفة السموع بالقلب للقيوم بالتقدير على اللفظ للسمى لسان الحال كما قال قيس :  
وأجهشت للتوداد حين رأيته  
وكبر للرحمن حين رأيته  
قلت له أين الدين عهدتهم  
حواليك في عيش وخفض زمان  
قصال مضوا واستودعوني بلادهم  
ومن الذي يبقى على الحدائق



وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام في كفه امرأة يضاء وقال هذه الجمعة يرضيها عليك ربك تكون لك عبداً ولأمتك من بعدك . قلت لساناً فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره ما هو أعظم منه أو يموت من شره هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن نعوه في الآخرة يوم للزبد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أبيض من اللؤلؤ فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسية فيجعل لهم سق ينظروا إلى وجهه الكريم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه يبعث عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم للزبد كذلك تسميه للانسكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة (٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار (٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلت الجمعة سلت الأيام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجمعيم تسع في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسر فيه (٥) » وقال كتب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ، ويقال إن الطير والمواضع يلقى بعضها بعضاً في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفي ثنة القبر (٦) »

( بيان شروط الجمعة )

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فإن وقت تسليمه الإمام في وقت العصر كانت الجمعة وعليه أن يتمها ظهراً أرباعاً والسبوق إذا وقت ركعتي الأخيرة خارجاً من الوقت فيه خلاف . الثاني المكان ، فلا تصح في الصحارى والبراري وبين الخيام بل لا بد من جماعة لأبنية لا تنفل ، يجمع أربعين ممن تليهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه . الثالث العدد فلا تنقصد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحراراً مقيمين لا يظنون عنها شقاء ولا صيفاً فإن انقضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلا يصح أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعهم ولكن السبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد

(١) حديث أنس أتاني جبريل في كفه امرأة يضاء فقال هذه الجمعة يرضيها عليك ربك تكون لك عبداً ولأمتك من بعدك . قلت لساناً فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره ما هو أعظم منه أو يموت من شره هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن نعوه في الآخرة يوم للزبد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أبيض من اللؤلؤ فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسية فيجعل لهم سق ينظروا إلى وجهه الكريم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه يبعث عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم للزبد كذلك تسميه للانسكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة (٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار (٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلت الجمعة سلت الأيام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجمعيم تسع في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسر فيه (٥) » وقال كتب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ، ويقال إن الطير والمواضع يلقى بعضها بعضاً في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفي ثنة القبر (٦) »

(٢) حديث أنس أتاني جبريل في كفه امرأة يضاء فقال هذه الجمعة يرضيها عليك ربك تكون لك عبداً ولأمتك من بعدك . قلت لساناً فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره ما هو أعظم منه أو يموت من شره هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن نعوه في الآخرة يوم للزبد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أبيض من اللؤلؤ فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسية فيجعل لهم سق ينظروا إلى وجهه الكريم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه يبعث عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم للزبد كذلك تسميه للانسكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة (٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار (٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلت الجمعة سلت الأيام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجمعيم تسع في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسر فيه (٥) » وقال كتب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ، ويقال إن الطير والمواضع يلقى بعضها بعضاً في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفي ثنة القبر (٦) »

وفي أمثال العوام قال الحائط لو تد لم تشقى فقال الوتد للحائط سل من يدق فلو كانت المبرة تتأني منها ما عبرت إلا بما قد استمر لها وعلى هذا المعنى حمل كثير من العلماء قوله تعالى إخباراً عن السماء والأرض حين - قالتا أتينا طائمين - وفي قوله تعالى - إن امرئنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأغفقت منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً - ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم « كأي أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عبادتان قطوانيتان يلبي وتحييه الجبال والله يقول ليك يا يونس » قوله كأي يدل على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لأن يونس بن متى عليه السلام قد مات وتلك الحالة منسلفة

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تممها ظهرا .  
 الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقه بأخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز  
 في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم  
 أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فإن تساوا فالمسجد الأقدم  
 فإن تساوا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل براعى . السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام  
 فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض : التحميد وأقوله الحمد لله والثانية  
 الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا  
 فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .  
 وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى النجاة  
 والكلام لا ينقطع إلا باقتراح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه  
 السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه قائم السيف  
 أو العزة والبركي لا يثبت بهما أو يضع إحداهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة  
 ولا يستعمل غرب اللثة ولا يعطط ولا يتنفس وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ  
 آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب  
 حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على  
 ذكر بالغ عاقل حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد  
 البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا  
 نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة  
 لسبب للطر والوحل والفرغ والمرض وإذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعني  
 أصحاب الأعداء تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر  
 أو عبد أو امرأة صحت جميعهم وأجزاء عن الظهر والله أعلم .

( بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر حمل )

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح  
 بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قولت بالساعة المهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله  
 عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة  
 ويصل في هذا اليوم ثيابه وينبضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأغصان التي  
 تمنعه من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى  
 يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل  
 كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهل في هذه الليلة أو في يوم الجمعة قد استحب ذلك  
 قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر واتكر وغسل واغتسل <sup>(١)</sup> » وهو حمل  
 الأهل على التسل وقيل بمعناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تم آداب الاستقبال  
 ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أو في الناس نصيبيان الجمعة  
 من انتظار هاورها من الأسوأخفهم نصيبيان إذا أصبح يقول إيش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة  
 (١) رحم الله من بكر واتكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحسنه من  
 حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر واتكر الحديث وحسنه ت .

وفي هذا الحديث إخبار  
 عن الوجود الخيالي  
 في البصر والوجود  
 الخيالي في السمع  
 ومنها تلقى الكلام  
 بالشبه وهو أن يسمع  
 السامع كلاما أو صوتا  
 من شخص حاضر  
 فيلقى عليه شبه غيره  
 مما غاب عنه كقوله  
 عليه السلام في صوت  
 أبي موسى الأشعري  
 إذ سمع يترنم بالقرآن  
 « لقد أعطى زممارا  
 من زمامر آل داود »  
 وزمامر آل داود قد  
 عدت وذهبت  
 وإنما شبه صوته بها  
 وكذا إذا سمع للريد صوت  
 زممار أو عود فجاء على  
 غير قصد يتخيل صرير  
 أبواب الجنة وشبهها  
 بما جأ صوته من ذلك  
 فهذه مراتب الوجود  
 فأنتم إذا أحسنت  
 التصرف بين أساليبها  
 ولم يستررك غلط في  
 بعضها يرض ولا  
 اشتبهت عليك وسمعت  
 من نظر بمشكاة نور  
 الله تعالى إلى كاعند  
 وقد رآه أمود وجهه  
 بالحبر فقال له ما بال

وجهك وقد كان أيضا  
أشقر موحا والآن  
قد ظهر فيه السواد  
فلم سودت وجهك  
فقال سل الخبر فانه  
كان مجوحا في الهجرة  
التي هي مستقرة ووطنه  
فسافر عن الوطن  
ونزل بساحة وجهي  
ظلمنا وعدونا قال  
صدقت . ثم أنت إذا  
سمعت أمثال هذه  
الراجعات أحمل الفكر  
وجدد النظر وحل  
الكلام إلى أجزائه التي  
ينظم منها جملة ما بقلبك  
فسأل عن معنى الناظر  
ومعنى الشكوة ومعنى  
نور الله سبحانه  
وما سبب أنه لم يعرف  
الناظر العكسابة  
والكتوب وبأي لسان  
خاطب الكاغد وكيف  
عاطبة الكاغد وهو  
ليس من أهل النطق  
وفيما صدق الناظر  
الكاغد ولم صدقه  
بمجرد قوله دون دليل  
ولا شاهد فيدرك لك  
ههنا من الناظر هو  
ناظر القلب فيما أورده  
عليه الحس وللشكوة  
استمارة من مشكاة

في الجامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتداء بالتسل بسطوع الفجر وإن كان لا يكر فأقربه إلى الرواح  
أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالتسل مستحب استحبابا مؤكدا وفهب بعض العلماء إلى  
وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » (١) وللشهور من حديث نافع عن  
ابن عمر رضي الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل » (٢) وقال عليه السلام « من عهد الجمعة من الرجال  
والنساء فليغتسل » (٣) وكان أهل المدينة إذا تسابوا للتسابان يقول أحدهما للآخر لآنت أشرف من  
لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لمحمد بن زيد رضي الله عنهما لما دخل وهو مخاطب « أهذه الساعة منكرا عليه ترك  
البكور قال لما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن تؤمنات وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن  
رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالتسل » (٤) وقد عرف جواز ترك التسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى  
أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالتسل أفضل » (٥) ومن اغتسل  
للجناية فليغتسل الماء على يده مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإنا كتنى بغسل واحد أجزأه وحصل له  
الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجناية وقد دخل بعض الصحابة على ولدهم وقد اغتسل فقال  
« ألعجبة فقال بل عن الجناية قال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره  
به لأنهم يكن نواه وكان لا يحدان يقال للتصود والنظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا يتقدم في الوضوء  
أيضا وقد جعل في الشرع قرينة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يطل غسله وأحب  
أن يحترز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة ولطيب  
الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال  
ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه هفاء فإن كان قد دخل  
الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل للتصود فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليطلب بها  
الروائح الكريمة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضر في جوارحه « وأحب طيب الرجال  
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » (٦) روى ذلك في الأثر وقال الشافعي  
رضي الله عنه من نظف ثوبه قل حبه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب  
إذا أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل  
بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا  
اليوم روى وثقة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون  
على أصحاب العمام يوم الجمعة » (٧) فإن أكره الحر فلا بأس بترعها قبل الصلاة وبمدها ولكن لا يزعج  
في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام للتبليغ وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث  
نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث  
من عهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهو من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر  
لمحمد بن زيد رضي الله عنهما لما دخل وهو مخاطب أهذه الساعة منكرا عليه ترك  
صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان  
(٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت الحديث د وحسنه ون من حديث سمرة (٦) حديث  
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه د وحسنه ون من  
حديث أبي هريرة (٧) حديث وثقة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة  
ط وعد وقال منكرو من حديث أبي الدرداء ولم أره من حديث وثقة

البنكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليكسر ويدخل وقت البكور  
بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً  
للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه  
والسارعة إلى مغفرة ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى  
فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة  
فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة  
الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت لللائكة  
عند النبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء <sup>(١)</sup> » والساعة  
الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة  
والخامسة بعد الضحى الأولى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا يفضل فيه وقال  
صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف  
الأول والتدو إلى الجمعة <sup>(٢)</sup> » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن التدو إلى الجمعة وفي الخبر  
« إذا كان يوم الجمعة قدمت لللائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون  
الأول فالأول على مراتبهم <sup>(٣)</sup> » وجاء في الخبر « إن لللائكة يفتقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة  
فيسأل بعضهم بضائه ما فعل فلان وما ألقى آخره عن وقته فيقولون اللهم إن كان آخره قهر  
فأعنه وإن كان آخره مرض فاشفه وإن كان آخره شغل ففرغه لمبادتك وإن كان آخره لهو فأقبل  
بقبله إلى طاعتك <sup>(٤)</sup> » وكان يرى في القرن الأول سحراً أو بعد الفجر الطرقات حلوة من الناس يمشون  
في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقبل أول بدعة حدثت في الإسلام  
ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستنحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم ييكونون إلى البيع  
والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف ييكونون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء  
والرجع فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله  
سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث  
أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه  
عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف  
الأول والتدو إلى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيها  
ما أخذن إلا بالاستهام عليها حرصاً على ما فيها من الخير والبركة الحديث . قال والتعبير إلى الجمعة وفي  
الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا  
ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قدمت لللائكة على أبواب المساجد  
بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أسد ضعيف  
إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر لللائكة إلى المساجد التي يجمع  
فيها يوم الجمعة فركزوا ألوانهم وراياتهم يباب للمساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاماً من ذهب  
(٤) حديث إن لللائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بضائه ما فعل فلان  
حق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة وقص بإسناد حسن . واعلم أن للصف  
ذكر هذا أثران لم يرد به حديثاً مرفوعاً فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطاً .

الزجاجة التي أضرمت  
بسراج النار إلى خبر  
للمرفسة للقلب بسر  
القلب فيها بها لأنها  
مسرحة الرب سبحانه  
وتعالى شغلها بنوره  
ونوره للذكور ههنا  
عبارة عن صفاء  
الباطن واشتغال السر  
بطلوع نيران كواكب  
للمعارف الداهية يأذن  
الله تعالى ظلم جهالات  
القلوب ووجه إضافته  
إلى الله تعالى على سبيل  
الإعارة بالذكر لأجل  
التخصيص بالشرف  
والكاغدوا الخبر كناية  
عن أنفسهم لا عن  
غيرها وجعلها مبدأ  
طريقه وأول سلوكه  
إذ هما في عالم الملك  
والشهادة الذي محل  
جولة الناظر في حال  
نظره وأما سبب أنه  
لم يصرف الكتابة  
والكتوب فلاجل  
أنه كان أمياً لا يقرأ  
الكتاب الصانع وإنما  
يؤمن معرفة قراءة  
الحط الإلهي الذي  
هو أين وأدل على  
انهم منه وأما مخاطبة  
الناظر الكاغد وهو

جاء فسبق الكلام على  
مثله ومراجعة الكافد  
له فعلى قدر حال  
الناظر إن كان مراداً  
فيلقى الكلام في الحس  
بما ينبئ عن اللطوب  
من الحق وهو من باب  
الالتقاء في الروع فيودعه  
الحس للترك المحفوظ  
فيه على الإنسان صور  
الأشياء المحسوسة وإن  
كان مريداً فيلقاه  
بلسان الحال للسموع  
بسمع القلب بواسطة  
للحرف والعقل وتصديق  
الناظر للكافد في  
صدره وإحاطته على  
الحبر لم يكن لجرد قوه  
بل بشهادة أولى الرضا  
والعدل وهو البحث  
والتحريه لم تكن  
وشهادة النفس وهذا  
يسلك إلى القدرة وهو  
آخرها سئل عن أجزاء  
عالم الملك . وأمامته  
في حد عالم الجبروت  
فذلك من القدرة المهددة  
إلى العقل والعلم  
الوجودي في الإنسان  
للمستقرة في القسوة  
الوهية للدركة جميع  
ما لا يستدعي وجوده  
جها ولكن قد يمرض

قد سبقوه بالبكور فاعتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتباً لها رابع أربعة ومارابع أربعة من  
البكور بعيد . الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور  
يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطاه  
الناس <sup>(١)</sup> وروى ابن جريج مرسلًا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة  
إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى قبه  
فقال يا فلان ما منكم أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
لم ترك تتخطى رقاب الناس <sup>(٢)</sup> . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفي حديث مسند أنه قال « ما منكم  
أن تصلي معنا » قال أولم ترني يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأنيت وأذيت <sup>(٣)</sup> » أي تأخرت  
عن البكور وأذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم  
ضيقوا حقهم وتركوا موضع القضية قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يتعدون على أبواب الجوامع يوم  
الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير  
محله . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمر بين  
يديه أعني بين يدي الصلي فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف  
أربعين عاماً خير له من أن يمر بين يدي الصلي <sup>(٤)</sup> » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل ما دارم مديداً نذروه  
الرياح خير له من أن يمر بين يدي الصلي <sup>(٥)</sup> » وقد روى في حديث آخر في النار والصلي حيث صلى على  
الطريق أو قصر في الدفع فقال « لو يعلم النار بين يدي الصلي والحلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف  
أربعين سنة خيراً له من أن يمر بين يديه <sup>(٦)</sup> » والأسطوانة والحائط والصلي للفروخ حد للصلي فمن اجتاز به  
فينبغي أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فان أبي فليدفعه فان أبي فليقاتله فإنه شيطان <sup>(٧)</sup> » وكان  
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصره فرجاً تطلق به الرجل فاستمدى عليه  
عند مروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فليصب بين يديه شيئاً طوله قدر ذراع  
ليكون ذلك علامة لحده . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كآروناه وفي الحديث « من غسل  
واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام <sup>(٨)</sup> »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة أخذ جسراً إلى جهنم ت وضعفه وه من حديث  
معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب إذ رأى  
رجلاً يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منكم أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٣)  
حديث ما منكم أن تصلي معنا فقال أولم ترني قال رأيتك تأنيت وأذيت دن حب لك من حديث  
عبد الله بن بسر مختصراً (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي الصلي  
البراز من حديث زيد بن خالد وفي الصحيحين من حديث أبي جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر  
لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو سنة وه وجب من حديث أبي هريرة مائة عام (٥) حديث لأن  
يكون الرجل رماداً تنفثه الرياح خير له من أن يمر بين يدي الصلي أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن  
عبد البر في التمهيد موقوفاً على عبد الله بن عمر وزاد متعمداً (٦) حديث لو يعلم النار بين الصلي  
والصلي ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يعقوب السراج في مسنده من حديث  
زيد بن خالد باسناد صحيح (٧) حديث أبي سعيد فليدفعه فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان متفق  
عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع الحديث ك من حديث  
أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وفي لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس<sup>(١)</sup> » ولا ينقل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى يقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من ليس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصل في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر النصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قريبك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر « ادن واستمع<sup>(٢)</sup> » فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبي البرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صليتنا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم<sup>(٣)</sup> » فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فأنما تأخرت رجاء أن ينفر لي بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لمن تأخر على هذه النية إثارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعندهذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيا إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقطوعة عن المسجد للسلطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول للقصور كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في القصور ورأيا أنها قصرت على السلطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه صلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في القصور ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثا أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وماطى طرفه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يرعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض الغوام بالسجود عند قيام المؤذن ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنها ما قال : من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولما فعله وزيان ومن لم يسمع ولما فعله وزيان واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام بخطب أنصت أو مه قد لنا ومن لنا والامام بخطب فلا جمعة له<sup>(٤)</sup> » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي وحصة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس دحبه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع دمن حديث حمزة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجرودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبي البرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام بخطب أنصت قد لنا ومن لنا لا جمعة له تن عن أبي هريرة دوت قوله ومن لنا فلا جمعة له قالت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

له أنه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتبع العطف وتتفر من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم اللسكوت وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعبود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن اللاتسكوت ويسمع به ما بهد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فأما أي شيء حقائق هذه الذكورات وما كره كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا يتفنع بسماحه مع عدم الشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لملك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يهلك الله بأولي الشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد .

[ فصل ] والفرق بين العلم المحسوس في عالم



الملك وبين العلم الإلهي  
في عالم لللكوت أن  
العلم كما اعتقدته مجسما  
بطيء الحركة بالفعل  
سريع الانتقال بالهلاك  
مخلفا عن مثله في  
الظاهر مجسولا تحت  
قهر سلطان الآدمي  
الضعيف الجاهل في  
أكثر أوقاته متصرف  
بين أحوال متنافية  
كالعلم والجهل والعدل  
والظلم والشك والصدق  
والإفك فالعلم الإلهي  
عبارة عن خلق الله في  
عالم لللكوت مختص  
بخصائص خاص  
الجواهر الحسية الكائنة  
في عالم الملك يرى من  
أوصاف مسمى به القلم  
المحسوس كلياً مصرفاً  
يتميز الخالق بحكم إرادته  
على ما سبق به عليه  
في أزل الأزل وإنعاشي  
بهذا الاسم لأجل شبهه  
بمعمل مسمى به غير أنه  
لا يكتب إلا حقائق  
الحق والفرق بين عين  
الآدمي وبين الله عز  
وجل أن عين الآدمي  
كما علت مركبة من  
عصب استعصى بقاؤها  
وعضل تعطل أدواؤها  
وعظام يعظم بلاؤها

وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أياً والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ  
إليه أن امكث فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أياً اذهب فلاحمة لك فشكاه أبو ذر إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم فقال « صدق أبي » (١) « وإن كان بعيداً من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره بل  
يسكت لأن ذلك يتسلسل ويغضى إلى هيمنة حتى يفتى إلى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم  
لأن عجز عن الاستماع بالبعد فليصت فهو للستجب وإذا كانت تسكره الصلاة في وقت خطبة الإمام  
فالكلام أولى بالكراهية وقال صلى الله عليه وسلم كرم الله وجهه تسكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر  
ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يرأى في قدوة الجمعة كرهه في غيرها فإذا سمع قراءة  
الإمام لم يقرأ سوى القاعة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد  
والمعوذتين سبعاً وروى بعض السلف أن من فله عزم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاً له من  
الشیطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك  
عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه  
من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات . وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه  
وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين (٢) ، وروى أبو هريرة أربعا (٣) ، وروى علي وعبد الله بن عباس  
رضي الله عنهم ستاً (٤) والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكل أفضل . العاشر أن يلزم للسجدة حتى  
يصلي العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى  
للمغرب فله ثواب حجة وعمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف  
الحوض فيما لا ينبغي فالأفضل أن يرجع إلى بيته إذا كراه الله عز وجل مفكراً في آلائه شاكراً لله تعالى  
على توفيقه خائفاً من تقصيره مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تنفوت الساعة الشريفة  
ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من الساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على  
الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسهم » (٥) .  
( بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يجمع جميع التهار وهي سبعة أمور )

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصص فلا يخبر في كلامهم ولا ينبغي  
أن يغلو الريد في جميع يوم الجمعة عن الحيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغي  
أن يحضر الخلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم  
إذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لنا ومن لنا فلاحمة له (١) حديث أبي ذر  
لما سأل أياً والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث حق وقال في العرفة  
إسناده صحيح د . من حديث أبي بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر وأحمد من  
حديث أبي الدرداء أنه سأل أياً ولا بن جابر من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي يعلى  
من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لاجمة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع فقال  
لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه  
(٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا  
(٤) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة حق مرفوعاً عن علي وله موقوفاً على  
ابن مسعود أربعا د . من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستاً (٥) حديث يأتى على  
أمتي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث حق في الشعب من حديث الحسن مرسل  
وأسنده لك من حديث أنس وصححه إسناده وحج نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .



نهي عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة<sup>(١)</sup> « إلا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالقراءة فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالتوافل فقد روى أبو ذر<sup>(٢)</sup> » إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة<sup>(٣)</sup> . قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - أما أنه ليس بطلب دنيا ولكن عبادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما - وقال تعالى - ولقد آتينا داودنا فضلا - يعني العلم فعمل العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذا كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع . بكر ابن عمر رضي الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا قاص يقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا<sup>(٤)</sup> » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليهم روى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحي فضر به ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن الرقابة للساعة الشرقة في الخبر المشهور « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا أعطاه<sup>(٥)</sup> » وفي خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلي<sup>(٦)</sup> » واختلف فيها قليل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادماتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تقرب الشمس وتخرج بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أبيها عليه السلام وعليها<sup>(٧)</sup> وقال بعض العلماء هي مهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدوامي على مراقبتها وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العامة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن ربكم في أيام دهركم تفحات لا تعرضوا<sup>(٨)</sup> لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متضرعا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والزوع عن وساوس الدنيا فضاء يحظى بشيء من تلك التفحات وقد قال كعب الأحبار إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عبد يصلي ولا تحين صلاة » فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام ينتظر

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة دن و . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه ت . من حديث عمرو بن عوف للزني (٥) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في الملل حق في الشعب وعلمه الاختلاف (٧) حديث إن ربكم في أيام دهركم تفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

ولحم يمتدو جلد غير جلد موصولة كمثلها في الضعف والافتعال ملقة باليد وهي عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقل العلوم الحديثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرف بها اليقين الكتابية بالقلم المذكور بالخط الإلهي الثبوت على صفحات الخلوقات الذي ليس بمرئي ولا عجمي يقرؤه الأميون إذا شئحت صدورهم وتستجمع على القارئين إذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك عين الآدمي إلا في بعض الأسماء لأجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريبا إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

الصلاة فهو في الصلاة (١) قال بنو قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقاتلين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام النبر فليكثر الدعاء فيهما . الثالث يستحب أن يكثّر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقة أداء وأعطه الوسيلة وابته القام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهل واجزه أفضل ماجازيت نيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين بأرحم الراحمين (٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعة صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد آتى بالصلاة المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونواصي بركاتك وشرائف زكواتك وراثك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام التقيين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائداً الخير وفاتح البرّ ونبى الرحمة وسيد الأمة اللهم ابنه مقاماً محموداً تزلّف به قربه وتقرّب به عينه بفضله به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والنزلة الشاهقة للشفعة اللهم أعط محمداً سؤله وبلغه مأموه واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وتقل ميزانه وأبلغ حجتة وارفع في أعلى للقرين درجته اللهم احشرونا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعة وأحبنا إلى الله وتوفنا على ملكه وأورثنا حوضه وأسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فائتين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين (٣) وعلى الجملة فكل ما آتى به من ألقاظ الصلاة ولو بالمشهورة في التشهد كان مصلياً وينبئ أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضاً مستحب في هذا اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نوراً من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الهمم والهمية وذات الجلب والبرص والجذام وقتة الدجال (٤) » ويستحب أن يحتم القرآن في يوم الجمعة وليتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والإقامة فجمعة لله فضل عظيم وكان المابدون يستحبون أن يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولا ت حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعباً هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ذات حبة من حديث أبي هريرة وم نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن السيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٤) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما .

[فصل] وحدها الملك  
ما ظهر للحواس ويكون  
بقدره الله تعالى بمضه  
من بعض وصحة التعبير  
وحدها عالم لللكوت  
ما أوجده سبحانه  
بالأمر الأزلي بلاتدرج  
وبقى على حالة واحدة  
من غير زيادة فيه  
ولا نقصان منه وحدها  
عالم الجبروت هو ما بين  
العالمين مما يشبه أن  
يكون في الظاهر من  
عالم الملك غير بالقدر  
الأزلي بما هو من عالم  
اللكوت .

[فصل] ومعنى أن الله  
خلق آدم على صورته  
فذلك على ما جاء  
في الحديث عن النبي  
صلى الله عليه وسلم  
والعلماء فيه وجهان  
فمنهم من يرى للحديث  
سبباً وهو أن رجلاً  
ضرب غلامه فقرأه  
النبي صلى الله عليه وسلم  
قنهأ وقال إن الله  
تعالى خلق آدم على  
صورته وتأولوا عود  
الضمير على الضروب  
وعلى هذا لا يكون  
للحديث مدخل في هذا  
الوضع لم يرد مورداً  
آخر في غير هذا للوطن

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ للسبعات الست في يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة الغروب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والناقصين<sup>(١)</sup> وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصباح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان<sup>(٢)</sup>. الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة<sup>(٣)</sup> قد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من صلى لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك<sup>(٤)</sup> وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاها<sup>(٥)</sup>. فقال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الأنعام والكهف وطه وبس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة فيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الحنطة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التيسيع كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس صلها في كل جمعة<sup>(٦)</sup> وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستباح العلم وبعد العصر إلى المغرب للتيسيع والاستغفار. السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ليناؤه إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد قد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تخط ولا كعب الاجار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والناقصين حب وهق من حديث حمزة وفي ثقات حب المحفوظ عن سماك مراسلا قلت لا يصح مسندا ولا مراسلا (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والناقصين وفي صبيح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والإمام يخطب م من حديث جابر وروى الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسد سبيد بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مراسلا (٦) حديث صلاة التيسيع وقوله لعنه العباس صلها في كل جمعة دة وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال علق وغيره ليس فيها حديث صحيح .

ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول مما يميز ويصير فليكن السبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا للوطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائداً إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى اقتسبحانه وهذا العبد للضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد للضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أي جهة يحمل في الاعتقاد العلمى على الله سبحانه فيها وجهان: أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والنافع واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

به تعالى فمن حملها  
على إضافة الملك له  
رأى أن المراد بصورته  
هو العالم الأكبر بحملته  
وآدم مخلوق على  
مضاهاة صورة العالم  
الأكبر لكنه مختصر  
صغير فان العالم إذا  
فصلت أجزاؤه بالعلم  
وفصلت أجزاء آدم  
عليه السلام بمثله  
وجدت أجزاء آدم عليه  
السلام مشابهة للعالم  
الأكبر وإذا شابهت  
أجزاء جملة أجزاء  
جملة فالجملتان بلا شك  
متشابهتان فالذي نظر  
في تحليل صورة العالم  
الأكبر قسمه على  
أقسام من القصة  
وقسم آدم عليه  
السلام كذلك فوجد  
كل نحوين منهما  
شبهين فمن ذلك أن  
العالم ينقسم إلى  
قسمين أحد القسمين  
ظاهر محسوس كعالم  
الملك والثاني باطن  
معقول كعالم الملكوت  
والإنسان كذلك  
ينقسم إلى ظاهر  
محسوس كالعظم واللحم  
والدم وسائر أنواع

السلف من أطعم مكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم إلى اليوم أسألك أن تغفر لي وترحمي وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له . السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فكيف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يتبدى فيه السفر قد روى « أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه » (١) وهو بطلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرقعة تقوت وكره بعض السلف شراء الماء في السجدة من السقاء ليشربه أو يسببه حتى لا يكون مبتاعا في السجدة فان البيع والشراء في السجدة مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج السجدة ثم شرب أو سبل في السجدة وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فان الله سبحانه إذا أحب عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة فهو اضل الأعمال وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة يسيء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لفته لحرمانه بركة الوقت واتها كحرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وصياتي ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تم بها البلوى ويحتاج للريد إلى معرفتها)

فأما للسائل التي تقع نادرة فقد استخصيناها في كتب الفتا

[مسئلة] الفعل القليل وإن كان لا يطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع النار وقتل القرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهمات أذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحلك الذي يشوش عليه الحشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن السيب يأخذها ويغدرها ثم يطررها وقال مجاهد الأحب إلى أن يدعى إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقها وهذه رخصة والأفالكال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولقد كان بعضهم لا يطرده الباب وقال لأعود قسى ذلك فيفسد على صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي للولك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهمات بلا فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأول وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجشأ فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا الضرورة [مسئلة] الصلاة في التملين جائزة وإن كان نزع التملين سهلا وليست الرخصة في الخف لمر التزع بل هذه النجاسة مفعونها وفي معناها الداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع قترع الناس نعالهم فقال لم خلت نعالكم قالوا رأيناك خلت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثا فإذا أراد أحدكم السجدة فليقلب نعليه ولينظر فهما فان رأى خبثا فليمسحهما بالأرض وليصل فهما » (٢) وقال بعضهم الصلاة في التملين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلت نعالكم وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سلم سألهم ليين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبي ﷺ خلع نعليه » (٣) فاذن قد فصل كليهما فمن خلع فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق للوضع ويقطع الصف بل يضمهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لجمعة وقال غريب والحطيب في الزواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(الباب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع قترع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راحي هذا للمنى وهو التفات القلب إليهما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه <sup>(١)</sup> » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما <sup>(٢)</sup> فلا إمام أن يضع ذلك إذا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشتغلانه ولكن قدام قدميه وله للرد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يمد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة غمامة فنضب غضبا شديدا ثم حكها بمرجون كان في يده وقال اتوني بعير فطع أنزها بزعفران ثم التفت إلينا وقال أياكم يحب أن يزق في وجهه قتلنا لأحد قال فان أحدكم إذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة <sup>(٣)</sup> » وفي لفظ آخر واجبه الله تعالى ﷻ أن يزقن أحدكم لقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدته بادرة فليصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بضم يعض [مسئلة] لوقوف القتدي سنة وفرض . أما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والراة الواحدة تقف خلف الامام فان وقتت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يجر إلى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فالتصال الصف وهو أن يكون بين القتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لأنه ينفى فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الامام ؛ صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد صلاة الامام وإذا كان المأموم على فناء للمسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة صمهم وكنى بهار رابطة إذ يصل فصل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطى في المسجد فالشرط أن يعد صف المسجد في دهليزها من غير اختطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعروة الواحدة فكالصحراء [مسئلة] المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام ولين عليه وليقت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالقاعة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض القاعة حكم جميعها فنسقط عنه بالسبق وإن ركع الامام وهو في السورة فليطعها وإن أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للمواضع بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطعن را كما في الركوع والامام جد في حد الرا كمين فان لم يتم طمأنينة إلا بعد مجاوزة الامام حد الرا كمين فاته تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعه للنذري وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبد الله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة غمامة فنضب الحديث م من حديث جابر وانفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشياء ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قد قسم بالعوالم إلى عالم للملك وهو الظاهر للعوالم وإلى عالم للسكوت وهو الباطن في العقول وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والامان كذلك انقسم إلى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم للملك الأجزاء المحسوسة وقد علمنا وللشبهة لعالم للسكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشياء ذلك وللشابه لعالم الجبروت فكالإدراكات للوجود بالحواس والقوى للوجود بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كغفرا السامع لا للمعبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا الناس بما لم تعذبوا أنفسكم أنريدون

أن يكذب الله ورسوله  
فمن حدث أحدا بما لم  
يصله عقله ربما سارع  
إلى التكذيب وهو  
الأكثر ومن كذب  
بقدره الله تعالى وبما  
أوجدتها فقد كفر  
ولم يقصد الكفر فإن  
أكثر اليهود والنصارى  
وسائر الكفار ما قصدت  
الكفر ولا تنظبه  
بأفْسها وهي كفار  
بلا ريب وهذا وجه  
واضح قريب ولا  
تلتفت إلى ما مال إليه  
بعض من لا يعرف  
وجوه التأويل ولا  
يقول كلام أولى الحكمة  
والراسخين في العلم  
حين ظن أن قائل ذلك  
أراد الكفر الذي  
هو قبيح الإيمان  
والإسلام بخلق خبره  
وتلحق قائله وهذا  
لا يخرج إلا على مذاهب  
أهل الأهواء الذين  
يكفرون بالمعاصي  
وأهل السنن لا يرضون  
بذلك وكيف يقال لمن  
آمن بالله واليوم الآخر  
وعبد الله بالقول الذي  
ينزه به والعمل الذي  
يقصد به التحبذ لوجهه

الرُكعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أو لا ثم العصر فإن ابتدأ بالعصر  
أحرأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبه الخلاف فإن وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده  
فإن الجماعة بالأداء أولى فإن صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة  
الوقت والله يحسب أيهما شاء فإن نوى فاتة أو تطوعا جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة  
أخرى فليتنى الفاتة أو النافلة فإعادة للزادة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لعدم  
فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فلا يحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولورأى النجاسة  
في أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلق النملين حين أخبر جبرائيل  
عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة  
[مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول أو فصل  
فلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدر أصل ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتي  
السهو قبل السلام فإن نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث  
بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلا يحصل التحال به وعاد  
إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من السجود أو بعد  
طول الفصل قد فات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سببا خيل في العقل أو جهل بالشرع لأن امتثال  
أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتمظيمه كتمظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم  
قام له فلو قال نويت أن أتصعب فأعما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا  
عليه بوجهي كان سفيها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تفيث داعية التعظيم فتحيه ويكون تعظيما  
إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشترط كون الصلاة ظهرا أداء فرضاني كونه امتثالا كاشتراط كون  
القيام مقرونا بالدخول مع الاتبال بالوجه على الداخل واتقاء باعث آخر سواء وقصد التعظيم به ليكون  
تعظيما فانه لو قام مدبراعته أو صبر قام بعد ذلك بمدة لم يكن تعظيما ثم هذه الصفات لابد وأن تكون  
معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ  
الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب لمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم  
النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت فالوسوسة محض الجهل فإن هذه  
القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الأحاد في الدهن بحيث تطالها  
النفس وتأمّلها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالتفكير والحضور مضاد للزوب والنفقة  
وإن لم يكن مفصلا فإن من علم الحادث مثلا فيعلمه بلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما  
هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن من علم الحادث فقد علم الوجود والمعلوم والتقدم والتأخر والزمان  
وأن التقدم للمهم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطقية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث  
إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان  
للتقسيم إلى المتقدم والتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله إن أعلم الحادث ومن  
الجهل بهذه الحقيقة يشور الوسواس فإن الوسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة والأدائية  
والقرضية في حالة واحدة مفصلة بالتأمل وهو يطالها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل  
العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يدفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كما امتثال  
أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الوسوس النية إلا باحضار هذه  
الأمر مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فقدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التسهيل فكيف ما تيسرت النية للوسوس ينبغي أن يمنع به حتى يعود ذلك وتغارق الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوهاً من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية نفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضلوا بها وسج عليها الوسواس فذلك تركها [مسئلة] ينبغي أن لا يتقدم للأموه على الامام في الركوع والسجود والرفع منها ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمداً لم تبطل صلاته كالوقوف بحجه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيهاً بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهلاً للتأدية في الفعل وتحصيلاً لصورة التبعية إذ لا تنق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً وتلك شدة رحول الله صلى الله عليه وسلم التكفير فيه قال «أما يحشني الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأساً حماراً» (١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يطل الصلاة وذلك بأن يستدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الامام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه لمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع للفرد بالوقوف خارج الصف والانسكار على من يرفع رأسه قبل الامام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه» (٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من يسيء صلاته فلم ينبه فهو شريكه في وزرها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغبر أضرت بالجماعة وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرية» (٣) وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا قدتموهم فإن كانوا مرضى فمردوهم وإن كانوا أصحاء فماتوهم والعاب إنسكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنابة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الليث هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف وتلك تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تمطلت المبصرة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر مبصرة المسجد كان له كفلاً من الأجر» (٤) ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد لنفسه مكاناً فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيه أعنى إذا لم يكن بالناس وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يحشني الذي يرفع رأسه قبل الامام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند القردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرية لم أجده (٤) حديث قيل له قد تمطلت المبصرة فقال من عمر مبصرة المسجد الحديث من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذي يستزيد به إيماناً ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد الزيد وينيله ما شرف من النصح ويريد أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنبذه وإطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في إنشاء سرّ الولي ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا مما يتعمد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لاحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم - ثم إنه من سب أحداً منهم على معنى ما يجد من العبادة والبضاض قيل له أخطأت وأنت من غير تكفير وأنه أيما فعل ذلك وسب رسول



( الباب السابع من النوافل من الصلوات )

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونهى بالسنة ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق السلوكية ونهى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضلها ولم ينقل للمواظبة عليه كما سنقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونهى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بمنها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وصميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجلتها زائد على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتحريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تفاوتت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار للرفعة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرار اليوم واليلة أو بتكرار الأسبوع أو بتكرار السنة فالجملة أربعة أقسام :

القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات

الحسن وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » (١) ويدخل وقتها بطول الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة غير في أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو القالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك بطول وتقصم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويقترب من ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » (٢) ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما والصحيح أنهما أداء ما وقتا قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصلحهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

( الباب السابع )

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

[ سؤال ] فان قيل

فامعنى قول سهل رحمه

الله تعالى ونسب إليه :

للإلهية سر لوانكشف

لبطلت النبوات

ولنبوات سر لو

انكشف لبطل العلم

والعلم سر لوانكشف

بطلت الأحكام وجاء

في الإحياء على أثر هذا

القول وقائل هذا القول

إن لم يرد به إبطال

النبوة في حق الضعفاء

فما قالوا ليس بحق فإن

الصحيح لا يتناقض

والكامل من لا يطق

نور معرفته نور ورعه

وهذا وإن لم يكن من

الأسئلة المرسومة فهو

متعلق منها بما فرغ

من الكلام فيها آتفا

وناظر إليه إذا أدى

إفشاءه إلى إبطال النبوة

والأحكام والعلم كفر

فالجواب : أن الذي

قاله رحمه الله وإن كان

مستحكما في الظاهر

فهو قريب المسلك باد

للمتأمل الذي يعرف

مصادر أغراضهم

ومسالك أقوالهم الإلهية

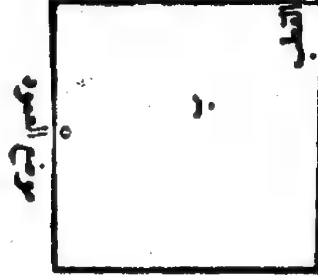
فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفرصة . الثانية : رابعة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد الزوال والشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى بمسبحون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل (١) . وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال بطلين ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل (٢) » . رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرده ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب (٣) » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات (٤) « فذكر ما ذكره أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها صلى رسول الله ﷺ عليه وسلم ولكن حدثني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الظهر فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص للتنصبة مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مذكورة بالحس دخل وقت الظهر ويصل قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكليف لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والوازين ومن الطرق القرية من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربها وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توجهت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توجهت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضامين ثم تنصب عموداً على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة « وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط « ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت

(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود ومختصراً وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة الحديث نك وصححه إسناده على شرطه ورواه مختصراً ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه اليقين الذي لو لم يكن نيا لا يغلو أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التي هي غالبة عنها بأن كانت القلوب ضعيفة طراً عليها من الجهل والاضلال والحيرة والتيه ما بهر العقول ويفقد الحس ويقطع عن الدنيا وما فيها وذلك لضغفه ومن انتهى إلى هذه الحالة فتبطل النبوة في حقه أن يعرفها أو يسفل ما جاء من قبلها إذ قد شغل عنها ما هو أعظم لديه منها وربما كان سبب موته لجزءه عن حمل ما يطراً عليه كما حكى أن شاباً من سالكين طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك وكان في مقام الضغاء من اللريدين فلم يطلق حمله فأت به وإما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه فتبطل النبوة في حقه

هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفة في علم الزوال وهذه صورته :

## جانب الشرق



## جانب الغرب

الثالثة : راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً » (١) ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجابا مؤكداً فإن دعوته تستجاب لأحالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كموابته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : راتبة للغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبيدة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان للمؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين (٢) وقال بعضهم كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا (٣) فيسأل أصليتم المغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » (٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فهاهنا الناس يقرهما قبله في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما قدامهما وقال لأن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي للمستوية التي ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب الشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم » (٥) والأحجب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقت أداء ولكنه مكروه وآخر عمره رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعق رقية وأخراها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعق رقتين . الخامسة : راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام (٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر » (٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر » (٣) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر » (٤) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر » (٥) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر » (٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر »

المعبر حين نهى أن لا يفتي فأفتى أو أمر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه الحجة عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها فلماذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه . فإن قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة في حقه بأخباره . قلنا ما بطلت في حقه جميعا وإنما بطل في حقهما ما خالف الأمر الثابت من قبلها وبعد هذا من الكلام على تليظ حق الانشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى إفتاء سر الرواية كسر وأما سر النبوة التي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة إذ النبوة لا يسرفها بالحقيقة إلا نبي فإن انكشف ذلك قلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع الحق له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكير فيه فيكون كالتبني إذا سئل عن شيء ولو وقت

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلابد من التقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم: «الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل» (٢) فإذا اختار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيها ذكرناه أن بعضها ركعة من بعض وترك الآخر لا يبدل لاسيما والفرائض تسهل بالتوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فرصة من غير جابر. السادسة: الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا (٤) وفي بعض الأخبار: إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إلى يهوصلى فوقة ركعتين قبل أن يقرأ فيها إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعني ما سمينا جلستها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتبجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف قيل إن الأيتار بركعة فردة أفضل إذ صبح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الأيتار بركعة فردة وقيل للوصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موطرا لغيره محاسب سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

(١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع الحديث ابن عدى في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين الحديث حق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعه وليس فيه زحف إليه ولا ذكر ألتهاكم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها (٩) حديث الوتر سبع م د ن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (١٠) حديث الوتر بأحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر ثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاذ في رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس من خلا كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل يقيم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو لقاء في روع فيمود محتراته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجايبها ولا لاحظ لللكوت يصير قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم أن الجنة أعلى النعيم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وأن منتهى المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من المدم الذي هو نقي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله للليقات فمن حي وميت ومنعرك وساكن وعالم

أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة فى أى وقت كان وإيها لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا فأما إذا أراد أن يوتر ثلاث مفصولة فى نيته فى الركعتين نظر فإنه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وإيها الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث للوصولة الوتر ولكن للوتره عنيان أحدهما أن يكون فى نفسه وترا والآخر أن ينشأ ليكمل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن ترتيبه موقوف على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثلاثة كان له أن ينوى بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرها وليستا وترا بأفسهما ولكنها موترتان بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسياق فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالمرابطة عليها من عزائم الأعمال وفوائدها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات روت أم هانىء أخت على بن أبى طالب رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وحسنهن (٢) ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فأنها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله سبحانه (٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستاً فى وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً (٥) فالأول إما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار ربه بازاء صلاة العصر فإن وقتها أن يبقى من النهار ربه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة . الثامنة : إحياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة وما نقل عدده من فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات (٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (٢) حديث أم هانىء صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع النهار من جانب الشرق صلى أربعاً ن ه من حديث على كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يشككم فيها بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة .

وجاهل وشقى وسعيد  
وقريب وبعيد وصغير  
وكبير وجليل وحقير  
وغنى وفقير ومأمور  
وأمر ومؤمن وكافر  
وجاحد وشاكرو ذكرو  
وأنى وأرض وساء  
ودنيا وأخرى وغير  
ذلك مما لا يحصى  
والكل قائم به موجود  
بقدرته وباق بطله  
ومنته إلى أجله  
ومصرف بعيشته  
وذلك على بالغ حكته لما  
أكل جهل من لا يجد  
به إلا قدماء ولا من  
يصرفه إلا استبداده  
ولا ملكه إلا ملكه  
فيعود المحدث قدما  
والربوب رباً والملك  
مالك فيعود الخلق من  
خلق الله كره تعالى الله  
عن جهل الجاهلين  
وتخيل المتوهين  
وزنغ الزائغين .

[فصل] وأما حكم هذه  
العلوم للكتابة فى  
الطلب وسلوك هذه  
المقامات ورفق هذه  
الدرجات واستفهام  
هذه المحاطبات أهى من  
قيل الواجبات  
والندوبات أو الباحات

- تتجاف جنوبهم عن الضامع - وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّين » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتسكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراما لو طافه أهل الأرض لوسمهم » (٢) « وسبأني بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

( القسم الثاني ما يكرر بشكر الأسماع )

( وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة )

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعد كل نصراني نصرانية حسنة وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حبة وعجرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر » (٣) « وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فسلم ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته » (٤) . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عشرين مرة وصلى على النبي ﷺ عشرين مرة غفر الله تعالى له ذنوبه كلها » (٥) « وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فلأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدوا على ألف قصر من نور يتلأأ » (٦) . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقائى عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار » (٧) « وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

(١) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّين . ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن النفر مرسل (٢) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بإسناد من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى الدينى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث علي وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى الدينى فيه بصير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى الدينى من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى الدينى فيه سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقائى عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار الحديث أبو موسى الدينى بسند ضعيف ولم يقل عند اتصاف النهار

فاعلم أن السؤل عنه على ضربين أحدهما هو في حكم البادى والثانى في حكم الغايات فأما الذى هو في حكم البادى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل الجهد وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم للعامة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهى واجبة قال الله تعالى - فانتقوا الله ما استطعتم - وقد سبق التنبيه عليه . وأما الذى هو في حكم الغايات مثل انقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم اللواقحة والرضا بالآيات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسبر معاني التقرير وأوصاف أهل آيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ولو كان ذلك لما قيل لناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تسخط رقاب الصديقين لكتبا مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في السلم وبركات الإخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله القرض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه الماني فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا غير أن حاله معلول إمامفتون بدنياما وعجوب بهواه وركب على كل شيء قد ير .

[فصل] وأما المسمى . ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون المبارات وبالرموز دون التصريحات وبالتشابه من الألفاظ دون المحكمات وإن كان قد سبق هذا من

آية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فان مات إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات وللعودتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش يا عبد الله استأنف العمل قد غفرت لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي » (١) يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة وصلى على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجيا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بسدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة » (٢) يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عديمؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك قنوصاً ثم أسمع الوضوء فصلي سبعة المضحى ركعتين لإيماننا واحتساباً بالإلا كتب الله مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربع مائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة » (٣) وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلي أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » (٤) . يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله بكل حرف حبة وعمره ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء » (٥) . وأما الليالي ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة وللعودتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وقطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كلم الله وعيسى روح الله

ولا عند ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى الدين وقال رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى الدين بسند ضعيف جدا (٣) حديث علي بن عيسى عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلي أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجهاً غير هذا (٥) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى الدين في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا .



ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (١) . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودنين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبة من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة (٣) » . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل مائة سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة (٤) » وفي حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأولين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله عنده عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمودنين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثني عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني غير إسناده وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش غير إسناده وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى غير إسناده حكاية عن بعض المصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرا (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا .

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثني عشر ركعة . لم يكن بالأحياء ولعله بنسخه وكذا لم يخرج عنه تأمل .

الشارع فيها له أن يعتن به من كلف ويتلو من بعيد ولكن العلم رجال مخصوصون لما بال من لم يجعل شارع ولم يثبت لغير أن يسلك ذلك . والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما وارث العلم ليتجمل بعمله ويعمل فيه كعمله والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى ذومرة فاستوى وحكم الوارث فيما وارث حكم للوروث فيما وارث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الوروث عنه امتثله وما لم يصل إليه فيه شيء كان له اجتهاده فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم للعاملات وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون

فلم يكن للورث تعدد  
عن حكم الموروث كما  
حكى عن أبي هريرة  
رضي الله عنه قال  
إني رويت عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وعاءين أحدهما هو  
الذي يشته فيكم، وأما  
الثاني فلو يشته لحزرت  
السكين على هذا اليوم  
وأشار إلى حلقه وبعد  
كل شيء في القدوة  
بصاحب الشرع صلوات  
الله عليه وسلامه النجاة  
وفي اتباعه الفوز بحب  
الله ويد الله مع الجماعة  
وفوق كل ذي علم عليم  
وقد أقدناكم من طرائف  
ما عندنا وأهدينا إليك  
من غرائب ما لدينا  
وإلى الله يرد العلم بما  
دق وجل وكثر وقل  
وعظم وصغر وظاهر  
واستر وإنما ينطق  
الإنسان بما أنطقه الله  
تعالى وهو مستعمل  
بما استعمله فيه إذ  
كل ميسر لما خلق له  
فاستزل ما عند ربك  
وخالفك من خير  
واستجلب ما تؤمله منه  
من هداية وبر بقراءة  
السبع الثاني والقرآن

وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء<sup>(١)</sup>. ليلة الجمعة: قال جابر قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بقراءة كل ركعة فاتحة  
الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها  
وقيام ليلها<sup>(٢)</sup>» وقال أنس قال النبي ﷺ «من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى  
ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودتين مرة مرة  
ثم أوتر ثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر<sup>(٣)</sup>» وقال صلى الله  
عليه وسلم «أكثرُوا من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة<sup>(٤)</sup>». ليلة السبت:  
قال أنس قال رسول الله ﷺ «من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بقراءة كل ركعة  
في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له<sup>(٥)</sup>».

### (القسم الثالث ما يكرر بتكرار السنين)

وهي أربعة: صلاة العيدين والتراويح وصلاة جرب وشعبان. الأولى صلاة العيدين: وهي سنة مؤكدة  
وشعار من شعار الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور، الأول: التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر  
الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الصلوة في صلاة العيد وفي العيد  
الثاني يفتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكل الأقاويل  
ويكبر عقب الصلوات للفروضة وعقب النوافل وهو عقب الفرائض أكد. الثاني إذا أصبح يوم العيد  
يفتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير  
والصباغ التزين عند الخروج. الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر<sup>(٦)</sup> هكذا فعل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ «بأمر باخراج العواتق وذوات الخدور<sup>(٧)</sup>». الرابع المستحب  
الخروج إلى الصحراء إلى مكة وبيت المقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم  
الصحوة أن يأمر الإمام رجلا يصلي بالصفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين. الخامس يراعى  
الوقت فوق صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر  
خطبتين وركعتين إلى آخر يوم. الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني  
وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى  
ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لأصله (٣) حديث أنس من صلى ليلة  
الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لأصله  
وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن الظفر في كتاب وصول القرآن  
للبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيها فاتحة الكتاب وإذا زلت خمسة عشر  
مرة وقال إبراهيم بن المظفر حسين مرة أمه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه  
أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة  
وليس يصح في أيام الأسبوع ولياله شيء والله أعلم (٤) حديث أكثروا على من الصلاة في الليلة الغراء  
واليوم الأزهري طب في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد النعم بن بشير ضعف ابن معين وابن  
حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم  
أجد له أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة  
(٧) حديث كان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية.

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق وإذا بلغ الإمام المصلي لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة ويصلي الإمام بهم ركعتين يكبر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهه للذي فطر السموات والأرض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة في الأولى بعد الفاتحة واقرب في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاه : السابق أن يضحي بكبش « ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً (٣) » قال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطمعون (٤) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصل بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحي ست ركعات (٥) وقال هو من السنة . الثانية التراويح : وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال « أخاف أن توجب عليكم (٦) » وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي قيل إن الجماعة أفضل لفضل عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدته الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشرائع كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحية وتحية السجدة أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل للسجدة جمع معاً ثم لم يصلوا التحية بالجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت (٧) »

(١) حديث تمجيل صلاة الأضحي وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الخويرث مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن يحل الأضحي وآخر الفطر (٢) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي متفق عليه دون قوله عن الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبي أيوب كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون ويطمعون ت . قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثوري من السنة أن يصل بعد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الأضحي ست ركعات لم أجده أصلاً في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذا كالثوري فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثاً لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل ورواه ابن أبي شيبة في المصنف لعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفاً

العظيم التي أمرت بقراءتها في كل صلاة وهكذا عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق للصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلاً وفي هذا تنبيه بل تصريح بأن يكثر منها بما ضمنحت من القوائد وخصت به من الذخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجلال فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما أعد لك والله تعالى سبحانه حبيب من أراحه وهادى من جاهد في سبيله وكاف من توكل عليه وهو القى التكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى للباعدين بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب المعين فيده مجاري القدورات وهو إله من ظهر وغبر وإليه يرجع

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدى وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يطمعهما إلا الله عز وجل » (١) وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إلى الله في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قبل فيه ، والخيار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه فإن بعض التوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعار التي تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكان قاله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلفرض للمثلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روي باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيها بين العشاء والعمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بآخرة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبي الأُمى وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس ربّ لللائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تفي (٢) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تكرر بتكرار السنين وإن كانت رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة تليها الأحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمعون بتركها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بآخرة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون لها صلاة الحيرة ويجمعون فيها

وفي سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة الراء في بيته أفضل من صلاته في مسجدى هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يطمعهما إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألفي ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصنفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزعي قال دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أوردته رزين في كتابه وهو حديث موضوع

من آمن وكفرو مجازي  
الحلالق بنعيم أوسقر  
والصلاة على سيدنا  
محمد سيد البشر  
وكافي الضرر وطى  
آله السادات القرر  
وسلم تسلما والحمد لله  
رب العالمين .

تم كتاب الإملاء  
في مشكلات الإحياء  
[ مکتاب عوارف  
للعارف ]

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله العظيم شأنه  
القوى سلطانه الظاهر  
إحسانه الباهر حبه  
وبرهانه المحتجب  
بالجلال والنفرد  
بالكمال والمرتدى  
بالعظمة في الآباد  
والآزال لا يصوره وم  
وخيال ولا يحصره حد  
ومثال ذى العز الدائم  
السرمدى والملك القائم  
الديعوى والتسدره  
المتعنع إدراك كنهها  
والسطوة للستوعر  
طريق استيفاء وصفها  
نظقت الكائنات بأنه  
الصانع للبيع ولاح من  
صفحات ذرات الوجود  
بأنه الخالق المخبترع  
وسم عقل الانسان

وربما صلوا جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها للنفرة (١)

( القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالماضي وهي تسعة : )  
صلاة الحسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الحسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة (٢) » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفية وقوعها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أو اثلهما أطول من أواخرها ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة وكذلك يفعل بحسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة ، وتغيب صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يسطل سلطان الليل ولا تغيب بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلى في أثناء الصلاة أعما مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالمجايز والصبيا منتظمين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رقع لصب عليكم العذاب صبا (٣) » ولو خرج أهل التمة أيضا متميزين لم ينعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل وهو من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان قاموا ليلاً وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجه من حديث النفيرة بن شعبة (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء في الاستسقاء أخرجه من حديث عبد الله بن زيد للمازني

بالهجز والنقصان وألزم فصيحاً الألسن وصف الحصر في حلبة اليسان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تمززا وجلالا مسالك الوم وأطرق طامع البصرة تعظيما وإجلالا ولم يجد من فرط الهية في هضاء الجبروت مجالا فساد البصر كليل العقل غليلا ولم يتهج إلى كنه الكبرياء سيلا فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكليفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوءة ومرأى قلوبهم بنور القدس مجلوة قهيات لقبول الإمداد القدسية واستمدت لورود الأنوار العلوية وانغذت من الأنفاس العطرية بالأذكار

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرواحهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقايانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أديار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد للظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور مروي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وشقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار (١) . حتى قال عوف تمت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل السبوق فإنه لو يبادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشيعها مشهورة فلانظيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وإنما تصير نقلا في حق من لم تمتين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم تمتين لأنهم يحملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كفلا لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الجمع والأدعية واشتاله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال يقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعم الله عز وجل فيه (٢) » وإذا شيع الجنائز فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فأرأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه واقفح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنا فضاعف له في إحسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة نعتا كد وجوب الاصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء نادى به التحية وحصل الفضل إذا القصد أن لا يغلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لمبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تسكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد المصروب بعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر لي وله وارحمي وارحمه وعافني وعافه الحديث أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلي (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

جلالنا وأقامت على  
الظاهر والباطن من  
التقوى حراسا واشعلت  
في ظلم البشرية من  
اليقين نبراسا  
واستحقرت فوائد  
الدنيا ولذاتها وأنتكرت  
مسايد الهوى وتبعاتها  
وامتنعت غوارب  
الرجوت والرهوت  
واستفرشت بملوحتها  
بساط اللسكوت  
وامتدت إلى للعالي  
أغناقها وطمعت إلى  
اللامع العلوي أحداقها  
وانخذت من اللأ  
الأعلى مسامرا ومحاورا  
ومن النور الأعز  
الأقصى مزاورا ومحاورا  
أجساد أرضية بقلوب  
سماوية وأشباح فرشية  
بأرواح عرشية  
نفوسهم في منازل  
الخدمة سيارة وأرواحهم  
في قضاء القرب طيارة  
مذاهبهم في العبودية  
مشهورة وأعلامهم  
في أقطار الأرض  
منشورة يقول الجاهل  
بهم قدوا وما قدوا  
ولكن سميت أحوالهم  
فلم يدركوا وعلا  
مقامهم فلم يملكوا

« أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر قيل له أمانيتنا عن هذا ؟ فقال : هاركتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد (١) » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لأسبب لها ومن أضغف الأسباب قضاء التوافل إذا اختلفت العلماء في أن التوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاتته هل يكون قضاء وإذا انتفت الكراهية بأضغف الأسباب فبأخرى أن تنتفى بدخول للمسجد وهو سبب قوى ولذلك لا تكره صلاة الجنائز إذا حضرت ولا صلاة الحسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً . الفائدة الثانية : قضاء التوافل إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة (٢) » وقد قال العلماء من كان في الصلاة قضاؤه جواب التؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان للتؤذن سكوت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية ، نعم من كان له ورد فهاهنا عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرضى لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا يميل نفسه إلى الدعة والرافية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل (٣) » فيقصد به أن لا يفترق دوام عمله وروى عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقتته الله عز وجل (٤) » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقتته الله تعالى بتركها ملالة فلولاً للقت والابجاد لما سلطت الملالة عليه . الخامسة : ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطأ الحديث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلا بيم سبقتني إلى الجنة » فقال بلال لا أعرف شيئاً إلا أني لأحدث وضوءاً إلا أصلي عقيد ركعتين (٥) . السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمتنانك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين يمتنانك مدخل السوء (٦) » وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به بحاله وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام (٧) وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل أخرجاه من حديث عائشة . (٤) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقتته الله ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلا بيم سبقتني إلى الجنة الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمتنانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث هق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بصكر حسبه عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيراً قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكرو وقال لا أصل له (٧) حديث ركعتي الاحرام م من حديث ابن عمر .

كاتبين بالجمان  
بائنين بقلوبهم عن  
أوطان الحدائق  
لأرواحهم حول العرش  
نطواف وقلوبهم من  
خزائن البر إسعاف  
يتعمون بالخدمة في  
الدياجر ويتلذذون من  
وهيج الطلب بظماً  
المواجر تسوا  
بالصلوات عن الشهوات  
وتموضوا بعلالة  
التسلاوة عن الذات  
يلوح من صفحات  
وجوههم بشر  
الوجدان وينم على  
مصفون سرائرهم  
نضارة العرفان لا يزال  
في كل عصر منهم علماء  
بالخلق داعون للخلق  
سحوا بحسن للتابعة  
رتبة الدعوة وجعلوا  
للمتقين قدوة فلا يزال  
تظهر في الخلق آثارهم  
وتزهر في الآفاق أنوارهم  
من اتقى بهم  
اهتدى ومن أنكرهم  
ضل واعتدى فله الحمد  
على ما هباً للعباد من  
بركة خواص حضرته  
من أهل الوداد والصلاة  
على نبيه ورسوله  
محمد وآله وأصحابه



الأكرمين الأجناد .  
ثم إن إشاري لمدي  
هؤلاء القوم وعجب  
لهم علما بشف  
حلمهم ومحة طريقهم  
للبنية على الكتاب  
والسنة للتحقق بهما  
من الله الكريم الفضل  
وللتفحان أن أذهب  
عن هذه الصابغة بهذه  
الصباغة وأؤلف أبوابا  
في الحقائق والآداب  
معربة عن وجهه  
الصواب فيما اعتدوه  
مشعرة بشهادة صريح  
العلم لهم فيما اعتدوه  
حيث كثر التشبهون  
واختلفت أحوالهم  
وتشبه بعضهم للفقرون  
وفسدت أعمالهم  
وسبق إلى قلب من  
لا يعرف أصول سلفهم  
سوء ظن وكاد لا يسم  
من قيمة فيهم وطعن  
ظنا منه أن  
حاصلهم راجع إلى  
مجرد رسم وتخصيم  
عائد إلى مطلق اسم  
ومما حضرنى فيه من  
النية أن أكثر سواد  
القوم بالاعتناء إلى  
طريقهم والاشارة إلى  
أحوالهم وقد ورد من

عند ابتداء السفر (١) وركعتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور  
من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة  
صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغي أن يترك فيها بذكر الله عز وجل وهي على  
ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم  
« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أتم » (٣) الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كقصد  
النكاح وابتداء النصيحة والشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول للزوج الحمد لله والصلاة  
على رسول الله ﷺ وزوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت  
النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والشورة تقديم التعميد .  
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والأحرام وما يجري مجراه  
فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة  
صلاة الاستخارة . فمن لم يأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الحير في تركه أو في الإقدام عليه قد  
أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلى ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون  
وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستغفرك بملك وأستدرك بقدرتك  
وأسألك بجن فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن  
هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي  
وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه  
عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير (٤) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يملأنا الاستخارة في الأمور كلها كما يملأنا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا هم أحدكم  
بأمر فليصل ركعتين ثم ليستم الأمر ويدعوا بما ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا  
من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع  
الحيرة ومن أعطى الشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة (٥) فمن ضاق عليه الأمر  
ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد  
أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلى العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأمر الكتاب  
وآية الكرسي وقل هو الله أحد فإذا فرغ آخر ساجدا ثم قال سبحان الذي ليس العز وقال به  
سبحان الذي تعطف بالجد وتكرم به سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي  
التسبيح إلا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول أسألك بمعاقد العز

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطي في مكالم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف  
في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره  
الحديث وهو ضعيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجه من حديث كعب بن  
مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أتم . ح . ح في صحيحه من حديث  
أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث  
ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين  
جدا فيهما عمرو بن هارون البلخي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة  
ركعتين رواه ت . من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب وفي إسناده مقال .

من عرشك ومنهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلما نك التامات العامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لامعية فيها فيجواب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلقنا أنه كان يقال لا تملوها لسفهاكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل . التاسعة صلاة التيسيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يغلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه **عليه السلام** قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبك بشئ إذا أنت فعلت غفر الله لك ذنبك أو له وآخره قديعه وحديثه خطاه وعمده سره وعلايته تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي السنة مرة <sup>(١)</sup> » وفي رواية أخرى : أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وقد ست أمعاؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كاسبق عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدا وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع عن الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فتسليمة واحدة وإن صلاها ليلاً فتسليمتين أحسن إذ ورد « أن صلاة الليل مثنى مثنى <sup>(٢)</sup> » وإن زاد بعد التيسيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية السجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن التهيؤ مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الحسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلى لا أنه يصلى لأنه يتوضأ وكل محدث يريد أن يصلى في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلى فلا يبق للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالحسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاة وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فليؤ قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطوع إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها في التهيؤ في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها فإن استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها <sup>(٣)</sup> » ونهى عن الصلوات

(١) حديث صلاة التيسيح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصائغي .

كثير سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم همه النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل للنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين باباً والله المعين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف . الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر المتصوف والتشبه . الباب الثامن في ذكر اللامى وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن السالك طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والواظبة على نعت واحد من العبادات يورث اللل ومهما منع منها ساعدت النشاط وانبتت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تعريض وبسبب على انتظار انقضاء الوقت غلصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من اللل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداء لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استتقال وملا لولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واطب على الشيء الواحد لتسارع إليه اللل فاذا كانت هذه أمور مهمة في التهي عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه الهمم لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والحسوف ونحوه للسجد فأما ما ضعف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود التهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

### ( كتاب أسرار الزكاة )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعدنا وشفى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأقفر وأغنى وأضر وأفنى القدي خلق الحيوان من نطفة نمت ثم تفردت عن الخلق بوصف الفنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما يسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن بفضل تركي من عباده من تركي ومن غناه زكي ماله من زكي والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس المهدي وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة »<sup>(١)</sup> وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال - والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بذاب أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت في قريش فمر أبوذر فقال بشر السكاتين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أفتانهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حمة ندى أحدهم فيخرج من نقص كتفيه ويوضع على نقص كتفيه حتى يخرج من حمة نديه ينزل وقال أبوذر انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، مامن صاحب إبل ولا بقرة ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كما تقدمت آخرها عادت

وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبد الله الصنابعي وهم فيه والصواب سيد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه

( كتاب أسرار الزكاة )

وسلم .

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر

( ٤٧ - إحياء - أول )

العاشر في شرح رتبة  
للشبيخة . الباب  
الحادي عشر في شرح  
حال الخادم ومن يتشبه  
به . الباب الثاني عشر  
في شرح خرقة المشايخ  
الصوفية . الباب الثالث  
عشر في فضيلة سكان  
الربط . الباب الرابع  
عشر في مشايبة أهل  
الربط بأهل الصفة .  
الباب الخامس عشر  
في خصائص أهل  
الربط فيما يتماهدونه  
بينهم . الباب السادس  
عشر في اختلاف  
أحوال المشايخ بالسفر  
والقيام . الباب السابع  
عشر فيما يحتاج للسافر  
إليه من القرائن  
والتوافل والفضائل .  
الباب الثامن عشر في  
القدوم من السفر  
ودخول الرباط والأدب  
فيه . الباب التاسع  
عشر في حال الصوفي  
للتسبيح . الباب  
العشرون في حال من  
يأكل من الفتوح .  
الباب الحادي  
والعشرون في شرح  
حال التجسرد من  
الصوفية والتأهل .

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس (١) وإذا كان هذا التشديد مخرجاً في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخبية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاختصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضة . الرابع : في صدقة التطوع وفضلها . ( الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والتقدين والتجارة وزكاة الركاك والمعادن وزكاة العشرات وزكاة الفطر )

### ( النوع الأول : زكاة النعم )

ولا يجب هذه الزكاة غيرها إلا على حرم مسلم ولا يشترط البلوغ بل يجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نبيلاً باقية حولاً نصاباً كاملاً مملوكاً على الكمال . الشرط الأول كونه نبيلاً فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الحيل والبغال والحمير والتولمن بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها . الثاني السوم فلا زكاة في مملوكة وإذا أسيحت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها . الثالث الحول قال رسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » (٢) ويستثنى من هذا تاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال ويجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لأنه الذي حبر على نفسه ولا يجب في الضال والنصب إلا إذا عاد بجميع نعمته فتجب زكاة ماضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيابه إذا غنى ما يفضل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الإبل فثلاثي فيها حتى تبلغ خمسين ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من للز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشرين ثنية وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي عشرين بنت محاض وهي التي في السنة الثالثة فإن لم يكن في ماله بنت محاض فإن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادراً على شرائها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا سارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا سارت ستاً وسبعين ففيها بنتاً لبون فإذا سارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا سارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا سارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب في كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المزم ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربع مائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدقة الخياطين كصدقة السالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة فمائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخلطة الجوار تخلطه الشيوع ولكن يشترط أن يرعاهما وسقيا

(١) حديث أبي دراهم انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الأخسرون ورب الكعبة الحديث أخرجه م ومع (٢) حديث لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي بن إسماعيل بن عمار عن أبيه عن جده . من حديث عائشة باسناد ضعيف .

الباب الثاني والعشرون  
في القول في السماع  
قبولاً وإثارة . الباب  
الثالث والعشرون  
في القول في السماع  
رداً وإنكاراً . الباب  
الرابع والعشرون  
في القول في السماع  
راضياً واستثناء . الباب  
الخامس والعشرون  
في القول في السماع  
تأدياً واعتناء . الباب  
السادس والعشرون  
في خاصة الأربعينية  
التي يتعاضدها  
الصوفية . الباب  
السابع والعشرون  
في ذكر  
الأربعينية . الباب  
الثامن والعشرون  
في كيفية الدخول  
في الأربعينية . الباب  
التاسع والعشرون  
في ذكر أخلاق الصوفية  
وشرح الخلق . الباب  
الثلاثون في ذكر  
خصائص الأخلاق .  
الباب الحادي  
والثلاثون في الأدب  
ومكانه من التصوف .  
الباب الثاني والثلاثون  
في آداب الحضرة لأهل  
القرب . الباب الثالث

معا ويحللها معا وسرحا معا ويكون للرمي معا ويكون إنزاه الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم لخلطة مع الدمي والسكران ومهما زل في واجب الإبل عن من إلى سن فموجائز مالم يجاوز بنت مخاض في التزول ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما وستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت اللال ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض اللال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللثام ثيعة ولا يؤخذ من اللال الأكولة ولا للماض ولا للربي ولا الفحل ولا غراء اللال .

### ( النوع الثاني زكاة للشرائع )

فيجب العشر في كل مستتبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فبادونها ولا في القواكه والقطن ولكن في الجبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر أن تكون ثمانمائة من تمر أو زبينا لا رطبا وعبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبيتان المشترك بين ورثة لجميع ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الخلطة بالتمر ويكمل نصاب التمر بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسبح أو قناة فان كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالأغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت للصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة المالك وواحد الفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف .

### ( النوع الثالث زكاة للنقد )

فإذا تم الحول على وزن مائة درهم بوزن مكة نفرة خالصة فيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مفشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النفرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المظهور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي للبائع وتجب في الدين الذي هو على من ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

### ( النوع الرابع زكاة للتجارة )

وهي كزكاة النقد وإنما ينقذ الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بمرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدي الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ماله الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينقذ الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدي زكاة تلك السنة وما كان من ربع في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس اللال ولم يستأنف به حولا كما في التاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربع مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأنيس .

والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها .  
الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره . الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الحوص والصوفية فيه . الباب السادس والثلاثون في قضية الصلاة وكبر شأنها . الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب . الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها . الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره . الباب الأربعون في أحوال الصوفية في الصوم والافطار . الباب الحادي والأربعون في آداب الصوم ومهامه . الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من للصلحة والفسدة . الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل . الباب الرابع والأربعون في ذكر آدابهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه . الباب الخامس

## ( النوع الخامس الركاز والمدن )

والركاز مال مدفون في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الاسلام ملك فعلي واجده في الذهب والفضة منه المحس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب المحس يؤكده شبهة بالقيمة واعتباره أيضا ليس بعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخص على الصحيح بالتقدين ، وأما المعادن فلا زكاة فيها استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليس ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب المحس فعلي هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه والعم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمشتريات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمشتريات والاحتياط أن يخرج المحس من القليل والكثير ومن عين التقدين أيضا خروجها عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قرية من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

## ( النوع السادس في صدقة الفطر )

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليته صاع بمائقتان<sup>(١)</sup> صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منون وثلاثين يخرجها من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أبها أخرج أجزاء ونقصها كقصة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته وماله وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عنكم تموتون »<sup>(٢)</sup> ويجب صدقة العبد للمشتري على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها أجزاءها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولادهم بالتقدين من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقته على نفقة الخادم<sup>(٣)</sup> فهذه أحكام فقهاء لا بد للمفتي من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكلم فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

## ( الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة )

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك للمتع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عنكم تموتون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد عن تموتون قال هق لإسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقته على نفقة الخادم من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحج لك وصحة ورواه ن حب بتعدين الزوجة على الولد وسباني

والأربعون في ذكر فضل قيام الليل .

الباب السادس والأربعون في الأسباب للنية على قيام الليل .

الباب السابع والأربعون في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل .

الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل . الباب التاسع والأربعون في استقبال التهار والأدب فيه . الباب

الحسون في ذكر العمل في جميع التهار وتوزيع الأوقات . الباب الحادي والحسون في آداب

للريدمع الشيخ . الباب الثاني والحسون فيها يعتمد الشيخ مع الأصحاب والتلامذة .

الباب الثالث والحسون في حقيقة الصعبة وما فيها من الخير والشر .

الباب الرابع والحسون في أداء حقوق الصعبة والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس والحسون في آداب الصعبة والأخوة . الباب السادس والحسون في معرفة الإنسان

وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تمجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه تلف ماله وتمكنه بمصادفة للتحقق وإن أخر لعدم التحقق قتل ماله سقطت الزكاة عنه وتمجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تمجيل زكاة حولين ومهما سجل لمات للسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما سجل إليه أو تلف مال المالك أو مات فالدفع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن للجلل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج للنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ القصور من سد الحلة وما أبده عن التحصيل فان سد الحلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحفظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا إذ لاحظ الجمرة في وصول الحصى إليها المقصود الشرع فيه الأبتلاء بالعمل ليطهر العبد رقة وعبوديته بفعل ما لا يقبل له معنى لأن ما يقبل معناه قد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر للعبود فقط لا لمشي آخر وأكثر أعمال الحج كذلك وذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « ليك بحجة حقا تعبدًا ورقًا »<sup>(١)</sup> تنبها على أن ذلك إظهارا للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامثاله كالأمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حفظ معقول وليس بقصد منه التعبد كقضاء دين الأديين ورد للتصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيتيه ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ للتحقق لم يدل عنه عند رضاه تأدي الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعا وهو حفظ العباد وامتثال الكلفة بالاستعداد فيجتمع فيه تعبد ربي الجوار وحفظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين العنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدنى هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه لحظ الفقير مقصود في سد الحلة وهو جلي سابق إلى الأفهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعبدًا في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سبأ والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لكنه قادح في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهاء ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فعند من الإبل إلى الشاة ولم يدل إلى التقدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجيران مع الشاتين فلم يذكر في الجيران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها ، فهنا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تنصر عن درك المركبات فهذا شأن التلطف فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فان أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي التقل غيب للظنون فان صل ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث ليك بحجة حقا تعبدًا ورقًا . البرازر والدارقطني في الملل من حديث أنس .

نفسه ومكاشفات  
الصوفية من ذلك .  
الباب السابع والخمسون  
في معرفة الخواطر  
وتفصيلها وتميزها .  
الباب الثامن والخمسون  
في شرح الحال وللقام  
والفرق بينهما . الباب  
التاسع والستون في  
الإشارة إلى القامات  
على الاختصار والابحاز .  
الباب الستون في ذكر  
إشارات الشايع في  
القامات على الترتيب .  
الباب الحادي والستون  
في ذكر الأحوال  
وشرحها . الباب الثاني  
والستون في شرح  
كلمات من اصطلاح  
الصوفية مشيرة إلى  
الأحوال . الباب الثالث  
والستون في ذكر شئ  
من البدايات والتهاتيات  
ومنها ، فهذه الأبواب  
تحررت بمون الله تعالى  
مشتملة على بعض  
علوم الصوفية  
وأحوالهم ومقاماتهم  
وأدابهم وأخلاقهم  
وغرائب مواجيدهم  
وحقائق معرقهم  
وتوحيدهم ودقيق  
إشاراتهم ولطيف



الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى التبرء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده فان استجاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فانه يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك في التملك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن المجهوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفون قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعنى أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم التزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فليه أن يوصله إلى خمسة عشر قسماً ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع للمستحقين وليسلم إليهم حتى يتساعوا فيه فان ذلك لا بد منه .

( بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة )

اعلم أن على مرير طريق الآخرة بركاته وظوائف . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مبادئ الاسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلطف بكلمة الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافرااد للعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبق للوحد محبوب سوى الواحد الفرد فان الهبة لا تقبل الشراكة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتصهم بالدنيا وبسببها يأسون بهذا العالم وينفرون عن اللوت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتنحوا بتصدق دعواهم في المحبوب واستزلوا عن اللال الذى هو موقوفهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مساهمة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل وللأسخنة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بمهدهم وزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم قال أما على العوام بحكم الشرع خمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله قال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك قال مثله وقال لأبي بكر رضى الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك ما بين كتيكاً (١) فالصديق وفى بشتمام الصديق فلم يمك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثانى درجتهم دون درجة هذا وهم للمسكون أموالهم الرقيقون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الاتقاع على قدر الحاجة دون التتم وصرف الفائض عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهاً وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقاً

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث ذلك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينك ما بين كتيكاً .

اصطلاحاتهم فعلمهم كلها إنباء عن وجدان واعتناء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح للقال لأنها مواهب ربانية ومنافع حقانية مستترها صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستمتت بكنها على الإشارة وطفعت على البشارة وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والاتصاف وكرعت حقائقها من بحر الأنطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نكلم في حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بطاء السلف وصالحى التابعين فكيف بنامع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بدقائق علوم الدين والله للأموال أن يقابل جهدهم للقل بمحسن القبول

والحمد لله رب العالمين .  
 الباب الأول في ذكر  
 منشأ علوم الصوفية :  
 حدثنا شيخنا شيخ  
 الإسلام أبو النجيب  
 عبد القاهر بن عبد الله  
 ابن محمد السهروردي  
 إسناده من لفظه في  
 شوال سنة ستين  
 وخمسة قال أنبأنا  
 الشريف نور المدي  
 أبو طالب الحسين بن  
 محمد الزيني قال أخبرتنا  
 كريمة بنت أحمد بن  
 محمد الرزوية المجاورة  
 بمكة حرسها الله تعالى  
 قالت أخبرنا أبو الهيثم  
 محمد بن مكي الكشمي  
 قال أنبأنا أبو عبد الله  
 محمد بن يوسف  
 القريري قال أخبرنا  
 أبو عبد الله محمد بن  
 اسمعيل البخاري قال  
 حدثنا أبو كريب قال  
 حدثنا أبو أسامة عن  
 بريد عن أبي بردة عن  
 أبي موسى الأشعري  
 رضى الله عنه عن  
 رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قال « إنا مثل  
 ومثل ما يبتلى الله به  
 كمثل رجل آتى قوما  
 فقال يا قومى إني رأيت

موى الزكاة كالنخس والشبي وعطاء ومجاهد . قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل - وآتى المال على حبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - وما رزقناهم ينفقون - وقوله تعالى - وأتقوا بما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق السلم على السلم ومضاء أنه يجب على الوسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أزهقت حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إلا لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الوسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذلك بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذلك في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة الثاقل الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه ليخلصهم بالمال وميلهم إليه وضعف جهم للأخرة قال الله تعالى - إن يسألكموها فيحنكم تبخلوا - يحسنكم أى يستتم عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستتم عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده بهذا الأموال . للمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانمن المهلكات قال **الشيخ** « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وسياق في ربيع للمهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصص منه وإنما نزول صفة البخل بأن تعود بذل للمال فحب الشيء لا ينقطع إلا بغير النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرجه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . للمعنى الثالث شكر النعمة فإن الله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربيع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التحجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لمواثيق الزمان أن تنوقه عن الحيرات وعلمنا بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من الصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن يضم فإن ذلك له الملك وقلب المؤمن بين أصابع الرحمن لما أسرع قلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله له عقيب لله الملك فليختم الفرصة فيه وليعين تركاتها إن كان يؤديها جريما شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لتفاءل قربه وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا (٢) ورمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام الصدوات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان ، الحديث أخرجاه من حديث ابن عباس .

الشر الأول . الوظيفة الثالثة . الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر » (١) وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) وقد روى أيضاً سنداً وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به قل من السر والعلانية وكتب رياء (٣) وفي الحديث للشهور « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله . أحدم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم به الله بما أعطت يمينه » (٤) وفي الخبر « صدقة السر تطفي غضب الرب » (٥) وقال تعالى - وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان والتحدث بصدقة يطلب السمعة والمطى في ملأ من الناس يخفى الرياء والإخفاء والسكوت هو الخلق منه (٦) وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض للمطى فكان بعضهم يلقبه في يد أعمى وبعضهم يلقبه في طريق القبر وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى للمطى وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف للمطى وكان يستكم للتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يغشيه كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسلمه إلى وكيل ليسلم إلى السكين والسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة للسكين الرياء واللثة جميعاً وليس في معرفة للتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة لحبط عملها لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف الحب للال وحجب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب للال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم للثال عقرباً لادها وصفة الرياء تنقلب في القبر أنقى من الأفاقي وهو مأمور بتضعيفها أو قتلها لدفع أذاها أو تخفيف أذاها لهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض أطراف القرب مقبواً للحية فيقدر ما ضعف من القرب زاد في قوة الحية ولوترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضمف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويحجب دواعي الرياء فيضف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه المعاني في دربع للهلكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فتنهاى - وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصديق خيفاً من

(١) حديث أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر أحمد حب ه من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أي الصدقة أفضل قال جهد القل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر فقد ذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضيف (٣) حديث إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طيب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذي وخسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة تطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً (٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان لم أظفر به هكذا.

الجيش بيني وإني أنا النذير المرين فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدجلوا فانطلقوا على مهلم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فسيجهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق . معنى اجتاحهم : استأصلهم ومن ذلك الجماعة التي قصد الهار ، وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما يبنى الله به من الهدى والعلم كمثل الثيت الكثير أصاب أرضاً فكانت طائفة منها طية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخذت أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فثروا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيما لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله وقعه ما يبنى

الله به فعل وعلم ومثل  
من لم يرفع بذلك رأسا  
ولم يقبل هدى الله  
الذى أرسلت به قال  
الشيخ أعد الله تعالى  
لقبول ما جاء به رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أصفي القلوب وأزكى  
النفوس فظهر تفاوت  
الصفاء واختلاف  
التركية في تفاوت  
الفائدة والنفع فمن  
القلوب ماهو بمثابة  
الأرض الطيبة التي  
أنبتت السكلا والشب  
الكثير وهذا مثل من  
اتفع بالعلم في نفسه  
واهتدى وقعه عليه  
وهده إلى الطريق  
القوم من متابعة  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ومن القلوب ماهو  
بمثابة الأخاذات أي  
الغدران جمع أخاذة  
وهو الصنع والقدير  
الذي يجتمع فيه الماء  
فنفوس العلماء الزاهدين  
من الصوفية والشيوخ  
تزكت وقلوبهم صفت  
فاختصت بمزيد الفائدة  
فصاروا أخاذات قال  
مروق محبت أصحاب  
رسول الله صلى الله

الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن في الاظهار  
محدورا ثالثا سوى الن والرياء وهو هتك ستر القبر فانه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن  
أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كإظهار القسق على من تستر به  
فانه محذور والتجسس فيه والاعتقاد بذكره منهي عنه فاما من أظهره فأقامة الحد عليه إشاعة ولكن  
هو السبب فيها ومثل هذا للمعنى قال عليه السلام « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له <sup>(١)</sup> » وقد قال الله تعالى  
- وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية - ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد  
دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحدور الذي فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون  
الاعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف القوائد والقوائل ولم ينظر بين الشهوة  
اتضح له الأولى والأليق بكل حال . الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقة بالمن والأذى قال الله تعالى  
- لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - واختلفوا في حقيقة المن والأذى قيل المن أن يذكرها والأذى  
أن يظهرها وقال سفيان من فسدت صدقة قيل له كيف للمن قال أن يذكره ويتحدث به وقيل المن  
أن يستخدمه بالطعام والأذى أن يعبره بالفقر وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره  
أويؤخه بالمسئلة وقد قال عليه السلام « لا يقبل الله صدقة منان <sup>(٢)</sup> » وعندى أن المن له أصل ومغرس وهو  
من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا  
إليه ومنما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من  
النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه أن يتقصد منه الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض  
حق الله عز وجل قال رسول الله عليه السلام « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل <sup>(٣)</sup> »  
فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد ضرورته إلى الله عز وجل ولو كان  
عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكمل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون  
القابض تحت منته سفيان وجبلا فان المحسن إليه هو للتكفل برزقه أما هو فانما يقضى الذي لزمه بشراء  
ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب  
الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما يذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن  
رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه  
محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرغ منه على ظاهره ماذكر في معنى المن  
وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام  
بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المن ومعنى المن في الباطن ماذكرناه  
وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك السر بالاظهار وفنون  
الاستخفاف وباطنه وهو منعه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على  
نفسه فان ذلك يضيق الخلق لاحالة . والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته  
أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حق لأن من كره بذل درهم في مقابلة  
ما يساوي ألفا فهو شديد الحق ومدوم أنه يذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة  
(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عدد حب في الضمفاء من حديث أنس بسند ضعيف  
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالتدبير قبله بحديث لم أجده <sup>(٣)</sup> حديث إن الصدقة تقع  
بيد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة  
عنه ورواه هق في الشعب بسند ضعيف

وذلك أشرف مما بذله أو يذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفا فرض  
فالكراهة لا وجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنطوع عرف فضل الفقير على النفي وعرف خطر الأغنياء  
لما استحق الفقير بل برك به. وتعين درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بحسب ما قام  
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «هم الأخسرون ورب الكعبة» فقال أبوذر من هم قال «هم الأكثرون  
أموالا» الحديث ثم كيف يستحق الفقير وقد جده الله تعالى متجربة له إذ يكتب للبال بجهده ويستكر  
منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد أزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي  
يضره لو سلم إليه فالتفني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد النظام والالتزام للشاق وحراسة  
الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن بهما انتقلت الكراهية وبطلت بالسرور والفرح  
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتضيعة الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتقى الأدنى  
والتوسيع وتخطيب الوجه وبطل بالاستبشار والتناء وقبول للنة فهذا منشأ للث والآخرى . فان قلت  
فرؤيته نفسه في درجة الحسن أمر فاضل فهل من علامة يتخبر بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه  
عسنا . فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يجهد أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوا له  
عليه مثلا هل كان يزيد استكراه واستعباده له على استكراهه قبل الصدقة فان زاد لم يخل صدقه  
عن شائبة للنة لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقفه قبل ذلك . فان قلت : فهذا أمر فاضل ولا ينفك قلب  
أحد له لما دواؤه . فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالعروة بالحقائق التي ذكرناها في  
فهم الوجوب وأن الفقير هو الحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متقده  
للنة فان الأعمال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها في الشطر الأخير من  
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى  
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم ييسط كفه ليأخذ  
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا  
إلى فقير قائما للرسول احفظ ما يدعو به ثم كاتا ترذان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص  
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقون الدعاء لأنه شبه السكافة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر  
ابن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من  
حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول للنة ومن حيث الباطن للمعارف التي  
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يصلح القلب إلا بمحجون العلم والعمل وهذه  
الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للره  
من صلاته إلا ما عقل منها (١) » وهذا كقوله ﷺ لا يقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا يبطلوا  
صدقاتكم باليمن والأذى . وأما أقوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمتها عنها دون هذا الشرط  
لحديث آخر وقد أشرنا إلى مناه في كتاب الصلاة . الوظيفة السادسة : أن يستنصر العطية فانه إن  
استعظمها أحبب بها والعجب من الله لكان وهو محبط للأعمال قال تعالى - ويوم حين إذا هميتكم  
كثرتم فلم تقن عنكم شيئا - ويقال إن الطاعة كلما استصرت عظمت عند الله عز وجل وللصبة كلما  
استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم للمعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتجيئه وسره  
وليس الاستعظام هو للث والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام  
ولا يمكن فيه للث والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع البادات ودواؤه علم وعمل .

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم  
كأخاذات لأن قلوبهم  
كانت واعية فصارت  
أوعية للملوم بما رزقت  
من صفاء الفهم  
أخبرنا الشيخ الامام  
رضي الدين أبو الخير  
أحمد بن اسماعيل  
القزويني إجازة قال  
أبنا أبو سعيد محمد  
الجليلى قال أبنا  
القاضي أبو سعيد محمد  
القرخزادى قال أبنا  
أبو اسحق أحمد بن  
محمد التماري قال أبنا  
ابن فنجويه قال حدثنا  
ابن حبان قال حدثنا  
اسحق بن محمد قال  
حدثنا أبي قال حدثنا  
إبراهيم بن عيسى قال  
حدثنا علي بن علي قال  
حدثنا أبو حمزة الثمالي  
قال حدثني عبد الله بن  
الحسين قال حين نزلت  
هذه الآية - وتعبها أذن  
واعية - قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
لعل سألت الله سبحانه  
وتعالى أن يجعلها أذنك  
يا علي قال علي لما نسيت  
شيئا بعد وما كان لي  
أن أنسى قال أبو بكر  
الواسطي أذان وقت

عن الله تعالى أسراره  
وقال أيضا واعية في  
معادنها ليس فيها غير  
ما شهدت شيء فهي  
الحالية عما سواه  
لما اضطراب الطباع  
إلا ضرب من الجبل  
قلوب الصوفية واعية  
لأنهم زهدوا في الدنيا  
بعد أن أحكموا أساس  
التقوى فباتت تقوى  
زكت قلوبهم وبألزهد  
صفت قلوبهم فقام  
عدموا شواغل الدنيا  
بتحقيق الزهد انفتحت  
مسام بواطنهم وصحت  
أذان قلوبهم وأطاعتهم  
على ذلك زهدهم في  
الدنيا فلهذا التفسير  
وأئمة الحديث وقهاء  
الإسلام أحاطوا علما  
بالكتاب والسنة  
واستنبطوا منها  
الأحكام وردوا الحوادث  
للتجسدة إلى أصول  
من النصوص وحسب الله  
بهم الدين وعرف  
علماء التفسير وجه  
التفسير وعلم التأويل  
ومذاهب العرب في  
اللغة وغرائب النحو  
والنصريف وأصول  
القصص واختلاف

أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع نفسه بأحسن درجات البذل كذا كرنا  
في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله  
أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فاللهم عز وجل وله اللذة عليه إذ أعطاه ووقعه  
لبنده فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يختص بأن ينظر إلى الآخرة  
وأنه يذله للتوابع فلم يستعظم بذلك ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الجبل من بخله  
بإسناك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كثرة من يطلب برد ودية  
فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما  
لما أمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل - فيحفكم تبخلوا - . الوظيفة السابعة :  
أن يتقن من ماله أجوده وأجبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج  
من شبهة فربما لا يكون ملصقا له مطلقا فلا يقع الوقوع وفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوي لبيد  
أنفق من مال اكتسبه من غير مصيبة (١) وإذا لم يكن المخرج من جيد للمال فهو من سوء الأدب إذ  
قد يمسك الجيد لنفسه أولعبه أولأهله فيكون قد أثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم  
إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه  
وثوابه في الآخرة فليس بماتل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى  
والذي يأكله قضاء وطرف في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى  
- يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه  
تفقون ولستم بأخذه إلا أن تمضوا فيه - أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الانحاض  
فلا تؤثر واه ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أهل  
ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيذل  
ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون  
قال تعالى - ويجعلون لله ما يكرهون وتصف المستهم الكذب أن لهم الحسنى لا - وقف بعض القراء  
على التقي تكذيبهم ثم ابتداء وقال - جرم أن لهم النار - أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .  
الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقة من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف  
الثانية فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة : الأولى أن يطلب  
الأقليات للفرسين عن الدنيا للتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام  
تق ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في  
طاعته باعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) »  
وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء  
الصوفية دون غيرهم قبيله لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لاهؤلاء قوم همهم  
لله سبحانه فإذا طرقتهم فاة تشقت هم أحدهم فلأن أردمة واحدة إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوي لبيد أنفق من مال اكتسبه من غير مصيبة عدو البزار (٢) حديث سبق درهم  
مائة ألف ن حب ومحمد من حديث أبي هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى  
د ت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم  
الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر والصلوة من حديث أبي سعيد الخدري قال ابن طاهر  
غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه الله ابن المبارك أنبأ ناجوير عن الضحاك مرسل .



من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيذ فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله ومم بترك الخانوت فبعث إليه الجنيذ مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الخانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخص بعروفه أهل العلم قليله لوعظمت فقال إني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريضهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منكما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف للنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلب الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله فهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق البواعث ومهيجه ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للاتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد للوحد لا تضيق . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعني بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك <sup>(١)</sup> » فانظر كيف قصر التفاتته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله <sup>(٢)</sup> » ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأفضل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر <sup>(٣)</sup> وفي

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلا إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أوله ولم يسبق هذه القطعة التي أوردتها المصنف وسمى الرجل حديرا فقد روي من طريق البيهقي أنه وصل لحدير من أبي الدرداء شيء فقال اللهم أنك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصحبه له يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ قال أبو بكر قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أحمد الله لا إيا كما وللبخاري طليقا قال أبو بكر قومي قبلي لا والله لا أتوم إليه ولا أحمد ولا أحمد كما ولكن أحمد الله ، وله وسلم فقالت لي أمي موسى إليه قلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ولطبراني قال

وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فالتسع بطريقهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفرّدوا بعرفة الرواة وأسماى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليعتقن الصحيح من السقيم ويتميز النوع من المستقيم فيتخفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة واتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالمثل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ووزم منه علم الحساب والجبر واللقابة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة



لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبي بكر رضى الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الأعيان من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشعرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتنق الله سبحانه في تصفية توحيد عن كدولت الشرك وغوايجه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا عتيا حاجته لا يكثر البت والشكوى أو يكون من أهل للرؤية عن ذهبت نعمته وقيت مادته فهو يتشبه في جلباب التجمل قال الله تعالى - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا - أى لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء يقيهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل علة ويستكشف عن مواطن أحوال أهل الخير والتجمل فخواص صرف العروق إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل - لفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أى حبسوا في طريق الآخرة بلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضربا في الأرض - لأنهم مقصودوا الجناح مقيدوا الأطراف فهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يطفى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فمافوقها وكان صلى الله عليه وسلم يطفى العطاء على مقدار العيلة (١) وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة المال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى . قال على رضى الله عنه لأناسل أخامن إخوان بدرم أحب إلى من أن تصدق بشرين درهما ولأن أصله بشرين درهما أحب إلى من أن تصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن اعتق رقبة والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبى أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الأخيرة الكبرى والنعمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد فان أحد أجره في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيده حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ ومهته فان قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فان أصاب حصل الأجران وان أخطأ حصل الأول دون الثاني فهذا يضاعف أجر للصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر الواضع واقه أعلم .

( الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه )

( بيان أسباب الاستحقاق )

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهامى ولا مطلبي الصنف بسعة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هامى ولا إلى مطلبي

بحمد الله لا بحمد صاحبك . وله من حديث ابن عباس قالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك . وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر فوجها فاجتضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا والله لأدون منه الحديث وفيه أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك (١) حديث كان يطفى العطاء على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولأبي داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه النبي قسمه في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا .

وتأيدت واستقام الدين  
الحنيف وتفرع وتواصل  
المهدي النبوي  
الصفطوي فأثبتت  
أراضى قلوب العلماء  
الكلال والعشب بما  
قبلت من مياه الحياة  
من المهدي والعلم قال  
الله تعالى - أنزل من  
السما ماء فسالأت أودية  
بقدرها - قال ابن  
عباس رضى الله عنهما  
السما العلم والأودية  
القلوب قال أبو بكر  
الواسطي رضى الله عنه  
خلق الله تعالى ذرة  
صافية فلا حظها بين  
الجلال فذايت حياه  
منه فسالأت فقال أنزل  
من السما ماء فسالأت  
أودية بقدرها فصفاء  
القلوب من وصول ذلك  
للسماء إليها . وقال ابن  
عطاء أنزل من السما  
ماء هذا مثل ضربه  
الله تعالى للمبد وذلك  
إذا سال السبل في  
الأودية لا يبقى في  
الأودية نجاسة  
إلا كنسها وذهب بها  
كذلك إذا سال النور  
القدى قسمه الله تعالى  
للمبد في نفسه لا يبقى

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض ولهما فلذلك صفت الأصناف الثمانية . الصنف الأول الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قبض وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تنفي بجميع ذلك كإيلق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى سائر العورة فان هذا غلو . والقاب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يحل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرج عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشتري له آلة وإن قدر على كسب لا يلقى عروته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقا ويعنه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بتمتع الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة »<sup>(١)</sup> وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير . الصنف الثاني الساكنين : والسكن هو الذي لا يلقى دخله بخرجه فقد علك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا قاسا وجلا وهو غنى والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعنى ما يحتاج إليه وذلك ما يلقى به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن السكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يخطأ في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كإقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك بما لا ينفع في الآخرة ولا يجرى في الدنيا إلا يجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم السكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والعليل والدرس بأجرة فهذه آله فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياط وسائر الحرفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعليم من الكتاب كادخاره كتب طب يعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلي طيب وواعظ فهذا مستثنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستثنى عنه فان من فضل من قوت يومه متى تزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم حاجة أثاث البيت وثياب البدن فينبغي أن تهدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها . فان قال إحداها أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفيه وإن كان نسختان من علم واحد إحداها بسيطة والأخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم تعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لموم البواي والتنبيه بحس هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر إلى أثاث البيت في مدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن

مسعود بسند ضعيف

فيه غفلة ولا ظلة أنزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت أودية . بقدرها يعني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل - فأما الزيد فيذهب جفاء - فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة سواء ما ينفع الناس فيصكت في الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من الطماء الزاهدين في الدنيا للتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوثة حبة الدنيا من فضول اللال والجاه وطلب للناسب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بمباراه ويتقنم فيه خطر الشبهات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه والدرجات للتوسعة للشككة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينبغي منها إلا الاحتياط والله أعلم .

الصنف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاظم والمستوفي والحافظ والبقال ولا يزاو واحد منهم على أجره الثل فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كل من ماله المصالح .

الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم .

الصنف الخامس المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يد عبدا له .

الصنف السادس الغارمون : والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو قمبر فان استقرض في مصبة فلا يسطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فته .

الصنف السابع النزاة : الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المزرقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على النزو .

الصنف الثامن ابن السيل : وهو الذي شخص من يلبه ليسافر في غير مصبة أو اجتاز بها فيعطى إن كان قمبرا وإن كان له مالا يلد آخر أعطى بقدر بلفته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الأخذ ولا يطالب بينة ولا يحلف بل يجوز اعتداده قوله إذا لم يعلم كذبه وأما النزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فان لم يغز به استرد وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد فسيأتى .

#### ( بيان وظائف القابض وهي خمسة )

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكني همه ويجعل همومه بها واحدا فقد تبيد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على السيد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم إضافة نعمة تكتفي الحاجات فأكثر الأموال وصحبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم ففهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقمحه في الخطر ومنهم من أحبه لعناءه عن الدنيا كما يحصى المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للقائه وهذا منتهى النعمة خلق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتى في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما يباحه الله عز وجل فان استبان به على مصبة الله كان كافرا لأنهم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه .

الثانية : أن يشكر المولى ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يهرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه والطريق حق من حيث جسه الله طريقا واسطة

فالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات . قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت قسها قط إنما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما عملوا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتعبوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى - فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار لإحياء النذر بماء العلم والإحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكل الراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا للتقوى الذي يبلغ رتبة الانذار ببله لمورد العلم

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أنقذ الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى - نعم العبد إنه أواب - إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكي عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطعوا فادعوا له حتى تملوا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يستر عيوب المطأ إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يهمله ولا يصيره بالمنع إذا منع ويغفر عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد اللذة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير ويضربه خلافه والأخذ بالمعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الوسطة واسطة قصد جهل وإعما للسكر أن يرى الوسطة أصلا . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم للتورع عن الحرام قنوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مال كما معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن توى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأت يانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الريية والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا للقدار الباق ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والقرينة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره للثلث وإن أعطى زيادة أبي وامتنع إذ ليس للمال للمعطي حتى يتبرع به وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح وثقفة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريه إلى ما لا يريه وإن أخذ بالسكنة فلينظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن قياسه فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشبهة ومن حار حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الأخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل للتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو محقور في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّخر لبياله قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يجد به حد الفقير والسكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وجسته من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن جبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفا فكافئوه الحديث من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث ادّخر لبياله قوت سنة أخرجه من حديث عمر كان يعزل ثقة أهله سنة والطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا ادّخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث سكر .

والمهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الاتقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه - فالتفرق في الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالاتقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى مجرا مواجا . ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

فظهر على نفسه الشريعة  
ضارة العلم وريه  
فتبدلت نعوت النفس  
وأخلاقها . ثم وصل  
إلى الجوارح جدول  
فصارت رياه ناضرة  
فلم استم نضارة  
وامتلا ربابه الله  
تعالى إلى الخلق فأقبل  
على الأمة بقلب موج  
بمياه العلوم واستقبل  
جدول الفهم وجرى  
من بحره في كل جدول  
قسط ونصيب وذلك  
القسط الواصل إلى  
الفهم هو الفقه في  
الدين . روى عبدالله  
ابن عمر رضى الله عنهما  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال « ما عبد  
الله عز وجل بشيء  
أفضل من فقه في الدين  
ولفقيه واحد أشد على  
الشیطان من ألف عابد  
ولكل شيء عماد وعماد  
هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ  
الإسلام أبو النجيب  
إملاء قال حدثنا سعيد  
ابن حفص قال حدثنا  
أبو طالب الزيني قال  
أخبرتني كريمة بنت  
أحمد بن محمد الروزية

ولواقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذهب العلماء في قدر المال أخذ بحكم الزكاة  
والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليته وتمسكوا بما روى  
سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الفنى فمثل عن غناه قال <sup>(١)</sup> غداؤه  
وعشاؤه <sup>(٢)</sup> » وقال آخرون يأخذ إلى حد الفنى وحد الفنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة  
إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الفنى  
خمسون درهما أوقيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله  
مال يفي به يوم القيامة وفي وجهه خموش فمثل وما غناه قال خمسون درهما أوقيمتها من الذهب <sup>(٣)</sup> »  
وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما روى عطاء بن يسار منقطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال  
« من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال <sup>(٤)</sup> » وبالح آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ  
مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره أوبيى بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره  
لأن هذا هو الفنى وقد قال عمر رضى الله عنه إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من  
افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد  
الاعتدال ولما شغل أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله  
في قرابتك فهو خير لك <sup>(٥)</sup> » فأعطاه حسان وأباتادة فحائط من نخل لرجلين كثير من وأعطى  
عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية  
فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى  
أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال  
كفاية سنة فإوراءه فيه خطر وفيه دونه تضيق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف  
فليس للمجهل إلا الحكم بما رقع له ثم يقال للورع « استفت قلبك وإن أتوك وأفتوك <sup>(٦)</sup> » كقوله  
صلى الله عليه وسلم إذ الهم حراز القلوب فإذا وجد القاضى في نفسه شيئاً مما يأخذه فليترك الله فيه  
ولا يترخص تطلا بالتقوى من علماء الظاهر فإن لقنواهم قيوداً ومطلقاً من الضرورات وفيها  
تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق  
الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن  
فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين  
من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فاتهم لا يراعون هذه القسمة إما الجهل وإما لتسهيل  
وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يخلب على الظن احتمال التحريم وسبب ذكر  
مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع الفنى فيسأل ما يفي به فقال غداؤه وعشاؤه  
« حب بلفظ من سأل وله ما يفي به فأنما يستكثر من حجر جهنم الحديث (٢) حديث ابن مسعود  
من سأل وله ما يفي به يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه  
النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال  
« من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال (٤) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال  
صحاحي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن ح من حديث أبي سعيد (٥) حديث لما شغل  
أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن  
أتوك تقدم في العلم .

(للفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمر فأنها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (٢) وقال رسول الله ﷺ « مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا إلا كان الله أخذها يمينه فبربها كابرى أحدكم فضيلة حتى تبلغ القرة مثل أحد » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء « إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصهم منه معروف » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٦) وقال رسول الله ﷺ « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل » وقال رسول الله ﷺ « ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة » (٨) ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله ﷺ « أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تعمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت فلان كذا وفلان كذا وقد كان لفلان » (٩) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به » (١٠) وقال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » (١١)

(١) حديث تصدقوا ولو بتمر فأنها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلًا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استرعى من النار ولو بشق تمرة فأنها تسد من الجائع مسندها من الشبان ولأبي بلى والبرار من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فأنها تقوم الموج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبان وإسناده ضعيف والترمذي « ن في الكبرى » في حديث معاذ والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال لأبي الدرداء إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره للصف أنه قال لأبي الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلًا بأسناد صحيح وأسند الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرا بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند صحيح (٩) حديث سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وح ك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل بيسير (١١) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة.

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا القزويني قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي » قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشدين التي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قه الرجل. وروى عبد الله بن عباس : أفضل العبادة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها - فلما قهوا علموا



وقال «ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لو صدق السائل ما أفلح من رده» (٢) وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تقش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويغمره وكان يناول للسكين يده (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس السكين الذي تردم التمرة والتمرثان واللقمة واللقمتان إنما السكين اللعنف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل مادامت عليه من رقعة» (٥) . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لم رقع وقال مجاهد في قول الله عز وجل « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » فقال وهم يشبهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلمهم يمدون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانياتها بسبعين ضعفا وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف ففقر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزني جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان للرض وكتمان الصدقة وكتمان للصائب وروى مسند وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول « لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الكشي لله عز وجل لا يسرى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قطوا وعمرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبعه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقر إلى صدقة فقد أبطل صدقة وضرب بها وجهه وقال مالك لا ترى بأما يشرب اللوسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة للسكنة على الخصوص ويقال إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الندرم والدرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى في الحور العين بالقلس واللقمة .

( بيان إخفاء الصدقة وإظهارها )

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فقال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من اللعان والآفات ثم نكشف القطاء عن الحق فيه . أما الاخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فإن أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن

(١) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلي في الضعفاء من حديث عائشة (٢) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال العقيلي لا يصح في هذا الباب شيء والطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره الحديث الدار قطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسل (٤) حديث ليس للسكين الذي تردم التمرة والتمرثان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالفه بن طهمان ضعيف

ولما علموا أعمالها ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان أقصه كانت قصه أسرع إجابة وأكثر اعتقادا لعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم حجة موهوبة من الله للقلوب والعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالتبى صلى الله عليه وسلم لما قال «مثل ما بشئ الله به من الهدى والعلم» أخبر أنه وجد القلب النبوى العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منهما ورائة معجونة فيه من آدم أبى البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والأسماء ممة الأشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى - علم الإنسان ما لم يعلم - فأدرك لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا فهم والفطنة والرفقة والظف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب



الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف .  
 الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فأنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويطنون أنه آخذ  
 مع الاستثناء أو يفسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيرة من الذنوب الكبائر وصياتهم عن  
 هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني  
 حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم  
 التيمي أنه رأى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسائي أخى خيصة ولو علمت  
 أن أهله علموا به ما قبلته . الثالث إغاثة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء  
 أكثر والإغاثة على إتمام المعروف معروف والسكمان لا يتم إلا بالثمن فهما أظهر هذا انكشف أمر  
 المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا في السر قبله قيل له في ذلك  
 فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه قبلته وذلك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض  
 الصوفية شيئا في الملا فرددته فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان  
 لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية  
 قيل له في ذلك فقال عصيت أبا الجهر فلم أذكر عونا لك على العصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال  
 التوري لو علمت أن أحدا لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها قبلت صدقته . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلا  
 وامتنانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره  
 إذلالا للعلم وامتنانا لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز  
 عن شبهة الشبهة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها <sup>(١)</sup> » وبأن  
 يكون ورقا أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه  
 ورقا أو يطعمه خبزا <sup>(٢)</sup> » فجعل الورق هدية بانفراده فيعطى في الملا مكروه لإبراهيم جميعهم ولا يغلو  
 عن شبهة فإذا انفراد سلم من هذه الشبهة . أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة : الأول الإخلاص  
 والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والراءاة . والثاني إسقاط الجاه والتزلة وإظهار العبودية والسكينة  
 والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستعلاء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه  
 أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً فانك لا تغلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا قبلت  
 ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لأفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق  
 فذلك الذي يريد أخوك لأنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتوَجَّر أنت إذ كنت سبب  
 مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد  
 باختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لانعياً بدعاه من يأخذ في السر ويرد في العلانية  
 والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد  
 الفرد . حتى أن بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة الريدن فشق على الآخرين فأراد

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها القليل وابن حبان في الضعفاء وطب  
 في الأوسط وحق من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل  
 ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا بعد وضعه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند  
 الله أن يقص عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولا يحد وتوصحه من حديث  
 البراء من مع منحة ورق أو منحة لبن أو هدي زقاقا فهو كمن شق نسمة .

والكياسة ثم اقتضاه  
 استعمال كل ذلك وجعل  
 قلبه بصيرة واهتداء  
 إلى الله تعالى بالنور  
 الذي وهب له فالتبى  
 صلى الله عليه وسلم  
 بعث إلى الأمة بالنور  
 للوروث والوهوب  
 له خاصة وقيل لما  
 خاطب الله السموات  
 والأرض بقوله - اثقيا  
 طوعا أو كرها فالتأني  
 طائعين - نطق من  
 الأرض وأجاب موضع  
 الكعبة ومن السماء  
 ما يحاذيها وقد قال  
 عبد الله بن عباس رضي  
 الله عنهما أصل طينة  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم من سررة  
 الأرض بمكة فقال  
 بعض العلماء هذا  
 يشعر بأن ما أجاب من  
 الأرض ذرة المصطفى  
 محمد صلى الله عليه وسلم  
 ومن موضع الكعبة  
 دحيت الأرض فصار  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم هو الأصل  
 في التكوين والكانات  
 تبع له وإلى هذا إشارة  
 بقوله صلى الله عليه  
 وسلم « كنت نبيا وآدم

بين الماء والطين «  
وفي رواية «بين الروح  
والجسد» وقيل ذلك  
مضى أميا لأن مكة أم  
القرى وذرت أم الحليقة  
وتربة الشخص مدفنه  
فكان يقتضى أن  
يكون مدفنه بمكة  
حيث كانت تربته منها  
ولكن قبل الماء لما  
تزوج ربي الزيد إلى  
النواحي فوقت  
جوهرة النبي صلى الله  
عليه وسلم إلى ما عاذى  
تربته بالمدينة وكان  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مكيا مدنيا  
حينئذ إلى مكة وتربته  
بالمدينة والإشارة فيها  
ذكرناه من ذرة  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم هو ما قال  
الله تعالى - وإذ أخا  
ربك من بنى آدم من  
ظهورهم ذريتهم  
وأشهدهم على أنفسهم  
أليس بربكم قالوا بلى -  
وردد في الحديث «إن  
الله تعالى مسح ظهر  
آدم وأخرج ذريته منه  
كهيئة القدر» استخراج  
الذر من مسام شعر  
آدم فخرج الدر

أن يظهر لهم فضيلة ذلك الريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليدعها  
حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح الإذك الريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فلنا ما أمرنا به  
الشيخ فقال الشيخ للريد مالك لم تذبح كاذب أحبابك فقال ذلك الريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه  
أحد فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يثبت لغير الله عز وجل . الرابع  
أن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى - وأما بنعمة ربك فحدث - والكتان كفران النعمة  
وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون  
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن  
تري نعمته عليه (١)» وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا  
والملانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في الإلغاء ثم اردد في  
السر والشكر فيه عثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢)»  
والشكر قائم مقام للكفاة حتى قال صلى الله عليه وسلم «من أسدى إليكم معروفا فكاثروه فان لم تستطيعوا فأنشوا  
عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» ولما قال المهاجرون في الشكر «يا رسول الله  
ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاصمون الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله  
عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأنعمت عليهم به فهو مكافأة (٣)» فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن  
ما قل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في السئلة بل هو اختلاف حال فكشف النطاء في هذا أنا  
لأنهم حكما بتأنيد أن الاختفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات  
وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغي أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى  
بجمل الثرور ولا يندفع بتليبس الطبع ومكر الشيطان والسكر والحداد أغلب في معاني الاختفاء منه في  
الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الحداد في الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض  
الجاه والمزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بين الازدراء وإلى المعلى بين النعم الحسن  
فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتغل باللعان الحسة  
التي ذكرناها وميعار كل ذلك ومحكم أمر واحد وهو أن يكون تأمله بانكشاف أخذه الصدقة كنهه بانكشاف  
صدقة أخذه بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان ينفي صيانة الناس عن التنية والحسد وسوء الظن أو  
يتقى انتهاك السر أو إغانة المعلى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتدال فكل ذلك مما يحصل  
بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر  
من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم  
لأمن حيث إنه علم زيدا وعلم عمرو والنية محذورة من حيث إنها تعرض لمرض مصون لأمن حيث إنها  
تعرض لمرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يسجر الشيطان عنه وإلا فلا يزال  
كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فبيل الطبع إليه من حيث إنه تطيب لقلب المعلى واستحثاث  
له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من البالغين في الشكر حتى زعجوا في إكرامه وتفقدته وهذا داء دفين  
في الباطن والشيطان لا يقدر على التدبير إلا بأن يروج عليه هذا الحبث في معرض السنة ويهوله الشكر

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن تری عليه أحمد من حديث عمران بن حصين  
بسند صحيح وحسنه ب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر  
الناس لم يشكر الله تعالى (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم  
الحديث ب وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا دن في اليوم واليلة وك وصححه .

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه للمعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصد الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك وعلمه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الجهر إلى المعطى ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يسطون إلا من يغني ولا يشكر فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالمنة والإفهام مفرور . ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق للمعطى فينظر فإن كان هو ممن يجب الشكر والنشر فينبغي أن يغني ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يجب الشكر ولا يقصد فسد ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه « ضربتم عنقه لومعها ما أفلح <sup>(١)</sup> » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يغني على قوم في وجوههم لثقتهم يقيهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الدير <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم في آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا <sup>(٣)</sup> » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه <sup>(٦)</sup> » وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يرعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وهماة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة . إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتعتل على الجملة فالأخذ في اللأ والرد في السر أحسن للسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالزواجات إلا أن تكمل للفرقة بحيث يستوى السر والملاية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنييد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لومعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكر بلفظ وعلم قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لومعها ما أفلح أبدا وفي سننه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث إنه سيد الدير العنبري وطب وابن قانع في معاجهم وحج في الثقات من حديث قيس بن عاصم للتقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا . . من حديث ابن عمر ورواه في التراسل من حديث الشعبي مرسلًا بسند صحيح وقال روى متصلًا وهو ضعيف وك نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا مخ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير قط في العلل من رواية ابن السيب عن أبي هريرة . وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن السيب مرسلًا (٦) حديث إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

تخرج المرق وقيل كان المسح من بعض اللاتكة فأضاف الفعل إلى السبب وقيل معنى القول بأنه مسح أي أحصى كما نخصي الأرض بالمساحة وكان ذلك يظن نعمان واد يجب عرفة بين مكة والطائف فلا خاطب القدر وأجابوا إلى كتب العهد في رقى أبيض وأشهد عليه لللائكة وأقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المحيية من الأرض والعلم والهدى فيه معبوتان فبعت بالعلم والهدى موروثة له وموهو بأوقيل لما ثبت الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبى حتى بمث الله تعالى عزرائيل قبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه خلقت النفس مما من قدم

وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إغاة على الواجب ولو تركه  
للساكنين كلهم أخذ الزكاة لأنهم لا منة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا  
لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والآنسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فإن  
الغالب أن للتصدق يسطى من يتقصد فيه خيرا ولأن مراعاة للساكنين أدخل في العدل والمساواة وأبعد  
من التكبر إذ قد يأخذ الآنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تميز عنه وهذا تنصيص على ذلك الأخذ  
وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يناسب عليه وما يحضره من النية  
فإن كان في عيبة من انصافه بسفلة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فإذا علم أنه مستحق قطعا  
إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضاءه فهو مستحق قطعا فإذا خير هذا بين  
الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة  
فإن الزكاة الواجبة بصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على الساكنين  
وإن كان المال معرنا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على الساكنين فهو خير والأمر فيها  
يتفاوت وأخذ الزكاة أعيد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم .

كل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار  
الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والرسلين وعلى الأئمة  
والقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين  
والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

### (كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده لئنة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمه وخيب ظنه ،  
إذ جعل الصوم حسنا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى  
قلوبهم الشهوات للسكنة وإن جمعها تصبح النفس للطمشة ظاهرة الشوك في قسم خصمها  
قوية لئنة ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومحمد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة  
والقول للرجلة وسلم تسليما كثيرا [ أما بعد ] فإن الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه  
وسلم « الصوم نصف الصبر » (١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان » (٢) ثم هو متميز  
بخامية القبة إلى الله تعالى من بين مائر الأركان إذ قال الله تعالى فيها حكاه عنه نبيه ﷺ « كل  
حسنة بشرا مثالا إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه على وأنا أجزي به » (٣) وقد قال الله تعالى - إنما يوفى  
الصابرون أجرهم بغير حساب - والصوم نصف الصبر قد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ونأهيك  
في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح  
السك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطماشه وشرابه لأجل الصوم إلى وأنا أجزي به » (٤)

### (كتاب أسرار الصيام)

- (١) حديث الصوم نصف الصبر وحسنه من حديث رجل من بني سليم و . من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو بصير في الخلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بشرا مثالا إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسي بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح السك وهو بعض الذي قبله

إبليس فصارت مأوى  
الشر وبعضها لم يصل  
إليه قدم إبليس فمن  
تلك التربة أصل الأنبياء  
والأولياء وكانت ذرة  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم موضع  
نظر الله تعالى من  
قبضة عزرائيل لم يسها  
قدم إبليس فلم يصبه حظ  
الجهل بل صار مزروع  
الجهل موفرا حظه من  
العلم فبثه الله تعالى  
بالهدى والعلم وانتقل  
من قلبه إلى القلوب  
ومن نفسه إلى النفوس  
فوقعت للناس في  
أصل طهارة الطينة  
ووقع التأليف بالعارف  
الأول فكل من كان  
أقرب مناسبة بنسبة  
طهارة الطينة كان  
أوفر حظا من قبول  
ما جاء به فكانت قلوب  
الصوفية أقرب مناسبة  
فأخذت من العلم حظا  
وأفرا وصارت يراهم  
أخاذا فملوا وعلوا  
كالأخاذا الذي يستقي منه  
ويزرع منه وجموا  
بين فائدة علم العارفة  
وعلم الوراثة بأحكام  
أساس التقوى ولما

وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود ببقاء الله تعالى في جزاء صومه <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة <sup>(٤)</sup> » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر <sup>(٥)</sup> » وقال وكيع في قوله تعالى - كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية - هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة البهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجل اللبذل شابهني أنت عندي كبعض ملائكتي <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انظروا يا ملائكتي إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل <sup>(٧)</sup> » وقيل في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لأنه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغاً ويجازف جزافاً فلا يدخل تحت وم وتهدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فإن وسيلة الشيطان لئنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال <sup>(٨)</sup> « إن الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع <sup>(٨)</sup> » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع <sup>(٩)</sup> » وسبأى فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص فلما للشيطان وسداً لمساكنه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قعر عدو الله نصرة

- (١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجا من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه في أمالي بن منده من رواية ابن القيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولله عبد الله بن عمرو فأنهم لم يذكروا لابن القيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعي أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث وقال غريب و . و . وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصححه وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل (٨) حديث إن الشيطان مجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث سمية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلاً .

نزكت النفوس انجلت مرأيا قلوبهم بما فعلها من التقوى فأنجلي فيها صور الأشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بجمعها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبحت إلى مواطنهم أقسام العلوم انصباوا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف نمزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال للقرب والصوفي هو للقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للقرب على ما استخرج ذلك في باب ولا يعرف في طرفي بلاد الإسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للترحمين وكم من الرجال المقربين في بلاد القرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزي الصوفية ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نفي

له سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تصروا الله بنصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فإدامت محبة لم ينقطع زودهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١)» فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول -

(الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة والوازم بافاسده)

(أما الواجبات الظاهرة فسته)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونفى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن صام عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبّع كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا روى الهلال ليلة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلونوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكنه وهو الذي عينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالتهار لم يحجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي عينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يحجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يحجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يطل الحزم أو يستند إلى استصحاب حال كالكشف في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالمحبوس في الطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشك لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم نفسه نيته ولو نوى امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صامها . الثالث الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحفنة ولا يفسد بالقصد والحجامة والاكتحال وإدخال الليل في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ الثالثة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في الضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في الضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس فإنه لا يفطر أمانا من أكل عمدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد . الرابع الإمساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنباً لم يفطر وإن طلع الفجر وهو محالط أهله فترج في الحال صام صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

بالصوفية القريين  
فشايخ الصوفية الذين  
أساؤم في الطبقات  
وغير ذلك من  
الكتب كلهم كانوا في  
طريق القريين  
وعلمهم علوم أحوال  
القريين ومن تطلع  
إلى مقام القريين من  
جسلة الأبرار فهو  
متصوف مالم يتحقق  
بالحلم فإذا تحقق  
بالحلم صار صوفيا  
ومن عداها ممن يميز  
بزي ونسب إليهم  
فهو مشبه - وفوق  
كل ذي علم علم - .  
[الباب الثاني في  
تخصيص الصوفية  
بحسن الاستماع]  
حدثنا شيخنا شيخ  
الاسلام أبو النجيب  
السهروردي إملاء  
قال أنا أبو منصور  
القرى قال أنا الامام  
الحافظ أبو بصير  
الخطيب قال أنا أبو  
عمرو الهامشي قال أنا  
أبو طي اللؤلؤي قال أنا  
أبو داود السجستاني  
قال حدثنا مسدد قال  
حدثنا يحيى عن شعبة  
قال حدثني عمر بن

الخامس : الامسالا عن الاستمنا وهو إخراج المني قصدًا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو ماله كالإربة فلا بأس بالتقييل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقييل أن ينزل قبل وسبق المني أفطر لتقصيره السادس : الامساك عن إخراج المني فلاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه المني لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

### ( وأما لوازم الافطار فأربعة )

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمنا والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا . وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على السافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وحكايا مقيا في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما . وأما الفدية : فتجب على الحامل والرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مدة حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الحرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السحور وتسهيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجلود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش وشد اللزير ودأب وأدأب أهله <sup>(١)</sup> » أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها لذة القدر والأغلب أنها في أوتار وأشباه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتابع في هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعيا أو نواه انقطع تنافسه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعبادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يخرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارا <sup>(٢)</sup> » وينقطع التابع بالجماع ولا ينقطع بالتقييل ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح والأكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التابع ولا ينقطع التابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدين رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة <sup>(٣)</sup> » ومهما خرج للتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع ذلك التجديد .

- (١) حديث كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد اللزير (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا مارا متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يدين رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

سليمان بن وهب عن ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يلقه غيره قرب حامل قفه إلى من هو أقره منه ورب حامل قفه وليس بفيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولو علم الله فيهم خيرا لأجمعهم - يقول بعضهم علامة الحير في السماع أن يسمع العبد بنشاء أو صافه ونعموته يسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسمع لفتح آذانهم للاستماع فمن ملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علوا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته أيام رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا



## ( الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة )

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطرى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا والآخرة فالله تعالى قد قال في ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يخطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة التوكل بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه للوعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فانه إقبال بكنهه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتعالى بمعنى قوله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتعمامه بسة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يندم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس لهنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يمجده حلاوته في قلبه » (١) وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » (٢) . الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والحسومة والراء والإزاهم السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة نفس الصوم رواه بشر بن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إني صائم » (٣) وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تلتقا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنا في الإفطار فأرسل إليهما قداما وقال صلى الله عليه وسلم : قل لهما قيا فيه ما أكلتا فقامتا إحداهما نصفه دما عبيطا ولحا فريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما فغضب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فمقتدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا ينتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم » (٤) . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين السمع وآكل السحت فقال تعالى - مماعون للكذب أكالون للسحت - وقال عز وجل - لولا ينهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت - فالكسوت على الغيبة حرام وقال تعالى - إنكم إذا مثلهم -

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصحح إسناده من حديث حذيفة (٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدي في الضفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا ككذاب (٣) حديث الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما صائما أخرجاه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

من أبحر العلم بما تضمن من ظاهر العلم وباطنه وجلبه وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أمم ما عندم الاستعداد للاستماع ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب للكسوت واستئصال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا أن الوسواس أذخنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقنام يتراكم من نقت الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناظ الهوى ومثار الردى بمثابة الخطب الذي تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحمرا فحرفوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الفتاب والمستمع شريكان في الآثم» (١) الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن السكره وكف البطن عن الشهوات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبتلى قهراً ويهتكم مصراً فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيهاً والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٢) قيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالنية وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثم . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يعتلى جوفه فئامن وعاء أبفض إلى الله عز وجل من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى المشاء حتى حاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطمعت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أقل من الذي كان يأكلها كل ليلة لولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصنفوا عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجدته وأوراده ففسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ومن جعل بين قلبه وبين صدره محلاة من الطعام فهو عنه محبوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يحل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسياق له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من اللقرين أو يرد عليه فهو من المقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقهم يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام غابوا فالحجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه البطولون أما والله لو كشف الغطاء لاغتفل الحسن بإحسانه والسيء بإساءته أي كان سرور القبول يشغله عن اللعب وحسرة للردود تسد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم . فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء

(١) حديث للقتاب والمستمع شريكان في الآثم غريب والطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النية وعن الاستماع إلى النية (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن . من حديث أبي هريرة

النفس أعطابها وقرت نيرانها وقيل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهياً وأموارها بصفاة القهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال الشبلي رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يفتل عنه طرفه عين قال يعقوب بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتسنى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتسنى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم يربح تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشغال الثانية التي أتمدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

الأغراض والأمراض  
قال الحسين بن منصور  
لمن كان له قلب لا يخطر  
فيه إلا شهود الرب  
وأشد :

أنى إليك قلوبا طالما  
هطلت

سحاب الوحي فيها  
أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب  
لاحظ الحق بين  
التعظيم فذاب له  
واقطع إليه عماسواه

قال الواسطي : أى  
لذكرى قوم مخصوصين

لا لساير الناس لمن  
كان له قلب أى فى

الأزولوم الذين قال الله  
تعالى فيهم - أو من كان

ميتا فأحييناه - وقال  
أيضا الشهادة تذهل

والحجة تفهم لأن الله  
تعالى إذا تجلى لشيء

خضع له وخضع وهذا  
الذى قاله الواسطي

صحيح فى حق أقوام  
وهذه الآية تحكم

بخلاف هذا لأقوام  
آخريين وهم أرباب

التسكين يجمع لهم  
بين الشهادة والقيم

فموضع القيم عمل  
المحادثة والمكاملة وهو

صومه صحيح فإمعناه . فاعلم أن قهواء الظاهر يشبثون شروط الظاهر بأدلة هي أضغف من هذه الأدلة  
أى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة لاسباب الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى قهواء الظاهر من  
التكليفات إلا ما يتيسر على عموم السافلين للقبليين على الدنيا الدخول تحتها فإمعانهم الآخرة فيعنون  
بالصحة القبول والقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من  
أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاعتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم  
منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون  
رتبة للملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما اتهمك فى الشهوات انحط إلى  
أسفل السافلين والتحق بضمير البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق للملائكة  
والملائكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل  
كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر  
الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع  
الانهمالك فى الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم  
« كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الفرداء يا حبذا نوم الأكياس  
وفطرم كيف لا يسيرون صوم الحقيق وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال  
الجبال عبادة من الفترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم مفطر صائم والمفطر الصائم  
هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجمع ويعطش ويطلق  
جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام  
كن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد إلا أنه ترك لله  
وهو التسفل فضلاته مردودة عليه مجمله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن اللكاه كن  
غسل أعضائه مرة مرة فضلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع  
بينهما كن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو السكاه وقد قال صلى الله عليه  
وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (١) » . ولما تلا قوله عز وجل - إن الله يأمركم أن تؤدوا  
الأمانات إلى أهلها - وضع يده على سمعه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة (٢) » ولولا أنه  
من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إلى صائم » أى إلى أودعت لسانى لأخفظه  
فكيف أطلقه بجوابك فاذن قد ظهر أن الشكل عبادة ظاهرا وباطنا وتشرابا ولبا ولقشرها درجات  
ولكل درجة طبقات فإليك الحيرة الآن فى أن تنفع بالقشر عن الباب أو تتجهز إلى غمار أرباب الألباب .

( الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه )

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواصل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها  
يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء  
والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مطلق الصوم وهى  
أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان (٣) »

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود  
فى الحديث فى الأمانة والصوم وإسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا  
الأمانات إلى أهلها . وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة . من حديث أبى هريرة دون  
قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة

وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» (١) «لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب» وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام» (٢) وفي الحديث «من صام ثلاثاً أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام» (٣) وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (٤) ولهذا يستحب أن يخطر قبل رمضان أياماً فإن وصل شعبان برمضان فبأجر (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مراراً كثيرة (٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان يومين أو ثلاثة إلا أن يوافق ورداً له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهاى بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمهرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمهرم ورجب واحد فرد وثلاثة تسردوا أفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام للملومات والعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمهرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر «ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا ما من عقر جواده وأهريق دمه» (٧) وأما ما يتكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالثنين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها يركب هذه الاوقات . وأما صوم الدهر فانه شامل لكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من حكره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لثبثين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله (٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الانظار ويجعل

سمع القلب وموضع للشاهدة بصر القلب وللمسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يضيّب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو والتكبين لا يضيّب سمعه في بصره لتلك ناصية الحال ويضهم بالوعاء الوجودي للمتعد لفهم التقال لأن الفهم مورد الإلهام والسماع والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود هو هوب منشأ لإنشاء ثانياً للتمكن في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلانى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على بحر الفناء إلى مقار البقاء . وقال ابن صمسون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رقب الشهوة لمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ومن اقتصر إلى ما لم يحسد

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي العجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوماً من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوماً (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الأزدي في الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يحجى رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان برمضان مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان ودن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مراراً د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عدت ثلاثين يوماً ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت ه من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند غ من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج بخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر م ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وحمز بن حنين وعبد الله بن الشخير .

من الأدب به  
الاشتغال بما وجد  
قد وجد ثلثي الأدب  
والثالث امتلاء القلب  
بالقى بدأ بالفضل عند  
الوفاء تفضلاً فقد وجد  
كل الأدب . قال محمد  
ابن طي الباقر موت  
القلب من شهوات  
النفس فكما رفض  
شهوات نال من  
الحياة بقسطها فالسباع  
للأحياء لالأموات  
قال الله تعالى - إنك  
لا تسمع الموتى - قال  
سهل بن عبد الله القلب  
ريقق تؤثر فيه الحطرات  
الذمومة وأثر القليل  
عليه كثير قال الله  
تعالى - ومن يشع عن  
ذكر الرحمن تقيض  
له شيطاناً فهو له قرين -  
فالقلب عمال لا يغتر  
والنفس يقظانة لا ترقد  
فإن كان العبد مستمعاً  
إلى الله تعالى وإلا فهو  
مستمع إلى الشيطان  
والنفس فكل شيء  
سد باب الاستماع فمن  
حركة النفس وفي  
حركتها يطرق  
الشيطان . وقد ورد  
« لولا أن الشياطين

الصوم حجار على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإذا لم يكن  
شيء من ذلك وأرى صلاح نفسه في صوم الدهر فليعمل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين  
رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت  
عليه جهنم وعقد تسعين <sup>(١)</sup> » ومناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر  
بأن يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة  
لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت على مفاتيح خزائن  
الدنيا وكنوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شئت وأتضرع إليك  
إذا جئت <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخى داود كان يصوم يوماً ويفطر  
يوماً <sup>(٣)</sup> » ومن ذلك « منازلته لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو  
يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوماً وأفطر يوماً فقال إني أريد  
أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك <sup>(٤)</sup> » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم  
ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان <sup>(٥)</sup> » بل كان يفطر منه يومين لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس  
بثله وهو أن يصوم يوماً ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة  
من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من  
الثلث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يعمهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية  
القلب وتفرغ المهمة عز وجل والفتية بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله  
دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الاقطار بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق  
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب غريراً مستمراً  
ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم  
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام <sup>(٦)</sup> » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة  
من القيام بحقوق الأوقات وقد كره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديراً  
ليوم العيد وأيام التثريق وذكروا أن ذلك يقضى القلب ويوله ردى العادات ويفتح  
أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم واليلة مرتين فهذا  
ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم التطوع به والله أعلم بالصواب .

(١) حديث أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد  
ن في الكبرى وحسنه أبو طي الطوسي (٢) حديث عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا  
الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض طي ربي لي جعل لي بطحاء مكة ذهباً . وقال حسن  
(٣) حديث أفضل الصيام صوم أخى داود الحديث أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو  
(٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوماً وأفطر يوماً الحديث أخرجه من حديثه  
(٥) حديث ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان أخرجه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم  
حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من  
حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئاً ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه  
شيئاً وكان لا تشاء تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ولا نائمياً إلا رأيته .

ما علمنا منها وما لم تعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لأرب غيره وماتوفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

### ( كتاب أسرار الحج )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمانا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشرفاً وتعصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب وجنا والصلاة على محمد بنى الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا (١) » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدائها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفوائدها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب .

الباب الأول : في فضائلها وفوائدها مكة والبيت العتيق وجعل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثاني : في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : في آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فليبدأ بالبَاب الأول وفيه فصلان : الفصل الأول : في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والديانة حرسهما الله تعالى وشهد الرحال إلى المساجد .

#### ( فضيلة الحج )

قال الله عز وجل - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وعلى نبيينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب السكبة وقيل في تفسير قوله عز وجل - لأقصدن لهم صراطك المستقيم - أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها لينجس الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « ما رؤى الشيطان في يوم أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة (٣) » وما ذلك إلا لما يرى من زوال الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٤) »

#### ( كتاب أسرار الحج )

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا حديث من حديث أبي هريرة وث نحوه من حديث علي وقال غريب وفي إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ما رؤى الشيطان في يوم أصغر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبي عبد الله عن طلحة بن عبد الله بن كريب مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلاً

بحومون على قلوب  
بن آدم لتظروا إلى  
ملكوت السموات  
وقال الحسين بشار  
للبرين ومعارف  
العارفين ونور الطلاء  
الرائسين وطرق  
السابقين الناجين  
والأزل والأبد وما بينهما  
من الحدث لمن كان  
له قلب أو ألقى السمع .  
وقال ابن عطاء هو  
القلب الذي يلاحظ  
الحق ويشاهده ولا  
ينيب عنه خطرة  
ولا قرة فيسمع به بل  
يسمع منه ويشهد به  
بل يشهد فاذا لاحظ  
القلب الحق بعين  
الجلال فرغ وارتمد  
وإذا طالع بعين  
الجمال هدأ واستقر  
وقال بعضهم لمن كان  
له قلب بصير يقوى  
على التجريد مع الله  
تعالى والتفريد  
حتى يخرج من الدنيا  
والخلق والنفس فلا  
يشغل بغيره ولا يركن  
إلى سواه قلب الصوفي  
مجرد عن الأكوان  
ألقى سمعه وشهد  
بصره فسمع للسموات

وأبصر البصرات  
وشاهد الشهوات  
لتخلصه إلى الله تعالى  
واجتماعه بين يدي  
الله والأشياء كلها عند  
الله وهو عنده فسمع  
وشاهد فأبصر وسمع  
جملها ولم يسمع ويشاهد  
تفاصيلها لأن الجمل  
تدرك لسة عين  
الشهود والتفاصيل  
لا تدرك لضيق وعاء  
الوجود والله تعالى هو  
العالم بالجل والتفاصيل  
وقد مثل بعض  
الحكماء تفاوت الناس  
في الاستماع وقال إن  
الباذر خرج يئزده  
فلا منه كنه فوق  
منه شيء على ظهر  
الطريق فلم يلبث أن  
انعط عليه الطير  
فاختطفه ووقع منه  
شيء على الصفوان وهو  
الحجر الأملس عليه  
تراب يسير وندى قليل  
فبنت حتى إذا وصلت  
عروقه إلى الصفاء لم  
تجد مساعا تفند  
فيه فيبس ووقع منه  
شيء في أرض طيبة  
فيها شوك نابت فبنت  
فلما ارتفع خنقه الشوك

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من القريبين أن  
إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين  
مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف  
أن لا يغيثهم فيحزنني ذلك قال فما الذي آمل جسمك قال سهل الحيل في سبيل الله عز وجل  
ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا  
على العصية كانت أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول  
يا ويلقي متى يجب هذا عمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته  
حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المستمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض  
ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها  
وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وقد الله عز  
وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفّعوا شفّعوا <sup>(٣)</sup> »  
وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله  
تعالى لم يغفر له <sup>(٤)</sup> » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على  
هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة مستون للطائفين وأربعون للنصليين وعشرون للناظرين <sup>(٥)</sup> »  
وفي الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجددونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل  
تجددونه <sup>(٦)</sup> » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر « من طاف أسبوعا حافيا  
حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه <sup>(٧)</sup> » ويقال إن الله عز وجل  
إذا غفر لعبد ذنبا في الوقف غفر له لكل من أصابه في ذلك الوقف وقال بعض السلف إذا  
وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه « حج رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المستمر إلى يوم القيامة  
ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة حق في الشعب بالشرط الأول من  
حديث أبي هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف (٢) حديث  
حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجه من حديث أبي هريرة  
الشطر الثاني بلفظ الحج للبرور وقال إن الحجة للبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٣) حديث  
الحجاج والعمار وقد الله وزواره الحديث من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره دون قوله إن  
سألوه أعطاهم وإن شفّعوا شفّعوا ولهم من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (٤) حديث  
أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في التنقي والمفرق وأبو منصور شهر دار  
ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على  
هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وحق في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد  
حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب و ك من  
حديث ابن عمر استمعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ورفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط  
الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر  
غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت و من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا  
فأحصاه كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .



وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - (١) « قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » (٢) « وروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفق حجبت عنى « قلت نعم قال وليت عنى ؟ قلت نعم قال فاني أكاثك بها يوم القيامة آخذ يدك في الموقف فأدخلك الجنة والحلائق في كرب الحساب وقال معاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقهم اللائكة فسلموا على ركبائهم الأبل وصاحوا ركبائهم وأعتقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقب غزوة أو عقب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولئن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشبهوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألون الدعاء ويأدرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفق قال حجبت سنة فلما كان ليلة عرفة تمت بمنى في مسجد الحيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر ليك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة ؟ قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستائة ألف أتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعنا في الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واعتصمت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت إذا قبل حج سنة أنفس فأين أكون أنا في سنة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند الشجر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فخلنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بيته ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة ؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجلى عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حجبت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه قلت اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته .

( فضيلة البيت ومكة للشرقة )

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستائة ألف فان قصوا أكلمهم الله عز وجل من اللائكة » (٣) « وأن الكعبة تحشر كالروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسمعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر « إن الحجر الأسود ياقوته من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحقوقه وصدق » (٤) «

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول - اليوم أكملت لكم دينكم - الحديث أخرجه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج لك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنتين ستائة ألف الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث صحيحه ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقى الحديث رواه ت وحسنه و . وحب وك وصححه إسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس إن الركن وللقيام ياقوتان من يواقيت الجنة وصححه إسناده ورواه ن حب ك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأنفده واختلط به  
ووقع منه شيء  
على أرض طيبة  
ليست على ظهر الطريق  
ولا على الصفوان ولا  
فيها شوك فثبت ونما  
وصلح فمثل الباذر مثل  
الحكيم ومثل البذر  
كثل صواب الكلام  
ومثل ما وقع على ظهر  
الطريق مثل الرجل  
يسمع الكلام وهو  
لا يريد أن يسمعه لما  
يلبث الشيطان أن  
يخطفه من قلبه  
فينساه ومثل الذي وقع  
على الصفوان مثل  
الرجل يستمع الكلام  
فيستحسنه ثم تفضى  
الكلمة إلى قلب ليس  
فيه عزم على العمل  
فينسخ من قلبه ومثل  
الذي وقع في أرض  
طيبة فيها شوك مثل  
الرجل يسمع الكلام  
وهو ينوى أن يعمل  
به فاذا اعترضته له  
الشهوات قيدته عن  
التبؤ بالعمل فترك  
ما نوى عمله لعلبة  
الشهوة كالزرع يخطئ  
بالشوك ومثل الذي  
وقع في أرض طيبة

وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر بعد عليه وكان يطوف على  
الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٢) وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك  
حجر لا تضرم ولا تنفع (٣) ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا  
نحيبه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب  
العبرات وتستجاب الدعوات فقال صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين بل هو يضرم وينفع قال وكيف  
قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على القرية كتب عليهم كتابا ثم ألقاه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن  
بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماننا بك  
وتصدقنا بكتابك ووفاء بهديك ، وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها مائة ألف  
يوم وصدقة درهم مائة ألف درهم وكذلك كل حسنة مائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل  
عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح « عمرة في رمضان كحجة منى » (٤) وقال صلى الله عليه  
وسلم « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي ثم أتى أهل مكة  
فأحشروا بين الحرمين » (٥) وفي الخبر « إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته لللائكة فقالوا بر  
حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام » (٦) وجاء في الأثر : إن الله عز وجل ينظر في كل  
ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل السجد  
الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبلا الكعبة غفر له وكوشف  
بعض الأولياء رضي الله عنهم قال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة  
لحجة ويقال لا تقرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من  
ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد  
رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم رفع القرآن من  
المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر  
منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام  
فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل القرب التي توقع ولا تهاوي الخبر « استكثروا من الطواف بهذا  
البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة » (٧) وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى « إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخريته ثم أخرب الدنيا على أثره » (٨)

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجه من حديث عمر دون قوله كثيرا ، ون أنه كان  
يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث إنه كان يسجد عليه البزار وكذا من حديث عمر وصححه إسناده  
(٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر أخرجه من حديث الزيادة التي رواها علي ورواه بتلك الزيادة  
وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة منى أخرجه من حديث ابن عباس دون  
قوله معي فهي عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة منى ورواه كزيادتها من غير شك (٥) حديث  
أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي الحديث توحسنه وحب من حديث  
ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيته لللائكة فقالوا بر حجك يا آدم الحديث رواه  
الفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في اللعل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرق  
في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار  
وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استتموا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة  
(٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخريته ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

مثل السمع الذي  
ينوى عمله فيهمسه  
ويصل به ويحاسب  
هواه وهذا الذي  
جانب الهوى واتبع  
سبيل الهدى هو  
الصوفي لأن للهوى  
حلاوة والنفس إذا  
تشربت حلاوة  
الهوى فهي تتركز إليه  
وتستلذه واستلذا  
الهوى هو الذي يخلق  
النبت كالشوك وقلب  
الصوفي نازله حلاوة  
الحب الصافي والحب  
الصافي تطلق الروح  
بالحضرة الإلهية ومن  
قوة انجذاب الروح إلى  
الحضرة الإلهية بداعية  
الحب تستبج القلب  
والنفس وحلاوة الحب  
للحضرة الإلهية تغلب  
حلاوة الهوى لأن  
حلاوة الهوى كشجرة  
خبيثة اجتثت من فوق  
الأرض ما لها من قرار  
ليكونها لا ترتقي عن  
حد النفس وحلاوة  
الحب كشجرة طيبة  
أصلها ثابت وفرعها في  
السماء لأنها متأصلة في  
الروح فرعها عند الله  
تعالى وعروقها ضاربة

( فضيلة القام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته )

كره الخائفون المحتاطون من العلماء القام بمكة لعمان ثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمينكم ويا أهل الشام عامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنأ أي يتوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد قلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خيرا لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل غمراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والدنوب بها فان ذلك محذور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الوضع وروى عن وهيب بن الورد السكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطافين حولي من تفرهم في الحديث ولقوهم ولقوهم لأن لم يمتروا عن ذلك لأتفضل انتفاضة يرجع كل حجير مني إلى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - أي أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذن سبعين ذنبا بركة أحب إلى من أن أذن ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض القميين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض ، وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة القام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة عليها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الوضع فمعنى قولنا إن ترك القام به أفضل أي بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم إما أن يكون أفضل من القام مع الوفاء بحقه فهيأت وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك خير أرض أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أني أخرجت منك لما خرجت » (١) وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

( فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد )

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (٢) وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فان للصلاة فيها بمخمسة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة » (٣) بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة (٤) »

(١) حديث إنك خير أرض أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت وصححه و ن في الكبرى و . و حب من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٢) حديث صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده يجعله هكذا و .

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفسدها بكليته ويقول :

أشتم منك نسيبا لست أعرفه

أظن لمياء جرت فيك أردانا

فعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمما وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويصير الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون

أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى - فبشر

عبادى الذين يستمعون

القول فيتبعون أحسنه

أولئك الذين هدام

الله وأولئك هم أولوا

الألباب - قال بعضهم

اللب والعقل مائة جزء

تسعة وتسعون في النبي

صلى الله عليه وسلم

وجزه في سائر المؤمنين

والجزء الذى في سائر

وقال صلى الله عليه وسلم «من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعاً يوم القيامة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة» (٢) وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن القام بها للرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في النع من الرحلة لزيارة للشاهد وقبور العلماء والصلحاء وماتين إلى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأثور بها قال عليه السلام «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً» (٤) والحديث إنما ورد في للساجد وليس في معناها للشاهد لأن للساجد بعد للمساجد الثلاثة مائة ولا بد إلا وفيه مسجد فلامنى للرحلة إلى مسجد آخر وأما للشاهد فلا تتساوى بل ركز زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل فم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالتع من ذلك في غاية الإحالة فإذا جاز هذا قبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كأن زيارة العلماء في الحياة من القاصد هذا في الرحلة أما القام بالأولى بالمريد أن يلزم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهاسم له حاله في وطنه فإن لم يسلم فيطلب من اللواضع ما هو أقرب إلى الخول وأسلم للدين وأفرغ القلب وأيسر للعبادة فهو أفضل اللواضع له قال عليه السلام «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأنت موضع رأيت فيه رقفاً فاقم واحمد الله تعالى» (٥) وفي الخبر «من بورك له في شيء فليزره ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه» (٦) وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملك فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخرى بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفضل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص في بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لحملك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدري أي البلاد أسكن فليل له خراسان فقال مذهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبارة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقاله رجل غريب عزمته على المجاورة بمكة فأوصى قال أو صيكت ثلاثاً لتصلين في الصف الأول ولا تصحبين قرشياً ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله الزين والتصنع.

من حديث ميمونة بإسناد جيد في بيت المقدس اثنته فصلوا فيه فإن صلاة فيه كالف صلاة في غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى خمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدي خمسين ألف صلاة وليس في إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ب. من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأنت موضع رأيت فيه رقفاً فاقم وأحمد الطبراني من حديث الزبير بن سفيان (٦) حديث من رزق في شيء فليزره ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه. من حديث أنس بالجمل الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتكره.

للمؤمنين أحد وعشرون سهماً فسمهم يتساوى للمؤمنين كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعشرون جزءاً يتفاضلون فيها على مقادير حقائق إيمانهم قيل في هذه الآية إظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأحسن ما يأتي به لأنه لما وقعت له محبة المؤمنين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الأتوار في الأحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق في جميع اللقائات ألتزام صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يسعى الآخرون وجودا السابقون في الخطاب الأول في الفضل في محل القدس وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحكيكم - قال الجنيد تنسوا روح مادعاهم إليه

( الفصل الثاني في شروط وجوب الحج ومحة أركانه وواجباته ومحظوراته )

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم نفسه إن كان عبداً ويحرم عنه وليه إن كان صغيراً ويعمل به ما يعمل في الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكواً على النكاح أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال بغيره لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فإن أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا الشاة وتشرط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج فلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف (\*) ثم التذرع ثم الثياب ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطاً بالزومه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فتوعان : أحدهما الباشرة وذلك له أسباب ، أما في نفسه فبالصحة ، وأما في الطريق فبأن تكون خضبة آمنة بلا عر محط ولا عدو قاهر ، وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وأن يملك ما يقضيه ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثاني فاستطاعة العضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب زاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزم من صار به مستطيعاً ولو عرض ماله لم يصربه مستطيعاً لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصياً بترك الحج وكان الحج في تركه يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الأمصار يضرب الجوزية على من لم يحج عن يستطيع إليه سبيلاً وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلاً غنياً وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصلياً عليه وبضمهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل - رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فبا تتركه - وقال : الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة : الإحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المهيورة بالهمم ست الاحرام من اليقات فمن تركه وجاوز اليقات محلاً فعليه شاة والرمي فيه الهمم قولاً واحداً وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والبيت بمزدلفة والبيت بنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجبر تركها بالهمم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة

(\*) قوله في حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرق وهي أظهر فإن الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج أنصرف حجه لقضاء ولا يجزئه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى محو الملائق الشفلة وهجموا بالنفوس على معاقبة الحذر وتجرعوا امرارة للكابدة وصدقوا الله في الباعلة وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم اللصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا همهم عن التلفت إلى مذكور سوى ولهم غياحية الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال . وقال الواسطى رحمه الله تعالى حياتها تصفينا عن كل معلول لفظاً وفصلاً وقال بعضهم استجيبوا لله بسراركم وللرسول بطواهركم حياة النفوس بتأدية الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة النيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير وقال ابن عطاء في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه : أولها إجابة التوحيد . والثاني إجابة التحقيق . والثالث إجابة التسليم

الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتذر وأفضل الحل لأحرام العمرة الجعرة أنه ثم التمتع ثم الحديبية وليس على الفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القرآن وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتدرج العمرة تحت الحج كما يدرج الوضوء تحت الفسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسيحسب محسوب من التفتين وأما طوافه فقبر محسوب لأن شرط الطواف القرص في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الليقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فإن لم يجد فسيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تاتيا أو متفرقا وبدل دم القرآن والتمتع سواء والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القرآن . وأما محظورات الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسر اويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء وتلين فان لم يجد تلعين فكممين فان لم يجد إزارا فسر اويل ولا بأس بالمنطقة والاستغلال في المحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان إحرامه في الرأس وللرأة أن تلبس كل عحيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يمسده العتلاء طيبا فان تطيب أو لبس فليده دم شاة . الثالث الخلق والقلم وفيها القدية أغنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والقصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس مقدمات الجماع كالقبلة وللإماسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناة ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينقض . السادس قتل صيد البر أغنى ما يؤكل أو هو متوله من الحلال والحرام فان قتل صيدا فليده مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

( الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل )

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الاحرام وهي ثمانية

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد للظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ورد ما عسده من الودائع ويستحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لدهابه وإيابه من غير تقصير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكرت فليظهر للسكري كل ما يريد أن عمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرفيق : ينبغي أن يلتزم رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن ضاع صدره صبره ويودع رفقاه القيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فان الله تعالى جاعل في أدعيتهم خيرا . والسنة في الوداع أن يقول : أسودع الله دينك

( الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة )

والرابع إجابة التقريب  
فلاستجابة على قدر  
السمع والسمع من  
حيث الفهم والفهم على  
قدر المعرفة بقدر  
الكلام والمعرفة بالكلام  
على قدر المعرفة والعلم  
بالتكلم ووجوه الفهم  
لا تنحصر لأن وجوه  
الكلام لا تنحصر قال  
الله تعالى - قل لو كان  
البحر مدادا لكلمات  
ربي لنفد البحر قبل  
أن تنفذ كلمات ربي -  
فقد تعالى في كل كلمة  
من القرآن كتاباته التي  
ينفذها البحر دون نقادها  
فكل الكلام كلمة  
نظرا إلى ذات التوحيد  
وكل كلمة كلمات نظرا  
لسمة الصلح الأزلي .  
حدثنا شيخنا أبو  
النجيب السهروردي  
قال : أنبأنا الرئيس  
أبو علي بن نهان قال  
أنا الحسن بن شاذان  
قال أنا دعلج بن أحمد  
قال أنا أبو الحسن  
ابن عبد العزيز  
البغوي قال أنا أبو  
عبيد بن القاسم بن  
سلام قال حدثنا  
حجاج عن حماد بن

وأما تذكروا خواتيم عملك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت » (٢) . الثالثة في الخروج من الدار : ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أو لا يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من وعاء السفر وكآبة للقلب وسوء للنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقاءك فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجائي فاكفني ما أمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عزجارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه . الخامسة في الركوب : فإذا ركب الرحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا المنقلبون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع أموري عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فإذا استوى على الرحلة واستوت تحته قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور . السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحمي النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال ﷺ « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار » (٣) وليقل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على للنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جبرن أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أصرف عني شر شرارهم فإذا نزل النزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالله وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة في الحراسة : ينبغي أن يعتاط بالنهار فلا

سلمة عن علي بن زيد عن الحسن برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع » قال قلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو سعيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو سعيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أولها قوم يعملون بها فالمطلع للسمد يسعد إليه من معرفة علمه فيكون للطالع القهم يفتح الله تعالى من كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة

(١) حديث استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك دت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكفنه (٣) حديث عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة في اللوطا من حديث خالد بن معدان مرسل .



بما أخبر الله تعالى  
عن غضبه على قوم  
وعقابه أيام فظاھر  
ذلك إخبار عنهم  
وباطنه عظة وتنبیه  
لمن يقرأ ويسمع من  
الأمّة وقيل ظاهره  
تنزيه الذي يجب  
الإيمان به وباطنه  
وجوب العمل به وقيل  
ظهره تلاوته كما أنزل  
قال الله تعالى - ورتل  
القرآن تریلا وبطنه  
التدبیر والتفکر  
فيه قال الله تعالى -  
كتاب أنزلناه إليك  
مبارک لیدبروا آیاته  
ولیتذکروا لولئالآباید  
وقيل قوله لكل  
حرف حد أي في  
السلامة لا يجاوز  
الصحف الذي هو  
الإمام وفي التفسير  
لا يجاوز للسموع  
القول وفرق بين  
التفسير والتأويل  
فالتفسير علم نزول الآية  
وشأنها وقصتها  
والأسباب الذي نزلت  
فيها وهذا محظور على  
الناس كافة القول فيه  
إلا بالسمع والأثر وأما  
التأويل فصرف الآية

ينبغي منفردا خارج القافة لأنه ربما يتنال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل اقترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يؤت من الصلاة أفضل بما يناله من الحج والأجب في الليل أن يتنابؤ الرقيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فان قصد عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمودتين وليقل بسم الله ملجأ الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستخت بالحى الذي لا يموت اللهم احرمنا بينك التي لا تنام واكنفنا بركتك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت تبتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما علا نشرا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبوح ومهما خاف الوحشة في سفره قال : سبحان الله لللك القدوس رب اللالك والروح جللت السموات بالعزة والجبروت .

( الجلفة الثانية في آداب الاحرام من اللقات إلى دخول مكة وهى خمسة )

الأول : أن يتنسل وينوى به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى اللقات للشهور الذي يحرم الناس منه ويثم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة . الثانى : أن يغارق الثياب الخبيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل وبطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام ، قد روى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام بما كان استعماله قبل الاحرام (٣) الثالث : أن يصبر ببدليس الثياب حتى تنبت به راحلته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فمذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفرادا كما أراد ويكون مجرد النية لا تعقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك ليك إن الحمد والنعمة لك ولللك لا شريك لك وإن زاد قال ليك وسعديك والخير كله يديك والرخاء إليك ليك بحجة حقاً لعبدا ورضا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . الرابع : إذا انتقد إحرامه بالتلبية للذكورة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعنى على أداء فرضه وقبله مني اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدهك واتبوا أمرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام في أول الليل اقترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه في كفه أحمد في في الثمائل من حديث أنى قتادة بإسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقي والحيدى إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تنابؤ الرقيقين في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر حق من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه قال الأنصارى للمهاجرى أى الليل أحب إليك أن أكنيكه أوله أو آخره فقال بل أكنفى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث . حديث عند أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى (٣) حديث رؤية ويض للمسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى ويض للمسك الحديث .

فيسرلى أداء مانويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس الخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها . الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب وزول رافعا بها صوته بحيث لا يسمع حلقه ولا يفسر فانه لا ينادى أصم ولا غابيا<sup>(١)</sup> كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في للساجد الثلاثة فانها مظنة الناسك : أعني السجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد المقات وأما سائر الساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قال « ليك إن العيش عيش الآخرة »<sup>(٢)</sup> .

( الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة )

الأول أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة . والاختصاصات المستحبة السنوية في الحج تسعة . الأول : للاحرام من اللقيات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جمره العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد غسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على النار وأمن من عذابك يوم تبعث عبادك واجلني من أولائك وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها<sup>(٣)</sup> فالتأسي به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والأولى هي العليا . الرابع : إذا دخل مكة واتى إلى رأس الردم فعنده يقع جهره على البيت فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت إذا الجلال والاكرام اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمه وشرفه اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك وأعزني من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شعبة وليقل : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ووليع بيدك وليقل اللهم إني أسألك في مقامى هذا في أول مناسكى أن تقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جنتك أطلب رحمتك وأعألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب لمرضاتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أماننى أديتها وميثاقى وفيتها

(١) حديث إنكم لاتأدون أصم ولا غابيا متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شيء قال : ليك إن العيش عيش الآخرة الشافعي في للسند من حديث مجاهد مرصلا نحوه ولحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف جرفات فلما قال ليك اللهم ليك قال إنما الخبر خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالبطحاء الحديث .

إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ماذا كرهناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام معرض لكل طالب صاحب همة أن يصنى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فلم يوفى بكمال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيق وله بكل فهم عمل جديد فقههم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فمن

اشهدلى بالموافاة فان لم يستطع التقييل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيصل معهم ثم يطوف .

(الجملة الرابعة في الطواف)

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لتكراره فينبغي أن يراعى أموراً ستة : الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والحج في الثوب والبدن والسكان وشتر البويرة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطجع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجمل وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبيه الأيسر فيرخي طرفا رداءه ظهره وطرفاً على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويستغل بالأدعية التي سذكرها . الثاني : إذا فرغ من الاضطجاع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتبع عنه قليلاً ليكون الحجر قدماه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل يمينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قرياً من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الأسود قد يصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يتبدى الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام المائدة بك من النار وعند ذكر المقام يشير بيته إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحى ودمى على النار وآمئني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والتفارق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء النظر في الأهل والمال والولد فاذا بلغ البرزاق قال اللهم أظننا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم استغنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شرية لا أظلم بعدها أبداً فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجاباً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً ونجاة لمن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فاذا بلغ الركن اليمني قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليمني والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي رحمتك أعوذ بك من هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمي في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخرى على الهيئة المعتادة ومعنى الرمي الإسراع في المشي مع تقارب الخطأ وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والقصد منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمي مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمي والاضطباع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمي فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال لشركون إنه يقدم عليكم قوم قدوهنهم حتى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرموا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع

الفهم علم ومن العلم عمل  
والعلم والعمل يتناوبان  
فيه وهذا العمل آتفا  
إنما هو عمل القلوب  
وعمل القلوب غير عمل  
القلب وأعمال القلوب  
لطقها وسداقها  
مشاكله للعلوم لأنها  
نيات وطويات  
وتطقات روحية  
وتأديت قلبية  
ومسامرات سرية وكلا  
أتوا بعمل من هذه  
الأعمال رفع لهم علم  
من العلم وطلعوا على  
مطلع من فهم الآية  
جديد وبخارج سرى  
أن يكون للطلع ليس  
بالوقوف بصفاء الفهم  
على دقيق المعنى وغامض  
السرى في الآية ولكن  
المطلع أن يطلع عند  
كل آية على شهود  
التكلم بها لأنها  
مستودع وصف من  
أوصافه ونعت من  
نعمته فتجدد له  
التجليات بتلاوة الآيات  
وسماعها وبصير له  
مراء منبئة عن عظيم  
الجلال ولقد نقل عن  
جعفر الصادق رضي  
الله عنه أنه قال لقد

فليخرج إلى حاشية اللطاف وليرمل ثلاثاً ثم يقرب إلى البيت في الزدحم وليجش أربعا وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منعه الرحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن الباقى يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن الباقى (١) وقبله (٢) ويضع خده عليه (٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقيل واقتصر في الركن الباقى على الاستلام أغنى عن اللبس باليد فهو أولى : الخامس إذا تم الطواف سبعا فليأت للترزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزم بالبيت ولينطق بالأستار ويلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعنتى رقبتي من النار وأعنتى من الشيطان الرجيم وأعنتى من كل سوء وقمضى بما رزقتى . وبارك لى فما أتيتنى اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا للوضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا للوضع يقول لمواليه تحوا عنى حق أقر لربى بذنوبى . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصل خلف اللقائم ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهري مضت السنة أن يصل لكل أسبوع ركعتين (٤) وإن قرن بين أسايح وصل ركعتين جاز (٥) . قل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسرى اليسرى وجنبني اليسرى واغفر لى فى الآخرة والأولى واعصنى بأطافك حق لأعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبني مضايك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم جيبنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكها هديتى إلى الاسلام فثبتنى عليه بأطافك وولايتك واستمعنى لطاعتك وطاعة رسولاك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف

فروى ذلك وصححه من حديث عمر قال فم الزمان الآن والكشف عن لناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا نضع شيئا كنا نضعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن الباقى متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا الباقين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركعتين الباقين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتممت البيت معه استلم الركن (٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك والبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه وقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن الباقى قبله (٣) حديث وضع الحدة عليه قطك من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن الباقى الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعه الجمهور (٤) حديث الزهري مضت السنة أن يصل لكل أسبوع ركعتين ذكره ح تلقيا السنة أفضل لم يظف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصل خلف اللقائم ركعتين (٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسايح ابن أنى حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس فيها صلاة ورواه علق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث ابن هزيمة

نجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لا يصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود التكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خير مفسها عليه وهو فى الصلاة فسل عن ذلك فقال ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من التكلم بها فالصوفى لما لاح له نور ناضية التوحيد وألقى صممه عند صمغ الوعد والوعيد وقبله بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضر اشهدا يرى لسانه أو لسان غيره فى التسلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أحسمه الله منها خطابه إياه بأنى أنا الله فإذا كان صمغه من الله تعالى واستماعه إلى الله صار صممه بصره وبصره صممه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١) » وهذه كيفية الطواف والواجب من جلته بمشروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يتبدى بالحجر الأسود ويحمل البيت على يساره وأن يطوف داخل للمسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحبر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها تفرقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهنات .

## ( الجلفة الخامسة في السعي )

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذة الضلع الذي بين الركن الثاني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة (٢) . وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحذنة فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين اللروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا يبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا للهدى بحمامه كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من اللبث ويخرج اللبث من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - اللهم إني أسألك إعانة دائما ويقينا صادقا وعلمنا نافعنا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك العفو والعافية والمعاقة الدائمة في الدنيا والآخرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم يزل ويتبدى السعي وهو يقول . رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هيئة حتى ينتهى إلى الليل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا زل من الصفا وهو على زاوية للسجدة الحرام فاذا بقى بينه وبين محاذة الليل ستة أذراع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الليل الأخضر ثم يعود إلى الهيئة فاذا انتهى إلى اللروة صعدا كاصد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا واللروة فاذا فعل ذلك قد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سفتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغي أن لا يبعد السعي بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن ثم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

وزاد ثم صلى لسلك أسبوع ركعتين وفي إسنادها عبد السلام بن أبي الجيوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ون . من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظه . وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة والبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة أنى الصفا فصلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب الذر بقوله - ألت بربكم - فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب في الأصلاب وتنقل إلى الأرحام قال الله تعالى - الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين - يعنى قلب ذرتك فى أصلاب أهل السجود من آياتك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلماتها بالثقل فى الأطوار فاذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقى فى رتب التزكية والتجلي حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى قضاء القسرة ويزال عن بصيرته النافقة سحج الحكمة فيصير معاه - ألت بربكم - كشفا وعيانا وتوحيدا وعرفانه تبياناً وبرهانا وتدرجاً له ظم الأطوار فى لوايح الأنوار . قال

## (الجملة السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند السكبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والبيت بها وبالندو منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذوقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى ملياً ويستحب له الشئ من مكة في التماسك إلى انقضاء حجه إن قدر عليه والشئ من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الوقف أفضل وأكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك ولجمك هذه الليلة بمنى وهو بيت منزل لا يتعلق به نسك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على بئر سار إلى عرفات ويقول: اللهم اجعلها خير غداة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأجدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فأجلى عن تباهي به اليوم من هو خير مني وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريباً من المسجد ثم ضرب رسول الله ﷺ قبته (١) ونمرة هي بطن عرنة دون الوقف ودون عرفة وليختل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقصد وأخذ المؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الوقف فليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدرة في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم الأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبلاً للقبلة راكباً وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والتناء على الله عز وجل والدعاء والتبوء ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على اللواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان التلطف في الحلال فهو الحزم وبه الأمن من القوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دماً لأجل القوات ثم يقضى العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء للمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعو به قليل لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبته من شعر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء للمأثور في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالتدقير وخيراً مما أقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبى ولك رب ترائي اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح وقال ليس بالقوي إسناده وروى المستنظري في الدعوات من حديثه بإطلى إن أكثر دعاء من قبل يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في صري نوراً وفي قلبي نوراً اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري

بعضهم أنا أذكر خطاب ألت بر بكم إشارة منه إلى هذا الحال فإذا عقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤبداً وصماعة متواليات متجدداً يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السامع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع إهمال التكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى التكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام سواك جعل القرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به . هذا تعلم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تعجل على الصحابة حتى تتدبر



معانيه حق تكون  
أنت أول من يخلص  
بنرائيه ومحابه وقيل  
كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إذا نزل عليه  
جبريل عليه السلام  
وأوحى إليه لا يقرأ من  
قراءة القرآن عفاة  
الافتلات والنسيان  
قهاه الله تعالى عن  
ذلك أي لا تجعل  
بقراءته قبل أن يفرغ  
جبرائيل من إلقائه  
إليك وقد تصحكون  
مطالعة العلوم وأخبار  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بمعنى السماع  
وبحسب الطالع للعلوم  
والأخبار وسير أهل  
الصلاح وحكاياتهم  
 وأنواع الحكم والأمثال  
 التي فيها نجاة من  
عذاب الآخرة أن  
يكون في ذلك كله  
متأدياً بأداب حسن  
الاستماع لأنه نوع من  
ذلك وكان القلب  
استمد بحسن الاستماع  
بالزهادة والتقوى حق  
أخذ من كل ما سمعه  
أحسنه فيكون أخذاً  
بالمطالعة من كل شيء  
أحسنه ومن الأدب

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي  
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليلق  
الله رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما تقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآتي  
وإليك ثوابي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك  
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائقي اللهم  
إني أعوذ بك من تحول حافيتك وجأة قمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في  
الآخرة والأولى ياخير مقصود وأسئ منزول به وأكرم مستول ماله به أعطني العشية أفضل ما أعطيت  
أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم يارفع الدرجات ومنزل البركات ويا طاهر الأراضين  
والسموات خبث إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار  
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلائي ولا يغني عليك  
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجع للشفق العترة بذنبه أسألك مسألة للسكين  
وأبتل إليك ابتهاك للذنب الدليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت  
لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك آفة اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بديعها ياخير  
السؤلين وأكرم للعطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لائم قسبي إلهي أخرست للعاصي لساني فإني  
وسيلة من عمل ولا أغفيع سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تنب لي عندك جأها ولا للاعتذار وجها  
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فأن رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك  
وسمت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولكنك صبور في جنب عفوك فاغفرها لي  
يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا ، أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى الغفرة إلهي إن كنت لا ترحم  
إلا أهل طاعتك فإني من يفرغ الذنوبون إلهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت إلى معصيتك  
قصدا فببهاك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجت  
عني وقرى إليك وغناك عني إلا غفرت لي ياخير من دعاء داع وأفضل من رجاء راج بحزمة  
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضى  
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فباعتيت إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمته فلا تحرمني الرجاء  
الذي عرفته إلهي ما أنت صانع العشية بعد مكر لك بذنبه خاشع لك بذلك مستكين بجرمه متضرع  
إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتل إليك في الغفوة عنه طالب إليك  
نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن  
فبرحمتك يهوز ومن أخطأ في خطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبمناذك أنحن وإياك أملنا وما عندك  
طلبنا وإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأنقال الذنوب هربنا  
وليبتك الحرام حبجنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعي ويامن  
ليس فوقه خالق يخشى يامن ليس له وزير يؤتي ولا حاجب يرشي يامن لا يزداد على كثرة السؤال  
الله إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وقته القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج  
في النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائقي اللهم اهدني بالهدى واسئ منزول به وأكرم مستول ماله به  
من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم إنك ترى  
مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلائي ولا يغني عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر  
الحديث إلى قوله ياخير للسؤلين وياخير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف  
وفي بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقبدا بموقف عرفة .



إلا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا اللهم إنك جعلت لكل ضيف قري ونحن  
أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية  
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك  
زلفى ولكل متوسل إليك عفوا وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه الشاعر العظام وشهدنا هذه  
الشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا إلهنا تابعت النعم حتى اطمانت الأضراس بتابع نعمك  
وأظهرت المبر حتى نطق الصوامت بحجتك وظاهرت للنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك  
وأظهرت الآيات حتى أقصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك  
وعنت الوجوه لعظمتك إذا أنشأت عبادك حلت وأمهلت وإن أحسنوا تفضلات وقبلت وإن عصوا  
سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبلنا إليك قربت وإذا  
وليناعنك دعوت إلهنا إنك قلت في كتابك للبين الحمد خاتم النبيين - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم  
ما قد سلف - فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا نشهد لك بالتوحيد محبتين ولحمد  
بالرسالة مخلصين فاعفولنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أحسن من حظ من دخل  
في الإسلام إلهنا إنك أحبيت التقرب إليك بتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالفضل  
فاعتقنا وإنك أمرتنا أن تصدق على قهرائنا ونحن قهرأؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا  
بالغو عن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا  
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الحضرة عليه  
السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشبهه عليه الأصوات يا من  
لا تفلطه السائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يرميه إلحاح اللعين ولا تنجسه مسألة السائلين أذنا  
برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليمع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلج  
في الدعاء وليعظم المسئلة فإن الله لا يتعاطى شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو برفة الله لا ترد الجميع من  
أجبي وقال بكر الزرقاني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم .  
( الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والخلق والطواف )

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجنب وجيف الحيل  
وإيضاع الأبل كما يتأده بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الحيل وإيضاع  
الأبل وقال : اتقوا الله وسروا سيراجيلا لا تطشوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما (١) فاذا بلغ الزدلفة اغتسل لها  
لأن للزدلفة من الحرام فليدخله بنسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم  
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ للزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة  
نسألك حوائج مؤتلفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكففته ثم يجمع بين القرب والعشاء  
بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة للقرب والعشاء والوتر  
بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك النوافل في السفر خسران  
ظاهر وتكليف لإفعاها في الأوقات لإضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدي  
النوافل مع الفرائض بتمام واحد بحكم التبعية فبأن يحوز أدائها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الحيل وإيضاع الأبل نك وصحه من حديث أسامة بن زيد  
عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الأبل وقال لك ليس البر بإجفاف الحيل والإبل  
ولبخارى من حديث ابن عباس فإن البر ليس بالإيضاع .

في المطالعة أن العبد إذا  
أراد أن يطالع شيئا  
من الحديث والعلم يعلم  
أنه قد تكون مطالعة  
ذلك بداعية النفس  
وقلة صبرها على الذكر  
والتلاوة والعمل  
فتسروح بالمطالعة  
كما تسروح بمجالسة  
الناس ومكالمهم  
فليتفقد للتفطن نفسه  
في ذلك ولا يستعمل  
مطالعة الكتب إلى حد  
يأخذ ذلك من وقته  
ويراعى الإفراط فيه  
فاذا أراد مطالعة  
كتاب أو شيء من العلم  
لا يسادر إليه إلا  
بعد التثبت والانابة  
والرجوع إلى الله تعالى  
وطلب التأيد من  
رحمة الله تعالى فيه  
فانه قد يرزق بالمطالعة  
ما يكون من مزيد  
حاله ولو قدم الاستغارة  
لذلك كان حسنا فإن  
الله تعالى يفتح عليه باب  
الفهم والتفهيم موهبة  
من الله زيادة على  
ما يقين من صورة  
العلم فله علم صورة ظاهرة  
وسرى باطن وهو الفهم  
والله تعالى به على

هذا مفارقة التفل للفرض في جواز أدائه على الراحة لما أوأنا إليه من التبعة والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نيك ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت عليه دم وإحياء هذه الليلة التبريخ من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا انتصف الليل أخذ في التأهب للرحيل ويزود الحصى منها فقيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغسل بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى للشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق للشعر الحرام والبيت الحرام والشعر الحرام والركن والقام أبلغ روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادي محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راجلا أسرع في الشيء ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواقع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي إلى جملة العقبة وهي على عين مستبيل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابتك واتباعا لسنة نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له محاصنين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح نفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة وأفضل من مشاركة سنة في البدنة والبقرة والضأن أفضل من العز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الأضحية الكبشى الأقرن والبيضاء أفضل من البراء والسوداء»<sup>(١)</sup> وقال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحية من دم سوداوين «ليأكل كل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالرجاء والجذعاء والضباء والجرعاء والشرعاء والحرعاء واللقابة والمدايرة والعجاء والجذع في الأنف والأذن للقطع منهما والضبيب في القرن وفي قصان القوائم والشرعاء للشقوقة الأذن من فوق والحرعاء من أسفل والمقابلة المحروقة الأذن من قدام والمدايرة من خلف والعجاء المهزولة التي لا تنقي أي لامخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بتقديم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بهاسيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصبع يستحب له إمرار الموصى على رأسه ومعه ما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحله كل المحظورات إلا النساء والعيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كإصغاف وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبق مقيدا بعلقة الاحرام فلا نحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

شرف القهم بقوله  
- قهمناها سليمان  
وكلا آتيناهما كواطلا-  
أشار إلى القهم بمزيد  
اختصاص وتبزيز عن  
الحكم والعلم قال الله  
تعالى - إن الله يسمع  
من يشاء - فإذا كان  
للسمع هو الله تعالى  
يسمع تارة بواسطة  
اللسان وتارة بما يرقى  
بمطالمة الكتب من  
التيان فصار ما فتح  
الله تعالى بمطالمة  
الكتب على معنى  
ما يرقى من السموع  
يركة حسن الاستماع  
ليتققد البسده حاله  
في ذلك وتعلم علمه  
وأدبه فانه باب كبير  
من أبواب الخير وعمل  
صالح من أعمال للشايع  
والصوفية والطهارة  
الزاهدين التبتلين  
لاستفتاح أبواب  
الرحمة وللمزيد من كل  
شئ ينفع سلوك الأخيرة  
[الباب الثالث في بيان  
فضيلة علوم الصوفية  
والإشارة إلى آموذج  
منها]

حدثنا شيخنا شيخ  
الاسلام أبو النجيب

مع الركنين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركنين فليستع كاو صفنا إن لم يكن سمي بعد طواف القدوم وإن كان قد سمي قد وقع ذلك ركنًا فلا ينبغي أن يبعد السعي . وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة قد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع التبع ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للإمام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ ففي الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر (١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها غيب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فاتها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القدر لأن الناس في غدقرون بمنى ولا ينفرون فإذا أصبح اليوم الثاني من الصلوات الشمس اغتسل الرمي وقصد الجمرة الأولى التي على عرفة وهي على عين الجادة ويرمي إليها بسبع حصيات فإذا تمداها انحرف قليلا عن عين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودما مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على السماء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كرمي الأولى ويقف كواقف الأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي بها ولا يبرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمي في هذا اليوم إحدى وعشرين حصة كاليوم الذي قبله ثم هو غير بين للقيام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلاشيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه البيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحدًا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك البيت والرمي إراقة دم وليتصدق بالهجم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الإمام في مسجد الحيف فإن فضله عظيم فإذا أقاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة (٣) فهو السنة رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فأن لم يفعل ذلك فلاشيء عليه .

( الجلمة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع )

من أراد أن يستمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ومحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجمرات ثم التنعيم ثم الحديبية ونوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل للمسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كاو صفنا فإذا فرغ حلق رأسه وقد

غريب وغفير يضعف في الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخ من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقه خ ووصله من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت بمنى د في الراسل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسندت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأن داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقوده رقدة مخ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث .

السهروردى رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السوفى قال أنا عبد الرحمن ابن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال حدثنا يعين بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال «لا تسألوني عن الشر وسألوني عن الخير » يقولها ثلاثا ثم قال «إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خير العلماء » فالعلماء أدلاء الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية وبقايا ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الله الحنيفة وحملة عظيم الأمانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوى وأحوج

تنت عمرته والقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتبار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل  
ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم  
فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيتي فكيف أراها أهلا لأن أطأ بهما بيت  
ربي وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق يد من غير استئابة  
إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع ويلق الله أجمله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين  
والعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له » (١) « أى يشفي ما قصده به .  
( الجملة التاسعة في طواف الوداع )  
مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليجز أو لا أشغاله وليشدر حاله وليجعل  
آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه  
صلى ركعتين خلف التمام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويضرع ويقول اللهم إن البيت  
بيتك والمبدع عبدك وابن عبدك وابن أمك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك  
وبلقتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضية عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن  
قبل تباعدى عن بيتك هذا أو أن انصرفي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك  
ولا عن بيتك اللهم أمهني العافية في بدني والصحة في ديني وأحسن من قلبي وارزقني طاعتك أبدا ما بقيتني  
وأجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام  
وإن جعلته آخر عهدي فهو ضئي عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .  
( الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها )  
قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي » (٢) وقال عليه السلام « من وجد سعة  
ولم يغد إلى قد جفاني » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله  
سبعائة أن أكون له شفيعا » (٤) فمن قصد زيارة للمدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه  
كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار  
وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليفعل قبل الدخول من بر الحرة ولينظف ويلبس أنظف ثيابه فإذا  
دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني  
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بمجنب التبر ركعتين ويجعل  
عمود التبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبة  
المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجهد أن يصلي في المسجد  
(١) حديث ماء زمزم لما شرب له من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک  
من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن  
القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد  
ابن هشام الروزى (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني  
من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يغد إلى قد جفاني ابن عدى والدارقطني في  
غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم  
يزرنى قد جفاني وذكره ابن الجوزى في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث  
أنس مامن أحدهم أمي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لايهمه إلا  
زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

العباد إلى الزهد  
في الدنيا لأنهم  
يحتاجون إليها أنفسهم  
ولغيرهم فسادهم فساد  
متعد وصلاحيهم صلاح  
متعد . قال سفيان  
ابن عيينة : أجهل  
الناس من ترك العمل  
بما يعلم وأعلم الناس  
من عمل بما يعلم  
وأفضل الناس أخشعهم  
لله تعالى وهذا قول  
صحيح يحكم بأن  
العالم إذا لم يعمل بعله  
فليس ب عالم فلا يترك  
تشدقه واستطائه  
وحذائته وقوته في  
المنافرة والمجادلة فانه  
جاهل وليس بعالم إلا  
أن يتوب الله عليه  
بركة العلم فان العلم  
في الاسلام لا يضيع  
أهله ويرجى عود  
العالم ببركة العلم والعلم  
فريضة وفضيلة  
فالفرضة ما لا بد  
للإنسان من معرفته  
ليقوم بواجب حق  
الدين والفضيلة ما زاد  
على قدر حاجته مما  
يكسبه فضيلة في النفس  
مواقفة للكتاب  
والسنة وكل علم

الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولأن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا بني الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا قاب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك يا أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كما ذكرك الله اكرون وكما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ماصلى على أحسن خلقه كما استغفرك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبد مودود رسول الله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق رضي الله عنه ويقول السلام عليك يا وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزا كما الله خير ما جزى وزير نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل ولیمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إني قد قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لو جدوا الله توأما راحبا - اللهم إنا قد صمنا قولك وأطعنا أمرنا وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما نقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا متعزين بخطايانا وقصيرنا كتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفضنا بمنزلة عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعل آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصل على فياركتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » (١) ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم يديه الكرمتين إذا جلس شبرا وأصبعان .

لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كانتا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزاد الانسان به هوانا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يبع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم للشمس قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا جعفر بن عامر السكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو حاتم عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو باليمين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

أن يأتي أحدا يوم الخميس ويזור قبور الشهداء فيصلى الفداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويזור قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ويصل في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويזור قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية حمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصل فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصل فيه كان له عند حمزة (١) ويأتي بئر أريس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويحرب من ماتها (٢) ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد وللشاهد ويقال إن جميع للشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويقتل منها (٣) وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أسكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصل فيه كان عند حمزة النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في بئر أريس لم أتف له على أصل وإنما ورد أنه نزل في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويقتل منها وهي سبعة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئر حرا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث . وحديث بئر حرا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة غخلا وكان أحب أمواله إليه بئر حرا وكانت مستقبلة للمسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويحرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بهاء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن ، وفي رواية لها هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا باتن فابتعتها ففعلتها لغني والفقير وابن السيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الأسدي قال لما قدم المهاجرون للمدينة استنكروا للباء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن جابر في الثقات من حديث أنس أنه قال اتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقلت حسن والطبراني من حديث أبي أسيد بنقي النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروينا أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كأن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخدم النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تحرب مباني الاخلاص للمأمور به فصار علم ذلك فريضة حيث كان الاخلاص فريضة وما لا يصل العبد إلى القرض إلا به صار فريضة وهم بعضهم معرفة الحواطر وتفصيلها فريضة لأن الحواطر هي أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فريضة حتى يصح الفعل من العبد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل ابن عبد الله هو طلب



قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وعدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فاستحب أن يأتي القبر الشريف ويصعد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يسلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زينت للقصور في السجد فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعل آخر العهد بتييك وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهل ووطنى سالما بأرحم الراحمين وليصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع للساجد التي بين المدينة ومكة فيصل فيها وهي عشرون موضعا .

( فصل في سنن الرجوع من السفر )

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » وفي بعض الروايات « وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبى أن يستعمل هذه السنة في رجوعه وإذا أشرف على مدينته يحرك الله ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئنة فذلك هو السنة (١) ولا يبنى أن يطرق أهله ليلا فإذا دخل البلد فليقصد للسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة (٢) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا أوبا لا يخادر علينا حوبا فإذا استقر في منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أنس بن مالك عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرًا فخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة برأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بثر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحب له من بيوت السقيا زاد الزبار في مسنده أو من بثر السقيا ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوني بوضوء فلما توضأ قام الحديث . وأما بثر جمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم أميل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بثر جمل الحديث وصله خ وعلقه م وللشهور أن الأبار بالمدينة شعبة وقدرى الدارمي من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبا على صبيح قرب من آبار شق الحديث وهو عند دخ دون قوله من آبار شق (١) حديث لا يصبر على لأوائها وعدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة تقدم في الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومازاده في آخره في بعض الروايات من قوله وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه الحاملى في الدعاء بأسماء جليل (٤) حديث إرسال للسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئنة لما جديقه ذكر الإرسال وفي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كي نغتسل الشمة ونستحب للنية (٥) حديث صلاة ركعتين في السجد عند القدوم من السفر تقدم في الصلاة .

علم الحال يبنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى في دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتب بالصحة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد القربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقوهم بطريقهم ويرشد هم بهم فهم وراث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فى شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملا يجعل ما لله عليه فى ذلك فلا يجوز له أن يحصل برأيه



ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى النفقة والهوى والحوض في المعاصي لما ذلك علامة الحج للبرور بل علامته أن يعود واحدا في الدنيا راضيا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

( الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة )

( بيان دقائق الآداب وهي عشرة )

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتكبير شعاثه وقد روى في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للزفة وأغنيائهم للتجارة وقراؤمهم للسمعة وقراؤمهم للسمعة (١) » وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصور أن تصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسباب إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج فقيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده القيام بمكة ولم يكن له ما يملئه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الوصي بها وللنفذ لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لأهل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يعمل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجرا فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يفرق في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرا (٣) » فمن كان مثله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى لتيسر لها الأرضاء بتلييس حالها عليهم . الثاني : أن لا يساو أعداء الله سبحانه بتسليم المكسوم والصادق عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأهراب للقرصدين في الطريق فان تسليم المال إليهم إغانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالإغانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إغانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الاقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين يذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قدم في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زى الفقراء لم يطالب فهو الذي ساقى نفسه إلى حالة الاضطرار . الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والافتاق من غير تقير ولا إسراف

( الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة )

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للزفة وأغنيائهم للتجارة وقراؤمهم للسؤال وقراؤمهم للسمعة الخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين فقال نصح أغنياء أمم للزفة وأوساطهم للتجارة وقراؤمهم للسمعة وقراؤمهم للرياء والسمعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الوصي بها وللنفذ لها ومن حج بها عن أخيه حق من حديث جابر بن عبد الله (٣) حديث مثل الذي يفرق ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرا ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن .

إذ هو جاهل بما له  
وعليه في ذلك فراجع  
علما يسأله عنه ليحييه  
على بصيرة ولا يعمل  
برأيه وهذا علم يجب  
طلبه حيث جهل .  
وقال بعضهم طلب علم  
التوحيد فرض لمن  
قائل يقول طريقه  
النظر والاستدلال  
ومن قائل يقول إن  
طريقه النقل . وقال  
بعضهم إذا كان العبد  
على سلامة الباطن  
وحسن الاستسلام  
والاقياد في الإسلام ولا  
يحيك في صدره شيء  
فهو سالم فان حاك في  
صدره شيء أو توسوس  
بشيء يقدح في العقيدة  
أو ابتلى بشبهة لا تؤمن  
غائلتها أن تجرّه إلى  
بدعة أو ضلالة فيجب  
عليه أن يستكشف  
عن الاشتباه ويراجع  
أهل العلم ومن يفهمه  
طريق الصواب . وقال  
الشيخ أبو طالب للكي  
رحمه الله هو علم  
القرائن الخمس التي  
بنى عليها الإسلام لأنها  
اقتضت على المسلمين

وإذا كان عملها فرضاً صار علم العمل بها فرضاً وذكر أن علم التوحيد داخل في ذلك لأن أولها الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلماً جهله وكل ما تقدم من الأقاويل أحكمها ما يسع للسلم جهله لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر للسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لمعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميل في هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

بل على الاقتصاد وأعلى بالاسراف التتم بأطياب الأطعمة والترفة بشرب أنواعها على عادة الترفين فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لا خير في السرف ولاسرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ثقيل له يا رسول الله ما بر الحج؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) الرابع: ترك الرفق والسوق والجidal كأنطق بالقرآن والرفق اسم جامع لكل لنو وخنى وخفى من الكلام ويدخل فيه مفازلة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المظهور والداعى إلى المظهور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجidal هو اللبالة في الخصومة والمارة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفیان من رقت فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمارة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسايرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كفى الأذى بل احتمال الأذى وقيل منى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه . الخامس: أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان الحاج للشئ بكل خطوة يخطوها سبعائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستجاب في الشئ في الناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق وإن أضاف إلى الشئ الاحرام من ديرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل - وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الاتفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبئ أن يفصل ويقال من سهل على الشئ فهو أفضل فان كان يضاف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كأن الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشى فيها أو يركبى حمرا بدم قال إن كان وزن الدرهم أثقل عليه فالركب أفضل من الشئ وإن كان الشئ أشد عليه كالأغنياء فالشئ له أفضل فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى الكارى عوضا عن ابتداء الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس وتقصان السالما ذكره غير بعيد فيه . السادس: أن لا يركب إلا زاملة أو الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعنر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان الحمل يؤذيه والثاني اجتناب زى الترفين والتكبرين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحت رحل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم » (٢)

(١) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل ما بر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحت رحل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم الترمذى في الثمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

طاف على الراحة لينظر الناس إلى هديه ومما لله (١) وقال صلى الله عليه وسلم «خذوا عني مناسككم» (٢) وقيل إن هذه الحامل أحدثها الحجاج وكان الطاء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال رزق من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زواجل وجوارقات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا عجلين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحمل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة فغته جوارق فقال هذا نعم من الحجاج. السابغ أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتفي ديوان التكبرين للترفيه ويخرج عن حزب الضعفاء والساكنين وخصوص الصالحين قد أمر صلى الله عليه وسلم بالشمث والاختفاء (٣) ونهى عن التتم والرفاهية (٤) في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث «إنما الحاج الشمث التفت» (٥) ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار يتي قد جاءوا في غشا غبرا من كل فج عميق (٦) وقال تعالى - ثم ليقضوا نفسهم - والتفت الشمث والافترا وقضاؤه بالخلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلو قلوبكم واخشو شئنا أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحبيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجنب الحمرة في زيهم على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روي أنه عليه السلام كان في سفر فزل أصحابه منزلا فسرحت الأبل فنظر إلى أكية حمر على الأتقاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم (٧) قالوا نعمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الأبل. الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي» (٨) ويستحب أن ينزل عن دابته غداة وعشية يروحها بذلك فهو سنة (٩) وفي آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكره بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيكون في حسنة ويوضع في ميزانه لافي ميزان للكارى وكل من آذى بهيمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشمث والاختفاء البغوي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشو شئنا واتصلوا وامشوا خفا وفيه اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد في النهي عن التتم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاء ولأحمد من حديث معاذ بن مالك والتتم الحديث (٥) إنما الحاج الشمث التفت ت. من حديث ابن عمر وقال غريب (٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار يتي قد جاءوا غشا غبرا من كل فج عميق الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فزل أصحابه منزلا فسرحت الأبل فنظر إلى أكية حمر على الأتقاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي أحمد من حديث سهل ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول عن الدابة غداة وعشية يروحها بذلك الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقال مشى قليلا وناقته تتقاد.

والطلاق إذا أراد الدخول فيه وهذا لعمري فرض على المسلم عليه وهذا الذي قاله الشيخ أبو طالب وعندى في ذلك حد جامع لطلب العلم للقرض والله أعلم. فأقول: العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم عسى الأمر والتهى وللأمر ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والتهى ما يثاب على فعله ويثاب على تركه وللأمرات والتهيات منها ما هو مستمر لازم للعبد بحكم الإسلام ومنها ما يتوجه الأمر فيه والتهى عند وجود الحادثة لها هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الإسلام عليه به واجب من ضرورة الإسلام وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والتهى فيه فعليه عند تجدد فرض لا يسع مسلما على الإطلاق أن يجهله وهذا الحد أعم من الوجوه التي سبقت والله أعلم. ثم إن

مالا تطيق طوبى به يوم القيامة . قال أبو النضر . ليعرله عند الموت يأبى البعير لا تخصمى إلى ربك فان لم أكن أحملك فوق طائتك وعلى الجملة في كل كبد حرى أجر فليراع حق الهداية وحق المسكاري جميعا وفي زوله ساعة تزوج الهداية وسرور قلب المسكاري . قال رجل لابن المبارك أحمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حق أستأمر الجمال فان قد اكترت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه إذا فتح باب التلذذ انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا . التاسع أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويحسد أن يكون من محبين النعم ونقيه وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى - ذلك ومن يعظم شعائر الله - إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من اللبقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده . ولترك المكاس في شرائه قد كانوا يفعلون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاء غنا وأغنى عند أهله وروى ابن عمر « أن عمر رضي الله عنهما أهدى نجيحة فطلبت منه بثلاثة دنانير فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعهما ويشتري بثمنها بدنا فتاه عن ذلك وقال بل أهدها (١) » وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود زكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بحال التعظيم فله عز وجل قلن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر المدد أو قل « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بار الحج فقال العج والتج (٢) » والعج هو رفع الصوت بالتلبية والتج هو نحر البدن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا (٣) » وفي الخبر « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « استنجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة » [١] . العاشر أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب

(١) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيحة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهما ويشتري بثمنها بدنا فتاه عن ذلك وقال بل أهدها أخرجه دوقال انحرها (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بار الحج فقال العج والتج واستغفبه و . وك وصححه والبرار واللفظ له من حديث أبي بكر وقال الباقر أي الحج أفضل (٣) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحديث وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال غ إن مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا . ك وصححه البيهقي من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفي رواية للبيهقي بكل قطرة حسنة قال غ لا يصح وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا من حديث علي أما إنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك بقولها لقاطمة .

[١] ( قوله استنجدوا الحج ) هذا الحديث لم يخرج في العراق وهو ليس في نسخة الشرح فله لم يكن في نسخة .

للشافع من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساق الجنة في طلب العلم للفتراض حتى عرفوه وأقاموا الأمور والتهى وخرجوا من عهد ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - فتح الله عليهم أبواب العلوم التي سبق ذكرها . قال بعضهم من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة إلا من أيد من الشهادات القوية والأنوار البينة والآثار الصادقة بالتبني يرهان عظيم كما قال تعالى - ولولا أن ثبتناك - ثم حفظ في وقت الشهادة ومشافهة الخطاب وهو للزينة بمقام القرب والمخاطبة على بساط الأنس محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله - فاستقم

ولا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل باخوانه الباطلين إخوانا صالحين وبمعالي الامور والفلة بمعالي الله كروا البقطة .  
( بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في التبة وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الانتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره )

اعلم أن أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق للسانه منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كالمسح في كل واحد من هذه الأمور ثم ذكره للتذكروعة للمعتبر وتنبية للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن فلنرمز إلى مفاتها حتى إذا افتتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالنزعة عن الشهوات والكشف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلة الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا الله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرّد لمباداة الله عز وجل وقرءوا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف (١) » يعني الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السامعين فقال هم الصائمون (٢) » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فحرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ونفسه مقصدا لعباده وجعل ما حواه حرما لبيته فخفا لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضع على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزويجه عن أن يشربه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأنهم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والترديد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكشف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياسة فقال بديلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبوداود ومن حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواه الطبراني بإسناد إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو واليهيقي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السامعين فقال هم الصائمون البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المحموظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كما أمرت - ولولا هذه القامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها . قيل لأبي خصم أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « استقيموا ولن تحصوا » وقال جعفر الصادق في قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - أي اقتصر إلى الله بصحة العزم ورأي بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . قال قلت يا رسول الله روى عنك أنك قلت شيئا سورة هود وأخواتها فقال نعم قال قلت له ما الذي شيك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات الشهادات خوطب بهذا الخطاب وطولب بمحافظ الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية القربون منحهم الله تعالى من

ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع قطع وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محله أنه فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الليل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرقي والاعتقاد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « لبيك بحجة حقا تبدا ورقا (١) » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الاعتقاد وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التبعيدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تخطت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره المجهول عن أسرار التبعيدات وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فاعلم ينبعث بعد الفهم والتحقيق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك قاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائره وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده للضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة القانية في دار الدنيا لا تنبأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستمد للاكتحال به تصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استمدت للنظر والإبصار ولكنها قصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن الحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فالحري أن يشتاق إليه لجود هذه الإضافة فضلا عن الطلب لئلا ما وعد عليه من الثواب الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه ببدا عن شوائب الرياء والسمة ولتتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من ألغى الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمة والقصد وغيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه واجتناب كل ما فيه رياء وسمة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فمنه رد اللطام والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلايه ينادى عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستبين به ومهمل له أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد المعاصي فرددك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك ففقد أوامره ورد للظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهره فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفره أو لا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان للسافر وماله على خطر إلا من وفى الله سبحانه ولتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر

(١) حديث لبيك بحجة حقا تبدا ورقا تقدم في الزكاة .

ذلك بقسط ونصيب ثم  
ألمهم طلب التهوؤ  
بواجب حق الاستقامة  
ورأوا الاستقامة  
أفضل مطلوب وأشرف  
مأمور .  
قال أبو علي الجورجاني  
كن طالب الاستقامة  
لا طالب الكرامات فان  
تفكك متحرك في طلب  
الكرامات وربك يطلب  
منك الاستقامة وهذا  
الذي ذكره أصل كبير  
في الباب وسر غفل  
عن حقيقته كثير من  
أهل السلوك والطلب  
وذلك أن المجتهدين  
والتبدين سموا بسير  
الصالحين للتقدمين  
وما منحوا به من  
الكرامات وخوارق  
العادات فأبدا نفوسهم  
لا تزال تتطلع إلى شيء  
من ذلك ويعجبون أن  
يرزقوا شيئا من ذلك  
ولعل أحدهم يتي  
منكسر القلب منهما  
لنفسه في حمة عمله حيث  
لم يكشف بشيء من  
ذلك ولو عدوا سر  
ذلك لمان عليهم  
الأمر فيه فيعلم أن الله  
سبحانه وتعالى قد



فتح على بعض  
المجاهدين الصادقين من  
ذلك بابا والحكمة  
فيه أن يزداد بما يرى  
من خوارق العادات  
وأثار القدرة يقينا  
فيقوى عزمه على  
الرهبة في الدنيا  
والخروج من دواهي  
الموت وقد يكون  
بعض عباده يكلف  
بصرف اليقين ويرفع  
عن قلبه الحجاب  
ومن كوشف بصرف  
اليقين اعتنى بذلك  
عن رؤية خوارق  
العادات لأن الراد منها  
كان حصول اليقين  
وقد حصل اليقين فلو  
كوشف هذا للرؤى  
صرف اليقين جبه  
من ذلك ما زاد يقينا  
فلا تفتنى الحكمة  
كشف القدرة  
خوارق العادات  
لهذا للوضع لاستغناء  
وتفتنى الحكمة  
كشف ذلك للآخر  
لوضع حاجته فكان  
هذا الثاني يكون أم  
استعدادا وأهلية من  
الأول حيث رزق  
حاصل ذلك وهو

والله للصبر فلا ينبغي أن يفضل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من  
موضع حلال وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير  
ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتكبر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ما عنده  
كما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند اللوث ويخونه فلا يبقى منه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول  
منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متغيرا محتاجا لاحيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى  
الآخرة لا تصحبه بعد اللوث بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التفتير . وأما الراحة : إذا  
أضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه  
الشفقة وليتذكر عنده للركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنابة التي يحمل عليها فان أمر الحج  
من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة فليستظر يصلح سفره على هذا للركب لأن يكون زاده لذلك  
السفر على ذلك للركب فما أقرب ذلك منه وما يدرى لعل اللوث قريب ويكون ركوبه للجنابة قبل  
ركوبه للجمل وركوب الجنابة مقطوع به وييسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاج في  
أسباب السفر للشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحته ويهمل أمر السفر للستيقن . وأما شراء  
ثوب الإحرام : فليتكبر عنده الكفن وله فيه فانه سير يندى ويتزرى ثوب الإحرام عند القرب  
من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن  
لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزي والمهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد  
اللوث إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه محيط كافي الكفن .  
وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر  
لا ضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ما ذابريد وأين توجه وزياره من قصد وأنه متوجه إلى ملك  
لللوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستهضوا قهضوا وقطعوا الملائق  
وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بقاء البيت  
عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى منام ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول  
والقبول لا إدبلا بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء  
لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته النية في الطريق لقي الله عز وجل  
وافدا إليه إذ قال جل جلاله - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع  
أجره على الله - . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك المقبات : فليتكبر فيها ما بين الخروج  
من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتكبر من هول قطاع  
الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات  
ومن انفراد عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله  
متزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل  
فارج أن تكون مقبولا واخش أن قال لك لا ليك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا  
وعن حولك وقوتك متبرعا وعلى فضل الله عز وجل وكرم متكللا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي  
عمل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته  
أصفر لونه واشتفض ووقفت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فقبل له لم لا تلبى قال أخشى أن يقال لي  
لا ليك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يجره ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد  
ابن أبي الخوارى كنت مع أبي سليمان الداراني رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا



فأخذته العشية ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرظلة بنى إسرائيل أن يقولوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم باللعنة وعك يا أحمد بلقي أن من حج من غير حله ثم لي قال الله عز وجل لا ليك ولا سمديك حتى ترد ما في يديك فإنا نؤمن أن يقال لنا ذلك ولتذكر الله عند رفع الصوت بالتلبية في الليقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة محيين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مقرين ومقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الليقات حيث لا يدرون آتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمناً وليرجع عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخشى أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً ومستحقاً للعقوبة وليكن رجاءه في جميع الأوقات غالباً بالكرم عظيم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وقمام المستجير اللانث غير مضيق . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تليينه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأفونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة القرينين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدىء الذكر إلا منه ولا تغتم إلا به كما يبتدىء الطواف من البيت وتغتم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة لقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت للعمود في السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم<sup>(١)</sup> والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء بيمينتك فمن غدر في البايعة استحق اللقت وقدرى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « الحجر الأسود بين الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه<sup>(٢)</sup> » . وأما التعلق بأستار الكعبة والاتصاف بالتمتع : فتسكن نيتك في الالتزام بطلب القرب حبا وغواقة البيت ولرب البيت وبركا بالمعاسة ورجاءا لتحسن عن النار في كل جزء من بدنك لاني البيت ولتسكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب الغفرة وسؤال الأمان كالمذنب التعلق بشباب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لاملح له منه إلا

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر بين الله في الأرض يصافح بها خلقه الحديث تخدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

سرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شيء من ذلك سبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة في الكرامة ثم إذا وقع في طريقه شيء من ذلك جازو حسن وإن لم يقع فلا يزال ولا ينقص بذلك وإنما ينقص بالاخلاق بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالين فاللهاء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التي أشار إليها للتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسفوح علم الخواطر وتفصيلها في باب إن شاء الله تعالى وعلم اليقين وعلم الإخلاص وعلم النفس ومعرفة ومعرفة أخلاقها وعلم النفس

إليه ولا منزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يغارق ذنبه إلا بالغفر وبذل الأمن في المستقبل . وأما السعي  
 بين الصفا والروة في فناء البيت : فانه يضاهي تردد المبد فناء دار الملك جانيا وذاهبا مرة بعد أخرى  
 إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري  
 ما انتهى يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن  
 يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ولينذكر عند تروده بين الصفا والروة تروده بين كفتي لليزان  
 في عرصات القيامة وليتل الصفا بكفة الحسنات والروة بكفة السيئات ولينذكر تروده بين الكتبتين  
 ناظرا إلى الرجحان والتقصان مترددا بين المذاب والنفران . وأما الوقوف بعرفة : فلا ذكر بما ترى  
 من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع القرى أمتهم في الترددات على للشاعر  
 اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطعمهم  
 في شفاعتهم وتخيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة  
 والابتهاال إلى الله عز وجل فتحضر في زمرة الفائزين للرحومين وحق رجاؤك بالإجابة فالوقوف شريف  
 والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العززة من أوتاد الأرض ولا  
 ينك للوقوف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب طائفا اجتمعت همهم  
 وتجردت للضراعة والابتهاال قلوبهم وارتفعت إلى اقتسبجانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت  
 نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه يغيب أملهم ويضيع سعيهم  
 ويدخر عنهم رحمة تفرمهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى  
 لم يفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هوسر  
 الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرا رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في  
 وقت واحد على صعيد واحد . وأما رمى الجمار : فاقصد به الاتقياد للأمر بإظهار الرق والعبودية واتهاضا  
 لمجرد الامتثال من غير حفظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له  
 إبليس لئنه الله تعالى في ذلك للوضع ليدخل على حبه شبهة أو يفتنه بمصيبة فأمره الله عز وجل  
 أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمه فان خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فذلك رماه وأما  
 أنا فليس يمرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترع زمك  
 في الرمي ويغيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد  
 والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر رمى الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة  
 رمى به وجه الشيطان وتقصم بظهره إذ لا يحصل إرغام الله إلا بالامتثال أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما  
 له بمجرد الأمر من غير حفظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم  
 الامتثال فأكل الهدى وأرج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار (١) فهكذا ورد الوعد  
 فكلمة كان الهدى أكبر وأجزاءه أو فركان فداؤك من النار أعم . وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك  
 على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته  
 وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه واجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله  
 عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزريه القامعين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع

(١) حديث أنه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءا من المصطفى من النار لم أقف له على أصله في كتاب  
 الضحايا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يفر لك ما تقدم  
 من ذنوبك بقوله لفاطمة وإسناده ضعيف .

أقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدمه العززة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته ووجل وتذكر مشبهه وتخطيه في سككها وتصور خضوعه وسكينته في الكى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حق قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمة ولو برفع صوته فوقه . ته . بذكر مامن الله تعالى به على الدين أدركو محبته وسعدوا بعشادته واستماع كلامه وأعظم تأملك على ما فاتك من محبة ومحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتك رؤيته في الدنيا وأنت من رؤيته في الآخرة على خطر وأنت ربما لاراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه بقوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بما دوسحقا <sup>(١)</sup> » فان تركت حرمة شريسته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته وليعظم مع ذلك رجاءك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ صحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتك رؤيته لما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بين الرحمة فإذا بلغت للسجد فاذا ذكر أنها المرساة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول السليين وأفضلهم عصاة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك المرساة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا للكان بأن يستدعى الحشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب السجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ففتنى عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلقى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لامس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ما تلاين يديه فكذلك فاضل فان للس والتفيل للشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يلفه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في العهد بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك قد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يلفه سلام من سلم عليه من أمته <sup>(٢)</sup> » هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه ولاكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريم وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا <sup>(٣)</sup> » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته يديه ثم اتى منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعت البية كأنها على المنبر وقد أحرق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحتم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق

(١) حديث يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بما دوسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد

(٢) حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يلفه سلام من سلم عليه من أمته من حب لك

من حديث ابن مسعود بلفظ إن الله ملائكة سياحين في الأرض يلفون عن أمي السلام (٣) حديث من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد  
وتعديده بما يلزم من  
ضرورته وما لا يندح  
في حقيقته ومعرفة  
الزهد في الزهد ومعرفة  
زهد ثالث بعد الزهد  
في الزهد وعلم الانابة  
والالتجاء ومعرفة  
أوقات الدعاء ومعرفة  
وقت السكوت عن  
الدعاء وعلم المحبة  
والفرق بين المحبة  
العامة الفسرة بامثال  
الأمر والمحبة الخاصة  
وقد أنكر طائفة من  
علماء الدنيا دعوى  
علماء الآخرة المحبة  
الخاصة كأنكروا الرضا  
وقالوا ليس إلا الصبر  
وانقسام المحبة الخاصة  
إلى محبة الذات وإلى  
محبة الصفات والفرق  
بين محبة القلب ومحبة  
الروح ومحبة العقل  
ومحبة النفس والفرق  
بين مقام المحب والمحبوب  
والتريد واليراد ثم علوم  
الشهادات كعلم المحبة  
والأنس والقبض  
والبسط والفرق بين  
القبض والمهم والبسط  
والنشاط وعلم الفناء  
والبقاء وتفاوت أحوال

في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والملم والخوف وأنه ليس يدري أقبل منه حبه وأثبت في زمرة المحبوبين أم ردت حبه وألحق بالمطرودين ولشرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد نجافيا عن دار النور وانصرفا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الصريح فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إلبس لونه الله فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوقعك أن يكون حظ من بفره العناء والتعب فمؤذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

ثم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

### ( كتاب آداب تلاوة القرآن )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل القدسي - لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حق اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار واتضح بمساوك النهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من النور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبارة قصمه الله ومن ابتغى العلم غير ما منه الله هو جبل الله التين ونوره اللين والمرودة الوثقى وللمتعمم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقض محابته ولا تنتهى غرائب لا يحيط بغوائمه عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة التردد هو الذي أُرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن تولوا إلى قومهم منذرين - قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فأمنابه ولن نشرك بربنا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون - ومن أسباب حفظ في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته وللواظبة على دراسته مع القيام بأدائه وشروطه والحفاظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتكشف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

( الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم القصرين في تلاوته )

( فضيلة القرآن )

قال عليه السلام « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من شفيح أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره (٢) »

( كتاب آداب تلاوة القرآن )

( الباب الأول في فضل القرآن وأهله )

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طيب من حديث عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ضعيف (٢) حديث مومن شفيح أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره روله عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم ومرسلا للطبراني من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فإنه يحيى يوم القيامة شفيحا لصاحبه .

القضاء والاستقرار  
واتجلى والجمع والفرق  
واللوامع والطوالع  
والبوادي والصحو  
والسكر إلى غير ذلك  
لواتسع الوقت ذكرناها  
وشرحناها في مجلدات  
ولكن الصغر قصير  
والوقت عزيز ولولا سهم  
الفضة لصاق الوقت  
عن هذا القدر أيضا  
وهذا المختصر للؤلؤ  
يحتوي من علوم القوم  
على طرف صالح نرجو  
من الله الكريم أن  
ينفع به ويجعله حجة  
لنا لا حجة علينا وهذه  
كلها علوم من ورثتها  
علوم عمل بمقتضاها  
وظفر بها علماء الآخرة  
الزاهدون وحزم ذلك  
علماء الدنيا الراغبون  
وهي علوم ذوقية  
لا يكاد النظر يصل إليها  
إلا بنوق ووجدان  
كالعلم بكيفية حلاوة  
السكر لا يحصل  
بالوصف لمن ذاقه  
عرفه ونبشك عن  
شرف علم الصوفية  
وزهاد العلماء أن العلوم  
كلها لا ينمذ تحصيلها  
مع حجة الدنيا والآخرة

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لأسنة تنطق بهذا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب السالكين » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « الله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته » (٩) الآثار : قال أبو أمامة الباهلي اقرءوا القرآن ولا تفرزكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يمتدح قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فاتروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف واليم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويسجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في يوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام قلت يارب ما أفضل ما تقرب به للتقربون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع

(١) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب السالكين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ النصف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى و ه ك من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قبل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث قد أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته ه حب ك ومحمه من حديث فضالة بن عبيد .

بحقائق التقوى وربما كان عبدة الدنيا عوناً على استكسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجلبت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعدد الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويسلكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فلم فضل علم علماء الآخرة حيث يكشف النقاب إلا لأولى الأبواب وأولو الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعه قط وقال الفضيل بن عياض  
 شئني لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلق فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج  
 الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع  
 من يسهو ولا يلتزم مع من يلتزم تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل  
 الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من شمر مصحفا حين يصلي الصبح قرأ منه مائة آية رفع الله  
 عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم . وقال اقرأ على القرآن قرا عليه - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى -  
 الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لشر  
 وما يقول هذا بشر (١) وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ  
 خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي  
 ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما هي  
 أحد نستأنس به فديده إلى المصحف ووضع على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضى الله  
 عنه ثلاث يزدن في الحفظ وينهين البلم السواك والصيام وقراءة القرآن .

( في ذم تلاوة الناقلين )

قال أنس بن مالك رب عال للقرآن والقرآن يلغنه وقال ميسرة القريب هو القرآن في جوف الفاجر  
 وقال أبو سلمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يصون الله عز وجل منهم إلى عبدة  
 الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط  
 ثم عاد قرأ قبل له مالك ولكلامى وقال ابن الرماح ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب  
 القرآن يثقلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف  
 بليته إذا الناس ينامون ونهاره إذا الناس يفرطون وعجزه إذا الناس يفرحون ويكائه إذا الناس  
 يضحكون وبسمته إذا الناس يغوضون وبخشوعه إذا الناس يغتالون وينبغي لحامل القرآن أن  
 يكون مستكينا لنا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا محاربا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديثا وقال  
 صلى الله عليه وسلم « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن  
 ما نهاك فان لم ينك فلست تقرأه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل  
 عماره (٤) » وقال بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها  
 وإن العبد ليفتح سورة فتلغنه حتى يفرغ منها قيل له وكيف ذلك فقال إذا أحسن حلافا  
 وحرم حرامها صلت عليه وإلا لنته . وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلغنه نفسه

(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على قرأ عليه - إن الله  
 يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن  
 أسفله لمندق وإن أعلاه لشر وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه  
 البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة  
 وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه (٢) حديث أكثر منافق أمي قراؤها أحمد من حديث  
 عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينك  
 فلست تقرأه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من  
 استحل عماره ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى .

الزهاد لأنهم أعقل  
 الخلق . قال سهل بن  
 عبد الله التستري  
 للعقل ألف اسم ولكل  
 اسم منه ألف اسم  
 وأول كل اسم منه  
 ترك الدنيا . حدثنا :  
 الشيخ الصالح أبو الفتح  
 محمد بن عبد الباقي  
 قال أنا أبو الفضل  
 أحمد بن أحمد قال  
 أنا الحافظ أبو نعيم  
 الأصفهاني قال حدثنا  
 محمد بن أحمد بن محمد  
 قال حدثنا العباس  
 ابن أحمد الشاشي قال  
 حدثنا أبو عقيل  
 الوصافي قال أنا عبد الله  
 الحنواص وكان من  
 أصحاب حاتم قال دخلت  
 مع أبي عبد الرحمن  
 حاتم الأصم الرى ومعه  
 ثلاثمائة وعشرون رجلا  
 يريدون الحج وعليهم  
 الصوف والزمامات  
 ليس معهم جراب  
 ولا طعام فدخلنا الرى  
 على رجل من التجار  
 متنكسك يحب التقشفين  
 فأضافنا تلك الليلة فلما  
 كان من القد قال لحاتم  
 يا أبا عبد الرحمن ألك  
 حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكافرين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحلهم وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويغدونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاعخذوا دواسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهرًا طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتزل السورة على عهد عليه السلام فيعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره ثم الدقل <sup>(١)</sup> وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يا نبيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق غشي فتعبد عن الطريق وتقدم لأجله وتقرؤه وتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته إليك انظروا فصلت لك فيه من القول وكتمت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصني إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات إليه أن كفه وهأنذا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض قلبك عنى أجهلتنى أهون عندك من بعض إخوانك .

( الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة )

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير مرتبع ولا متكى ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده بجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في القراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء وخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فحشر حسنته وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراءة عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يحتم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يحتم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته » <sup>(٢)</sup> وذلك لأن الزيادة عليه تمنحه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا ما قرأ القرآن ولا سمكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يحتم القرآن في كل سبع <sup>(٣)</sup> وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرًا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث تقدما

في العلم ( الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة )

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يحتم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه

أعود قتها لنا هو عليل  
فقال حاتم إن كان لكم  
قفيه عليل فيادة  
الفتية لها فضل والنظر  
إلى الفتية عبادة فأنا  
أيضاً جئى مك وكان  
الليل محمد بن مقاتل  
قاضي الري فقال  
سربنا يا أبا عبد الرحمن  
لجأوا إلى الباب فإذا  
باب مشرف حسن  
فبقي حاتم متفكراً  
يقول باب عالم على هذا  
الحال ثم أذن لهم  
فدخلوا فإذا دارقوراء  
وإذا بزة ومنعة وستور  
وجمع فبقي حاتم متفكراً  
ثم دخلوا إلى المجلس  
الذي هو فيه فإذا بفرش  
وطيبة وإذا هو راقد  
عليها وعند رأسه  
غلام ويسده مذبة  
فبعد الرأزي يسأله  
وحاتم قائم فأومأ إليه  
ابن مقاتل أن أقعد  
فقال لا أقعد فقال له  
ابن مقاتل لعلك حاجة  
قال نعم قال وما هي قال  
مستقلاً سأوك عنها قال  
سأني قال نعم فاستو  
جالسا حتى أسألكها  
فأمر غلامه فأسندوه  
فقال له حاتم عليك



كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يغمثون القرآن في كل جمعة كتمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهم في الختم أربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكأنه مبالغة في الاختصار كأن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يغمث ختمه بالليل وختمه بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي القبر أو بعدها ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي القرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته فان لللائكة عليهم السلام تسلي عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدین السالكين طريق السمل فلا ينبغي أن ينقص عن خمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب التفكير أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن قد يكتفي في الشهر بمرة لسكرة حاجته إلى كثرة التريد والتأمل . الثالث في وجه القصة : أمان ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب قد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا (١) فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالقرة إلى المائة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد يوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالنسكوت إلى مـ وليلة الأربعاء بنزول إلى الرحمن ويغمث ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع للقصل من ق إلى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تصل الأخماس والأعشار والأجزاء فمأسوى هذا محدث . الرابع في الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحرمة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصحة عن الخطأ واللعن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين يشكرون الأخماس والعواشر والأجزاء وروى عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحرمة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحمل الباب وتشوفا إلى حراسة القرآن عما يطرأ عليه تغييرا وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكمن محدث حسن كافي في إقامة الجماعات في التراويح إيمان من محدث عمر رضى الله عنه وإنها بدعة حسنة إنما البدعة اللذومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفرض إلى تغييرها وبضهم كان يقول أقرأ في الصحف للنقوط ولا أقطعه بنفسى وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن يجرى في الصحاح فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور لهم أحدثوا بعده تقطعا كبارا عند منتهى الآي قالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بذلك الحواتم والقوا في قال أبو بكر المذلى سألت الحسن عن تنقيط الصحاح بالأحمر فقال وما تنقطها قلت يعربون الكلمة بالحرية قال أما إضراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الخذاء دخلت على ابن سيرين فرأيت

(١) حديث تحزب القرآن على سبعة أجزاء ده من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قاله أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وتحزب للفصل وفي رواية الطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزى القرآن قالوا كان يحزئه ثلاثا فذكره مروعا وإسناده حسن .

هذا من ابن جثت به  
قال الثقات حدثوني  
به قاله عمن قال عن  
أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
قال وأصحاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
عمن قال عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
قال ورسول الله من  
أين جاء به قال عن  
جبرائيل قال حاتم قبا  
أداه جبرائيل عن  
الله وأداه رسول الله  
إلى أصحابه وأداه  
أصحابه إلى الثقات  
وأداه الثقات إليك  
هل سمعت في العلم من  
في داره أمير أو منته  
أكثر كانت له التزلة  
عند الله أكثر قال  
لا قال فكيف سمعت  
قال من زهد في الدنيا  
ورغب في الآخرة  
وأحب للساكنين وقدم  
لآخرته كان له عند الله  
التزلة أكثر قال حاتم  
فأنت بمن اقتديت بالنبي  
وأصحابه والصالحين أم  
بفرعون ونمرود أول  
من بنى الجحش والأجر  
باعطاء السوء مثلكم  
براء الجاهل الطالب

يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزائه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخرى .  
 الخامس الترتيل : هو المستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير والترتيل معين عليه ولذلك نعت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١) وقال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذمة ، وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارة أتدبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا يجرّد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيراً في القلب من الهذمة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبناكوا » (٢) وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (٣) وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأبى البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تسجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليك قلبه وإنما طريق تسكف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحزنوا » (٤) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والوائق والمهود ثم يتأمل قصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليك على قد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم للصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج ستجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى - خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك الساجدين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى - وغرّون للأذقان يكون ويزيدم خشوعاً - فيقول اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والحبث ومن لم يكن على طهارة عند السجود فإذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها أن يكبر رافعا يديه تحريره ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبّع فيه الأمر وتكبيره للهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك فبغيره بعد

(١) حديث نعت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً  
 (٢) قال حسن صحيح (٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن خ من حديث أبي هريرة  
 (٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحزنوا أبو يسلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

للهنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرامته وخرج من عنده فاذا ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له يا أبا عبد الرحمن بجزوين عالم كبر عاذاً من هذا وأشاروا به إلى الطنافسي قال فسار إليه متممداً فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أجهلي أحب أن تظني أول مبتدئ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأنى بانه فيه ماء فعمد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال هكذا فتوضأ فعمد فتوضأ حاتم ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا بلغ غسل الدراعين غسل أربعاً فقال له الطنافسي يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيما ذا قال غسلت ذراعيك أربعاً قال حاتم يا سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت

في هذا الجمع كله  
تسرف فلم الطافسي  
أنه أراد بذلك ولم يرد  
منه التحم فدخل البيت  
ولم يخرج إلى الناس  
أربعين يوما وكتب  
تجار الرى وقزوين  
ما جرى بينه وبين  
ابن مقاتل والطافسي  
فلما دخل بغداد اجتمع  
إليه أهل بغداد فقالوا  
له يا أبا عبد الرحمن أنت  
رجل الكبر أعجمي  
ليس يكلمك أحد إلا  
وقطعتة قال ممي ثلاث  
خصال بين أظهر على  
خصمي قالوا أى شئ  
هى قال أفرح إذا أصاب  
خصمي وأحزن إذا  
أخطأ وأحفظ شئى  
أن لا أجهل عليه فبلغ  
ذلك أحمد بن حنبل  
فجاء إليه وقال سبحان  
الله ما أعفاه فلما دخلوا  
عليه قالوا يا أبا  
عبد الرحمن ما السلامة  
من الدنيا قال لحاتم يا أبا  
عبد الله لا تعلم من  
الدنيا حتى يكون معك  
أربع خصال قال أى  
شئ هى يا أبا عبد الرحمن  
قال تنفر للقوم جهلهم  
وتنعم جهلك عنهم

المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما . الثامن أن يقول  
لمبتدئ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من همزات الشياطين  
وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من  
القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انتفض به وبارك لنا فيه الحمد لله رب  
العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تيسيح صبح وكبر. وإذا مر بآية  
دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوة سأل وإن مر بمخوف استعاذ بفعل ذلك بلسانه أو قبله  
فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فابتدا سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه  
إلا سبح (١) . فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن  
واجمله لإماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته  
آتاء الليل وأطراف النهار واجمله لى حجة يارب العالمين (٢) . التاسع فى الجهر بالقراءة : ولا شك  
فى أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد  
من صوت فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر - بحيث يسمع غيره فهو  
محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه  
وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر  
« الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالصدقة (٣) » وفى الخبر العام « يفضل عمل السر  
على عمل العلانية سبعين ضعفا (٤) » وكذلك قوله ﷺ « خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الحفى (٥) »  
وفى الخبر « لا يجهر بعظم على بعض فى القراءة بين الغرب والعشاء (٦) » ومع سعيد بن السيب  
ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان  
حسن الصوت فقال لعلامة اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته فقال السلام إن للسجد  
ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك  
فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاتهم لن يرضوا عنك من اقشيتا فسكت عمر بن عبد العزيز  
وخفف ركبته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية تنزيه إلا سبح م  
مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمى  
بالقرآن واجمله لى إماما وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى  
تلاوته آتاء الليل وأطراف النهار واجمله لى حجة يارب العالمين رواه أبو مسعود المظفر بن الحسين  
الأرجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الثمائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروى من  
رواية داود بن قيس مخرلا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر  
على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة  
دون ت وحسنه من حديث عتبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل  
العلانية بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفى وخير  
الذكر الحفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لا يجهر بعظم على بعض  
فى القراءة بين الغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث الياسى دون قوله بين الغرب والعشاء  
والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وجدها وفيه الحرب الأعور وهو صحيح

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فسوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بالقراءة فان اللائكة وعمارة الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته (٢) » ومروى صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم غثلى الأحوال لمروى على أبي بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيه هو يسمنى ومروى على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومروى على بلال وهو يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب (٣) . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتضع فهو أفضل فى حق من خاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تخلق بغيره فالجهر للمعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره يقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فتمنى حضرة شىء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتضاعف أجورهم فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا قول قراءة القرآن فى المصاحف أفضل اذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختم فى المصحف بسبع لأن النظر فى المصحف أيضاً عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منها فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلى الصلوة وأضع المصحف بين يدي فما أظفقه حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيبها بترديد الصوت من غير تعطيط مفرد غير النظم فذلك سنة قال عليه السلام « زينوا القرآن بأصواتكم (٤) » وقال عليه السلام « ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قيل أراده الاستغناء وقيل أراده الترتيم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فسوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة أن رجلاً قام من الليل فقرأ ورفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورائقى وأنا أصح قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضاً إنما أعرف أصوات رقة الأعمريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بقراءته فان اللائكة وعمارة الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته بوله بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار وصهر القندسى فى اللواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروى صلى الله عليه وسلم بأن بكر وهو يخافت وجهر وهو يجهر ويلاى وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم فى الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم د ن . حب لك وصححه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله لشيء ما أذن لشيء يتغن بالقرآن زاد من لشيء حسن الصوت وفى روايته كاذبه لشيء يتغن بالقرآن .

وتبذل لمسم شيك وتكون من شينهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار إلى المدينة . قال الله تعالى - إنما يغشى الله من عباده العلماء - ذكر بكلمة إنما فيتقنى العلم فمن لا يغشى الله كما إذا قال إنما يدخل الدار بغدادى ينتقى دخول غير البغدادى الدار فلاح العلماء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أنصبه للمعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى . قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قبل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها فى صباى فجاءتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك وأعجب بمن يذكر الله تعالى وهو متصف بجزء من صفاته بصفاء التقوى وكال الزهانة جبر الجبر راسخا فى العلم . قال الواسطى : الراسخون فى العلم هم

الدين رسخوا بأرواحهم  
في غيب الغيب في سر  
السر ففهم ما عرفهم  
وخاضوا في بحر العلم  
بالفهم لطلب الزيادات  
فانكشف لهم من  
مدخور الخزان ما تحت  
كل حرف من الكلام  
من القهم ومجالب  
الخطاب ففهموا بالحكم  
وقال بعضهم الراسخ من  
أطلع على عمل المراد من  
الخطاب وقال الخراز :  
هم الذين كملوا في جميع  
العلوم وعرفوها واطلموا

على هم الخلاق كلهم  
أجمعين وهذا القول  
من أبي سعيد لا يعني  
به أن الراسخ في العلم  
يبنى أن يقف على  
جزئيات العلوم ويكمل  
فيها فان عمر بن الخطاب  
رضي الله تعالى عنه  
كان من الراسخين في  
العلم وقف في معنى قوله  
تعالى - وفاكهة وأبا -  
وقال ما للأدب ثم قال  
إن هذا إلا تكلف  
وتحل أن هذا الوقوف  
في معنى الأب كان من  
أبي بكر رضي الله تعالى  
عنه وإعنا عن بذلك  
أبو سعيد ما يفسر أول

ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم «من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ على» قال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال صلى الله عليه وسلم : إني أحب أن أسمع من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٣) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع خبرته لك تخبرني (٤) ورأى هيثم القاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال قال لي أنت المقيم الذي زين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن . وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولا تذكروا الله أكبر - وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة» (٥) وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرضا والتصنع .

( الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة )

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع القهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى . فالأول : فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يميز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنهه بجلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام عرش ولا ترى ولا تلمس ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسامع كلامه كما لم يطق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله - من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . أحمد بن في الكبرى من حديث عمرو بن مسعود أن أبا بكر وعمر بشره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قالت حسن صحيح (٣) حديث أن قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ عليك أنزل فقال إني أحب أن أسمع من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد بن حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع .

( الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة )

مبادئ تجليه حيث صار ذكاً ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حذفهم الخلق ولهذا عبر  
بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل  
قاف وإن اللائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرائيلي  
عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل  
طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع  
علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيتته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض  
الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يعتمله فهمه فقال الملك  
أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطبق الناس  
حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها  
وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تميزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع  
حسنه وتزيينه وبديع نظمه فترلوا إلى درجة تميز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات  
يضعونها لاهتهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس  
يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكالصفات فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا  
بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المحبوبة  
في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً  
ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً فكذا أن أجساد البشر تكرم وتمزج لكان الروح فكذلك  
أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم  
في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد للرفق بامرئ وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام  
كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة  
كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحياه  
أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحبوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس  
العزيرة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو  
مفتاح الخزان النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يموت ودواء الأسقام الذي من شق  
منه لم يستقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من فهم معنى الكلام والزيادة عليه لا تنلي يعلم المعاملة  
فينبغي أن يقتصر عليه - الثاني : التعظيم للتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن  
يحضر في قلبه عظمة للتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله  
عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال - لا يمسه إلا المطهرون - وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه  
محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محبوب  
عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستقبلاً بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح  
لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا نيل معانيه كل قلب ولعل هذا التعظيم  
كان عكرمة بن أبي جهل إذا شر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي تعظيم  
الكلام تعظيم التكلم ولن تحضره عظمة للتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر  
بياله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار وعلم أن  
الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها الواحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين  
همته وسطوته إن أنتم بفضلهم وإن عاقب فيعده وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا إلى هؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله  
اطلغوا على هم الخلائق  
كلهم لأن التلق حق  
التقوى والزاهد حق  
الزهادة في الدنيا صفا  
باطنه وانجلى مرآة  
قلبه ووقفت له هداية  
شيء من اللوح  
المحفوظ فأدرك بصفاء  
الباطن أمهات العلوم  
وأصولها فيعلم منتهى  
أقدام العلماء في علومهم  
وغائية كل عالم والعلوم  
الجزئية متجزة في  
النفوس بالتعليم  
وللممارسة فلا ينبغي  
عليه الكلي أن  
يراجع في الجزئي أهله  
الدين هم أوعيته  
فنفوس هؤلاء امتلات  
من الجزئي واشتغلت  
به واقتطعت بالجزئي  
عن الكلي ونفوس  
العلماء الزاهدين يمد  
الأخذ مما لا بد لهم  
منه في أصل الدين  
وأساسه من الشريعة  
أقبلوا على الله وانقطعوا  
إليه وخلصت أرواحهم  
إلى مقام القرب منه  
فأفاضت أرواحهم على  
قلوبهم أنواراً تهيأت  
بها قلوبهم لإدراك



العلوم فأرواحهم ارتفعت  
عن حد إدراك العلوم  
بسكونها على العالم الأزل  
وتجردت عن وجود  
يصلح أن يكون وعاء  
للعلم وقلوبهم بنسبة  
وجهها الذي يلي  
النفوس صارت أوعية  
وجودية تناسب وجود  
العلم بالنسبة الوجودية  
فتألفت العلوم وتألفتها  
العلوم بنسبة انفصال  
العلوم باتصالها بالروح  
المحفوظ وللصنى  
بالانفصال انتفاشها  
في اللوح لا غير  
واشغال القلوب عن  
مقام الأرواح لوجود  
انجذابها إلى النفوس  
فصار بين التفصيلين  
نسبة اشتراك موجب  
للتألف فحصلت العلوم  
لذلك وصار العالم  
الرباني راسخا في العلم  
أوحى الله تعالى في  
بعض الكتب المنزلة  
يا بني إسرائيل لا تقولوا  
العلم في السماء من  
ينزل به ولا في تخوم  
الأرض من يصعد به  
ولا من وراء البحار  
من يصبر فيأتي به  
العلم مجهول في قلوبكم

ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالى فبالفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم للتكلم ثم تعظيم الكلام  
الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير - يا حي خذ الكتاب بقوة - أي بجهد واجتهاد  
وأخذ بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت  
القرآن تحدث نفسك بحي - فقال أو حي - أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسي وكان بعض  
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن للعظم  
لكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان  
التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في منزلة ومتفرج والذي يتفرج في  
للتزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن مبادئ وبساتين ومقاصير وممرات وديابج  
ورياض وخانات فالمبادئ مبادئ القرآن والآراء بساتين القرآن والحانات مقاصير والممرات  
ممرات القرآن والحاميات دياجج القرآن والفصل رياضه والحانات ماسوى ذلك فإذا دخل القاري  
البساتين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد الممرات وليس الديابج وتزده في الرياض وسكن  
غرف الحانات استغرق ذلك وعظه عما سواه فلم يهرب قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر  
وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على صماع القرآن من نفسه  
وهو لا يتدبره وللقصود من القراءة التدبر ولذلك من فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر يتمكن  
من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه : لا خير في عادة لا تقع فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا  
لم يتمكن من التدبر إلا بتريد فليد - إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل  
الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتجسس من كلمة واحدة عن يناجيه عن فهم بقية  
كلامه وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس قد دروي  
عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتري في الصلاة فتبيل في أمر الدنيا قال لأن تختلف في  
الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدي ربى عز وجل وأنى كيف أنصرف  
فد ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشتغل عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشتغل  
بهم دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما استطع  
الله ذلك عندنا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما  
رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال « قام رسول الله ﷺ بنائلة مقام بآية  
بردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تفرحهم (٢) - الآية » وقام نعيم الدار ليلة بهذه الآية - أم حسب  
الذين اجترحوا السيئات - الآية وقام سعد بن جبير ليلة بردها هذه الآية - وامتازوا اليوم أيها المجرمون -  
وقال بعضهم إنى لأفتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن القرائح منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم  
يقول آية لا أنفهمها ولا يكون قلبى فيها لأعد لها ثوابا . وحكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال إنى لأتلو  
الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف  
أنه بقى في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يخرج من التدبر فيها وقال بعض العارفين لى في كل جمعة ختمته وفي  
كل شهر ختمته وفي كل سنة ختمته ولى ختمته منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات  
تدبره وتخشيه وكان هذا أيضا يقول ألفت نفسي مقام الأجرأ فانا أعمل ميامنة ومجامعة ومشاهدة ومسانة

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر المروى في معجمه  
من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة بآية  
بردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ن . بسند صحيح .



الخامس التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامرهم وزواجرهم وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى - ليس كنهه شيء وهو السميع البصير - وكقوله تعالى - للعلل القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسر لها فتجتمعا معان مدفونة لا تتكشف إلا للموقنين وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فها في كتابه فليكن جريصا على طلب ذلك الفهم (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا مورا لا ثقة بأفهامهم ولم يثروا على أغوارها . وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمتة فينبغى أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رأى كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبهوله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيظل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يستبرج وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرة فيكون له بطريق التبعية نبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالى قوله عز وجل - أفرايتم ما تعرثون ، أفرايتم ما تمنون ، أفرايتم الماء الذى تشربون أفرايتم النار التى توردون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحراث واللى بل يتأمل فى لثى وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والورق والعصب كيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات للذمومة من القبح والشهوة والكبر والجمل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذبين : كما د وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته وحمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النعمة وتفد فيه القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسأر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما فيها من لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رقة فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب

(١) حديث على ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فها في كتابه ن من رواية أبى جعيفة قال سألتنا عليا قلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فها في كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال سمة ما ليس عند الناس ولأبى داود والنسائى قلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد إلى الناس قال لا إلا ما فى كتابى هذا الحديث ولم يذكر التفهم فى القرآن .

تأدبوا بين يدي  
بآداب الروحانيين  
وتخلقوا إلى بأخلاق  
الصديقين ظهر العلم  
من قلوبكم حتى يطمعكم  
أو يثمركم فالتأدب  
بآداب الروحانيين  
حصر النفوس عن  
تخاصي جيلاتها وقها  
بصرى السلم فى كل  
قول وفعل ولا يصح  
ذلك إلا لمن علم وقرب  
وتطرق إلى الحضور  
بين يدي الله تعالى  
فيتحفظ بالحق للحق  
أخبرنا شيخنا  
أبو النجيب عبد القاهر  
السهروردى بإجازة قال  
أخبرنا أبو منصور بن  
خيرى بإجازة قال أنا  
أبو محمد الحسن بن على  
الجوهري بإجازة قال  
أنا أبو عمر محمد بن  
الحساس قال حدثنا  
أبو محمد يحيى بن صاعد  
قال حدثنا الحسين بن  
الحسن للروزي قال أنا  
عبد الله بن المبارك قال  
أنا الأوزاعي عن  
حسان بن عطية بنفى  
أن شداد بن أوس  
رضى الله عنه نزل  
منزلا فقال اتونا

بالسفرة. نعت بها  
فأنكر منه ذلك قال  
ما تكلمت بكلمة منذ  
أسلت إلا وأنا أخطئها  
ثم أزمها غير هذه  
لا تحفظوها على قتل  
هذا يكون التأديب  
بآداب الروحانيين  
مكتوب في الإنجيل  
لا تطلبوا علم ما لم تعلموا  
حتى تعملوا بما قد علمتم  
وقد ورد في خبر عن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن  
الشیطان بما يسوقكم  
بالعلم قلنا يا رسول الله  
كيف يسوقنا بالعلم قال  
يقول اطلب العلم ولا  
تعمل حتى تعلم فلا يزال  
العبد في العلم قائلاً  
ولاعمل مسوقاً حتى  
يموت وما عمل». وقال  
ابن مسعود رضي الله  
عنه ليس العلم بكثرة  
الرواية إنما العلم بالحشية  
وقال الحسن إن الله  
تعالى لا يحب أذى علم  
ورواية إنما يحب أذى  
فهم ودراية فعلم الوراثة  
مستخرجة من علم  
الدراسة ومثال علوم  
الدراسة كاللبن الخالص  
النافع للشاربين

مبين - قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً -  
وذلك قال على رضي الله عنه لوشئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه  
التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم مافي القرآن ولوق  
أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم  
ماذا قال آتينا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هي اللوائح التي سندكرها في موانع الفهم  
وقد قيل لا يكون للمرء مريد حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من الزيد ويستغنى  
بالمولى عن السيد - السادس : التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن  
لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال **عليه السلام** « لولا أن  
الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت <sup>(١)</sup> » ومعاني القرآن من جملة اللسكوت وكل  
ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من اللسكوت. وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون  
الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بأخراجها من مخارجها وهذا ينول حفظه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم  
عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على تديد الحرف بخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه  
لهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فآتي تكشفه اللغوي وأعظم ضحكة للشيطان من كان  
مطيعاً لمثل هذا التلبيس . ثانياً : أن يكون مقلداً للمذهب منه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التصب  
له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه  
فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه فان لم يرق على بعد وبدا له معنى  
من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف  
معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيبقا عدمه ويعتز عن مثله ومثل هذا قالت الصوفية  
إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد وبمجرد كلمات جدلية  
حررها التصبون للمذاهب وأقروا إليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف وللشاهدة بنور البصيرة  
فكيف يكون حجاباً وهو منتهى للطلب وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد في الاستواء  
على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلاً في القديس أنه لا يكون حقا ويكون أيضاً مانعاً من الفهم  
يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لا يجرى إلى كشف ثنائ وتواصل ولكن  
يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لما اقتضته تخليقه الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضاً مانعاً من الفهم  
والكشف لأن الحق الذي كلفه الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وعور باطن وجود  
الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى النور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن  
في كتاب قواعد العقائد . ثالثاً : أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا  
مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداء وهو كالحجب على للرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه  
وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكتيون وكلما كانت الشهوات أهد ترا كما كانت معاني الكلام  
أهد احتجاباً وكلما خفف عن القلب أفعال الدنيا قرب تجلى للنفي فيه فالقلب مثل للرآة والشهوة مثل الصدأ  
ومعاني القرآن مثل الصور تتردى في للرآة والرياسة للقلب يماطلة الشهوات مثل تصليل الجلاء للرآة  
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمق الدينار والدرهم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا  
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرّموا بركة الوحي <sup>(٢)</sup> » قال الفضيل يعني حرّموا فهم القرآن

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت تقدم في الصلاة .

(٢) حديث إذا عظمت أمق الدينار والدرهم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرّموا

وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال عز وجل - وما يذكر إلا من ينيب - وقال تعالى - إنما يذكر أولو الألباب - فالدين أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب . رابعا : أن يكون قد قرأ تفسير اظاهر واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه قد تبوأ مقعد من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول من رضى الله عنه إلا أن يؤنى الله عبدا فيها في القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر للنقل لما اختلفت الناس فيه . السابع : التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع أمرا أو نهيأ قدر أنه للنهي وللأمور وإن سمع وعدا أو وعيد فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليخبر به وليأخذ من تضاعف ما يحتاج إليه لئلا يفتقر في القرآن إلا وسبقها لقاعدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى - ما ثبت به فؤادك - فليقدر العبد أن الله ثبت قلوبهم بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لا ينتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاه وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب قال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلاتعقلون . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد فهذا القارى الواحدة مقصود لئلا يولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى - وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتنا من قبل ربنا عز وجل يسموه تدبرها في الصلوات وقف عليها في الخلوات وتنفذها في الطاعات والسنة الثبات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يأهل القرآن إن القرآن ربيع للؤمن كما أن النيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحدهما القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى - هو شفاه ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . الثامن : التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضيق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل - وإن أنفاز - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شروطا جامعا قال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين - فالإحسان يجمع الكل وهكذا من تصفع القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدد بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقل فرحه وأكثر بكاءه وقل ضحكته وأكثر نصيبه وشغفه

بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو البنية للطلوبة من اللبن وللماية في اللبن جسم قام به روح البنية وللماية بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شئ حي - وقال تعالى - أو من سكن ميثا فأحييناه - أى كان ميثا بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مبادئ الإسلام والإسلام بعد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد قال للتوحيد وللعرفة وللشاهدة . وللإيمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الإسلام علوم الإيمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

عام فالوصف العام علم  
اليقين وقد يتوصل إليه  
بالنظر والاستدلال  
ويشارك فيه علماء  
الدنياء مع علماء الآخرة  
وله وصف خاص  
يخص به علماء  
الآخرة وهي السكينة  
التي أزلت في قلوب  
المؤمنين ليزدادوا إيماناً  
مع إيمانهم فلي هذا  
جميع الرتب يشملها  
اسم الإيمان بوصفه  
الخاص ولا يشملها  
بوصفه العام فبالنظر  
إلى الوصف الخاص  
اليقين ومراتبه من  
الإيمان وإلى وصفه  
العام اليقين زيادة على  
الإيمان وللشاهدة  
وصف خاص في اليقين  
وهو عين اليقين وفي  
عين اليقين وصف  
خاص وهو حق اليقين  
حق اليقين إذن فوق  
الشاهدة وحق اليقين  
موطنه ومستقره في  
الآخرة وفي الدنيا منه  
لمح يسير لأهله وهو  
من أعز ما يوجد من  
أقسام العلم بالله لأنه  
وجدان فصار علم  
الصوفية وزهاد العلماء

وقلت راحته وبطائه . وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والواغظ فلم نجد شيئاً أرق  
للقلوب ولا أشد استجلاباً للحنن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة  
الآية للتلاوة عند الوعيد وتقييد للفرقة بالشروط يتضائل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع  
ووعد للفرقة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله  
واستشعاراً لمظلمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرم لله عز وجل ولله  
وصاحبة بنفسه صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقاتلهم وعند وصف الجنة ينبعث يياطنه  
شوقاً إليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسعدون  
أقراطي (١) قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئناك على  
هؤلاء شهيدا - رأيت عيني تذر فان بالسمع فقال لي حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت  
قلبه بالكلية ولقد كان في الحائذين من آخر من مشياعليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات  
فمثل هذه الأحوال يخرج عنه أن يكون حاكياً في كلامه فإذا قال - إني أخاف إن عصيت ربي عذاب  
يوم عظيم - ولم يكن خائفاً كان حاكياً وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك للصبر - ولم  
يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً وإذا قال - ولنصبرن على ما آذيتونا - فليكن حاله الصبر  
أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان  
حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللحن على نفسه في قوله تعالى - أألمنة الله على الظالمين - وفي  
قوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون -  
وفي قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يتب  
فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل - ومنهم أमीون  
لا يسلون الكتاب إلا أمانى - معنى التلاوة المبردة وقوله عز وجل - وكأين من آية في السموات  
والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو البين لتلك الآيات في السموات والأرض  
ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متمصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ  
القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تقب إلى ومثال العاصى إذا  
قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الله في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو  
مشغول بتجريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلم له لترك الدراسة عند الحافلة لكان أبعد عن الاستزاد  
واستحقاق الوقت ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت  
فأعدل إلى التيسير والاستغفار وللعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل - فنبهوه وراء ظهورهم واشتروا  
به ثمناً قليلاً فيبئس ما يشترون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن ما اتلفت  
عليه قلوبكم ولا تله جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم قوموا عنه (٢) » قال  
الله تعالى - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون -  
وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لا ينسعدون أقرا على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرءوا القرآن ما اتلفت  
ما اتلفت عليه قلوبكم ولا تله جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم  
قوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثانى دون قوله  
ولا تله جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى  
الله تعالى . بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل » (١) « فالقرآن يراد الاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فاللؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة وإن ذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فاتهرني وقال جعلت القرآن على عملاً اذهب فاقراً على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهيك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال لمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فاتتهى إلى قوله عز وجل - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - (٣) قال يكفي هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو قهيه . وإنما العزيم مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان قليل الجدوى بل التالى باللسان للعرض عن العمل جدير بأن يكون هو للراد بقوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحضره يوم القيامة أعمى - وبقوله عز وجل - كذلك أتتك آياتنا فكسيتها وكذلك اليوم تنسى - أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تتبأ بها فان للعصر في الأمر يقال إنه نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب لحفظ اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم العافقي في كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفاً لله أراد بالمدينة وإلا فقد روي عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومي وزاد بن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسل وأبو البرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأثير بسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاراً وهم ذوعد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مائة من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنة فقال مامعك يا فلان ؟ قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فاتتهى إلى قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - فقال يكفي هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو قهيه دن في الكبرى وحب لك وصحه من حديث عبد الله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بئسك بالحق لا أزيد عليها أبداً ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع الرجل أطلع الرجل أطلع الرجل ولاحمد ون في الكبرى من حديث مصعب عمه الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها

نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة عليهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والايمن الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنسبة الشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بغضيلة العلم وورزاة الأعمال على قدر الحفظ من العلم وقد ورد في الخبر « فضل العالم على العابد كفضل على أمي » والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والتناق وإعنا الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون البعد عالماً بالله تعالى ذايقين كامل وليس عنده علم من فروض الكتابات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بمقائق اليقين ومقائق المعرفة وقد كان علماء

بالترتيل وحفظ العقل تفسير المعاني وحفظ القلب الاتصاف والتأثر بالانزجار والالتفات فالسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتهال . الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطاعة ويناجيه بانعامه وإحسانه لقائه الحياه والتعظيم والاضفاء والاهم . الثالثة أن يرى في الكلام التكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق الانعام بمن حيث إنعمت عليه بل يكون مقصورا لم على التكلم موقف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة للتكلم عن غيره وهذه درجة القرين ومابقه درجة أصحاب اليقين وما خرج عن هذا فهو درجات النافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز وجل لحلقه في كلام مولسكهم لا يصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري منه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى صممتها من التكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته في مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة النجاة . ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كآتي أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوه على أصحابه ثم رخصت إلى مقام فوكه كنت أتلوه كآتي أسمعه من جبريل عليه السلام بقلبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من التكلم به فندها وجدت له لذة ونعما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة للتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتعمت به عشرين سنة ومشاهدة للتكلم دون ما سواه يكون العبد بمثابة لقوله عز وجل - قروا إلى الله - ولقوله تعالى - ولا تعملوا مع الله إلها آخر - فمن لم يره في كل شيء قدر رأي غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبري : وأعني به أن يترأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه وبين الرضا والتركيز فإذا تلا آيات الوعد وللدخ للضالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد للوقنين والصديقين فيها ويتشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل له هذا الظلم لما بال الكفر فتلا قوله عز وجل - إن الإنسان لظلوم كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من قصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربها من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراهها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الذي يفنيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدته لنفسه بين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر للسكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الصبح فلقبه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميمادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت التمتع قلت أوتر قبل أن أجيبك لأنني لا آمن ما يحدث من اللوت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة لما رلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه الكاشفات لا تسكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم

التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم . روى أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد ابن السبب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لو نزل أهل البصرة على قيام لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فإنه قد حفظ ونسينا فكانوا يريدون الناس إليهم في علم الفتوى والأحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة . وكذلك لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادة بهم طراوة الوحي المنزل وغمرهم غزير العلم الجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجلدة ومفصلة وطائفة مفصلة دون مجلدة والمجمل أصل العلم ومفصلة للكتيب بطهارة القلوب وقوة الفريضة وكال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم



الاتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه الكاشفات بحسب أحوال المكاشف بحيث ينال آيات الرجا  
ويغلب على حاله الاستبشار تكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف  
كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد  
الصوف والرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة والطف والانتقام والبطن فبحسب  
مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستمد للكاشفة بأمر  
يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال للسمع واحدا وللسموع مختلفا إذ فيه كلام اراض  
وكلام غضبان وكلام منكم وكلام منتقم وكلام حيار متكبر لا ينال وكلام حنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه  
فكيف يستحب ذلك وقد قال عليه السلام « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » <sup>(١)</sup> وعن هذا  
شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من القصرين للنسويين إلى التصوف في تأويل كلمات  
في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وصائر القسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل  
التفسير لما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك لما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من  
فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن من زعم أن لافهم للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر  
التفسير فهو عتبر عن حديثه وهو مصيب في الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسا لأرباب  
الفهم <sup>(٢)</sup> قال على رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة للنقوة  
فإذلك الفهم وقال عليه السلام « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » <sup>(٣)</sup> ويروى أيضا عن ابن مسعود  
موقوفا عليه وهو من علماء التفسير في معنى الظاهر والباطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه  
لوشئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فائمة الكتاب فامضاه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصاد وقال  
أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجمل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم  
وما بقي من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائة علم إذ كل كلمة علم  
ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحدا ومطلع وتريد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة <sup>(٤)</sup> لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها ولا اقترجتها  
وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين  
فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أمثال الله عز وجل  
وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها  
والقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل  
فيه على النظر واختلف فيه الخلاق في النظريات والمقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه  
يجتص أهل الفهم بدركها فكيف يني بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم <sup>(٢)</sup> حديث  
الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسا لأرباب الفهم تقدم قوله على في الباب قبله إلا  
أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه <sup>(٣)</sup> حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم في قواعد  
العقائد <sup>(٤)</sup> حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله .

- ادع إلى سبيل ربك  
بالحكمة والوعظة  
الحسنة وجادلهم بالتي  
هي أحسن - وقال  
تعالى - قل هذه سبيلي  
أدعو إلى الله على  
بصيرة - فلهذه السبل  
سابعة ولهذه الدعوات  
قلوب قابلة لنها نفوس  
مستحبة جامدة باقية  
على خشونة طبيعتها  
وجبيلها فليتها بنار  
الإنذار والوعظة  
والحدار ومنها نفوس  
زكية من تربة طيبة  
موافقة للقلوب قريبة  
منها لمن كانت نفسه  
ظاهرة على قلبه دماء  
بالوعظة ومن كان  
قلبه ظاهرا على نفسه  
دعاه بالحكمة فالدعوة  
بالوعظة أجاب بها  
الأبرار وهي الدعوة  
بذكر الجنة والنار  
والدعوة بالحكمة أجاب  
بها القرون وهي الدعوة  
بتلويح منع القرب  
وصفو للرفة وإشارة  
التوحيد فلما وجدوا  
التلويحات الحفائية  
والتعريفات الربانية  
أجابوا بأرواحهم  
وقلوبهم ونفوسهم



«اقرأوا القرآن والتسوا غرايبه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طي كرم الله وجهه «والذي بشى بالحق نبيا لتفرقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلمة ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله عز وجل فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبارة قصه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل وهو جل الله التين ونوره البين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يسوج فيقوم ولا يزيع فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلق كثرة التردد» (٢) الحديث وفي حديث حذيفة «لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله لماذا تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله وأعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأجبت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل وأعمل بما فيه فيه النجاة» (٣) وقال طي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جل العلم ، أثار به إلى أن القرآن يشير إلى جماع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - يعني الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - مسمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالظن له باسم الفهم ونجمله مقدما على الحكم والعلم قبله الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالنا وأن النقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلى وأي سماء تظلى إذا قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخفى إما أن يكون المراد به الاختصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم والمراد به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه : أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي تخيير على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

(١) حديث اقرءوا القرآن والتسوا غرايبه ، ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى اللوصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث طي والذي بشى بالحق لتفرقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبارة قصه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل وهو جل الله التين ونوره البين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يسوج فيقوم ولا يزيع فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلق كثرة التردد» (٣) الحديث وفي حديث حذيفة «لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله لماذا تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله وأعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأجبت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل وأعمل بما فيه فيه النجاة» (٤) حديث طي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جل العلم ، أثار به إلى أن القرآن يشير إلى جماع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - يعني الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - مسمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالظن له باسم الفهم ونجمله مقدما على الحكم والعلم قبله الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالنا وأن النقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلى وأي سماء تظلى إذا قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخفى إما أن يكون المراد به الاختصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم والمراد به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه : أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي تخيير على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

فصارت متتابعة الأحوال  
إجابتهم نفسا ومتابعة  
الأعمال إجابتهم قلبا  
والتحقيق بالأحوال  
إجابتهم روحا وإجابة  
الصوفية بالكل وإجابة  
غيرهم بالبعض . قال  
عمر رضي الله عنه :  
رسم الله تعالى صيا  
لو لم يخف الله لم يصح  
يعنى لو كتب له كتاب  
الأمان من النار حمله  
صرف للفرقة بمقتضى  
أمر الله على القيام  
بواجب حق اليهودية  
أداء لما عرف من حق  
المنظمة فاجابة الصوفية  
إلى الدعوة إجابة  
الحب للمحسوب على  
اللذات وذهاب السر  
إجابة غيرهم على  
للكابدة والمجاهدة  
وهذه الإجابة يظهر  
مع الساعات أثرها  
في القيام بمقتضى  
الاستقامة واليودية  
قال الله تعالى - فأما من  
أعطى واتقى وصدق  
بالحسن فتفسيره  
للإسرى - قال بعضهم  
أعطى الدارين ولم ير  
شيئا واتقى الفرو  
والسبائك وصدق

الكل مسموعا . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل <sup>(١)</sup> » فان كان التأويل مسموعا كالتزويل وعقودا مثله لما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعلمه الدين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما قلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الجيال فيطلب أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما التي فانه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك للى وهذا تارة يكون مع العلم كالكفى يخرج بعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس للرادب الآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قدفسر برأيه أى برأيه هو الذى حمل على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يرجع عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسعار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة <sup>(٢)</sup> » وزعم أن الراديه السحر بالذكر وهو يعلم أن الراديه الأكل وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنطقى - ويشير إلى قلبه ويومى إلى أنه للرادب فرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الفاسدة لتغريير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى اللحن من التفسير بالرأى ويكون الرادب الرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والوافق للهوى قد يخص بأسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العرية من غير استظهار بالسماع والنقل قبله يمتنع بخراب القرآن ومافيه من الألفاظ للبهمة والبدلة ومافيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير لمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط للمعانى بمجرد فهم العرية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالتقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتنبه به مواضع التلط ثم بعد ذلك يتبع التفهم والاستنباط . والخراب الذى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأثر الكمن كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يحجرى بحجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومالا بدقيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتينا نوحا والناقة مبصرة فظلموا بها - معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فانظر إلى ظاهر العرية يظن أن الراديه أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدرك أنهم عاذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم أو أقسمهم وقوله تعالى - وأشر بواقي قلوبهم المعجل بكفرهم - أى حب المعجل فحذف الحب وقوله عز وجل - إذا أذقناك ضعف الحياة و ضعف الماتسأى ضعف عذاب الأحياء و ضعف عذاب الموتى فحذف المذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح

بالحسن أقام على طلب الزلقى والآية قيل نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى للوساوس والهواجس وصدق بالحسن لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره ليسرى فتفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والأنس وأمان من بخل بالأعمال واستغنى امتلا بالأحوال وكذب بالحسن لم يكن في اللكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره للمصرى نسد عليه باب اليسر في الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبده سوءا سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفر ونصيبهم من العرفة أكل فبكانت أعمالهم أركى وأفضل جادرجل

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم .

إلى معاذ قال أخبرني  
عن رجلين أحدهما يجتهد  
في العبادة كثير العمل  
قليل الذنوب إلا أنه  
ضعيف اليقين يستوره  
الشك قال معاذ  
ليجبتن شكه عمله قال  
فأخبرني عن رجل قليل  
العمل إلا أنه قوي  
اليقين وهو في ذلك  
كثير الذنوب فسكت  
معاذ فقال الرجل والله  
لئن أبسط شك  
الأول أعمال بره  
ليجبتن يقين هذا  
ذنوبه كلها قال فأخذ  
معاذ يده وقال ما رأيت  
الذي هو أقبح من هذا  
وفي وصية لقمان لابنه  
يا بني لا استطاع العمل  
إلا باليقين ولا يعمل لله  
إلا بقدر يقينه ولا يقصر  
عامل حتى يقصر يقينه  
فكان اليقين أفضل  
العمل لأنه أدى إلى  
العمل وما كان أدعى  
إلى العمل كان أدعى  
إلى العبودية وما كان  
أدعى إلى العبودية  
كان أدعى إلى القيام  
بحق الربوبية وكال  
الحظ من اليقين والطم  
بأنه للصوفية والمطاء

الجنة وقوله تعالى - واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير فالأهل  
فيها محذوف مضمرة وقوله عز وجل - تفلت في السموات والأرض - معناه خفيت على أهل السموات  
والأرض والتي إذا خفي تفل فابدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى  
- ويجعلون رزقكم أنكم تكذبرن - أي عكس رزقكم وقوله عز وجل - آتينا ما وعدتنا على رسلك -  
أي على السنة رسلك لحذف الألسنة وقوله تعالى - إنا آتيناك في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له  
ذكر وقال عز وجل - حتى توارت بالحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكره - وقوله تعالى - والذين  
أخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل - فلما  
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه  
لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يرد هذا كان مناقضا لقوله - قل كل من عند  
الله - وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها للنقوله للقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور  
سيناء سلام على آل ياسين - أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف يني معهود سلام على إدراسين ومنها  
للكرر القاطع لوصول الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إن  
يتبعون إلا الظن - معناه وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل - قال للملأ  
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين  
استضعفوا ومنها للتقدم وللؤخر وهو مظنة التلطف كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان  
لزاما وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولا - لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى  
- يسألونك كأنك حفي عنها - أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق  
كريم - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق - قل  
الأفعال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - أي فصارت أفعال الفاعل لك إذ أنت راض  
بغروك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل  
- حتى تؤمنوا بالله وحده لا تقول إبراهيم لأبيه الآية - ومنها للبه وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو  
حرف أما الكلمة فكالتى والقرين والأمة والروح ونظائرها قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا  
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة محارزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم  
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء - أراد  
به من صفات الربوبية وهو العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى ينتدى بها العارف في أو ان الاستحقاق  
وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فرعا بتوهم به أنه يدل على أنه  
لا يخلق شيء إلا من شيء - وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا ما لدي عتيد - ألقيا في جهنم  
كل كفار - أراد به للكل للكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطفيته ولكن كان - أراد به  
الشیطان - وأما الأمة فطلق على عمالية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس  
يسقون - وأتباع الأنبياء كقوله تعالى نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ود بل جامع للخير يقتدى به  
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله - والأمة الدين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على  
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وادكر بعد أمة -  
والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أى القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لا يشرك فيه أحد قال صلى الله  
عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة » (١) والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أى أم زيد.

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء.

والروح أيضا ورد في القرآن على معان كثيرة فلا تطول بارادها وكذلك قد يقع الإيهام في الحروف مثل قوله عز وجل - فأتزن به تعافوسطن به جمعا - فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي الوريات أي أترن بالحوافر جمعا . والثانية كناية عن الاغارة وهي الغزوات صبحا فوسطن به جمعا جمع الشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى - فأنزلناه الماء - يعني السحاب - فأخرجنا به من كل الثمرات - يعني الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر . ومنها التدرج في البيان كقوله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - إذ لم يظهر بمأته ليل أو نهار وبأن بقوله عز وجل - إنا أنزلناه في ليلة مباركة - ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا ينفي فيه إلا النقل والسجع فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفعلا لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسجع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة للنبي الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمع في موضع آخر مال برأيه إلى ماصحه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منها عنه دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السجع وأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال - وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للرمي ونفي له ومما تشادان في الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماء الله عز وجل وكذلك قال تعالى - قاتلواهم بذيهم الله بأيديكم - فاذا كانوا هم للقائين كيف يكون الله سبحانه هو للعدب وإن كان الله تعالى هو للعدب بتحريك أيديهم لما معنى أمرهم بالقتال حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم للكشافات لا ينفي عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة وفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى يكشف بعد إرساح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ولعل العبر لو اتفق في استكشاف أسرار هذا للنبي وما يرتبط بعقد ما تم ولو اختلفه لا نقض العبر قبل استيفاء جميع لواحقه ومامن كل من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراغبين في العلم من أسرارهم بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كتاب الله لانهية لما فتند الأبحر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا ينفي عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) وأنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان رضوا لسخط وصفان ثم زاد قربه فأندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استجابه من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأنى بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا بنت أبي بكر باسنادين جيدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

الراغبين فإن بذلك فضلهم وفضل علمهم . ثم إن صور مسألة يستبين بها الاعتبار فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقد وميز نفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فتدخل داخل من أبناء جنسه وقد فوقه فانصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتره وهو لا يظن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى الداولة ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجاهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر وإظهاره ذلك إلى القمل تكبر بحيث التصبر صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه جي دون

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نوردته لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم . ثم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد ومحبيه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه .

### ( كتاب الأذكار والدعوات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشامل قرآنه العامة رحمة الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني أذكركم - ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال - ادعوني أستجب لكم - فأطعم الطيع والعاصي والداني والعاصي في الانبساط إلى حضرة جلالة برفع الحاجات والأمان بقوله - فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفائه وسلم تسليما كثيرا . [ أما بعد ] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخاصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل الآثار من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويشعر للقاصد من ذلك بذكر أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية مأثورة ومعمزة إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة مهذوقة الاسناد من الأدعية للآثورة . الباب الخامس : في الأدعية للآثورة عند حدوث الحوادث .

#### ( الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار )

ويعد على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني أذكركم - قال ثابت البناني رحمه الله إنني أعلم من يذكرني ربي عز وجل فمزعوماتهم وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرتني وقال تعالى - اذكروا الله كثيرا - وقال تعالى - فإذا أضفتم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام واذكروه كأهداكم - وقال عز وجل - فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والنفي والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين - ولا يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - وإذا كرركم فلا تكن في نفسك نغصا وخيفة ودون الجهر من القول بالندو والآصال ولا تكن من المنافقين - وقال تعالى - ولذكرا الله أكبر - قال ابن عباس رضي الله عنهما : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في العافلين كالشجرة الحضراء في وسط المهشم <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في العافلين كالقاتل بين النارين »

#### ( كتاب الأذكار والدعوات )

##### الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في العافلين كالشجرة الحضراء في وسط المهشم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من

للسليين ولا يرى نفسه في مقام تمييز غيرها بمجلس فالصوفي العالم بخصوص يميز ولو قدر له أن يتنلى بمثل هذه الواقعة وينصرف من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويرى أن هذا داء وأنه إن استرسل فيه بالإسراف إلى النفس وانصرها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الإنابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغنيا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من التذكر فيمن قصد فوقه وربما أقبل على من قصد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنوب الوجودية ودوايا لدائه الحاصل . فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فإذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أتجبه له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرمح في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » (٣) . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « أن تصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح ونمى وليس عليك خطيئة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالدعاء والعش أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاخي من ملكه وإذا تحرب من شبرا تحربت منه ذراعاً وإذا تحرب من ذراعاً تحربت منه باعاً وإذا مشى إلى هروئت إليه » (٧) . يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلتهم رجل ذكر الله خالياً قاضت عيناه من خشية الله » (٨) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطى السائلين » (١٠) .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه . حب من حديث أبي هريرة وك من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أتجبه له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بن يساند حسن (٣) حديث من أحب أن يرمح في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند بلقيظ إذا مررتهم برياض الجنة فارموا وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء والبيهقي في الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح ونمى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهاني في الترهيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمس ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٦) حديث لذكر الله بالدعاء والعش أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً ورواه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كلوا من ابن عبد البر في التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلتهم رجلاً ذكر الله خالياً قاضت عيناه متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضاً (٩) حديث ألا أنبئكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم الحديث ت ه ك وصحح إسناده من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال الله تعالى من شغلته ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين ح في التاريخ والبراز في للسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالب للناسب النبوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير المسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين وتقصان الراغبين لأورث اللال وهذه من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله للوفق للصواب .

[الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم المروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا مسلمة بن حاتم



الأصاري قال حدثنا  
محمد بن عبد الله  
الأصاري عن أبيه  
عن علي بن زيد عن  
سعيد بن السيب قال:  
قال أنس بن مالك  
رضي الله عنه قال لي  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم «يا بني إن  
قدوتك أن تصبح وتسي  
وليس في قلبك غش  
لأحد فافعل ثم قال يا بني  
وذلك من سقى ومن  
أحيانى قد أحيانى  
ومن أحيانى كان معى  
في الجنة» وهذا أثر  
شرف وأكمل فضل  
أخبر به الرسول صلى  
الله عليه وسلم في حق  
من أحيانا سقى الصوفية  
هم الذين أحيوا هذه  
السنة وطهارة الصدور  
من الفل والنس عماد  
أمرهم وبذلك ظهر  
جوهرهم وبان فضلهم  
ولما قدروا على إحياء  
هذه السنة ونهضوا  
بواجب حقها زهدهم  
في الدنيا وتركها لأزواجها  
وطايعها لأنهم انقلبت  
والنفس حبة الدنيا  
وحبة الرقة والرزقة  
عند الناس والصوفية

وأما الآثار : فقد قال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال يا عبادي اذكروني بعد الصبح ساعة  
وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أجمعوا عبد الله  
على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى تولى سياسة وكنت جليسه ومحادثه وأنيبه وقال  
الحسن المذكر ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره  
وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويرى « إن كل نفس تخرج من الدنيا  
عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحصر أهل الجنة على شيء  
إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

( فضيلة مجالس الذكر )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا خفت بهم  
للائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن  
قوم اجتمعوا يذكر الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً  
لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « ما قد قوم مقعداً لم يذكر الله  
سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) »  
وقال داود صلى الله عليه وسلم : ألمى إذا رأيته أجوز مجالس الذكرين إلى مجالس المنافقين فأكره  
رجلي دونهم فانها نعمة تتم بها على . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي  
ألف مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليرآون بيوت  
أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا  
اجتمع قوم يذكر الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الآثرين ما يصنعون  
فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا خرجوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل  
السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في السجدة فذهب الناس إلى  
السجدة وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في السجدة قال فإذا رأيتم  
قالوا رأينا قوماً يذكر الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله  
عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال « إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا  
وجدوا قوماً يذكر الله عز وجل تتادوا هلموا إلى بيتكم فيجيئون فيخفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي التفات أيضاً (١) حديث ما جلس قوم  
جلسا يذكر الله تعالى إلا خفت بهم لللائكة وغشيتهم رحمة وذكرهم الله فيمن عنده م من حديث  
أبي هريرة (٢) حديث مامن قوم اجتمعوا يذكر الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم  
مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف  
من حديث أنس (٣) حديث ما قد قوم مقعداً لم يذكر الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم  
حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي  
ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب القردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج  
ولم يروه وكذلك لم أجده إسناداً (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا  
وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في السجدة فذهب الناس إلى السجدة وتركوا السوق  
الحديث الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع .



فيقول الله تبارك وتعالى أى شئ تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يعبدونك ويعبدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسيحاً وتعبيداً وتعجباً فيقول لهم من أى شئ يتعبدون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشدّ ثوراً فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشدّ حرصاً فيقول جل جلاله إنى أعهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء الحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليهم<sup>(١)</sup> .

## ( فضيلة التهليل )

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له<sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك<sup>(٣)</sup> » وقال عليه السلام « مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء<sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور<sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لأبى هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما بينهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك<sup>(٦)</sup> »

(١) حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عن صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث في الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله الحديث تقدم في الباب الثانى من الحج (٣) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث ومن حديث عقبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور الحديث أبو يعلى والطبرانى والبيهقى في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما بينهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى في الدعوات ولو جعلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وسمارهن غبرى والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ت في اليوم واليلة وحسبك وصحة .

زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم للزابل فما سقط عن قلوبهم حبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد يقول القائل كنست بأرواحهم للزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا يندب باب النفس والفلس وجرت هذه الحكاية وقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع أن معنى كنست بأرواحهم للزابل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم في محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويلهب عنها للذموم

من القل والنفس والحمد  
والحمد فكانها  
تكنس بنور الروح  
وهذا للنفس صحيح  
وإن لم يرد القائل بقوله  
ذلك . قال الله تعالى  
في وصف أهل الجنة  
سوزعنا ما في صدورهم  
من غل إخوانا على  
سرر متقابلين - قال  
أبو خض كيف يقي  
القل في قلوب التلقت  
بالله واخفت على محبة  
واجتمعت على مودته  
وأنست بذكره إن  
تلك قلوب صافية من  
هواجس النفوس  
وظلمات الطباع بل  
كملت بنور التوفيق  
فصارت إخوانا فخلق  
حجابهم عن عت القيام  
ياحياء سنة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
قولوا فضلا وحالافات  
نفوسهم فاذا تبدلت  
نفوس النفس ارتفع  
الحجاب وحيث المتابعة  
ووقعت للواقعة في كل  
شيء مع رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ووجبت  
الحبة من الله تعالى  
عند ذلك قال الله تعالى  
- قل إن كنتم تحبون  
الله فاتبعوني يحكم

وقال صلى الله عليه وسلم « لوجاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله ذلك (١) » وقال  
صلى الله عليه وسلم « يا باهريرة لقن للوثى شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب هدمًا قلت  
يا رسول الله هذا الموتى فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم (٢) » وقال صلى  
الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخلن الجنة  
كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يا رسول الله من الذي أبى وشرد  
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله (٤) » فأكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فاتها  
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى  
وهي عن الجنة « وقال عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - قيل الإحسان في الدنيا قول لا إله  
إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه  
صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير  
عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نعمة (٥) » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله  
الحمد وهو على كل شيء قدير لم يستغه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله (٦) »

(١) حديث لوجاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ .  
ولترمذي في حديث أنس يقول الله يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك  
بي شيئا لأتيناك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلك  
مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٢) حديث يا باهريرة  
لقن للوثى شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من  
طريق ابن القري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من  
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين من حديث الحسن مرسل (٣) حديث  
من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف (٤) حديث  
لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي  
هريرة كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى . زادك وصحبها وشرد عن الله شرود البعير على أهله قال  
البخاري قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدي  
وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديث أكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه  
ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمار الثمالي مرسل إذا قلت لا إله إلا الله  
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الثمالي من حديث ابن مسعود  
في إجابة اللؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة للاستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولابن عدي من  
حديث ابن عمر في إجابة اللؤذن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله  
إلا الله الحديث والطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وأثرهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني  
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله  
إلا الله وله عنه قد استصحبك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولابن عدي والمستغنى من حديث أنس  
عن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث  
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦) حديث عمرو بن  
شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبقره بيتا في الجنة » وروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أمت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها (١) » وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعنتى أربعة أنفس من ولد إسماعيل صلى الله عليه وسلم (٢) » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تمار من الليل قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي فغفر له أو دعا استجيب له فإن نوحنا وحمل قنات صلاته (٣) » .

( فضيلة التسييح والتحميد وبقيّة الأذكار )

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (٤) » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر (٥) » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي قال رسول الله ﷺ فأبذ أنت من صلاة الثلاثكة وتسييح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تضيء المصباح تأتيك الدنيا راغمة ضاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله مائة مرة ملأت ما بين السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء والسماء إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى (٧) » قال دافعة الزرقى « كذا يومنا صلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله لن حننه

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في الاستدرك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أمت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بن مالك ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعنتى أربعة أنفس من ولد إسماعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تمار من الليل قال لا إله إلا الله الحديث رواه خ (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبذ أنت من صلاة الثلاثكة وتسييح الخلائق وبها يرزقون الحديث للسنن في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لابنه آمرك بلإله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فأتها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح (٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله مائة ما بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء والسماء إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده

الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أو فرم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فانتهوا - ثم اتبعوه في أعمالهم من راجد والاجتهاد في العبادة والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الأقوال والأفعال والتخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصنع والرفق والرافة والشفقة وللدأرة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من للتكم آتيا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعتين وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا<sup>(١)</sup> وقال رسول الله ﷺ «الباقيات الصالحات من لإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٢)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر<sup>(٣)</sup>» رواه بن عمر وروى الثعلباني بن بشر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الدين يذكرون من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينقطعن حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبين أولا يجب أحدهم أن لا يزال عند الله ما يذكر به<sup>(٤)</sup>» وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس<sup>(٥)</sup>» وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال من خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت<sup>(٦)</sup>» رواه حمزة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حبة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقها أو مشتر نفسه فمقتها<sup>(٧)</sup>» وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «كتمان خفيقتان على اللسان تقيتان في اليزان جبيتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم<sup>(٨)</sup>» وقال أبو ذر رضي الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفتي الله سبحانه لئلا يكتفه سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم<sup>(٩)</sup>» وقال

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يومنا صلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه مخ -  
(٢) حديث الباقيات الصالحات من لإله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم واليلة وجب لك وصحة من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند حسن ون في اليوم واليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث الثعلباني بن بشر الدين يذكرون من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينقطعن حول العرش له دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبه الحديث ه وك وصحة على شرط م (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول والمستغرق في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال لني صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أعظم القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث حمزة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي هريرة كتمان خفيقتان على اللسان الحديث متفق عليه (٩) حديث أبي ذر أي الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفتي الله سبحانه لئلا يكتفه سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م ون

والزهد والتوكل  
فاستوفوا جميع أقسام  
التابعات وأحبوا سنته  
بأقصى التابعات . قيل  
لعبد الواحد بن زيد  
من الصوفية عندك ؟  
قال القائمون بقولهم  
على فهم السنة  
والماضون عليها  
بقولهم وللتصمون  
بسيدهم من شرفهم  
عم الصوفية وهذا  
وصف تام وصفهم به  
فكان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم دائم  
الاقتدار إلى ماله حتى  
يقول لا تمكثني إلى  
نفس طرفة عين  
أكلاني كلاءة الوليد  
ومن أشرف ما ظفربه  
الصوفي من متابعة  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم هذا الوصف  
وهو دوام الاقتدار  
ودوام الاتجاء ولا  
يتحقق بهذا الوصف  
من صدق الاقتدار  
إلا عبد كشف باطنه  
بصفاء المعرفة وأشرق  
صدره بنور اليقين  
وخلص قلبه إلى بساط  
القربى وخلصه بلاذة  
السامرة فبقيت نفسه

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر <sup>(١)</sup> » فإذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة ونحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة <sup>(٢)</sup> » وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليل صدقة وتكبير صدقة وأمر بمعرف صدقة ونهى عن منكر صدقة ووضع أحدكم القيمة في أهله فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر <sup>(٣)</sup> » وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق قال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبيح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين <sup>(٤)</sup> » وروى بسيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتحليل والتفليس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فاتها مستطقات <sup>(٥)</sup> » يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تسبيح <sup>(٦)</sup> وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي ومن قالهن عند الموت لم يمه النار <sup>(٧)</sup> » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ونحط عنه ألف سيئة <sup>(٨)</sup> »

قوله سبحان الله العظيم <sup>(١)</sup> حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله الحديث ن في اليوم واليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قال في ثواب الحمد كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة <sup>(٢)</sup> حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه <sup>(٣)</sup> حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي الحديث رواه م <sup>(٤)</sup> حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق الحديث رواه م إلا أنه قال قاله سفيان لأدري أين أربيع ولأحمد في هذا الحديث وتحمدا أربعاً وثلاثين وإسنادها جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبيرا أربعاً وثلاثين كما ذكر المصنف <sup>(٥)</sup> حديث بسيرة عليكن بالتسبيح والتحليل والتفليس ولا تغفلن واعقدن بالأنامل فاتها مستطقات د ت ك بإسناد جيد <sup>(٦)</sup> حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يقول تسبيح قلت إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن وحسنه وك <sup>(٧)</sup> حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن ون في اليوم واليلة و ه ك وصححه <sup>(٨)</sup> حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالمها وهي وشيكة الرجوع سريرة الانقلاب والاقبال قاله تعالى بكلال لطفه عرفها إلى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكانها جعلت سوطاً لعبد تمسكه لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يغفلوا الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يغفل عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيها ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ك ربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم بأحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا التمسك من

التقوى بأوثق العرى  
ومن الذى يهتدى  
إلى فائدة هذه الحال  
غير الصوفى فدوام  
افتقار إلى ربه تمسك  
بجنان الحق وليأذبه  
وفى هذا اللب إذا استغرق  
الروح واستناب القلب  
إلى محل الدعاء وفى  
أنجذاب القلب إلى محل  
الدعاء بلسان الحال  
والكون فيه نبوة  
النفس عن مستقرها  
من الأقسام العاجلة  
وتزولها إلى أمدارج  
العلم مخوفة بحراسة  
الله تعالى ورعايته  
والنفس المدبرة بهذا  
التدبير من حسن  
تدبير الله تعالى مأمونة  
العائلة من الغل والنش  
والحقد والحسد وسائر  
الذمومات فهذا حال  
الصوفى. ويجمع حمل  
حال الصوفية شيئاً  
هما وصف الصوفية  
واللهما الإشارة بقوله  
تعالى - الله يجتبي إليه  
من يشاء ويهتدى  
إليه من ينيب - فقوم  
من الصوفية خصوا  
بالاجتناب الصرف  
وقوم منهم خصوا

وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولاً أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله (١) » وفى رواية أخرى « ألا أدلك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدى واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين يصبح رضىت بالله وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة (٣) » وفى رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال باسم الله قال الملك هديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيته وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى وولى لاسيل لكم إليه . فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة الثب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة اللغات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بطل للكاشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم العامة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً (٤) وحضور القلب فى لحظة بالذكر واليهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو القديم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية والذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والطلوب ذلك الأنس والحب فان الريد فى بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانفرد فى قلبه حب المذكور ولا يفتنى أن يتعجب من هذا فان من المشاهد فى العبادات أن تذكر غالباً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيجبه وقد يشقى بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر للتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخر بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يشر الأنس بالذكر والحبه ثم تمتع الصبر عنه آخر فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تمتعت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على السكادة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولاً ويكابد كله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معادة متحملة لما تتكلف . هى النفس ما عودتها تعود . أى ما كلفها أولاً يصير لها طبعاً آخر ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله

(١) حديث يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولاً أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبى هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدى واستسلم فى اليوم واليلة ولك من قال سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدى واستسلم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث من قال حين يصبح رضىت بالله ربا الحديث . وفى اليوم واليلة . وفى صحيح الإسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر فيه سعد ابن الرزبان ضعيف جداً (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى . وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الإسناد من حديث أبى هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .



عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولادة ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ باقطاع الموانق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدعن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فغطت غبطته وتخلص من السجن الذي كان يمنوعه عما به أنسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة (١) » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك ينفى في حق الموت فكل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما تنفى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تنفى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بمداموته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يمر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عندما يمنع الذكر بل عندما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما خفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٢) » وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (٣) » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من الشركيين « يا فلان يا فلان وقد صامم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فأن وجدتم ما وعدني ربى حقاً (٤) » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جفوا ؟ فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما أتم أسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في الشركيين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « أراحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش (٥) » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولأحبين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن اللطوب الحاتمة ونفى بالحاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يحمل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريد لها حياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما خفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من الشركيين يا فلان يا فلان وقد صامم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعدني ربى حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش م من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة للمؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح .

بالهداية بشرط مقدمة الإثابة فالاجتناب المحض غير مطلق بكسب العبد وهذا حال المحبوب للراد يادته الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتاده وفي هذا أخذ بظانفة من الصوفية رقت الحجب عن قلوبهم وبأدرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذادة والديش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحره فرعون لذادة التازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا - لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن



أبي الفضل إجازة  
قال أنا أبو بكر أحمد  
ابن علي بن خلف  
إجازة قال أنا  
عبد الرحمن السلي  
قال سمعت منصورا  
يقول سمعت أبا موسى  
الزقاق يقول سمعت  
أبا سعيد الخزاز يقول  
أهل الخالصة الذين هم  
المرادون اجتنابهم مولا  
وأكل لهم النعمة وهيا  
لهم الكرامة فأسقط  
عنهم حركات الطلب  
فصارت حركاتهم في  
العمل والخدمة على  
الألفة والذكر والتنم  
بمناجاته والافتقار  
بقربه وهذا الاسناد  
إلى أبي عبد الرحمن  
السلي قال سمعت علي  
ابن سعيد يقول سمعت  
أحمد بن الحسن الحصري  
يقول سمعت فاطمة  
المعروفة بجورية  
تليقذة أبي سعيد يقول  
سمعت الخزاز يقول  
المراد محمول في حاله  
معان على حركاته وسعيه  
في الخدمة مكنى مصون  
عن الشواهد والنواظر  
وهذا الذي قاله الشيخ  
أبو سعيد هو الذي

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر «ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله عز وجل أحيا أباك فأقده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى نعم علي يا عبدی ما شئت أعطيكه قال يارب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى قال عز وجل سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون (١)» ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن أُرجم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تغريه فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتنحى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلعة حظه في الآخرة إذ يموت الرء على ما عاش عليه ويمش على ما مات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك (٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بـ «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إلا فهذا الشهيد قاتل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواء ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض اللوائح الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله عخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للنقل . فسنأل الله تعالى أن يخلصنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفين إليها بل متبرمين بها ومحبين لقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العامة .

( الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة  
وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم )

### ( فضيلة الدعاء )

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي - وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله أحيا أباك وأقده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى نعم علي الحديث وقال حسن و . ك وصحح إسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقاتل ليل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبو موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل يقاتل لله كره والرجل يقاتل للنفس والرجل يقاتل ليري مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث تفصيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار وقال حسن و ن في اليوم واليلة و . من حديث جابر ( الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله )

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي امدعوا فله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم (١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مع العبادة (٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له (٤) » وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من اللبس وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

### (آداب الدعاء وهي عشرة)

الأول : أن يرصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالأسماء يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له (٦) » وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو في وقت السحر قبيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلقه فأوحى الله عز وجل إليه أني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثاني : أن يقتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول النيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جملة في خير الساعات فليكن بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا يرد دعوته (٨) » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من اللشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع المهم وتعاون القلوب على استدراار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

- (١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مع العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا يعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب و ه ح ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له الدبلى في الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ في الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ت في اليوم واليلة وت وحسنه من حديث أنس وصفه ابن عدى وابن القطان ورواه في اليوم واليلة باسناد آخر جييد وح ك وصححه (٨) حديث الصائم لا يرد دعوته ت وقال حسن و ه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه .

أخيه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من التوافل وقد رأوا جمعا من الشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يعلموا أن الذين تركوا التوافل واتصروا على الفرائض صكانت بدايتهم بدايات للريدين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فاما المرادون فبقى عليهم الأعمال والتوافل وفيها قرّة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق الريدين وم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - فطوبى لسا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثر أوافيه من الدعاء (١) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنني نهيته أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه لمن أن يستجاب لكم (٢) » . الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى ياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غابت الشمس (٣) » وقال سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردّها صفراً (٤) » وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه (٥) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على إنسان يدعو ويشير بأصبعه السبائين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ارفعوا هذا الأيدي قبل أن تفل بالأغلال ثم ينفى أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه (٨) فهذه هيئات اليد ولا يرفع يده إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « ليتبين أقوام عن رفع أبحارهم إلى السماء عند الدعاء أول تخطفن أبحارهم (٩) » الرابع : خفض الصوت بين الخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قد سمنا مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبروا كبر الناس ورفضوا أصواتهم فقال النبي ﷺ « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غالب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم (١٠) » وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أي بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال - إذ نادى ربه نداء خفياً - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعاً وخفية - . الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينفى أن يكون حال متضرع

(١) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر أوافيه من الدعاء رواه م (٢) حديث ابن عباس إنني نهيته أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً الحديث م أيضاً (٣) حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غابت الشمس م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفاً و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه برفات فرفع يديه يدعو ورجاله تقات (٤) حديث سلمان إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها صفراً دت وحسنه وهك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة مرّ على إنسان يدعو بأصبعه السبائين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن وهك وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب وهك في المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف (٩) حديث ليتبين أقوام عن رفع أبحارهم إلى السماء عند الدعاء أول تخطفن أبحارهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غالب متفق عليه مع اختلاف اللفظ الذي ذكره الصنف لأن داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أي بدعائك متفق عليه .

فيتأهدينهم سبلنا -  
يدرجهم الله تعالى في  
مدارج الكسب بأنواع  
الرياضات والمجاهدات  
وسهر الداجر وظلما  
المواجر وتأجج فيهم  
نيران الطلب وتتجلب  
دونهم لوامع الأرب  
يتقبلون في رمضان  
الإرادة وينخلعون  
عن كل مألوف وعادة  
وهي الإنابة التي شرطها  
الحق سبحانه وتعالى  
لهم وجعل الهداية  
مقرونة بها وهنـه  
الهداية آخا هداية  
خاصة لأنها هداية إليه  
غير الهداية العامة التي  
هي المدي إلى أمره  
ونيه بمقتضى المعرفة  
الأولى وهذا حال  
السالك المحب للرب  
فكانت الإنابة خير  
الهداية العامة فأعمرت  
هداية خاصة واهتدوا  
إليه بعد أن اهتدوا  
بالمكابدات فخلصوا  
من مضيق الضر إلى  
فضاء اليسر وبرزوا  
من وهج الاجتهاد إلى  
روح الأحوال فسبق  
اجتهادهم كشوفهم  
والرادون سبق

والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »<sup>(١)</sup> وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن يجاوز الدعوات للأثورة فإنه قد يتدى في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته لما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال عليه السلام « يا أيكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » وفي الخبر يأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومريم بعض السلف بقاس يدعو بسجع فقال له أهي الله تعالى أشهد لقد رأيت عبيدا المجسم يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وقنا للغير والناس يدعون من كل ناحية ورايه وكان يعرف بركته دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فنادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يغبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن للراد بالسجع هو التكلف من الكلام فإن ذلك لا يلزم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية للأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين والشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد »<sup>(٢)</sup> وأمثال ذلك فليقتصر على الأثورة من الدعوات أوليتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الحيرات ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه »<sup>(٣)</sup> . السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له »<sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء »<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور د . حب ك من حديث عبد الله بن مغفل  
(٢) حديث يا أيكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون إلا ذلك و . ك واللفظ له وقال صحيح الاستناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره  
(٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين والشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى س . الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبدا حبب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته ولطبراني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبيدي فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وسندها ضعيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء حب من حديث أبي هريرة .

كشوفهم اجتهدم  
أخبرنا الشيخ الثقة  
أبو الفتح محمد بن  
عبد الباقي قال أنا  
أبو الفضل أحمد بن  
أحمد قال أنا الحافظ  
أبو نعيم الأصفهاني قال  
تنا محمد بن الحسين بن  
موسى قال سمعت محمد  
ابن عبد الله الرازي  
يقول سمعت أبا محمد  
الجريري يقول سمعت  
الجنيد رحمه الله عليه  
يقول لما أخذنا التصوف  
عن القليل والقال  
ولكن عن الجوع  
وترك الدنيا وقطع  
المألوفات وللتحسنتات  
قال محمد بن خفيف  
الإرادة سمو القلب  
لعل للراد وحقيقة  
الإرادة استدامة الجد  
وترك الراحة وقال  
أبو عثمان الريد الذي  
مات قلبه عن كل شيء  
دون الله تعالى فريد  
الله وحده ويريد  
قربه ويشتاق إليه  
حتى تذهب شهوات  
الدنيا عن قلبه لشدة

وادعوا الله وأتمم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل<sup>(١)</sup> وقال  
سفيان بن عيينة لا يمن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس  
لنه الله إذ قال رب فأنتظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من اللظفرين - . الثامن : أن يلج في الدعاء  
ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا<sup>(٢)</sup> وينبغي أن لا يستبطى  
الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فاذا  
دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كرما<sup>(٣)</sup> » وقال بعضهم إنى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة  
حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا ينبغي وقال صلى الله عليه وسلم  
« إذا سأل أحدكم ربه مسألة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء  
من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال<sup>(٤)</sup> » . التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال  
قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتح بقوله سبحان ربى العلى الأعلى  
الوهاب<sup>(٥)</sup> وقال أبو سليمان النخعي رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله  
عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يقبل الصلاتين  
وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألت الله  
عز وجل حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداها ويرد  
الأخرى<sup>(٦)</sup> » رواه أبو طالب الليثي . العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة التوبة ورد للظالم  
والاقبال على الله عز وجل بكنه الحمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الأحبار أنه  
قال أصاب الناس قحط عديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني إسرائيل  
يسئق بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إنى  
لا استجيب لك ولألمن معك وفيكم غم قال موسى يارب ومن هو حق فخرجه من بيننا فأوحى الله  
عز وجل إليه يا موسى أنبأهم عن النعمة وأكون نعماءا قال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم  
بأجمعكم عن النعمة فتابوا فأرسل تعالى عليهم التيت . وقال سعيد بن جبيرة قحط الناس في زمن ملك  
من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا قال لذلك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أولئذينة قيل  
له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء قال أتدل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل  
الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري يفتى أن بني إسرائيل قطعوا سبع سنين حتى أكلوا للبتة من

(١) حديث ادعوا الله وأتمم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من  
حديث أبي هريرة وقال غريب وك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح اللرى وهو أحد زهاد البصرة  
قلت لكنه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا  
سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيقول قد دعوت فلم  
يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سأل أحدكم مسألة فعرف الاجابة فليقل  
الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في  
الدعوات من حديث أبي هريرة والحاكم بحجوه من حديث عائشة غنصرا باسناد ضعيف (٥) حديث  
سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتح وقال سبحان  
ربى العلى الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد الجاني ضعف الجمهور  
(٦) حديث إذا سألت الله حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين  
فيعطى إحداها ويرد الأخرى لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي النضر .

شوقه إلى ربه وقال  
أيضا عقوبة قلب  
للريدين أن يحجبوا  
عن حقيقة للاملات  
والقامات إلى أصدادها  
فهذان الطريقان  
يعلمان أحوال  
الصوفية ودونها طريقان  
آخران ليسا من طرق  
التحقق بالتصوف .  
أحدهما مجذوب أبقى  
على جذبة مارد إلى  
الاجتهاد بعد الكشف  
والثاني مجتهد متعب  
ماخلص إلى الكشف  
بعد الاجتهاد وللصوفية  
في طريقتهما باب  
مزيد ومحة طريقتهم  
بحسن التابعة ومن  
ظن أن يبلغ غرضا  
أو يظفر بمراد لامن  
طريق للتابعة فهو  
مخذول مغرور . أخبرنا  
شيخنا أبو النجيب  
السهروردي قال أنا  
عصام الدين عمر بن  
أحمد الصغار قال أنا  
أبو بكر أحمد بن علي  
ابن خلف قال أنا أبو  
عبد الرحمن قال سمعت

الزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يكون وينضمون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومستين إلى بأقدامكم حتى تحفر ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل السننكم عن الدعاء فاني لأجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيًا حتى تردوا للظالم إلى أهلها فقلوا فطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قطع فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وتضعون إلى أكفاد مفسدة بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تردوا مني إلا بمدا . وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستقي فربضه ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك ولاخني بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غبونا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا قد صقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يا مشرك من حضر السم مفرين بالإساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول - ما على الحسين من سيل - وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لثنا اللهم فافقرنا وارحمنا واستقنا فرغ يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لماك بن دينار أدم لنا ربك فقال إنكم تستبطئون للطر وأنا أستبطي الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستقي فضا ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فارجعوا كلهم ولم يبق معه في القفازة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فترتني امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فضا جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانزعجتا وأبعت للمرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فتجلت السماء سحابا ثم صبت فسقوا . وقال يحيى النساني أصاب الناس قطع على عهد داود عليه السلام فاخترأوا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك آزلت في توراتك أن نفو عن ظننا اللهم إنا قد ظننا أخشنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك آزلت في توراتك أن نفتق أرقامنا اللهم إنا أرقامنا فاعتقنا وقال الثالث اللهم إنك آزلت في توراتك أن لا رد للسالكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقتنا يابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلي مننا النبيث فخرجنا نستقي فإذا نحن بعمدون المجنون في القفار فنظر إلى قال بإعطاء أهلنا يوم النشور أو بغير ما في القبور قلت لا ولكننا مننا النبيث فخرجنا نستقي فقال بإعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية قلت بل بقلوب سماوية فقال هيات بإعطاء قل للتبرجين لا يتبرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفة وقال إلهي وسيدى ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر السكون من أسماك وماوارت الحجب من آلائك إلا ما سقينا ماء غدا فرأيتا يحيى به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شيء قدير قال عطاء لما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والمابدون إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العلية جبا فاقضى لهم نوم ساهرونا

غفلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستقون فخرجت معهم إذ أتيت غلام أسود عليه قطعتا خيش قد أترز باحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جانبي فسمعت يقول إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عناغيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليفا أناة يامن لا يعرف عباده من إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة فمزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر  
يقول صمت قريبا فلام  
الرفاق يقول صمت  
أبا سعيد السكري يقول  
صمت أبا سعيد الحراز  
يقول كل باطن بخافه  
ظاهر فهو باطل وكان  
يقول الجنيد رحمه الله  
علنا هذا مشبك  
بحديث رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وقال بعضهم من أمر  
للسنة على نفسه قولا  
وفلا نطق بالحكمة  
ومن أمر الهوى على  
نفسه قولا وفلا نطق  
بالبدعة . حكى أن  
أبا يزيد البسطامي  
رحمه الله قال ذات يوم  
لبعض أصحابه قم بنا  
حتى ننظر إلى هذا  
الرجل الذي قد شهر  
نفسه بالولاية وكان  
الرجل في ناحية مقصودا  
ومشهورا بالزهد  
والعبادة فضيئنا إليه  
فما خرج من بيته قصد  
السجدة بزاوية نحو  
القبلة قال أبو يزيد  
انصرفوا فانصرف



الساعة حتى اكتست السماء بالغيوم وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فبحثت إلى الفضيل فقال مالي أراك كشيئا قلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخرتمفشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجهت إلى القوم إليك لمكان من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراحم لا تهمل الضالة ولا تضع الكبير بدار مضيق قد ضرع الصغير ورق الكبير وارفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغيائك قبل أن يفتنوا فيهلكوا فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فإتم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

( فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم )

قال الله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه » قال عليه السلام إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه غفرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى على فليقل عند ذلك أوليكم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة (٣) » وقال عليه السلام « من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات (٤) » وقال عليه السلام « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي (٥) » وقال رسول الله ﷺ « من صلى على »

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما ترى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة (٢) حديث من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى فليقل عند ذلك أوليكم (٣) حديث إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٤) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصل على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وحب من حديث أخيه الحسن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٥) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة دن . حبك وقال صحيح على شرط من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في المثل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات ن في اليوم واليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات ، وله في السير ولا بن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ وقال النداء

ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمؤمن على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين وشيوخ خدام النبيل رحمه الله ما رأيت منه عند موته قال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى أن وضعتي للصلاة فوضاته ففسيحت غليل لحية قبض على يدي وأدخل أصابعي في لحية غلظها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فاطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعي حالا على غير هذا الوجه فلدع مفتون كذاب .

[ الباب الخامس في

ماهية التصوف ]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة

طاهر بن أبي الفضل في

كتابه قال أنا أبو بكر

أحمد بن علي بن خلف



في كتاب لم تزل للملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يلتمون عن أمي السلام » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس أحد يسلم على إلاردا لله على روعي حتى أرد عليه السلام » (٣) . « قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » (٤) . وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جلع فخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمهم فعن الجذع لقرارك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمثك كانت أولى بالحنين إليك لما رقتهم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته قال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالدين قال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن بشك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تنفجر منه الأنهار لفاذا بأعجب من أصابك حين تبع منها للاء صلى الله عليه عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليه عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله اللوت فاذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية قالت لك القراع لانا كلني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعانا نوح على قومه قال رب لا تنذرني الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بثلثا لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت ربايتك فأبيت أن تقول إلا خيرا قلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالسنا ولولم تتكلم

وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي للعمري في اليوم واليلة من حديث أبي البرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وقبل شفاعة في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمعتم للؤذن يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم صلوا الله على الوصيلة وفيه لمن سأل الوصيلة جلت عليه الشفاعة (١) حديث من صلى على في كتاب لم تزل للملائكة تستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب وللمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن في الأرض ملائكة سياحين يلتمون عن أمي السلام تقدم في آخر الحج (٣) حديث ليس أحد يسلم على إلاردا لله على روعي حتى أرد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيروازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال أنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال شاعثان ابن سعد قال شاعث ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب للمساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة قال فقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال رؤيم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقرو الافتقار والتحقيق بالبلد والإيتار وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا عناية . وقال :



سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل بالغ أو عدد ورقى الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل قلعت « يارسول الله لقد خشيت أن يدخلني لسانى النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار فاني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبت إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمرى ومأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى هزلى وجدى وخطي وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت اللطيف الخبير وأنت على كل شئ قدير (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلقتة فإذا حلف صدقته قال وحديثى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصل ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - (٨) الآية - وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء فى قلبه فإن تاب

(١) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة خ من حديث أبى هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره للصف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (٣) حديث من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . قلت الوصافى وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود « ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن فى اليوم واليلة وه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة الخ وزاد أوتوبت إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والطبرانى فى الدعاء فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمرى ومأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على عن أبى بكر مامن عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصل ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

ومعته يقول سألت أبا بكر الصرى عن الفقير فقال الذى لا يملك ولا يملك (قوله لا يكون إلى الله حاجة) معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلامه به لا يعوجه إلى رفع الحاجة لعله يعلم الله بحاله فىرى السؤال فى البين زيادة ، وأقوال الشايع تنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال وأوقات دون أوقات وتحتاج فى تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط قد تذكر أشياء فى معنى التصوف ذكر مثلها فى معنى الفقر وتذكر أشياء فى معنى الفقر ذكر مثلها فى معنى التصوف وحيث وقع الاعتناء فلا بد من بيان فاصل قد تشبهه الاشارات فى الفقر بمعانى الزهد نيرة ومعانى التصوف

وزرع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تلف قلبه (١) فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وروى أبو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبء في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول عز وجل استغفر وتلك لك (٢) وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجلني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنباً قال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فلم أن لهرباً يأخذ بالذنب وينفر الذنب عبدي أحمل ما شئت قد غفرت لك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (٥) » وقال (٦) « إن رجلاً لم يصل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنباً فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي (٩) » وقال (١٠) « من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي فإنه لا ينفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب القمل (١١) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بك بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا ينفر الذنوب جميعاً إلا أنت (١٢) » الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبادي إلى للتحابون محبي والتعلق قلوبهم بالمساجد وللستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت

(١) حديث أبي هريرة إن للؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وزرع واستغفر صقل قلبه الحديث ت وصحه ون في اليوم واليلة و . حب لك (٢) حديث أبي هريرة إن الله ليرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول باستغفار وتلك لك رواه أحمد بإسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجلني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وفيه على ابن زيد بن جهمان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد قال اللهم اغفر لي يقول الله أذنب عبدي ذنباً فلم أن له رباً يأخذ بالذنب وينفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة د ت من حديث أبي بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوي (٦) حديث إن رجلاً لم يصل خيراً قط نظر إلى السماء قال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقصله على أصل (٧) حديث من أذنب فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي ت . من حديث أبي ذر وقال ت حسن وأمله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا ينفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كدب القمل البقي في الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تهولن لو كان عليك كمد الجمل أو كمد الدر ذنوباً غفرها الله لك فذكره بزيادة لإله إلا أنت في أوله وفيه ابن لهيعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث مع من حديث عطاء بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبي ما قدمت منها وأخرت ودون قوله جميعاً .

تأرقولا يبين المستغفر  
بعضها من البعض .  
فتقول التصوف غير  
الفقر والزهد غير الفقر  
والتصوف غير الزهد  
فالتصوف اسم جامع  
للمعانى الفقر ومعاني  
الزهد مع مزيداً وصف  
وإضافات لا يكون  
بدونها الرجل صوفياً  
وإن كان زاهداً  
وقديراً . قال أبو حنيس  
التصوف كله آداب  
لكل وقت وأدب ولكل  
حال أدب ولكل مقام  
أدب فمن لزم آداب  
الأوقات بلغ مبلغ  
الرجال ومن ضيع  
الآداب فهو بعيد من  
حيث يقطن القرب  
ومردود من حيث  
يرجو القبول . وقال  
أيضاً حسن آداب الظاهر  
عنوان حسن أدب  
الباطن لأن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال  
« لو خشع قلبه لخضعت  
جوارحه » . أخبرنا  
الشيخ رضي الدين  
أحمد بن إسماعيل بإجازة

أهل الأرض بقوبة ذكرتهم قتركتهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائم ودوائكم أما دأؤكم فالذنوب وأما دوائكم فالاستغفار . وقال علي كرم الله وجهه السبب بمن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تحسرها ألقى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الريح بن خثيم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأنوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة المدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للوؤم وإن تركي استغفارك مع على بسمة غفوك لجزفكم تحجب إلي بالنعم مع غناك عني وكما أبغض إليك بالمعاصي مع قترى إليك يامن إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم غفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزيد البحر ذنوبا لحيث عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء غلصا إن شاء الله تعالى . اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف لك به واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك غفلة غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستغنت بها عن مصيبتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت به في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء أوخلاء وسر وعلاية يا حلیم وقال إياه استغفار آدم عليه السلام وقيل الحضر عليه الصلاة والسلام .

( الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب )

أن يدعو بها للرء صباحا ومساء وبمقب كل صلاة )

لها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة قدام يصلي من الليل فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملتي وتلم بها شغبي وترد بها الفتن عني وتصلح بهادي وتغفر بها غايبى وترفع بها شهادتي وترزق بها عيلى وتبييض بها وجهي وتلهمنى بهار شدى وتضمنى بهامن كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقيناً ليس بسوء كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنال الشهادة وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومراقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتى وإن ضعف رأى وقلت حيلتى وقصر عملى واقتضت إلى رحمتك فأسألك يا كافى الأمور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السمير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرغب إليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلاما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادي بسداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء عليك الاجابة وهذا الجهد عليك التكلان وإن الله وإنا إليراجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ذى الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الحلود مع القرين اليهود والر كع السجود الوفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحانه الذى

( الباب الثالث في أدعية مأثورة )

قلنا نا الشيخ أبو للظفر عبد للثم قال أخبرنى واللى أبو القاسم القشبرى قال سمعت محمد بن أحمد بن عيسى الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سئل أبو محمد الجربرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سقى والخروج عن كل خلق دنى فاذا عرف هذا للمنى فى التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يغزقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى سلفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله هذا وصف المصوفى والله تعالى معام قراء وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر قول الفقير فى فقره

لبس المز وقال به سبحان الذي تعطف بالجهد وتسكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شمري ونورا في طمى ونورا في شالي في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوق ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا (١) .

(دعاء عائشة رضي الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لما شترضى الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك من الشر ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

(دعاء فاطمة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ما يمنك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله (٣) » .

(دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيت أوقضاء قضيت وأسائل أعطيت أوفى أقرته أوقبر أغنيته أوزال أهديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذي بثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعت على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعت على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعت على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد التوثر للزل في كتابك من لدنك من النور للبين وأسألك باسمك الذي وضعت على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبظلمتك وكبرياتك وب نور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحى ودمى وسمي وبصري وتستعمل به جسدى ومولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حديث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شمل وتلم بها شئ الحديث وقال غريب ولم يذكر في أوله بسم العباس لابنه عباده ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . و . وصححه من حديثها (٣) حديث يا فاطمة ما يمنك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله في اليوم واليلة . و . من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك الحديث في الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية

تمسك به متحقق  
بفضله يؤثره على  
النفس متطلع إلى  
ما تحق من العوض  
عند الله حيث يقول  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم « يدخل قراء  
أمن الجنة قبل الأغنياء  
بنصف يوم وهو خمسمائة  
عام » فكلما لاحظ  
العوض الباقي أمسك  
عن الحاصل الثاني  
وعانق الفقر والقلة  
وخشى زوال الفقر  
لفوات الفضيلة والعوض  
وهذا عين الاعتلال في  
طريق الصوفية لأنه  
تطلع إلى الأعواض  
وترك لأجلها والصوفي  
يترك الأشياء  
للاعواض للعودة  
بل للأحوال للوجود  
فانه ابن وقته وأيضاً  
ترك الفقير الحظ  
العاجل واغتنامه  
الفقر اختيار منه  
وإرادة والاختيار  
والإرادة علة في حال  
الصوفي لأن الصوفي  
صار قائماً في الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمى رضي الله عنه)

روى أنقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً لم ينسهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبداً قال قلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقوتى رضاك ضعفى وخذلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضاى اللهم إني ضعيف فقوتى وإني ذليل فأعزنى وإني فقير فأغننى يا أرحم الراحمين (١) » .

(دعاء قبيصة بن الحارث)

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « على كلمات ينفعنى الله عز وجل بها قد كبرت سنّى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لديك فإذا صليت النداء قل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فانك إذا قلتين أمنت من الهم والجدام والبرص والفالج وأما آخرتك قل اللهم اهدنى من عندك وأفض على من فضلك واتر على من رحمتك وأزل على من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفى بين عبد يوم القيامة لم يدعهم فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيهاها (٢) » .

(دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه)

« قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلتك قال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتته آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ما تدرى أى قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتين وعسى اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عددا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

(دعاء الحليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خلق جديد فاتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاعفها لى إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيرى وأصبحت مرتها بملى فلا تقير أقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديق ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى يا حى يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبثة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم القرآن ويتفلت منى فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر .

(١) حديث بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهن إياه الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم على كلمات ينفعنى الله بها قد كبرت سنّى وعجزت الحديث ابن السنى فى اليوم واليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد فى للسند مختصراً من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبي الدرداء احترقت دارك قال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبرانى فى الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

يارادة الله تعالى لابرادة نفسه فلا يرى فضيلة فى صورة قمر ولا فى صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيها بوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويبلغ الاذن من الله تعالى فى الدخول فى الشيء وقد يدخل فى صورته متبانية للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ فى السمة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح فى السمة والدخول فيها للصادقين إلا بسد احكامهم علم الاذن وفى هذا منزلة للأقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه ركب الحال لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتوف وعلم أن الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول



(دعاء الحذر عليه السلام)

يقال إن الحذر والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات : باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والفرق والسرقة إن شاء الله تعالى .

(دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه)

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس لعدنيا وخمس للآخرة من دعاء الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت أكتبها لي قال لا ولكن أرددتها عليك كما رددتها علي بكر بن خنيس رحمه الله : حسبي الله لديني حسبي الله دنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بضي علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند اللوث حسبي الله الرؤوف عند المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله الطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لإله الإلهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال : من قال في كل يوم سبع مرات - فان تولوا قل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - كفاه الله عز وجل ما أمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا .

(دعاء عتبة الغلام)

وقدر في المنام بدموعه فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات : اللهم يا هادي الضلّين ويا راحم اللّذين ويا مقبل عثرات المّارين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم وللّسّين كلّهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار للرزوقين الذين أنعمت عليهم من التّبيين والصّدقين والشّهداء والصّالحين آمين يا رب العالمين .

(دعاء آدم عليه الصلاة والسلام)

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمحي ربوة حمراء ثم قام فسلم ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلائق فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا ياتر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت عليه والرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وانجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي رانحة وإن كان لا يريدتها .

(دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وإن الله تعالى بمجد نفسه كل يوم ويقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم إني أنا الله لا إله إلا أنا لم أوله إني أنا الله لا إله إلا أنا الغفور إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء وإلى يوم الدين العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم النيب والشهادة للكل القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباري للصور الكبير لتمام القدر القهار الحليم الكريم أهل التناء والجدا علم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخلق (١) وهذا ذكر قبل كل كلمة إني أنا الله لا إله إلا أنا كما وردناه

(١) حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال يقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم الحديث بطوله لم أجده أصلا .

إلى ربّ التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر . قال الجنيد رحمه الله عليه : التصوف هو أن يمتك الحق عنك ويعيك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه قائما في الأشياء بالله لا بنفسه والفقر والزاهد مكوّنان في الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما بجهتدان مبلغ عليهما والصوفي متم لنفسه مستقل لعله غير راكن إلى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه . قال ذو النون المصري رحمه الله عليه الصوف من لا يتعبه طلب ولا يزعمه سلب وقال أيضا الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء فأزهم الله على كل شيء فكان من إشارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم

في الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المحبتين الذين يجاوزون همدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدین في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .  
( دعاء للعترة وهو وسيلان التیمی وتسميحاته رضي الله عنه )

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا يلاذ الروم قال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال ؟ قال رأيت تسميحات ابن للعترة من الله عز وجل بمكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل سمواته ومل أرضه ومثل ذلك وأضفاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما ماضى ذا كروه فما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأخماس وأبد من الأبدان من أبد إلى أبد أبداً الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفذ آخره .

( دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه )

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرجأ يوم الزيد والزيد الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد أكتب لنا فيه ما نؤول بسم الله الحميد الحميد الرفيع الودود القمائل في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمناً وبقائه مصداً ومحجته معترفاً ومن ذنب مستغفراً ولربوبية الله خاضعاً ولسوى الله في الآلهة جاحداً وإلى الله قتيلاً وعلى الله متكللاً وإلى الله منياً أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملته وعرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاة حق ومنكراً ونكيراً حق ووعدك حق ووعدك حق وقائك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبت إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا ينفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت ليك وسعديك والخير كله يديك وأنا لك وإليك أستغفر لك وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يا رب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد وأسقنا بكأسه مشرباً رويأ ساقماً هنياً لانظماً بعده أبداً واحشرنا في زمرة غير خزايا ولا ناكسين للهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مضطوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووقني لما تحب وترضى وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالماً سبحانه يا طي يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحانه من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصداها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأعجار بأصولها ومملوها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن - سبحانه من سبى له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعالى سبحانه ،

وإرادة الله على إرادة  
ملوسهم . قبل بعضهم  
من أصعب من  
الطوائف قال الصوفية  
فلان لم ينجح عندهم  
وجهاً من العاذرو ليس  
لكبير من العمل  
عندهم وقع رفضونك  
به فتعجبك فتعجبك  
وهذا علم لا يوجد عند  
الفقير والزاهد لأن  
الزاهد يستعظم الترك  
ويستحب الأخذ  
وهكذا الفقير وذلك  
لضيق وطأهم ووقوفهم  
على حد علمهم . وقال  
بعضهم الصوفى من  
إذا استقبله حالان  
حسنان أو خلقان  
حسنان يكون مع  
الأحسن والفقير  
والزاهد لا يميزان كل  
الخير بين الخلقين  
الحسنين بل يختاران  
من الأخلاق أيضاً  
ملهو أدعى إلى الترك  
والخروج عن عوازل  
الدنيا ما كان في ذلك  
بطلبها والصوفى هو  
المتدين الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تهي ونميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير .

( الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم مخلوقة الأسانيد متخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله )

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أرواحه الدعاء كسبائي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحث الآخرة للتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به قلب في مفتاح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) سبحانه ربّي العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل غثائي وأخفني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أخلط من تحي (٥) اللهم لا تؤمنني مكره ولا تؤمنني غيرك ولا تزع عني شرك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من النافلين (٦) وقل اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت (٨) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبردا لعيشي وسد لولتي ولنة النظر إلى وجهك الكريم وحسناً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعشى أو أعشى على أو أ كسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره (٩)

( الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم )

(١) حديث افتتاح الدعاء سبحانه ربّي العلى الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث للبخاري بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا والحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه دت وصححه وحسب وك وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل غثائي وأخفني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أخلط من تحي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح (٦) حديث اللهم لا تؤمنني مكره ولا تؤمنني غيرك ولا تزع عني شرك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من النافلين وما أ بوم منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تؤمنني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت خ من حديث عطاء بن أوس وقد تقدم (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات د ن في اليوم واليلة من حديث أبي بكره وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء بالحديث

عند الله بصدق التجاه  
وحسن إجابته وحظ  
قربه ولطف ولوجه  
وخروجه إلى الله تعالى  
لعله يبره وحظه من  
عاداته ومكائنه  
رويم التصوف  
استرسال النفس مع  
الله تعالى على ما يريد  
وقال عمرو بن عثمان  
للكي التصوف أن  
يكون العبد في كل  
وقت مشغولاً بما هو  
أولى في الوقت وقال  
بعضهم التصوف أوله  
علم وأوسطه عمل  
 وآخره موهبة من الله  
تعالى وقيل التصوف  
ذكر مع اجتماع ووجد  
مع استماع وعمل مع  
اتباع وقيل التصوف  
ترك التكلف وبذل  
الروح وقال سهل بن  
عبد الله الصوفي من  
صفاء من الكدر والعتلا  
من الفكر والقطع  
إلى الله من البصر  
واستوى عند الذهب  
واللدر ومثل  
بعضهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقاً مستقيماً ولساناً صادقاً وعملاً متقبلاً وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت القديم وأنت للآخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونهما لا ينفد وقرة عين الأبد ومراقبة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمي وإذا أردت بمؤمن فاقبضني إليك غير مفتون (٤) اللهم بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والنضب والصدق في الفقر وقدة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضره وقتة مضرة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين مصائبك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرحاً وأسكن في قلوبنا من عظمتك ما نذل به جوارحنا لحضرتك واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك (٧) اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تركة ومغفرة (٨)

إلى قوله أودبنا لا يغير أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (٩) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث عبيد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (١٠) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (١١) حديث اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونهما لا ينفد وقرة عين الأبد الحديث ن في اليوم واليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نهما لا ينفد وقرة عين لا تقطع (١٢) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فصل الخيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحة (١٣) حديث اللهم إني أسألك بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (١٤) حديث اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين مصيبك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم بجلسه بذلك (١٥) حديث اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحاً الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك ممن سواك لما أف له على أصل (١٦) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تركة عبد بن حميد في التتبع والطبراني من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحاً وإسناده ضعيف .

قال تصفية القلب  
عن موافقة البرية  
ومفارقة الأخلاق  
الطبيعية وإخاد صفات  
الشرية ومجانبة  
الدواعي النفسانية  
ومنازلة الصفات  
الروحانية والتعلق  
بعلوم الحقيقة واتباع  
الرسول في الشريعة .  
قال ذواتون المصطفى  
رأيت بعض سواحل  
الشام امرأة قتلت من  
أين أقبلت قالت من  
عند أقوام تتجافى  
جنوبهم عن المضاجع  
قتلت وأين تريد  
قالت إلى رجال لا تلهمهم  
تجارة ولا بيع عن  
ذكر الله قتل صفهم  
لي فأنشأت :  
قوم همومهم بالله قد  
علقت  
فألهم هم تسمو إلى  
أحد  
فطلب القوم مولاهم  
وسيدهم  
يا حسن مطلبهم للواحد  
الصمد

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لمظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء للملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكته وتصاغر كل شيء لكبريائه (١)  
 اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آل الله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاك عنا ووقتنا لهما بك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على اعف عن إنك أنت الغفار الحليم وبملكك بي ارفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكي نفسي ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي ولا ينفر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمني رشدی وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تماقني عليه وقنني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني (٨) أسألك العفو والمغفرة وحسن اليقين والمعاونة في الدنيا والآخرة (٩) يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لمظمته وذل كل شيء لعزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٣) حديث اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا وخ من حديث أبي سعيد اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وحب قط لك حق من حديث ابن مسعود اللهم صلى على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابنه المقام المحمود الذي وعدته وهو عند شيخ بلفظ وابنه مقاما محمودا قال قط إنساده حسن وقال ك صحيح وقال حق في المعرفة إنساده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقف له على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه وطب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو بهذا الكلام فذكر منها اللهم إني أسألك فوائج الخير وخواتمه وأوله وآخره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لأعلم روى عنه إلاموسى بن عتبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على اعف عن الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربي إنه لا ينفر الذنوب إلا أنت حق في الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي إنك أنت ربي وقد تقدم في الباب الثاني (٨) حديث اللهم ألهمني رشدی وقني شر نفسي ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه الحصين وقال حسن غريب ورواه في اليوم واليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقني حلالا لا تماقني فيه وأقنني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني لم من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنني بما رزقتني وبارك لي فيه وأخلف على كل فائبة لي بخير وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١٠) حديث اللهم إني أسألك العفو والمغفرة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن

ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف  
 من للطاعم والذات والولد  
 ولا لبس ثياب فائق أنق  
 ولا لروح سرور حل في بلد  
 إلا مسارعة في إثر منزلة  
 قد قارب الخطو فيها باعد الأبد  
 فهم رهائن غدران وأودية  
 وفي الشوامخ تلقام مع العدد  
 وقال الجنيد: الصولي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مبيع  
 وقال أيضا هو كالأرض يطرؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء وأقوال للشايج في ماهية التصوف  
 تزيد على ألف قول ويطول خلتها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الألفاظ

الفقرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك للصير ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين ربنا لا نجعلنا فتنه للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إنا نعوذ بك منا ما نأذي للإيمان إلى قوله عز وجل إنك لا تخلف للعباد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إنا نعوذ بك من أن نضل أو نكون من المفلوتين ربنا اغفر لنا ولوالدينا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (١) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (٢). أنواع الاستعاذة للأئمة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر (٣) اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطعم ومن طمع حيث لا مطعم (٤)

من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سلوا الله العافية فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية للبيهقي سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (١) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه الفقرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن بسند ضعيف (٢) حديث زب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ده باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة هل بقي على من برأ أبو موسى قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبي الشيخ حب في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ردت الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أيعا رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليت في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها زكاة (٣) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه والطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى في بطن الليل اللهم اغفر وارحم وأنت الأكرم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقفا عليه بسند صحيح (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر من حديث سعد بن أبي وقاص (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع وطمع في غير مطعم ومن طمع حيث لا مطعم أحمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد .

وان اختلفت مقاربة اللغاني . فنقول الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس وبينه على كل هذه التصفية دوام اقتاربه إلى مولاه فبدوام الاقتار ينشئ من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها يصيرته الناقدة وفرمها إلى ربه فبدوام تصفيته جميته وبمحركة نفسه تفرقه وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى - كونوا قوامين لله شهداء بالقسط - وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه أن الروح مجذوبة إلى

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الحياة فاتها بئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والمهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات اللهم إنا نسألك فلويا أو آهة حنينة منية في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والفتنة من كل بر والقور بالجنة والنجاة من النار (١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم والتم والتم والهدم وأعوذ بك من أن أموت في حيلك وأعوذ بك من أن أموت في طلب الدنيا (٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ما علم (٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء (٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء (٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال (٦). اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر لساني وقلبي وشر مني (٧). اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول (٨). اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعيبة والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والقسوة والفتنة والفساد والأخلاق وضيق الأرزاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام (٩).

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفرداً في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا ك من حديث أبي اليسر وأصح إسناده من حديث أبي اليسر وأصح كعب ابن عمر زيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا وتقدم من عند البخاري الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في غير نسخة علمت وإنما هو عملت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبي بكر بن الضحاك في الثمائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعلم وشر ما علم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء وحسنه وك وصححه واللفظه من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ك وقال صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال والشيخين من حديث عائشة في حديث في حديث في ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر لساني وقلبي وشر مني دن ت وحسنه ك وصحح إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعيبة والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفسوق والشقاق والتفاني والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام دن مقتصرين على الأربعة الأخيرة ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

الحضرة الإلهية يعني  
أن روح الصوفي  
متطلعة منجذبة إلى  
مواطن القرب والنفس  
بوضعها رحوب إلى  
طالها واغلاب على  
عقبها ولا بد للصوفي  
من دوام الحركة بدوام  
الافتقار ودوام التفرار  
وحسن التفقد لمواقع  
إصابات النفس ومن  
وقف على هذا المعنى  
يجد في معنى الصوفي  
جميع التفرق في  
الاشارات [ الباب  
السادس في ذكر  
تسميتهم بهذا الاسم ]  
أخبرنا الشيخ  
أبو ذرعة طاهر بن  
محمد بن طاهر قال  
أخبرني والدي قال أنا  
أبو طي الشافعي بمكة  
حرسها الله تعالى قال  
أنا أحمد بن إبراهيم  
قال أنا أبو جعفر محمد  
ابن إبراهيم قال أنا  
أبو عبد الله الهروي  
قال ثنا سفيان عن  
مسلم عن أنس بن  
مالك قال كان رسول



أنه صلى الله عليه وسلم  
 يلبس دعوة العبد  
 ويركب الحمار ويلبس  
 تصوف فمن هذا  
 الوجه ذهب قوم إلى  
 أنهم مما صوفية نسبة  
 لهم إلى ظاهر القبسة لأنهم  
 اختاروا لبس الصوف  
 لكونه أرفق ولكونه  
 كان لباس الأنبياء  
 عليهم السلام . روى  
 عن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أنه قال  
 « مرة بالصخرة من  
 الروحاء سبعون نبياً  
 حفاة عليهم العباء  
 يؤمرون البيت الحرام »  
 وقيل إن عيسى عليه  
 السلام كان يلبس  
 الصوف والشعر  
 ويأكل من الشجر  
 ويبسبب حيث أمسى .  
 وقال الحسن البصري  
 رضي الله عنه لقد  
 أهدت سبعين بدريا  
 كان لباسهم الصوف  
 ووصفهم أبوهريرة  
 وفضالة بن عبيد ققالا  
 كانوا يغرون من  
 الجوع حتى تحسبهم

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ولجأة نعمتك ومن جميع سخطك  
م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وقته النار وعذاب القبر وقته  
القبر وشر فتنه الفتن وشر فتنه الفقر وشر فتنه السبيح الدجال وأعوذ بك من اللأثم والقرم متفق عليه  
من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة  
لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وقته الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم  
إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك  
أبو العتر في معاه من أنس ولفسانى بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك ودمن  
حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنه الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ  
بك من غلبة الدين وغلبة العدو وهماة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو قال صحيح على شرط مسلم.  
(الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث)

وقم

وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في السجدة من يبيع أو يبتاع قل لأربع الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة في السجدة قل لاردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فاذا صليت ركعتي الصبح قل باسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كأوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فاذا ركعت قل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت رب خشع سمعي وبصري وعي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت قل سبحان رب العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب اللائكة والروح (٦) فاذا رقت رأسك من الركوع قل مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٧) وإذا سجدت قل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق عليه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات (٩) فاذا فرغت من الصلاة قل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها فاذا كنت من المجلس وأردت دعاء يكفر لقوم المجلس قل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (١١) فاذا دخلت السوق قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع في السجدة لأربع الله تجارتك وقال حسن غريب ون في اليوم واليلة من حديث أبي هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في السجدة لاردها الله عليك من حديث أبي هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث على (٥) حديث القول في سبحان ربى العظيم ثلاثا د ت م من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول في سبح قدوس رب اللائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرقع من الركوع مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله مع الله لمن حمده فهي في اليوم واليلة للحسن بن على للمعمرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند م من حديث أبى هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا د ت م من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغت من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم واليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين .

الأعراب مجانين وكان  
لباسهم الصوف حتى  
إن بعضهم كان يعرق  
في ثوبه فيوجد منه  
رائحة الضأن إذا  
أصابه الفيت وقال  
بعضهم إنه يؤذنى  
ريح هؤلاء أما يؤذيك  
ريحهم يخاطب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
بذلك فكان اختيارهم  
لبس الصوف لتركهم  
زينة الدنيا وقناعهم  
بسد الجوعة وستر  
المودة واستتراتهم في  
أمر الآخرة فلم تفرغوا  
للاذنفوس وراحاتها  
لشدة شغلهم بخدمة  
مولاهم وانصراف  
همهم إلى أمر الآخرة  
وهذا الاختيار بلام  
ويناسب من حيث  
الاعتقافى لأنه يقال  
نصوف إذا لبس  
الصوف كما يقال تميم  
إذا لبس القميص  
ولما كان حلم بين  
سير وطير لتقلهم في  
الأحوال والبرهان  
قال إلى أعلى منه

فاجرة أو صفة خاسرة (١) فإن كان عليك دين قتل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا قتل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تسكره قتل اللهم لا يأتني بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال قتل اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي وربك الله (٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بحالك (٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر (٧) وتكبر قبله أولا ثم لا ثم وإذا هبت الريح قتل اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به (٨) وإذا بلغك وفاة أحد قتل إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم اكتبه في الحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفة خاسرة كمن حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو هرير جابر لشبيب بن حرب ولله خصم بن سليمان الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ت وقال حسن غريب وك وقال صحيح الاسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث الدعاء إذا لبست ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ت وقال حسن ون في اليوم واليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني بلفظ المصنف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتني بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم واليلة وهي في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسل ورجاله ثقات وفي اليوم واليلة لابن السني عن عقبه بن عامر فجهله مسندا (٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر لأنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبهقي في الدعوات من حديث قتادة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بحالك مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالله خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لآتهم

(٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم واليلة من حديث أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم اكتبه في الحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ابن السني في اليوم واليلة وحسنه من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إن الله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين

يغيدم وصف ولا يحبسهم نعت وأبواب للزبد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق وجمع العلوم فلما تندر تقيديم بحال تقيديم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدم نسبوا إلى ظاهر الدسة وكان ذلك أين في الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وأيضا لأن حالهم حال للقرينين كاسبق ذكره ولما كان الاعتزاء إلى القرب وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يمز كشفه والإشارة إليه وقت الإشارة إلى زهم سترها لحالم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكسر الإشارة إليه وتتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب والأدب في الظاهر والباطن والقول والفعل

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الجسران - عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا - رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - وتقول عند النظر إلى السماء - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه قتنا عذاب النار - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد قل سبحانه من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفته (١) فان رأيت الصواعق قل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء قل اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا (٣) اللهم اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب (٤) فإذا غضبت قل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما قل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦) فإذا غزت قل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك قل الحمد لله الذي بمرته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت قل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان للغرب قل اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (١٠) وإذا أصابك حم قل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهي (١١)

واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (١) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحانه من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفته مالك في اللوط أعين عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك وتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال غريب ون في اليوم واليلة من حديث ابن عمر وابن السني باسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا من حديث عائشة كان إذا رأى للمطر قال اللهم اجعله صيا نافعا وه سقيا بالسين أوله ون في اليوم واليلة اللهم اجعله صيا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب ن في اليوم واليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسل (٥) حديث القول إذا غضب الله اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث القول إذا خاف قوما اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم ون في اليوم واليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل وت ن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم واليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان للغرب اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي وت د وقال غريب وك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الحرائط في مكارم الأخلاق والحسن بن علي للعمري في اليوم واليلة (١١) حديث القول إذا أصابه هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحديث أحمد وجب لك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م إن سلم من إرساله عبد الرحمن

عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقلبهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من اللبوس الناعم حتى إن للبتيدي للريد الذي يؤثر طريقهم ويجب الدخول في أمرهم بوطن نفسه على التشرف والتقليل ويسلم أن للأكول أيضا من جنس اللبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند البتيدي والاشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا الأنفع وأولى وأيضاً غير هذا المعنى مما يقال إنهم سموا صوفيه لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا نعلمها ؟ قال صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابة على الأرض ثم رفعها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يديك على الذي يتألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (٢) « فإذا أصابك كرب قل لا إله إلا الله العليّ الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فان أردت النوم قنوساً أولاً ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعاً وثلاثين وسبحه ثلاثة وثلاثين واحمده ثلاثاً وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيا وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فائق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي (٩) اللهم فني عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك

عن أبيه فإنه يختلف في جماعه من أبيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذي يتألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبي العاص (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العليّ الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعاً وثلاثين والتسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد ثلاثاً وثلاثين متفق عليه من حديث علي (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك النسائي في اليوم واليلة من حديث علي وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت م من حديث حذيفة م من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فائق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغتنا من الفقر م من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي ن في اليوم واليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد والشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفرها وقال غ فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم فني عذابك يوم تجمع عبادك ت في الثمالي من حديث ابن مسعود وهو عند م من حديث حفصة بلفظ ثبت وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق بحالهم وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم هموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ويقرب أن يقال لا آثروا القبول والحقول والتواضع والانكسار والتخفي والتوازي كانوا كالخرقة للقاء الصوفة للرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوف نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم وللعنى المقصود به قريب بلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد وللتقشفين والعباد . أخبرنا أبو زرعة طاهر عن

والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولا منجأ منك إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونيك الذي أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك قدأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تعزني إليك زلفي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمنيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي (٢) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح قل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إني أسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نبترج فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم فإنك قلت - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويسلم ما جرحتم بالتهار ثم يميتكم فيه ليقتضى أجل مسمى - (٧) اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

(١) حديث اللهم إني أسألك نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تعزني إليك زلفي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمنيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فذكرنا ونسألك تمنينا وتدعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائي كرواه ابن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٤) من حديث البراء (٥) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحوال والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والتهار وما سكن فيهما الله وإسناده ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين في اليوم واليلة من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبيزى عن أبي بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور وابن السني وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نبترج فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم الحديث لم أجداؤه وت من حديث أبي بكر في حديثه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أعنسا سوءا أو نجبره إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وتوفني على الجهاد في سبيلك ، وللدارقطني في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أيه قال أنا عبد الرزاق  
ابن عبد الكريم قال  
أنا أبو الحسن محمد بن  
محمد قال ثنا أبو علي  
إسماعيل بن محمد قال ثنا  
الحسن بن عرفة قال ثنا  
خلف بن خليفة عن  
حميد بن الأعرج عن  
عبد الله بن الحرث عن  
عبد الله بن مسعود  
رضي الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: يوم كلم الله تعالى  
موسى عليه السلام كان  
عليه جبة صوف  
وسراويل صوف  
وكساء صوف وكف من  
صوف ونملاء من جلد  
حمار غير مذكي . وقيل  
مما صوفية لأنهم في  
الصف الأول بين يدي  
الله عز وجل بارخاج  
همهم وإقبالهم على  
الله تعالى بقلوبهم  
ووقوفهم بسرائرهم بين  
يديه وقيل كان هذا  
الاسم في الأصل صفوى  
فاستقل ذلك وجعل  
صوفيا وقيل مموا  
صوفية نسبة إلى الصفة

باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيته إن ربي على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في المرأة قال الحمد لله الذي سوى خلقه فضله وكرم صورته وجهي وحسنه وجعلني من المسلمين (٤) وإذا اشترت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح قل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين قل للقضيه بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما جزاء السلف الحمد والأداء» (٧)

هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبي مالك الأشعري اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهدايه وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد والحمد لله بن علي العمر في اليوم واليلة من حديث ابن مسعود اللهم إني أسألك خيراً ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م في النساء خير ما في هذه الليلة الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً (١) حديث باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلم إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال يلتقي الحضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم يعني فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمته الله من الفرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أوردته في ترجمة الحسين بن برزق قال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٢) حديث رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً تقدم في الباب الأول (٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح إلا أنك تقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيته إن ربي على صراط مستقيم أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذراً أعتصم من شر التقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة وأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث إن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ولسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ولطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة ألح الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (٤) حديث القول إذا نظر في المرأة الحمد لله الذي سوى خلقه فضله وكرم صورته وجهي وحسنه وجعلني من المسلمين الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم واليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشترى خادماً أو دابة اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه ه ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك

التي كانت لقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قال الله تعالى فيهم - للفقر الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض - الآية وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحواً من أربعمائة رجل يتسكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا يعتبطون ويرضخون النوى بالتهاروب الليل يشتغلون



فهذه أدعية لا يستغنى للرّيد عن حفظها وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت لفائدة الدعاء والقضاء لامرده . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كأن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكأن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالمجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى - خذوا حذركم - وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلع البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل للمسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدره لضعفه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انتفعت بصيرته ثم فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة »<sup>(١)</sup> والقالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملّة فان الانسان إذا مسه الشر ففقد دعاء عريض فالحاجة تخرج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل وينسج من نسيانه وأما التقي فسيب لبطر فى غالب الأمور فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله للوفى بالخير وأما مخية الدعوات فى الأكل والسفر وعبادة للربى وغيرها فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكلامه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### ( كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل )

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربيع العبادات تقع الله به للسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا ينفاد فى القلب استكبارا ولا غورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غداوة وغشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى منابها ليتخذوها منزلا فيترددوا منها إذا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايد ما ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السقينة براكبها فالتاس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسوفه مراحله وشهوره فراسخه

إنما جزاء السلف الحمد والأداء من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال استقرض منى النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلى قال قد كره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم فى الباب الأول .

### ( كتاب الأوراد وفصل إحياء الليل )

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاسيهم ويحث الناس على موااساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالدعاء والعشى يريدون وجهه - وقوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالدعاء والعشى - نزل فى ابن أم مكتوم قوله تعالى - عسى وتوبلى أن جاءه الأعمى - وكان من أهل الصفة فتوب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صاح بهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجنة والسمة يمت مع كل واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضى الله

وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رهوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم القيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والمذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حق ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلني متعرض في يوم التباين لفينة وحسرة ملها منتهي ولهذا الخطر العظيم والخطب المائل فمر للوقوف عن ساق الجسد وودعوا بالنكيلة ملاذ النفس واعتصموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تخصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا القهم بذكرها بين :  
الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

( فضيلة الأوراد ويان أن الواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى )

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد بحب الله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والأنس لا يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والواظبة عليه وإن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الفكر والذكر إلا بوضع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والللال لا تقصر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى غمط واحد أظهرت الللال والاستغراق وأن الله تعالى لا يعمل حق عملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتعززالا انتقال لذتها وتظم بالله رغبها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تديرات الدنيا وشهواتها الباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجع جانب الليل إلى الدنيا لمواظبتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأتى بتقوا مان والطبع لأحدهما مرجح إذا الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجره . وأما الرد إلى العبادات فتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسنة وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط حملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والغنى من كرم الله منتظر فسي الله تعالى أن يغفر له مجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله وأتبعه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه . إنك في النهار سبعا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . وقال تعالى . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا . وقال تعالى . وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود . وقال سبحانه . وسبح بحمديك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم وقال تعالى . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . وقال تعالى . ومن آناه الليل فسبح وأطراف النهار لمالك ترضى . وقال عز وجل . وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات

( الباب الأول في فضيلة الأوراد )

عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا النمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا النمر أما علمت أن هذا النمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم بما واسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان للآء والنمر . أخبرنا الشيخ أبو القتيح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهب النيات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى - آمن هو قانت  
آناه الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين  
لا يعلمون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل  
- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقال عز وجل - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأصباح  
هم يستغفرون - وقال عز وجل - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد  
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة  
الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله  
الذين براءون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى (١) » وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -  
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم  
قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل لكم  
النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سبر الشمس والقمر بحسبان  
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير  
الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل  
والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - أي يغلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات  
في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين لخمونا آية  
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وإنما الفضل  
المبتغى هو الثواب والغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

( بيان أعداد الأوراد وترتيبها )

اعلم أن أوراد النهار سبعة لما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس  
إلى الزوال ووردان وما بين الزوال إلى وقت العصر ووردان وما بين العصر إلى المغرب ووردان والليل ينقسم  
إلى أربعة أوراد ووردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى  
طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى  
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويبدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -  
وتعده به إذ قال - فالحق الإصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة قبض  
الظل فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وهو وقت قبض ظل الليل يسط نور الشمس  
وإرشاده الناس إلى التيسيع فيه بقوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وبقوله  
تعالى - فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل ومن آناه الليل  
فسبح وأطراف النهار لمالك ترضى - وقوله تعالى - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا - فأما ترتيبه  
فلأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يتندى بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي  
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في عدة الاستيقاظ من كتاب  
الدعوات ولبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستمانة به على  
عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الله إن كان به حاجة إلى بيت الله ويدخل  
أولا رجلا اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين براءون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله الطبراني وك  
وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله .

ابن زكريا الطريفي  
قال أنا الشيخ أبو عبد  
الرحمن السلي قال  
حدثنا محمد بن محمد بن  
سعيد الأنطاقي قال  
حدثنا الحسن بن يحيى  
ابن سلام قال حدثنا  
محمد بن علي الترمذي  
قال حدثني سعيد بن  
حاتم البلخي قال حدثنا  
سهل بن أسلم عن  
خالد بن محمد عن أبي  
عبد الرحمن السكري  
عن يزيد النحوي عن  
عكرمة عن ابن عباس  
رضي الله عنهم قال :  
« وقف رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يوما على  
أهل الصفة فرأى قهرم  
وجهدهم وطيب قلوبهم  
فقال أئبروا يا أصحاب  
الصفة فمن بقي منكم  
على النمت الذي أنتم  
عليه اليوم راضيا بما  
هو فيه فانه من رفقائي  
يوم القيامة » وقيل :  
كان منهم طائفة  
بخراسان يأوون إلى  
الكهوف والغارات  
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط لا إذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعنى السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو للسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجهًا إلى المسجد ولا يفتي دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسمى إلى الصلاة سعيًا بل يفتي وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء للمأثور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسما ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاحًا في البيت ويشتمل بالدعاء المذكور بعدها وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التوبة وجلس منتظرًا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بمئة أمثالها ، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا حسنة ومن صلى النعمة فله مثل ذلك واقلب بمئة مبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال الرجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فقلت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأمر شيء أخرجت من منزلك في هذه الساعة قلت لصلاة النداء فقال أشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أوقال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « ألا تصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً (٨) » ثم ينبغي أن يشتمل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث النبي إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء للمأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بمئة أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا حسنة ومن صلى النعمة فله مثل ذلك واقلب بحجة مبرورة لم أجدها أصلاً بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى للترب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة وهما نائمات فقال ألا تصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا بيد الله الحديث متفق عليه .

والذين يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم إلى النأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم نجوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوماً أبرزوا وآخرين مفرقين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتق على جميع التفرق في هذه الأسماء للذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . وقيل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذ وقال معي أربع دوائق يكفيني مامى ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والتسبيح إلى أن تمام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مراعى جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقعدة فإذا فرغ منها تعد فى السجدة إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرى بعد ذلك **قال رسول الله ﷺ** « لأن أقعد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة العداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب <sup>(١)</sup> » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى العداة تعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفى بعضها ويصلى ركعتين <sup>(٢)</sup> » أى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما <sup>(٣)</sup> » وإذا ظهر فضل ذلك فليقدم ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها فى سبعة وقرآنة وتذكرها أما الأدعية فنكلمها بفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينارينا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتح الدعاء بما كان يفتح به رسول الله ﷺ وهو قوله سبحانه ربى العلى الأطلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون <sup>(٤)</sup> ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق قلبه وأخف على لسانه . وأما الأذكار للكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً أو سبعاً وأكثره مائة أو سبعون أو وسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأوسط أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أდومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن الواظبة على كثيرها قليلها مع الدائمة أفضل وأعد تأثيراً فى القلب من كثيرها مع القارة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير التفرق ماء يسب دفقة أو دفقات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة . الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير <sup>(٥)</sup> . الثانية : قوله سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يموت يده الخير وهو على كل شئ قدير <sup>(٦)</sup> .

(١) حديث لأن أقعد فى مجلسى أذكر الله فيه من صلاة العداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى العداة تعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن حمزة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر فى جماعة ثم تعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأطلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل فى تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير <sup>(٦)</sup> قد تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشراً دون

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديماً وقيل لم يصرف هذا الاسم إلى اللاتين من الهجرة العربية لأن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل محاييا لشرف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد اقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم صلى تابعا ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي المأوى وتوارى النور المصطفوى واختلفت الآراء وتوعدت الأنحاء وغرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وترعزعت أبنية الناس واضطربت عزائم الزهادين وغلبت

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١). الثالثة: قوله سبح قدوس رب الملائكة والروح (٢).  
الرابعة: قوله سبحان الله العظيم وبحمده (٣). الخامسة: قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤). السادسة: قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٥). السابعة: قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦).  
الثامنة: قوله باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧).  
التاسعة: اللهم صل على محمد عبدك ونيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨).

قوله يحي ويحيى وهو حي لا يموت يده الخير فانها في اليوم واليلة للناس من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البرار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين والطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف.

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم واليلة وجب لك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (٢) حديث تكرار سبح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عند من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولابي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة للمستغفر في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا والبخاري من حديث أبي هريرة إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار (٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين المستغفر في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الفنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولابي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب البنين وابن حبان وك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قالت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونيك ورسولك النبي الأمي على آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد العافى في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وكشف حجابها وكثرت العادات وعلمت أربابها وتزخرت الدنيا وكثر خطابها فغرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في الزينة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العسرة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة ويفتردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب فأتم لهم صالح الأعمال سقى الأحوال ونهيا لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث كشفت برتبة في الإيمان غير ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات

العاشرة : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون<sup>(١)</sup> فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر لا كرا واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياته وللقلب بكل واحدة نوع تنبيه وتلذذ للنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد<sup>(٢)</sup> وآية الكرسي<sup>(٣)</sup> وخاتمة البقرة<sup>(٤)</sup> من قوله آمين الرسول وشهادته<sup>(٥)</sup> وقل اللهم مالك الملك الآتين<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها<sup>(٧)</sup>

(١) حديث تكرر أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان تلك للترلة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من حديث أنس مشل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة الأعلك بإخالة كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وت وحسنه وك وصححه فيما يقال عند الفرع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث فضل سورة الحمد من حديث أبي سعيد بن العلى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال للنبي ﷺ أبشر بنورين أو تيمنا لم يؤتيا نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي بن كعب يا أيها للنذر أتندري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجى الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده ودية جىء به يوم القيامة قبيل له عبيد هذا عهد لي عهدا وأنا أحق من وفى بالمهد أدخلوا عبيد الجنة وفيه عمر بن المختار روى الأباطل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بنه (٦) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآتين المستغفرى في الدعوات من حديث على بن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفى ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الآيات الموضوعات قلت وتنه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تعليقا (٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طلب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف عفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يشاهدونها فحرروا  
لنفوسهم اصطلاحات  
تشير إلى معاني يعرفونها  
وتعرب عن أحوال  
يجدونها فأخذ ذلك  
الحلف عن السلف حتى  
صار ذلك مستمرا  
وخبرا مستقرا في كل  
عصر وزمان فظهر  
هذا الاسم بينهم  
وتسموا به وسموا به  
فلاسم ستمهم والعلم بالله  
صفتهم والعبادة طينهم  
والتقوى شمارهم  
وحقائق الحقيقة  
أسرارهم، نزاع القبائل  
وأصحاب الفضائل سكان  
قباب النيرة وقطان  
ديار الحسيرة لهم مع  
الساعات من إمداد  
فضل الله مزيد ولهيب  
شوقهم يتأجج ويقول  
هل من مزيد اللهم  
احشرنا في زمرةهم  
وارزقنا حالاتهم والله  
أعلم .

[الباب السابع في ذكر  
التصوف والنقشب به]  
أخبرنا شيخنا شيخ  
الإسلام أبو النجيب



وقوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - إلى آخرها (١) وقوله سبحانه الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا - (٢) الآية وخمس آيات من أول الحديد (٣) وثلاث من آخر سورة الحشر (٤) وإن قرأ السبعات المشرات أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز أقبل مني هذه الهدية فانها نعمت الهدية فقلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانها إبراهيم التيمي قلت ألم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بل قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أرى زما في أحسن منه وجهها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشديا منا ولا أطيب ريحاً منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر قلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وجبا لك في القمعة هدية أريد أن أهديها لك فقلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبحا وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبحا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين وللمؤمنات سبحا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) قلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا بقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فأسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن لللائكة جاءته فاحتلمته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة بما رآه في الجنة قال فسألت لللائكة حديثا وفي آخره قل حسب الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هديا ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف (١) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجده فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقراء خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله - علم بذات الصدور - ومن آخر سورة الحشر من قوله - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة ولبهيق في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار لمات من يومه أوليته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الخضر علمه السبعات العشرة وقال في آخرها أعطانها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

السهروردى إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن للروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا للشمس بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين للسائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا آتى

قلت لمن هذا فقالوا لذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأنا  
 النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من اللاتكة كل صف مثل ما بين الشرق والغرب  
 فلم على وأخذ يدي قلت يا رسول الله الحضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الحضر  
 صدق الحضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى  
 في الأرض قلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما  
 أعطيته فقال والقي بشئ بالحق نبيا إنه لا يعطى العامل بهذا وإن لم ير في الجنة إنه لا يغفر له جميع  
 الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب السموات أن لا يكتب عليه خطيئة من  
 السيئات إلى سنة والذي بشئ بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله  
 عاقبا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلمه كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيعة  
 القرامه فان أضاف إليها شيئا انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع  
 لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن  
 ذلك إحدى وظائفه وسببا في تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكير من ربيع النجيات ولكن  
 مجامعه ترجع إلى فئتين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من العاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره  
 ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر  
 قصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في تسوق  
 معاملته للسليين . الفن الثاني فيما ينفعه في علم للكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر  
 آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونعماته ليزيد معرفته  
 بقدرة الله واستغاثته ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكير فيها  
 على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكير ومهما تيسر الفكر فهو أشرف  
 العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة  
 والكشف . والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تتكشف عظمة الله سبحانه  
 وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته . وهما باب أحصاه فيحصل من الفكر للمعرفة ومن للمعرفة التعظيم  
 ومن التعظيم المحبة والله كذا أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى  
 وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الله أكبر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد  
 جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر  
 على محبة وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن  
 فهما فليس محبته له كحبة للشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالصائد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان  
 الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور  
 جملة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة  
 الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنهه جلالة وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من  
 الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولانهاية لجمال حضرة الربوبية ولا حجبها وانما عدد  
 حجبها التي استحققت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد قدم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال  
 صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره (١) »  
 وتلك الحجب أيضا مرتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

أحب الله ورسوله  
 فقال النبي عليه الصلاة  
 والسلام: «المرء مع من  
 أحب أو أنت مع  
 من أحببت» قال  
 أنس لما رأيت  
 للسليين فرحوا بشئ  
 بعد الاسلام فرحهم  
 بهذا فالتشبه بالصوفية  
 ما اختار التشبه بهم  
 دون غيرهم من  
 الطوائف إلا لمحبة  
 لإمام وهو مع قصيره  
 عن القيام بمقام فيه  
 يكون معهم لموضع  
 إرادته ومحبته وقد  
 ورد بلفظ آخر أوضح  
 من الخبر الذي  
 رويناه في النص  
 روى عبادة بن  
 الصامت عن أبي ذر  
 النضاري قال: قلت  
 يا رسول الله الرجل  
 يحب القوم ولا  
 يستطيع أن يعمل  
 كعملهم قال « أنت  
 يا أبا ذر مع من أحببت »  
 قال قلت فاني أحب  
 الله ورسوله قال « فانك  
 مع من أحببت » قال

في الأول أصغرهما ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لأبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال - فلما جن عليه الليل - أي أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أي وصل إلى حجاب من حجب النور فبرعنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام للضيئة فإن آحاد العوام لا يغني عنهم أن الربوية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرم لما لا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب للسماء أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - الآية ولتجاوز هذه المعاني فاتها خارجة عن علم للعامة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له بابه والتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم للعامة وذلك أيضا مما تقرر حاله ويصظم نعمه فهذه الوظائف الأربعة أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة للريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجته والصوم هو الجنة التي تضيق مجارى الشيطان للمادى الصارفة عنه عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الريع وفي هذا الريع من النهار وظيفتان زادتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف مرصع وصلى أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصل وضحيت الأندام بحر الشمس فوق الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله - يسبحن بالعشي والإشراق - فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الأرض فاتها تمنع إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأمل الذي أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجي - وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنأدى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل (٢) فذلك قول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقت الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطول نصف مرصع بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقتها (٣) » فأقبل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا راعى بالتقريب . الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عبادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عنده في جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنأدى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل طبع من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنأدى بأعلى صوته وهو عندم دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقتها تقدم في الصلاة .

فأعادها بورد فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة للتمشية لإمام لا تكون إلا لثبته بروحه لما قضيت له أرواح الصوفية لأن حجة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون يجاذب الروح غير أن للتمشية تعمق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك وللتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك بيقاضه من صفات نفسه عليه للتمشية وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق بالتمشية صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمه الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية بمنزلة أحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

وتشيع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات للتطوع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة فيها خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتسكروا كل صلاة لاسبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية للسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر . الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونفى بالضحوة للتعريف وما قبله بقليل وإن كان بكل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فتصليها وقبل مضيا صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالصبر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالغروب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة الصبر بين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تعرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخنق عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدير الميعة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فينصح وعققة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزوج لأخوته فان الحاجة إلى زاد الآخرة أعد والتج به بأدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل لا يوجد للؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يصره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يهدم الفقر ويأمرهم بالقحشاء فيصغون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يهدم مغفرة منه فضلا فيمرشون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : القيولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن الكسح سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم يتم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل النقلة وتحدث معهم فاثوم أحبه إذا كان لا يثبت نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في الثوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والثوم فيه أفضل أعمالهم وكل من عابد أحسن أحواله الثوم وذلك إذا كان يراني بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالناقل القاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يصحبه إذا خضعوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور السجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وإن لم يتم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت حقلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهوم الدنيا فالقلب للتفرغ لخدمة ربه عند إغراض العيد عن بابه حدير بأن يركبه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فان الليل وقت النقلة بالثوم وهذا وقت النقلة باتباع الهوى والاشتغال بهوم الدنيا وأحد معني قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ورايته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فإذا كان قد توشأ قبل الزوال وحضر المسجد لهما زالت الشمس وابتدأ للؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقيم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

واشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدره وقد أنكر قوم من أهل السنة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدره ولهم علوم من هذا القليل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب إيمان والتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرهما والصوفي صاحب ذوق فالمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشفه علم حال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الثاني كوشف به

ويلصل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهما بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار قل بعض العلماء أنه يصلها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يصل مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة (٢) وهو الذي صحت به الأخبار ويطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كأوردنا الجفرية في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من اللذين أو أربعاً من اللذان فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصل الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها ثم يصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً قد ذكره ابن مسعود أن تتبع القرينة بمثلاً من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقرامة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت . الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه المكث في المسجد مستملاً بالذكر والصلاة أو غنونا الخير ويكون في انتظار الصلاة متذكراً لمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الله اخل يدخل للمسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوا كدوى النحل من التلاوة فإن كان يته أصلم لهينه وأجمع لجمه فاليست أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالتهار قال بعض العلماء ثلاث يغضب الله عليها الضحك بغير عجب والآكل من غير جوع والنوم بالتهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالتهار وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالتهار فعسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كأن الطعام غذاء الأبدان وكان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربعاً يفضي إلى اضطراب البدن إلا من تعود السهر تدريجاً فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتها للعباد وهو أحد الأصول التي ذكرها الله تعالى إذ قال - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - وإذا سجد لله عز وجل الجادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو العشي للذكر وفي قوله والعصر هذا أحد والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر ثم يصل القرص ويستغل بالآقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى ردوس الحيطان وتصفى والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن تدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والتفكير فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الآقسام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرت الشمس بأن تحرب من الأرض بحيث يظن نورها الفبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كان ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع له فيها عمل صالح . د . هـ من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى . د . هـ من حديث ابن عمر .

صاحب علم وجاه فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلو كما فيكون في حال التدقيق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى - إن الأبرار لني نسيم على الأرائك ينظرون - وصف الأبرار ووصف شراهم ثم قال سبحانه وتعالى - ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها القربون - فكان لشرب الأبرار مزج من شراب القربين وللمقربين ذلك صرفاً فللصوفي شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج في شراهم وللمتشبه مزج من شراب للتصوف فالصوفي سبق إلى مقام الروح من بساط القرب والتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالتردد بالنسبة إلى الزاهد لأنه يفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما سبق

وهو المراد بقوله تعالى - فسبحان الله حين تسعون وحين تصبحون - وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى - فسبح وأطراف النهار - قال الحسن كانوا أعداء لمشيئهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدينا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول مثل أن يقول استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذة من قوله تعالى - واستغفر ربك وسبح بحمديك بالمشي والابكار والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله استغفر الله إنه كان غفارا استغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها . والليل إذا يشي . وللمؤمنين . ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فإذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك كما سبق ثم يحجب المؤذن ويستغل صلاة للقرب وبالغروب قد انتهت أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أمنه فيكون منبونا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا قد قال **عليه السلام** « لا يورك لى في يوم لا ازداد فيه خيرا <sup>(١)</sup> » فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسيده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلفه النهار فليعزم على تلافى ما سبق من تعريضه فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليستغل بتدارك قصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يفتق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أيام معدودة تنقضى لا محالة جملة ما يقضى أحاديها ( بيان أوراد الليل وهي خمسة )

الأول : إذا غربت الشمس صلى للقرب واشتغل بأجاء ما بين العشاءين فأخّر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعنى الحمرة التي يسيوبتها يدخل وقت العتمة وقد أتم الله تعالى به فقال - فلا أتم بالشفق - والصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته وهو آن من الآناء للذكورة في قوله تعالى - ومن آتاء الليل فسبح - وهي صلاة الأوابين . وهي المراد بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - روى ذلك عن الحسن وأسند ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين العشاءين » ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتذهب آخره <sup>(٢)</sup> » والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عن

(١) حديث لا يورك لى في يوم لا ازداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتذهب آخره قال للصف أسنده ابن أبي الزناد [١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء للثناء من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء الضبري عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش وابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة .

[١] قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له وإلا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليتمل .

عليه من وصفه فهو  
مجتهد في طريقه سائر  
إلى ربه قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« سيروا سبقي للفردون »  
قيل من للفردون  
يا رسول الله ؟ قال  
للمستترين بذكر الله  
وضم الذم عنهم  
أوزارهم فوردوا القيامة  
خفافا فالصوفي في مقام  
للفردين والتصوف في  
مقام السائرين واصل  
في سيره إلى مقر القلب  
من ذكر الله عز وجل  
ومراقبته بقلبه وتلذذه  
بنظره إلى نظر الله  
إليه فالصوفي في مقام  
الروح صاحب مشاهدة  
والتصوف في مقام القلب  
صاحب مراقبة والتشبه  
في مقاومة النفس  
صاحب مجاهدة  
وصاحب محاسبة فتلوين  
الصوفي بوجود قلبه  
وتلوين للتصوف  
بوجود نفسه والتشبه  
لاتلوين له لأن التلوين  
لأرباب الأحوال  
والتشبه مجتهد سالك



ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة العنية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسيأتي فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني - وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى أربعاً يطيلها ثم يصلى إلى غيوبة الشفق ما تيسر له وإن كان للسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه المكوف في السجد وإن عزم على المكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حدنومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال - والليل وما وسق - أي وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك يسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثاني أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل <sup>(١)</sup> والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره والحزم التقديم فإنه ربما لا يستيقظ أو يقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم يقرأ في هذه الصلاة قدر ثمانية آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمرو والواقعة <sup>(٢)</sup> فإن لم يصل فلا بدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك <sup>(٣)</sup> والزمرو والواقعة وفي رواية الزمرو وبني إسرائيل <sup>(٤)</sup> وفي أخرى أنه كان يقرأ للسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية <sup>(٥)</sup> وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وأنه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل . من حديث عائشة لم يكن يوتر بأكثر من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولها أيضاً ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمرو والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وحسب من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمرو وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كنه له نورا الحديث ولأبي منصور المظفر بن الحسين الفزري في فضائل القرآن من حديث طي ياطي أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللعارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وت من حديث ابن عباس شيتني هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وت تقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمرو وبني إسرائيل وت تقدم أيضاً (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن ون في الكبرى من حديث عرياض بن عارية .

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل نجحهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات - قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الفعلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب



يحملونها ستا فيزيدون سبع اسم ربك الأملئ إذ في الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبع اسم ربك الأملئ ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبع اسم ربك الأملئ <sup>(١)</sup> » وقل يا أيها الكافرون والإخلاص <sup>(٢)</sup> فإذا فرغ قال سبحان للك القدوس ثلاث مرات . الثالث الوتر وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر <sup>(٣)</sup> وإن كان متعباً صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة <sup>(٤)</sup> » وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر <sup>(٥)</sup> وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة آهاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترها بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت خففت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما نقص الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغي أن ينقص <sup>(٦)</sup> وروى أنه مطلقاً أنه <sup>(٧)</sup> قال « لا وتران في ليلة <sup>(٨)</sup> » ولما يتردد في استيقاظه تطفأ استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً فرائضه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويقرأ فيها إذا زلزلت وألهاكم <sup>(٩)</sup> لما فيها من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التوبة وإفراد العبادة لله تعالى فيقول إن استيقظ قائماً مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ماضياً شفعاً بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب الليثي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما غلط أنهم لو شفعوا ماضياً لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعاً إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله <sup>(١٠)</sup> إتياره قبلهما وإعادة الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وترهما فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفعاً إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان للك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بال عظمة والجبروت وتعززت بالقدره وقهرت العباد بالموت روى « أنه صلى الله عليه وسلم مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة <sup>(١١)</sup> » وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد <sup>(١٢)</sup> » وذلك يدل على صحة النافذة نائماً . الوتر الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبع اسم ربك الأملئ أحمد والبخاري من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر سبع اسم ربك الأملئ وقل يا أيها الكافرون والإخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله <sup>(٤)</sup> أن لا أنام إلا على وتر ومتفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث النهى عن نقص الوتر قال للصف صبح فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله هبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة دت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالساً تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وتقل كان أكثر صلاته جالساً (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين

من حال الصوفى  
والتصوف والتشبه  
وكلهم من أهل الفلاح  
والنجاح تجمعهم دائرة  
الاصطفاء وتؤلف بينهم  
نسبة التخصيص بالمنح  
والعطاء . أخبرنا  
الشيخ العالم رضى  
الدين أبو الخير أحمد  
ابن اسماعيل القزوينى  
إجازة قال أنا أبو سعد  
محمد بن أبى العباس  
قال أنا القاضي محمد بن  
سيد قال أنا أبو اسحاق  
أحمد بن محمد بن  
إبراهيم قال أخبرني  
الحسين بن محمد بن  
فنجويه قال حدثنا  
أحمد بن محمد بن رزمة  
قال حدثنا يوسف بن  
عاصم الرازى قال  
حدثنا أبو أيوب سليمان  
ابن داود قال حدثنا  
حصين بن نمير عن أبى  
للى عن أخيه عن  
أسامة بن زيد رضى  
الله عنه عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه قال  
في قوله تعالى - فمنهم  
ظالم لنفسه ومنهم

في الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله (١) وفي الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش (٢)» هذا في العوام فكيف بالخواص والطاء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكفون بالأسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة وقسه تسبيح (٣)» وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخوق القرآن فيه نغولا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومي ما احتسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقمه منك (٤) وآداب النوم عشرة : الأولى الطهارة والسواك . قال ﷺ «إذا نام العبد على طهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم يتم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فقلت للثلاث أضاف أحلام لا تصدق (٥)» وهذا يريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي للزورة في انكشاف حجب القيب . الثاني أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره . وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكما يتنبه يستاك كذلك كان يضمه بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وتعود التنبه منها (٦)» وإن لم تيسره الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فان لم يجد فليقم وليستقبل القبلة وليستغل بالذكر والدعاء والتسكير في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال ﷺ «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فقبلته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)» . الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض في النوم فان مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا للسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم . الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا (٢) . حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي برداء وهو في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبري الأوسط من حديث علي مامن عبد ولا أمة تام فتشغل نومًا إلا عرج بروحه إلى العرش فإدنى لا يستيقظ إلا عند العرش فقلت الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة وقسه تسبيح قلت المروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم في الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخوق القرآن نغولا قال معاذ لكني أنا أنام ثم أقوم واحتسب في قومي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقمه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أقمه منك وإنما زاد فيه طبري فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٦) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم في الطهارة (٧) حديث من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل قبلته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه

مقصد ومنهم سابق بالحيرات - كلمهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا وللتقصد الذي يحب الله من أجل العقي والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو جال الصوفي فالتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير . سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن بأصبهان يريد منه الحرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الحرقة ثم احضر حتى ألبسك الحرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الحرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الحرقة وجبن

« من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم <sup>(١)</sup> » . الخامس أن لا ينعيم بتمهيد الفرس الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجمعون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يشكف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وسعوا بأنهم كانوا قتيلا من الليل ما يهجمون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر « لا تكابدوا الليل <sup>(٢)</sup> » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تملقت بحبل قسي عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد <sup>(٣)</sup> » وقال <sup>(٤)</sup> « تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يعمل حتى تعلموا <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أيسره <sup>(٦)</sup> » وقيل له صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يصلي فلا ينام وصوم فلا يخطر فقال لكنني أصلي وأنا نام وأصوم وأفطر هذه سنق فمن رغب عنها فليس مني <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده ينبله فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله <sup>(٨)</sup> » السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخصاه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الدعاء عند النوم فيقول بأسمك ربى وضعت جنبي وبأسمك أرفى إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات <sup>(٩)</sup> ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى - وإلهمك إله واحد لا إله إلا هو - إلى قوله - لقوم يعقلون - قال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام - إلى قوله مقرب من المحسنين -

ن ه من حديث أبي الدرداء بسند صحيح <sup>(١)</sup> حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يظم أحد غفله ما اجترم وسنده ضعيف <sup>(٢)</sup> حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع صفيان الثوري موقوفا على ابن مسعود لا تكالبوا هذا الليل . <sup>(٣)</sup> حديث قيل له إن فلانة تصلي فاذا غلبها النوم تملقت بحبل قسي عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث أنس <sup>(٤)</sup> حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يعمل حتى تعلموا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ اكلفوا <sup>(٥)</sup> حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث مجاهد ابن الأديع وتقدم في العلم <sup>(٦)</sup> حديث قيل له إن فلانا يصلي ولا ينام وصوم ولا يخطر فقال لكنني أصلي وأنا نام وأصوم وأفطر هذه سنق فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنق الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنق فليس مني وهي متفق عليها من حديث أنس <sup>(٧)</sup> حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده ينبله ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله مع من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واليهي من حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح إسناده . <sup>(٨)</sup> حديث الدعاء للمأثور عند النوم بأسمك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلبسها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بته إليك حتى تسلكه بما يزيد رغبته في الحرقة فكلمته بما قرت عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الحرقة ولكن إذا أئتمنا للبتدي بذلك نمر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الحرقة حتى ينشبه بالقوم ويتزى بهم فيقر به ذلك من مجالسهم ومحافلهم ويركة محالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يجب أن يسلك مسلكتهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الفزالي ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصغار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن

وأخر بنى إسرائيل - قل ادعوا الله - الآيتين فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ العوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وليقرأ عنرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة واليقظ نوع بعث قال الله تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال - وهو الذي يتوفاكم بالليل - فبما توفيها وكان الاستيقاظ تكشف له مشاهدات لا تناسب أحوالها في النوم فكذلك للبعوث يرى ما لم يخطر قط على باله ولا شاهده حبه ومثل النوم بين الحياة والوفاة مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في اللواتي فلا تنم فكما أنك تام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنبه فكما أنك تنبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فاتها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته ذلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليك » (٢) الدعاء إلى آخره كاذكرناه في كتاب الدعوات فعلى العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أوجب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن الرء مع من أحب ومع ما أحب . العاشر الدعاء عند التنبيه فليقل في تيقظاته وتقبلاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » (٣) وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلزم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فاتها علامة تكشف عن باطن القلب وإنما استجبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ يقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بعض التصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بمآبىد المعبود والمجرب وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال - والليل إذا سجى - أى إذا سكن وسكونه هدوء في هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجد إذا امتد وطال وقيل إذا أعظم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أسمع فقال جوف الليل » (٤) وقال داود صلى الله عليه وسلم على

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن يعقوب يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأ بالعلم وأبدأ بالرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع بالبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رققا بالبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صعب طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا أنظر للبتدى إليه والتأدب بأدبه والاحتذاء به في عمله وهذا هو الرفق الذى مادخل في شيء إلا زانه فالمتشبه الحقيق له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

(١) حديث قراءة للعوذتين عند النوم بنفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الحد على اليد وتقدم من حديث حفصة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل دت وصحه من حديث عمرو بن عتبة .

إني أحب أن أتعبد لك فأني وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تغلوبي وأخلوبك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر» (١) يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبارته إلى سماء الدنيا (٢) وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسنته وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلًا ثم يسبح عشرا ويحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذولا للذكوات والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق وقاؤك حق والجنة حق والنار حق والفور حق والنيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت القديم وأنت للآخر لا إله إلا أنت (٣) اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (٤) اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (٥) أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء الفقير الأدليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رهوقا رحيا يا خير للثقلين وأكرم للمطيقين (٦)

(١) حديث سئل أي الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحسب من حديث أبي ذر دون قوله الغابر وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسة .

(٢) (الأخبار الواردة في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن

في آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجبري قال : قال داود بإجبريل أي الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجبري عن سعيد بن أبي الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة وله من حديث أبي البرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الله في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول في قيامه للهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها شهدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فليسته يدها فوقت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس للمسكين وأدعوك دعاء للضرر الأدليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عبدة عرفة يخدم في الحج .

ومحاسبة . ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال للتصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر البسمة وللشاركة في الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بتشبه بالصوفية لأنه غير محال لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يمتزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق بهم جلسهم وقد ورد «من تشبه بقوم فهو منهم» . أخبرنا الشيخ أبو القتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي عاصم قال ثنا إبراهيم بن محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١) » ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما يقرب له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر قالت ربما وسئلت أسير (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة الغروب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥) » وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) وقرأ في هذه الركعات من ورد من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال - وبالأحجار يستغفرون - قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبو الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له سلمان ثم فنام ثم ذهب يقوم فقال له ثم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصلح قال إن نلتك عليك حقا وإن لنيك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأبى النبي ﷺ فذكر أن ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب المحور وذلك عند خف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو للراد بقوله تعالى - ومن الليل فسيح فاعبد الله النجوم - ثم - عهدي بالله لا إله إلا هو ولللائكة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما عهد الله به لنفسه وعهدت به للائكته وأولو الطهين خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وعهد الله تعالى وديمة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعلها عندك ذخرا واحتفظها مني وتوفني عليها حتى أقالدها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستمعون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصلاة وإن قلت وعيادة مريض وعهود جنازة ففي الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسرد ن ه بإسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة الغروب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له سلمان ثم فنام فقال صدق سلمان ثم فنام من حديث أبي جعيفة .

الشافعي قال تناهى بن أحمد قال تناهى بن علي القدسي قال ثنا محمد ابن عبد الله بن حاتم قال ثنا إبراهيم بن الأعمش قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الذكر فإذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هل سموا إلى حاجتكم فيحضونهم بأجنتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي ؟ قالوا بحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول وكيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أهدي تسبيحا وتحميدا ونمجيحا فيقول



« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له (١) » وفي رواية دخل الجنة فانفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقض اليوم ولم يصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبر لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس (٢) » وقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة (٣) » ودفع مائشة رضى الله عنها إلى سائل عنة واحدة فأخذها فظفر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لثاقيل ذكر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذا كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك مما سأله أحد شيئا فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكنت (٤) وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى للفصل وفى جسده ثمانية وستون مفصلا فأمره بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإما طلت الأذى صدقة حتى ذكر التسييح والتهيل ثم قال دوركتنا الضحى تأتى على ذلك كله أو تجمع من لك ذلك كله (٥) » .

### ( بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال )

اعلم أن المرید لحرق الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه إما ما يبدو إما عالم وإما متعلم وإما والد وإما محترف وإماما وحده مستغرق بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو التجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أورادهما ذكرناه . ثم لا يمتد أن يختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما فى الصلاة أو فى القراءة أو فى التسيجات فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستائة وإلى ألف ركعة وأقل ما نقل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم واليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يحتم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو اليلة فى التفكير فى آية واحدة بردها وكان كرز بن وبرة مقيا بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يحتم القرآن فى اليوم واليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وخمسمائة وعشرة فراسخ فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تركية القلب وتطهيره وتخليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فينظر المرید إلى قلبه لما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملاحة منه فلينتقل إلى غيره . ولذلك نرى الأصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كالمسبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم هذه الأوراد وسرها فليتبص المعنى فان سمع تسيحة مثلا وأحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسييح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك قال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسييح منذ خلقت

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة من حديث أبي هريرة ما اجتمع من في امرئ . إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم فى الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم فى الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيئا قال لا إن لم يقدر عليه سكنت . من حديث جابر والبراز من حديث أنس أو بسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

ما يسألوننى « قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لأورأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تمودا وأشد فرارا فيقول أشدكم أنى قد غفرت لهم فيقول الملك فمنهم فلان ليس منهم إنما جاء حاجة فيقول تبارك وتعالى ثم الجلساء لا يشقى جلسهم « فلا يشقى جلسي الصوفية وللتشبه بهم والمحب لهم .

[ الباب الثامن فى ذكر اللامق وشرح حاله ] قال بعضهم لللامق هو الذى لا يظهر خيرا ولا يضمن شررا وشرح هذا هو أن اللامق تشربت عروقه طم الإخلاص ونهقى



قلت لما اسمك قال هاهنا بئيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الختان للنان سبحان الله للصبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه للريد ووجد له في قلبه وقفا فيلازمه وأيا ما وجد القلب عنده وقفع له فيه خير فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينفع الناس بلمه في خوي أو تدريس أو تصنيف ترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج إلى اللطالة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لاهالة فان أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد للكتوبات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم للواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئة واحدة يتعلمها للتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نفعي بالعلم للتصميم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويتردد في الدنيا أو العلم الذي يسيهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستماتة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في اللال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهوم الدنيا يمين على التفتن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا في وقتا كل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسلام ماقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يغلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستجبه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : للتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فعلمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة والتطبيق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه خلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها » (١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم في العلم .

بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل القدسي إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت علي بن سعيد وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت علي بن إبراهيم وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الحصاف وسأله عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

فقبل يا رسول الله وما رياض الجنة قال خلق الذكرك (١) وقال كعب الأحبار رضي الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة وكل ذي سوق سوقه . وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تهارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من اللواظبات على خلق الذكر فقال مرحبا بامسكينة قتالت هيات هيات ذهبت للسكينة وجاء التقى فقال هيه قتالت ما تسأل ممن أيسح لها الجنة بهذا فيراها قال يوم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر . وعلى الجنة لما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأرفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذي يحتاج إلى الكسب ليعاله فليس له أن يضع المبال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسميعات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فإنه لا يجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها لأن العبادات التعبدية فائدتها أتفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر . الخامس الوالي مثل الامام والقاضي وللتولي لينظر في أمور المسلمين قيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة لكنه أن يشتغل بمحقق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة . ويقم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعل إذ قال مالي والنوم فلو نمت بالهراضيتمت للمسلمين ولو نمت بالليل ضيقت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه . السادس : للوحد للستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهو مهتم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد للكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يفرح سمهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لأمع إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهو لاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تميز عندم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى - لعلكم تذكرون - ففروا إلى الله وعحق فيهم قوله تعالى - وإذا اعتزلتموهم وما يبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - وإليه الإشارة بقوله - إني ذاهب إلى رب سيدين - وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والواظبة عليها دهر أطويلا فلا ينبغي أن يفتقر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويقت

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم في العلم .

الاخلاص ماهو قال  
سألت الحسن عن  
الاخلاص ماهو قال  
سألت حذيفة عن  
الاخلاص ماهو قال  
سألت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن  
الاخلاص ماهو قال  
« سألت جبرائيل عن  
الاخلاص ماهو قال  
سألت رب العزة عن  
الاخلاص ماهو قال  
هو سر من سرى  
استودعته قلب من  
أحببت من عبادي »  
فاللامية لهم مزيد  
اختصاص بالتمسك  
بالاخلاص يرون كم  
الأحوال والأعمال  
ويتلذذون بكتمتها حتى  
لو ظهرت أعمالهم  
وأحوالهم لأحد  
استوحشوا من ذلك  
كما يستوحش العاصي  
من ظهور معصيته  
فاللماق عظم وقع  
الاخلاص وموضعه  
وتعسك به معتدا به  
والصوفي قاب في

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهيج في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعمه  
هواجم الأهوال ولا تستفزه عظام الأضغال وآتي تزيق هذه الرتبة لكل أحد فيتمتع على السكافة  
ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته  
فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفي الخبر « الإيمان  
ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١) » وقال  
بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك  
الطريق إلى الله فإذا الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب - أولئك الذين  
يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم  
إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبد لهم له فمن عرفه لم يبد غيره - والأصل في  
الأوراد في حق كل صنف من الناس للداومة فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة وأحاد الأعمال  
يقول آثارها بل لا يحس آثارها وإنما يترتب الأثر في المجموع فإذا لم يقب العمل الواحد أثار محسوسا  
ولم يردف ثبات وثالث على القرب انجمي الأثر الأول وكان كالتقية يريد أن يكون قلبه النفس فانه  
لا يصير قلبه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليله في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليله  
لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي للتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (٢) » وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته (٣) » . ولذلك قال صلى  
الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله (٤) » وهذا كان السبب في صلاته بعد  
العصر تدارك لما فاتته من ركعتين شغله عنهما الوقت ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن  
في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به (٥) روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فإن قلت فهل لغيره  
أن يقتدى به في ذلك سمع أن الوقت وقت كراهية ؟ فاعلم أن للمعان الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية  
من الاحتراز عن التشبه ببعدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن  
العبادة حذرا من اللال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك قوله في التزل  
حق لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة  
ابن شاهين واللالكا في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية للغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد  
عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهم دخل الجنة وقال  
الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن  
قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته رواه (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها  
ملالا مقتته الله تقدم في الصلاة وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوقت عن ركعتين فصلاهما  
بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد  
العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة  
ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يقتل  
على أمته . والله للوافق للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه .  
قال أبو يعقوب  
السوسي مق شهدوا  
في إخلاصهم الإخلاص  
احتاج إخلاصهم إلى  
إخلاص وقال ذو النون  
ثلاث من علامات  
الإخلاص استواء القلب  
وللصدق من العامة  
ونسيان رؤية الأعمال  
في الأعمال وترك  
اقتضاء ثواب العمل في  
الأخرى أخبرنا أبو زرعة  
إجازة قال أنا أبو بكر  
أحمد بن علي بن خلف  
إجازة قال أنا أبو  
عبد الرحمن قال سمعت  
أبا عثمان المغربي يقول:  
الإخلاص مالا يكون  
لنفس فيه حظ بحال  
وهذا إخلاص السوام  
وإخلاص الخواص  
ما يجري عليهم لا بهم  
تعبو منهم الطاعات  
وهم عنها بمنزلة ولا يقع  
لهم عليها رؤية ولا بها  
اعتداد فذلك إخلاص

( الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها  
وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل )  
( فضيلة إحياء ما بين العشاءين )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة  
للقرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم فتعبد بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى  
بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة (١) » . قال الراوي لأدري من ذهب أوفضة « ومن صلى  
بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة  
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة  
سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر (٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان  
حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراما  
لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء  
بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكبر قصورنا يارسول الله فقال الله أكثر وأفضل  
أوقال أطيب (٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في  
جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة  
الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن  
الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم ركع  
ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - أولئك  
أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله قل ما في السموات وما في  
الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة (٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج  
عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للخضر عليه السلام علفي شيئا أعمله في كل ليلة

( الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل )

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث  
رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة ورواه الطبراني في الأوسط مختصرا وإسناده  
ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة  
أو كأنه صلى ليلة القدر ه بلفظ اثنتي عشرة سنة ووضعت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من  
قول كعب الأحبار كما روله أبو الوليد الصفار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن  
عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن أدرك  
ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه  
ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبنى له قصرين  
في الجنة لم أجده أصلاً من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع  
عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا في الجنة فقال عمر إذا تكبر قصورنا يارسول الله الحديث  
ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسل (٥) حديث أنس من صلى المغرب  
في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة  
الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهم إله واحد الحديث أبو الشيخ  
في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

الحواص وهذا الذي  
فضله الشيخ أبو عثمان  
للغربي يفرق بين  
الصوفي والملاحق لأن  
للملاحق أخرج الخلق  
عن عمله وحاله ولكن  
أثبت نفسه فهو مخلص  
والصوفي أخرج نفسه  
عن عمله وحاله كما  
أخرج غيره فهو مخلص  
وشتان ما بين المخلص  
الحال والمخلص قال  
أبو بكر الزقاق نقصان  
كل مخلص في إخلاصه  
رؤية إخلاصه فإذا  
أراد الله أن يخلص  
إخلاصه أسقط عن  
إخلاصه رؤيته  
لإخلاصه فيكون مخلصا  
لا مخلصا قال أبو سعيد  
الحراز رياء العارفين  
أفضل من إخلاص  
الريدين ومعنى قوله  
إن إخلاص للريدين  
معلول برؤية الإخلاص  
والعارف منزّه عن  
الرياء الذي يطل

قال إذا صليت المغرب قم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تسلم أحداً وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين وأقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثاً فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تسلم أحداً وصل ركعتين وأقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستوجالساً وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم إذا الجلال والإكرام بإله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم قم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم قلت له أحب أن تعلمني عن ممات هذا فقال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوصى إليه به فكنيت عنده وكان ذلك بحضور من قتلته عن علي عليه السلام (١) ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من دأوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجنة ما ورد في فضل إحياء ما بين المشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين (٣) » وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيت يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأتصلى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحي ما بينهما فقال اجمع بينهما قلت إن لم تيسر قال أفطر وصل ما بينهما

( فضيلة قيام الليل )

أما من الآيات قوله تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية وقوله تعالى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً - وقوله سبحانه وتعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقوله تعالى - أمن هو قاتل آتاء الليل - الآية وقوله عز وجل - والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً - وقوله تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس - ومن الأخبار « قوله صلى الله عليه وسلم « يقعد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح شيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (١) » .

(١) حديث كرز بن وبرة أن الحضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأله الحضر عن ممات هذا قال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لأصله (٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٣) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين تقدم في الصلاة (٤) حديث يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

العمل ولكن الله يظهر  
هيات من حاله وعمله يعلم  
كامل عنده فيه لجذب  
مريد أو معاناة خلق  
من أخلاق النفس في  
إظهار الحال والعمل  
والعارفين في ذلك علم  
دقيق لا يعرفه غيرهم  
فيرى ذلك ناقص العلم  
صورة رياء وليس رياء  
إنما هو صريح العلم لله  
بالله من غير حضور  
نفس ووجود آفة  
فيه . قال درويش :

الإخلاص أن لا يرضى  
صاحبه عليه عوضاً في  
الدارين ولا حظاً من  
اللكين . وقال

بعضهم صدق الإخلاص  
نسيان رؤية الخلق  
بدوام النظر إلى الحق  
واللافتى يرى الخلق  
فيخفى عمله وحاله وكل  
ما ذكرناه من قبل  
وصف إخلاص الصوفي  
ولهذا قال الزقاق لا بد  
لكل مخلص من رؤية

وفي الخبر « أنه ذكر عنده رجل بنام كل الليل حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه <sup>(١)</sup> » وفي الخبر « إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسقط العبد ساء خلقه وإذا ألغقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى أصبح <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرسنتهما عليهم <sup>(٣)</sup> » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال الغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تخطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا <sup>(٤)</sup> ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب للزيادة قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرقة للداء عن الجسد ومنهارة عن الإثم <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فليقبله عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبتك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بآي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة القبور وجمع حجة لظلمات الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها <sup>(٨)</sup> »

(١) حديث ذكر عنده رجل بنام كل الليل حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا الحديث طبع من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكلا فإذا لعق الإنسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كلفه من كلفه نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث حمزة بن جندب وسندهما ضيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرسنتهما عليهم - آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر اللوزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث الغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصله (٦) حديث عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طبع وهو من حديث أبي أمامة بسند حسن وقالت إنه أصح (٧) حديث ما من امرئ يكون له صلاة بالليل يقبله عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسمه ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوي ورواه ن من حديث أبي البرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال لأنذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبتك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بآي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن محمد مرسلا والسري ضعفه الأزدي.

إخلاصه وهو نقصان  
عن كمال الإخلاص  
والإخلاص هو الذي  
يتولى الله حفظ صاحبه  
حتى يأتي به على التمام.  
قال جعفر الحلي سألت  
أبا القاسم الجنيدي رحمه  
الله قلت أيين الإخلاص  
والصدق فرق؟ قال نعم  
الصدق أصل وهو الأول  
والإخلاص فرع وهو  
تابع وقال بينهما فرق  
لأن الإخلاص لا يكون  
إلا بعد الدخول في  
العمل ثم قال إنما هو  
إخلاص ومخالصة  
الإخلاص ومخالصة  
كائنة في المخالصة فعل  
هذا الإخلاص حال  
اللامتن ومخالصة  
الإخلاص حال الصوفي  
والمخالصة الكائنة من  
المخالصة ثمرة ومخالصة  
العبد عن رسومه  
برؤية قيامه بقيومه  
بل غيبته عن رؤية

وروي « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يابث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة<sup>(١)</sup> » وروي « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل<sup>(٢)</sup> » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا يقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول ثم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خير شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من حوارى فوعزتي وجلالى يا يحيى لو اطلعت إلى الفردس اطلاعة لذاب شحمك ولزهرت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبيكت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد السوح . « وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضج في وجهها الماء<sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصارت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبت نضجت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدارين الله كثيرا والداكرات<sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل<sup>(٦)</sup> » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صل الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأمن قرأه من الليل<sup>(٧)</sup> » . الآثار روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يباد منها أياما كثيرة كما يباد للريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى التحل حتى يصبح . ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شيع ليله فقال إن الحمار إذا زيد في علقه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاموس رحمه الله إذا انطجع على فراشه تنقل عليه كما تنقل الحبة على القلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل وثقة هذا المال قليل له ما بال المتجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهد له فراشا فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول ، ابن جبان من حديث أبي هريرة (٤) حديث رحمه الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث « حب من حديث أبي هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدارين الله كثيرا والداكرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حربه أو عن شيء منه قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأمن قرأه من الليل رواه م .

قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستئثار وهو قد حال الصوفي ولللاقي مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين السلاقي والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا السلك ولكن لم يشهر بهذا الاسم ولما يتداول السنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض اللامية استدعى إلى مماع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لأنى إن حضرت يظهر على وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالى . وقيل إن أحمد بن أبي الحواري



حتى فاته ورده نحلّف أن لا نيام بعدها على فراش أبداً وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جنّ عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك لئن ووالله إن في الجنة لألّين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إنى لأستقبل الليل من أوله فيموتنى طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهيق وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إنى لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لا تمنى الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا للكتابة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بنتى من قوم لا يصلون إلا للكتابة ردني فردها وقال الربيع بن ربيعة في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يعمي نصف الليل لمرّ يقوم فقالوا إن هذا يعمي الليل كله فقال إنى أستحي أن أوصف بما لا أهل فكان بعد ذلك يعمي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - أم حسب الدين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالدّين آمنوا وعملوا الصالحات - الآية . وقال الفيرة بن حبيب رمت مالك بن دينار قوساً بعد المشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبدة فجعل يقول اللهم حرم شيعة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأبى الرجلين مالك وأبى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي آخسن قرأ قلت نعم فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

أأهنتك اللذائد والأمانى    عن البيض الأوانس في الجنان  
تعيش مخلداً لموت فيها    وتلهو في الجنان مع الحسان  
تنبه من منامك إن خيراً    من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق لما بات ليلة إلا ساجداً ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لاتشبه نساء أهل الدنيا قلت لها من أنت قالت حوراء قلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدى وأمهرنى فقلت وما مهرى قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغنى أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك برائه من لؤلؤ وصنفته من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المجتهدون فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الصالحون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إلى من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخلق خفقات ثم يزعج إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعت يقول وعزّي وجلالى لا أكرم من مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي النداء بوضوء المشاء أربعين سنة ويقال كان منبه

قال لأبي سليمان  
الداراني إنى إذا كنت  
في الخلوة أجد لما ملق  
لذة لا أجسدها بين  
الناس قال له إنك  
إذا لضعيف فاللامق  
وإن كان متمسكاً  
بعبادة الإخلاص  
مستغنياً بساط الصدق  
وليكن يقي عليه بقية  
رؤية الحق وما أحسنها  
من بقية تحقق  
الإخلاص والصدق  
والصوفى صفاً من هذه  
البقية في طرق العمل  
والترك للخلق وعزلهم  
بالسكية ورأى بين  
القضاء والزوال ولاح  
له ناصية التوحيد  
وعاين سر قوله - كل  
شيء هالك إلا وجهه -  
كما قال بعضهم في بعض  
غلبته ليس في الدارين  
غير الله وقد يكون  
إخفاء لللامق الحال على  
وجهين أحد الوجهين  
لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقاً الذي لا ينتظر بقيامه صباح الديكة .

( بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل )

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق لقيامه بشروطه اليسرة له ظاهره وباطنه . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على اللاندة كل ليلة ويقول معاشر الريدن لاتأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتعسروا عنداوت كثيراً وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سبب للاستعانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يحتجب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقضى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن بأباسيد إنى آيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فإبالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لطمهم ولتوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فأنهم لا يقبلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يركبني قلت في ضي هذا مرأه وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبره وهو يركبني قلت أذاك نسي بعض أهلك قال أشد قلت وجع يؤلك قال أشد قلت فإذاك قال باني مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تغتو أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجناية بعد وقال بعض العلماء إذا صمت بامسكين فانظر عند من تظفر وعلى أى شيء تظفر فان العبد ليا كل أكلة فيقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر القسمة الحال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل الرقابة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليا كل أكلة أو فمحل فقلة فيحرم بها قيام سنة وكان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الحيرات وقال بعض السجانيين كنت سبحانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر .

( وأما اليسرات الباطنة فأربعة أمور )

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدمع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق فيهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يحول إلا في وسأوسه وفي مثل ذلك يقال : يجبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضاً فتائم

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذرهم كما قال طاوس إن ذكر جهنم طبر نوم العابدين وكما حكى أن غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقال له سيده إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال إن صيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لسلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفاً وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقاً فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله :

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم .

والصالح والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فإن من خلا بمحبوه بكرة اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوه وهذا وإن علا في طريق الصوفي علة وتمس فعل هذا يتقدم للامتنع على التصوف ويتأخر عن الصوفي وقيل إن من أصول السلامية أن

منع القرآن بوعده ووعدته      مقل العيون بلبها أن تهجما  
فهموا عن ليلك الجليل كلامه      فرقابهم ذلت إليه تخضا  
وأنشدوا أيضا :

يا طول الرقاد والغفلات      كثرة النوم تورث الحشرات  
إن في القبر إن زلت إليه      لرقادا يطول بعد للمات  
ومهادا ممهدا لك فيه      بذنوب هملت أو حسنت  
أأمنت اليات من ملك اللو      بكم قال آمنا ييات  
وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه      فيسفر عنهم وهم ركوع  
أطار الخوف نومهم قماموا      وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهبجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصل حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أنفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والنزل فقامت طول الليل شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لأحالة الخلو به وتلقا بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل فاعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلو ومناجاته حتى لا يأتية النوم طول ليله . فان قلت : إن الجليل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان الجليل المحبوب وراء سترا أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطعم في أمر آخر سواء وكان ينعم باظهاره عليه وذكره باسمه بسمع منه وإن كان ذلك أيضا مملوًا عنده . فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس بسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويستكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه كيف واللوقن بسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيت قط يرى وجهه ثم ينصرف وما تأملت بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يستقي إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال طي بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اليوم في لهموم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لوعرض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

الذكر على أربعة أقسام  
ذكر باللسان وذكر  
بالقلب وذكر بالسر  
وذكر بالروح فاذا صح  
ذكر الروح سكنت السر  
والقلب واللسان عن  
الذكر وذلك ذكر  
للشاهدة وإذا صح  
ذكر السر سكنت القلب  
واللسان عن الذكر  
وذلك ذكر الهيبة وإذا  
صح ذكر القلب قر  
اللسان عن الذكر  
وذلك ذكر الآلاء  
والنعماء وإذا غفل

ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نسيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التماس في قلوبهم بالليل من حلاوة النجاة وقال بعضهم لذة النجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم . وقال ابن المنكدر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتقطين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستدير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي أحبه ويحبوني ويستاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جهنم الليل واختلط الظلام وخلل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقفروا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتعلقوا إليّ يا ناعمي فبين صارخ وباكي ، وبين متأوه وشاكي ، بيني ما يتحملون من أجلي وبسعي ما يشككون من حبي أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم ، والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أعلم أحد ما أريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتبع من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة ، وفي الأخبار عن الله عز وجل « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالقلب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب التيقظة وتخطي القلوب النائمة فتمرض تلك النفحات فقال يا سيدي تركتني لأنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه <sup>(١)</sup> » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » وذلك كل ليلة « ومطلوب القارئ تلك الساعة وهي مهمة في جملة الليل كلية القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا للنوم إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدائني وقصيل بن عياض ووهيب بن الورد والمكيان وطاوس ووهب بن منبه البجليان والريعي بن خيثم والحكم الكوفيان وأبوسليمان الداراني وطى بن بكار الشامي وأبو عبد الله الحواس وأبو عاصم الباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني القارسيان

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الله كرا قبل  
اللسان على الله كرو ذلك  
ذكر العادة وليس كل  
واحد من هذه الأذكار  
عندهم آفة فآفة ذكر  
الروح اطلاع السري على  
وآفة ذكر السري اطلاع  
القلب عليه وآفة ذكر  
القلب اطلاع النفس  
عليه وآفة ذكر النفس  
روية ذلك وتنظيمه  
أو طلب نواحيه أو ظن أنه  
يصل إلى شيء من  
اللقامات وأقل الناس  
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويعني البكاء البصريون وكهس بن النبال وكان يعم في الشهر تسعين ختمه وما لم يفهمه رجع وقرأ مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن النكدر في جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد الواظنين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . للرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فيبقي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب الناس بالنمالة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلت صفرة وجهه وقلّ نعاسه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة (١) » وقالت أيضاً رضي الله عنها « ما ألقيت بعد السحر إلا نائماً (٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجة قبل المصباح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة وللشاهدة من وراء حجب النيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إما يتيسر لنبى يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي النيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يخلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث التقدير فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويعني آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة ألم بأهله ، ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أبغضتني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصل ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ : كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتي الفجر (٢) حديث عائشة ما ألقيت السحر الأعلى إلا نائماً متفق عليه بلفظ ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندى إلا نائماً لم يقل غ الأعلى وقال « ما كنت ألقى ألقى النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى (٣) » حديث قيامه أول الليل إلى أن يخلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان دت ومصححه و ه من حديث أم سلمة كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، والبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصل أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصل خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى صمت غطيته الحديث .

إظهاره وإقبال الخلق  
عليه بذلك وسر هذا  
الأصل الذي بنوا عليه  
أن ذكر الروح ذكر  
الذات وذكر السر  
ذكر الصفات بزعمهم  
وذكر القلب من الآلاء  
والنعماء ذكر أثر  
الصفات وذكر  
النفس متمرض  
فعلات فمضى قولهم  
إطلاع السر على الروح  
يشيرون إلى التحقق  
بالقضاء عند ذكر  
الذات وذكر الحلية

يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثه أو سدسه (١) يختلف ذلك في الليالي ودلّ عليه قوله تعالى في  
للموضعين من سورة الزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى  
من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب  
من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم  
يقوم إذا سمع الصارخ (٢) يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت  
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فقام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق  
فقال : ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه سواً كما فاستاك به  
وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال  
ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة (٣) . للرتبة السادسة : وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع  
ركعات أو ركعتين أو تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء  
فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة (٤)  
فهذه طرق القسمة فليختار المرید لنفسه ما يراه أسير عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل  
فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر  
فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى القدر  
ترتيب هذه الراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيها إلى  
القدر فليس يجرى أمرها في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه  
في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

### ( بيان الليالي والأيام الفاضلة )

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة ليلة

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس  
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث  
وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قد فنظر إلى السماء الحديث ولأن داود قام حتى إذا  
ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل .  
(٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فقام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا  
ما خلقت هذا باطلاً سبحانه حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه سواً كما فاستاك وتوضأ  
وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرغبين  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية  
اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال لأرمق صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث  
وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر (٤) حديث صلّ من الليل  
ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربه فوافق حلب  
ناقة فوافق حلب شاة ولأن الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل  
ولو حلب ناقة أو حلب شاة .

في ذلك الوقت ذكر  
الصفات مشعر بنصيب  
المهية وهو وجود  
المهية ووجود المهية  
يستدعي وجوده وبقية  
وذلك يناقض حال  
الفناء وهكذا ذكر  
السر وجوده مهية وهو  
ذكر الصفات مشعر  
بنصيب القرب وذكر  
القلب الذي هو ذكر  
الآلاء والنعماء مشعر  
بمدما لأنه اشتغال  
بذكر النعمة وذهول  
عن النعم والاشتغال

لا ينبغي أن يغفل للربيد عنها فاتها مواسم الحيرات ومظان التجارات ومق غفل التاجر عن المواسم لم يرج ومق غفل الربيد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان: خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر . وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة للمعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «للعامل من هذه الليلة حسنة مائة سنة» (١) فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في مصيبة . وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء . ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا » (٣) وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين . والأيام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة والأيام المدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » (٤) وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواضل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنتين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى للدين في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الجباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعاً ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جداً والحديث منكراً (٢) حديث من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب . باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى للدين في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بمجملته ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(ثم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، ويتلوه : الجزء الثاني )

برؤية العطاء عن  
رؤية للعطى ضرب  
من بعد للزلة  
واطلاع النفس نظرا  
إلى الأعواض اعتداد  
بوجود العمل وذلك  
عين الاعتدال حقيقة  
وهذه أقسام هذه  
الطائفة وبعضها أعلى  
من بعض ، والله أعلم .



## فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٢ ( الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات الناظرة والجدل وشروط إباحتها )	مقدمة
٤٣ بيان التلبس في تشبيه هذه الناظرات بمشاورات الصعابة ومفاومات السلف رحمهم الله تعالى	ترجمة الامام الغزالي
٤٥ بيان آفات الناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق	٢ خطبة الكتاب
٤٩ ( الباب الخامس في آداب التعلم والمعلم أما التعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تغاريقها عشر جمل )	٥ ( كتاب العلم وفيه سبعة أبواب )
٥٥ بيان وظائف المرشد للمعلم	( الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم )
٥٨ ( الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء )	وشواهد من النقل والعقل
٨٢ ( الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وقسمه )	٥ فضيلة العلم
٨٢ بيان شرف العقل	٩ فضيلة التعلم
٨٤ بيان حقيقة العقل وأقسامه	١٠ فضيلة التحليم
٨٧ بيان تفاوت النفوس في العقل	١٣ في الشواهد العقلية
٨٩ ( كتاب قواعد العقائد )	١٤ ( الباب الثاني في العلم المحمود والذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقهاء من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة )
وفي أربعة فصول	١٤ بيان العلم الذي هو فرض عين
٨٩ الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة الخ	١٧ بيان العلم الذي هو فرض كفاية
٩٣ الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	٢٩ ( الباب الثالث فيما يعمده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر للذموم منها )
١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة	٢٩ بيان علة ذم العلم الذموم
	٣٢ بيان ما يبدل من ألقاظ العلوم
	٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

صفحة	صفحة
١٣٤ فضيلة الوضوء	١٠٤ فأما الركن الأول من أركان الإيمان في
١٣٥ كيفية التسليم	معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله
١٣٥ كيفية التيمم	تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٣٦ القسم الثالث في النظافة والتطهير من	١٠٨ الركن الثاني السلم بصفات الله تعالى
الفضلات الظاهرة وهي نوعان : أوساخ	ومداره على عشرة أصول
وأجزاء	١١٠ الركن الثالث السلم بأفعال الله تعالى
١٣٦ التسوع الأول الأوساخ والرطوبات	ومداره على عشرة أصول
للزخمة وهي ثمانية	١١٣ الركن الرابع في السميات وتصديقه
١٣٩ النوع الثاني فيما يحدث في البدن من	على الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره
الأجزاء وهي ثمانية	على عشرة أصول
١٤٥ (كتاب أسرار الصلاة ومهماتها)	١١٥ الفصل الرابع في الإيمان والإسلام وما
وفيه سبعة أبواب	بينهما من الاتصال والاتصال وما يتطرق
١٤٥ (الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود	إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء
والجماعة والأذان وغيرها)	السلف فيه وفيه ثلاث مسائل
فضيلة الأذان	١١٥ مسألة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان
١٤٦ فضيلة للكتابة	أو غيره الخ
١٤٧ فضيلة إتمام الأركان	١١٩ مسألة فإن قلت قد اختلف السلف على
١٤٨ فضيلة الجماعة	أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٤٩ فضيلة السجود	١٢١ مسألة فإن قلت ما وجه قول السلف أنا
فضيلة الحشوع	مؤمن إن شاء الخ
١٥١ فضيلة للسجد وموضع الصلاة	١٢٤ (كتاب أسرار الطهارة)
١٥٢ (الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة	وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات
من الصلاة والبدانة بالكبير وما قبله)	١٢٧ القسم الأول في طهارة الجبث والنظر
١٥٤ القراءة	فبقره يتعلق بالزوال وللزوال به والإزالة
الركوع ولواحه	١٢٧ الطرف الأول في الزوال
السجود	١٢٨ الطرف الثاني في الزوال به
١٥٥ التشهد	١٢٩ الطرف الثالث في كيفية الإزالة
١٥٦ التليدات	١٣٠ القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها
١٥٨ تميز القرائن والسنن	الوضوء والتسليم والتيمم وضغطها
١٥٩ (الباب الثالث في الشروط الباطنة من	الاستنجاء
أعمال القلب بلغ)	١٣٠ (باب آداب قضاء الحاجة)
١٥٩ بيان لغزائط الحشوع وخطور القلب	١٣١ كيفية الاستنجاء
	١٣١ كيفية الوضوء

صفحة	صفحة
٢١٠ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	١٦١ بيان للغان الباطنة التي تم بها حياة الصلاة
٢١٠ النوع الأول زكاة الثم	١٦٣ بيان للمواضع النافع في حضور القلب
٢١١ النوع الثاني زكاة للضررات	١٦٥ بيان لمصالح ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشروط من أعمال الصلاة
النوع الثالث زكاة التقدير	١٧١ حكايات وأخبار في صلاة الخاضعين رضي الله عنهم
النوع الرابع زكاة التجارة	١٧٣ (الباب الرابع في الإمامة والقدوة الخ)
٢١٢ النوع الخامس الركاز والمدن	١٧٨ (الباب الخامس في فضل الجملة وآدابها ومستها وشروطها)
النوع السادس في صدقة القطر	١٧٨ فضيلة الجملة
الفصل الثاني في الأمان وشروطه الباطنة والظاهرة	١٧٩ بيان شروط الجملة
٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة	١٨٠ وأما السنن الخ
الوظيفة الأولى أي من الوظائف التي هي مرید طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ	١٨٠ بيان آداب الجملة على ترتيب العادة وهي عشر جل
٢١٥ الوظيفة الثانية في وقت الأمان	١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع التهار وهي سبعة أمور
٢١٦ الوظيفة الثالثة الإسرار	١٨٩ (الباب السادس في مسائل متفرقة تم بها البلوى ويحتاج للرد إلى مرقها)
الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يلم أن في إظهاره ترغيباً للناس الخ	١٩٣ (الباب السابع في النوافل من الصلوات وفي أدبها أقسام)
٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالذن والأذى	١٩٣ القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستنصر السليبة	١٩٨ القسم الثاني ما يتكرر بتكرار الأسابيع
٢١٩ الوظيفة السابعة أن يتفق من ماله أجوده وأحبه إليه وأجده وأطيه	٢٠١ القسم الثالث ما يتكرر بتكرار السنين
الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو بالصدقة الخ	٢٠٤ القسم الرابع من النوافل ما يتلق بأسباب مكرمة ولا يتلق بالمواقيت وهي ثمة
٢٢١ الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه	٢٠٥ (كتاب أسرار الزكاة)
٢٢٣ بيان أسباب الاستحقاق	وفيه أربعة فصول
٢٢٣ بيان وظائف القايض	
٢٢٦ الفصل الرابع في صدقة التطوع وفصلها وآداب أخذها وإعطائها	
٢٢٧ بيان فضيلة الصدقة	
٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها	
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة	

صفحة	صفحة
٢٥٦	٢٣١ (كتاب أسرار الصوم)
الوقوف من البيت والرمى والنحر	وفيه ثلاثة فصول
والخلق والطواف	٢٣٣ الفصل الأول في الواجبات والسنن
٢٥٨	الظاهرة والأوازم بإفساده
الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها	أما الواجبات الظاهرة فسته
إلى طواف الوداع	٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة
٢٥٩	٢٣٥ الفصل الثاني في أسرار الصوم
الجملة التاسعة في طواف الوداع	وشروطه الباطنة
الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها	٢٣٧ الفصل الثالث في التعاوع بالصيام
٢٦٢ فصل في سنن الرجوع من السفر	وترتيب الأوراد فيه
٢٦٣ (الباب الثالث في الآداب الدقيقة للأعمال	٢٤٠ (كتاب أسرار الحج)
الباطنة)	وفيه ثلاثة أبواب :
بيان دقائق الآداب وهي عشرة	(الباب الأول وفيه فصلان)
٢٦٧ بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص	الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة
في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد	البيت ومكة وللمدينة حرسهما الله تعالى
الشريعة وكيفية الانكسار فيها والتذكر	وشد الرحال إلى للساجد
لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره	٢٤٠ فضيلة الحج
٢٧٣ (كتاب آداب تلاوة القرآن)	٢٤٢ فضيلة البيت ومكة للشفرة
وفيه أربعة أبواب :	٢٤٤ فضيلة القيام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته
٢٧٣ (الباب الأول في فضل القرآن وأهله	فضيلة للمدينة الشريفة على سائر البلاد
وذم القصرين في تلاوته)	٢٤٦ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج
٢٧٣ فضيلة القرآن	وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
٢٧٥ في ذم تلاوة الناقلين	٢٤٧ (الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة
٢٧٦ (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة	من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة حمل
وهي عشرة)	٢٤٧
٢٨١ (الباب الثالث في أعمال الباطن في	الجملة الأولى في السير من أول الخروج
التلاوة وهي عشرة)	إلى الإحرام وهي ثمانية
٢٩٠ (الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره	٢٤٨
بالرأى من غير نقل)	الجملة الثانية في آداب الإحرام من
٢٩٥ (كتاب الأذكار والدعوات)	الليقات إلى دخول مكة وهي خمسة
وفيه خمسة أبواب :	٢٥٠
٢٩٥ (الباب الأول في فضيلة الذكر وقامته	الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى
على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار	الطواف وهي ستة
والآثار)	٢٥١
٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر	الجملة الرابعة في الطواف الح
	٢٥٣
	الجملة الخامسة في السعي
	٢٥٤
	الجملة السادسة في الوقوف وما قبله

صفحة	صفحة
٣٢١ ( الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب الليثي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله )	٢٩٨ فضيلة التهليل
٣٢٤ أنواع الاستعاذة للمأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٠ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار
٣٢٦ ( الباب الخامس في الأدعية للمأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث )	٣٠٥ ( الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للمأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم )
٣٣٣ ( كتاب ترتيب الأوراد وتخصيل إحياء الليل ) وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بابان :	٣٠٥ فضيلة الدعاء
٣٣٤ ( الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها )	٣٠٦ آداب الدعاء وهي عشرة
٣٣٤ فضيلة الأوراد ويان أن للواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى	٣١١ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها
٣٣٥ يان أعداد الأوراد وترتيبها	٣١٣ فضيلة الاستغفار
٣٤٥ يان أوراد الليل وهي خمسة	٣١٦ ( الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبغيب كل صلاة )
٣٥٣ يان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال	٣١٧ دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٥٧ ( الباب الثاني في الأسباب لليسرة قيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل )	دعاء فاطمة رضي الله عنها
٣٥٧ فضيلة إحياء ما بين العشائين	دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٥٨ فضيلة قيام الليل	٣١٨ دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه
٣٦٢ يان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل	دعاء قبيصة بن الحارث
٣٧٠ يان طرق القسمة لأجزاء الليل	دعاء أبي المرداء رضي الله عنه
٣٧٢ يان الليالي والأهم القاضية	دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
	دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
	٣١٩ دعاء الخضر عليه السلام
	دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه
	دعاء عتبة التلام
	دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
	دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٣٢٠ دعاء ابن القنبر وهو سليمان التيمي وتسميته رضي عنه
	دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه

## فهرس

### ماهامش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة	صفحة
١١١	٢ - كتاب
١١٨ (فصل) في بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرّد	تعريف الأحياء بفضائل الإحياء
١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرّد عن العلم	٢ خطبة الكتاب
بصحة ضعيفا وغيره من المعرفة قريبا الخ	٤ المقدمة في عنوان الكتاب
١٢٨ بيان أرباب للربة الثالثة وهو توحيد	٨ المقصد في فضل الكتاب وبعض للدائح
للقربين	والثناء من الأكابر عليه والجواب عما
١٤٤ بيان للربة الرابعة وهو توحيد الصديقين	استشكل منه وطمع بسببه فيه
١٤٩ (فصل) في معنى إفتاء سر الربوبية كفر	١٦ (فصل) فيمن أفتى على الإحياء من العلماء
وغير ذلك	الأعلام
١٥٧ (فصل) في معنى قاطع الطريق	٣٠ (فصل) في بيان الواضع التي استشكل فيها
١٥٧ (فصل) في معنى فاستمع لما يوحى	على الإحياء والجواب عنها
١٦٩ (فصل) في معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين	٣٤ (خاتمة) في الإشارة إلى ترجمة الامام الفزالي
١٧٠ (فصل) في معنى انصراف السالك الناظر	وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية
بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى	رضى الله عنهم
١٧١ (فصل) في معنى ليس في الإمكان أبدع من	٢ - كتاب
سورة هذا العالم الخ	الإيماء في اشكالات الإحياء
١٧٥ (فصل) في بيان أن خطاب العقلاء	خطبة الكتاب
للجمادات غير مستنكر	٦٠ ذكر مراسم الأستجة في الليل
١٨٤ (فصل) في الفرق بين العلم المحسوس في عالم	٦٥ مقدمة في الألفاظ المستعملة
للك ، وبين العلم الالهي في عالم لللكوت	٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف
١٨٧ (فصل) في حد عالم لللك	والاستتشاف على كلام الناس وكتب
١٨٧ (فصل) في معنى أن الله خلق آدم على صورته	الحكمة
١٩٣ سؤال في بيان معنى قول سهل رحمه الله	٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأستجة
الالهية سر لو انكشف بطلت النبوات ،	٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرّد وتمييز فرقهم
والنبوات سر لو انكشف بطل العلم ،	٩٩ (فصل) في بيان اللفظ للنبي عن التوحيد
والعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام	١٠٠ (فصل) فان قلت لما الذي صدّه هؤلاء
١٩٧ (فصل) في حكم هذه العلوم للكتوبة في	الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن
الطلب ، وسلوك هذه القامات ، ورفق	النظر ، والبحث حتى تعلموا ، أو عن الاعتقاد
هذه المراتب ، واستنهاهم هذه المخاطبات	حتى تخلصوا من عذاب الله الخ

صفحة	صفحة
٢٥٧ (الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أمم فوج منها)	١٩٩ (فصل) لأي شيء ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات ، وبالمشابهة من الألفاظ دون المحكمات
٢٩٦ (الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم)	٢٠٣ ٣ - (كتاب عوارف المعارف)
٣١١ (الباب الخامس في ماهية الصوف)	خطبة الكتاب
٢٥٠ (الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم)	٢١٥ (الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية)
٣٣٩ (الباب السابع في ذكر سكر التصوف وللتنبه به)	٢٢٣ (الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع)
٣٥٣ (الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله)	